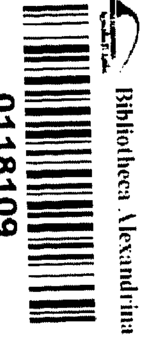
جون دوس باسوس

خط عرض «٤٢»

ترجمة : د.فيليب عطية



مكتبة مدبولي

القاهرة

أميركا U.S.A (ثلاثية)

خط عرض «٤٢»

جون دوس باسوس

أمريكا U.S.A (ثلاثية)



خط عرض «٤٢»

ترجمة : د. فيليب عطية

مكتبة مدبولي
القاهرة

الطبعة الأولى: ١٤١٣ - ١٩٩٢

مكتبة مدبولي

القاهرة

تقـــديم

لم ينل « چون دوس باسوس » من حركة الترجمة ما يستحق من الاهتمام رغم أنه من جيل الرواد الأوائل فى الأدب الأمريكى المعاصر .. فحركة الترجمة فى الثلاثينات والأربعينات من هذا القرن عندما كان «باسوس» رمزا حيا فى أوروبا وأمريكا كان كل ما يشغلها كلاسيكيات الأدب الأوربى ، وكان الأدب الروسى بعمالقته العظام نبعا فياض للمهتمين بالأدب على نحو عام .. والواقعية الاشتراكية على نحو خاص .

حتى إذا ما أتت فترة « الستينات » التى شهدت حركة ترجمة مزدهرة انفتحت على آفاق الأدب الأمريكى لم يشغلها غير الرموز الأدبية الحية التى كانت تستحوذ اهتماما واسعا فى عواصم الفكر والأدب مثل « هيمنجواى » و « شتاينبك » بينما كان « باسوس » قد انحدر إلى دائرة الظل وكتاباته خرجت من إطار الرواية إلى السرد التاريخى كما ضاعت منه قدرته على النقد الاجتماعى البناء وضاعت منه بالأهم قدرته النفاذة على تحليل حركة التاريخ .. إنتقل من حلم « الثورة » إلى حلم « النموذج الأمريكى » و « النمط الأمريكى » و « الديمقراطية الأمريكية » مبادئ الجمهوريات الوليدة التى عفى عنها الزمن .. فيما أطلق عليه « الفترة الجيفرسونية » فى حياته واعتبر النقاد هذا تنازلا نقل « باسوس » من اليسارية إلى المحافظة ومن الرواية إلى التأريخ ومن « ثائر على المجتمع » إلى « نمط فى المجتمع » ومن موهبة حية إلى موهبة ميتة . لكن أمريكا U. S. A. تظل بلاشك أعظم رواياته على الاطلاق بل من أعظم الرويات فى الأدب الأمريكى .. استطاع « باسوس » من خلالها أن يقدم شكلا جديدا من أشكال الرواية وأن يوظف الرواية فى تحليل مجتمع هائل ومتنوع كالمجتمع الأمريكى وأن يقدمها فى النهاية كوثيقة تاريخية على فترة من أهم فترات التاريخ الأمريكى .. تلك الفترة التى خرجت فيها أمريكا من عزلتها لتتفتح على العالم وتفتح شهيتها لأسواق العالم وتفرض وجودها على سياسات العالم .. وباختصار تخرج من مرحلة نموها الرأسمالى إلى المرحلة الامبريالية التى كانت ومازالت سمة من سماتها منذ مطلع القرن العشرين .

كان «چون دوس باسوس» شاهدا على عصره « فيچون رود ريجو دوس باسوس» الذى ولد فى شيكاغو عام ١٨٩٦م من أب يعمل بالمحاماه (من أشهر محاميى الشركات ومرجعا فى عالم وول ستريت) وأم تنتسب إلى إحدى عائلات ماريلاند وفرجينيا العريقة ، والذى تخرج من «هارفارد» عام ١٩١٦ (هارفارد الذى سيقول عنها فيما بعد ساخرا .. جامعة أبناء الذوات .. حتى القنفذ يمكن أن يصبح مثقفا هناك)

والذى تفتحت عيناه على خبايا عالم المال والأعمال كما تفتحت على موجة ثورية عارمة عصفت بالشارع الأمريكى كما عصفت بشوارع أوروبا وروسيا وأمريكا اللاتينية .. مضافا إلى هذا كله دماء برتغالية إنحدرت إليه من أسلاف أبيه (أتى جده لأبيه مهاجرا إلى أمريكا من جزر ماديرا البرتغالية) ..

« دوس باسوس » هذا سرعان ما أنخرط فى الحرب العالمية الأولى كسائق عربة إسعاف وأخذ يجوب فرنسا وايطاليا مشاهدا للخراب والدمار الذى سببته تلك الحرب القذرة (حرب مستر « ڤيلسون » .. الحرب التى لم يكسب منها سوى أصحاب البنوك .. الحرب التى قدمت لأمريكا فرصتها الذهبية لفرض هيمنتها على أنقاض الاستعمار القديم) وسوف يخرج «باسوس» بشعور جارف من المرارة ضد الحرب وضد الرأسمالية وضد صانعى السلاح .

لم يفت « باسوس » أن يفهمم مغزى تلك الحرب .. كانت ثقافته تسعفه ومعرفته بالفكر الثورى تسعفه ودماؤه الحارة تسعفه (لقد تحالفوا لينقذوا قروض « موجان » .. لينقذوا ديمقراطية « ويلسون » لقد وقفوا أمام قبر « نابليون » وحملوا بالأمبراطورية .. لقد احتسوا انخاب الشمبانيا فى بار « رتيز » وناموا مع الكونتسات الروسيات فى « مونتمارتر » وحلموا بالامبراطورية .. لقد اقتسموا الامبراطورية فى قاعة المرايا بقصر « فرساى ») عاد « باسوس » إلى أمريكا ليشهد مأساة جيل ضائع دمرته الحرب ودمرته بنية النظام الرأسمالى ودمره انحسار حلم الثورة .. لقد وطد النظام اقدامه واستطاع أن يروض الجماهير بالدعاية والهروات .

وفى بداية الثلاثينات (فترة الكساد الكبير فى تاريخ أمريكا) أخرج « چون دوس باسوس » أول أجزاء ثلاثية أمريكا U. S. A. « خط عرض ٤٢ » (الخط الذى ينصف الولايات المتحدة ..الخط المحورى الذى تنبثق عليه ومن حوله شخصيات الرواية) وتبعه بالجزء الثانى عام ١٩٣٢ بعنوان (١٩١٩) ثم الجزء الثالث عام ١٩٣٦ بعنوان (الثروة) ليرسم لنا فى الثلاثية بمجملها لوحة بانورامية هائلة للمجتمع الأمريكى منذ مطلع القرن حتى منتصف العشرينات تقريبا.

استخدم باسوس « باسوس » من الوجهة التكنيكية اسلوبا جديدا يساعده على رسم الصورة كاملة بكل أبعادها الزمانية والمكانية .

استخدم اسلوب السرد القصصى لبضع شخصيات منتقاة من الواقع الأمريكى .. وعلى خلاف معاصريه كهمينجواى وفيتزجرالد .. كان باسوس أقرب إلى شخصية رجل

الشارع العادى... وحاول ان ينقل همومه وأفكاره لا ليجعل منها دراما فى حد ذاتها.. بل لنشاهدها بشعور المراقب لنستطيع أن نرى وأن نفكر فيما ورائها.. إن شخصيات الرواية تولد وتعيش.. تتفاعل مع ما حولها.. تلتقى بظلالها وقد تتلاقى لتصنع لحمة العمل.. لكنها لا تستطيع أن تفلت من قسوة قدرها.. إنها مجرد شذرات تتحرك على مسرح كبير هو من البداية إلى النهاية بطل العمل الفنى. ولكى يصل «باسوس» إلى هدفه فإنه لا يكتفى بالسرد البارد الذى تشيع فيه روح السخرية المريرة وإنما يلجأ إلى اسلوب آخر أقرب ما يكون إلى المونتاج السينمائى.. ويقوم بين الحين والآخر بعملية «قطع» ليقدم لنا «الجريدة السينمائية» و «عين الكاميرا». أما «الجريدة السينمائية» أو شريط الأنباء فهى التى ترسم لنا بصورة موضوعية لا دخل للخيال فيها الجو العام الذى تتحرك من خلاله الشخصيات.. إنها لا تقتصر فحسب على مانشتات الصحف أو على فقرات متناثرة متداخلة استقاها من هذا «الربورتاج». أو ذاك.. لكنها تحتوى أيضا على فقرات الأغانى الشعبية والأناشيد القومية.. أغانى المسارح ومغانى الحانات.. البيانات الرسمية واحتجاجات رجل الشارع وهى تسير معنا كلما سارت الراوية فى إطارها الزمنى الطبيعى وهكذا تُفتتح الرواية بجريدة سينمائية تشبه دقات المسرح التى تنبئنا ببداية العرض...

العاصمة قد أتمت القرن..
الضجة تحيى القرن الجديد..
العمال يحيون القرن الجديد..
الكنائس تحيى القرن الجديد..
الأمة تحيى مطلع القرن..

ونرى الرئيس «ماكنلى» كعادة الرؤساء دائما منهمكا فى العمل فى البيت الأبيض بينما الرئيس السابق هاريسون يعلنها صراحة «نحن نقود الآن أعظم الشعوب المستعمرة من أنوفها» ويحتسى سناتور آخر نخب القرن العشرين قائلا: سوف يكون القرن العشرون قرن أمريكا.

وصدى الأغنية الحزينة يجيب على كل هذا...

«لقد قتل رجال كثيرون طيبون فى الفيلبين.. إنهم يتوسدون قبرا مهجورا».

وإذا كانت الجريدة السينمائية ترسم لنا الجو العام بصورة موضوعية فإن المؤلف باعتباره معاصرا لتلك الأحداث يدلى لنا بشهادته أو وجهة نظره الذاتية من خلال عدسة أو «عين الكاميرا» وهى أشبه ما تكون بمونولوج قصير فى صياغة فنية مركبة يميل إلى

الغموض تذكرنا باسلوب الروائى الأيرلندى «جيمس جويس».

يستمد «دوس باسوس» عين الكاميرا الأولى من ذكريات طفولته عندما كان بصحبة أمه (لوسى إديسون سبريج) فى زيارة لأوروبا حيث تعرضوا لغضب الجماهير المؤيدة للبوير ظنا أنهم انجليز (كانت حرب البوير فى بداية القرن مشتعلة الأوار ما بين الانجليز والمستوطنين البيض فى جنوب أفريقيا) لكن القارىء قد يدرك للوهلة الأولى أن «باسوس» يريد أن يعبر من خلال الحدث الخاص عن العام... إنها الخطوات الأولى الحذرة لأمريكا.. والأوراق النضرة التى تذوى أبعد من كونها أزهار حديقة فى فينا أو باريس.. وصيحة الأم الواثقة هى صيحة أمريكا كلها (لتحيا امريكا.. لتحيا امريكا... لتحيا امريكا).

وسوف تخطو بنا «عين الكاميرا» فى إيقاع متصاعد متواز مع ايقاع الرواية لنرى فى عين الكاميرا الأخيرة (٢٧) لخط عرض «٤٢».

(أبناء روزفلت الشجعان فى خوذات الجيش الأمريكى الجديدة الصلبة يضعون النياشين التى يستحقها أمهر الرماة ويتحدثون طول اليوم.. يجب علينا أن نتدخل.. يجب علينا أن نتدخل.. كما لو كانت الحرب حمام سباحة).

ولسوف نرى فى الرواية الثانية (١٩١٩) حمام القتل والدم والخراب الذى كان باسوس شاهدا عليه.. كما سنرى فى الرواية الثالثة صراعه الشخصى من أجل حرية التعبير وإنسانية الفرد والديمقراطية الحقيقية التى كانت الشغل الشاغل لجيل ما بعد الحرب.

«جريدة سينمائية».. «عين كاميرا».. لكن المؤلف الذى يحاول أن يقدم الصورة الكاملة لهذا الكائن الضخم.. المجتمع.. لا يستطيع أن يتجاهل أبطاله الحقيقيين.. والبطل هنا ليس له إلا معنى واحد.. كونه رمزا للمجتمع.. كائن ترك بصمته على تاريخ الأمة.. بالكلمة أو المعول.. بالاختراع أو الدولار... بالرقص أو البندقية.. بالشرف أو الخديعة.. بطل يلقى بظله على رجل الشارع وقد يصبح بالنسبة له نموذجا يحتذى..

وهكذا يضيف «باسوس» إلى «المونتاج» رموز المجتمع الامريكى فى الفترة التى يتحدث عنها.

فى «خط عرض ٤٢» نرى ثمانية رموز.

- «يوجين فيكتور دبز» عاشق الإنسانية «الرجل الذى أرعب عام ١٩١٢» لابسى الفراك والقبعات العالية والسيدات اللواتى يتبخترن بالعقود الماسية عند ينابيع

« ساراتوجا » وبحيرة جنيف و «بار هاربور» بشبح رئيس اشتراكى .. الرجل الذى قال « طالما أن هناك طبقة دنيا فأنا منها وطالما أن هناك طبقة مجرمة فأنا منها وطالما أن هناك سجينا فأنا لست حرا ».

«لوثر بوربانك» ساحر النباتات.. عالم النباتات الأمريكى الشهير الذى حمل لنا رؤيا المستقبل فى استنباط السلالات «الرجل العجوز المتفائل الذى كان دائما يحلم بالورود تتفتح طول العالم».

- «بيج بيل هايوود» مؤسس منظمة عمال العالم الصناعيين .I.W.W التى أشتهرت باسم «الوبلى» ولعبت دورها بالسلب أو الايجاب فى الحركة العمالية الأمريكية.

- «وليم برايان» الخطيب المفوه.. مرشح الرئاسة «الذى حلم بأن يعيد الساعة للوراء.. بالكى والسلخ والسخرية من الداروينية والوجهة الالحادية لأهل المدن.. من العلماء والأجانب أصحاب الذقون وأخلاق القرود».. «لسان فضى داخل فم جعجاع... يسعى وراء كلمة الله البسيطة الغنية المربحة للطبقة الأمريكية الوسطى الغنية المستريحة».

- «ك . كيث الصغير» امبراطور الكاريبى مؤسس شركة الفواكه المتحدة التى صارت منذ مطلع القرن حتى الآن من أقوى الوحدات الصناعية فى العالم واشتهرت بدورها المشبوه فى رسم السياسات وتدبير المؤامرات والانقلابات.

- أندرو كارينچى المليونير صاحب المعاهد المعروفة باسمه «أعطى ملايينا من أجل السلام.. كلما ربح مليونا منحه لأحد المعاهد كى ينشر السلام فى العالم .. دائما.. إلا فى زمن الحرب».

- «إديسون» ساحر الكهرباء الذى أرهقهم بالعمل فى مكتب براءات الاختراع.

- «شتاينمتز» عالم الفيزياء الألمانى الذى صار أثمن قطعة امتلكها جهاز جنرال الكتريك.

- «بوب لافوليت» عضو الكونجرس الذى تحدى ويلسون برفض قرار الحرب..

«رجل من ستة رجال إمتلكوا الشجاعة وحاولوا أن يكبحوا جماح قوة هوجاء مجنونة بأيديهم العارية... رجل للإرادة لا يعبر عن رأى غير رأيه».

إن «الجرائد السينمائية» و «عيون الكاميرا» و «الترجمات القصيرة لرموز المجتمع الأمريكى» تشكل فى مجموعها ما يمكن أن نعتبره بمعنى ما الجانب التسجيلى فى الرواية وهو يشغل حيزا ضئيلا بالمقارنة بالشخصيات الروائية التى تشغل الحيز الأكبر.

في رواية «خط عرض ٤٢» التي يتناول فيها مرحلة البدايات فيما بين مطلع القرن حتى دخول امريكا الحرب العالمية الأولى في ابريل ١٩١٧ نلتقي بخمسة شخصيات محورية يحاول «باسوس» أن يلقى من خلالها الضوء على أوسع قطاعات الشعب الأمريكي مع التركيز على طرفي النقيض في المجتمع.

تبدأ الرواية شخصية «ماك» ذلك الثوري الصعلوك أو الصعلوك الثوري...

نشأ فقيرا لأب يعمل خفيرا في مصانع «شادوبك».. ماتت أمه من كدح العمل المتواصل لتدبر لهم لقمة العيش بعد طرد أبيه من العمل وأضطر للانتقال مع بقية العائلة إلى «شيكاغو» تفتحت عيناه على كلمات خاله «تيم» وهو يقول للأب الهارب من البؤس والديون.

«الخطأ ليس خطأك ولا هي غلطتي.. العيب عيب النظام.. الفقر عيب النظام الذى لا يعطى الإنسان ثمرة عمله... إن الشخص الوحيد الذى يستفيد من النظام الرأسمالي هو اللص الذى يمكنه أن يصبح مليونيرا في غمضة عين»..

كان الخال «تيم» ايرلنديا من تلك السلالة العريقة التي جرت في عروقها دماء الثورة.. شارك في حركة «الفنيان» الوطنية في أيرلندا ثم هاجر إلى أمريكا ليدير مطبعة يطبع فيها بيانات النقابات مقابل النفقات فقط... عاش «فاني» في شيكاغو يعمل على «اللينوتايب» ويختزن كلمات خاله ويساهم في توزيع المنشورات حتى أفلس الخال... أفلسه المنتفعون الكبار نتيجة مناصرته لحركة الاضراب وهكذا كان على «ماك» أن يبدأ رحلة التجوال الطويلة بحثا عن لقمة العيش وحلم الثورة.. إنه يريد أن يكون في كل مكان يلتقط فيه رائحة الثورة.. وهو في هذا رهن اشارة كل رفيق وكل صديق وكل صاحب وكل كلمة...

إنضم إلى «الوبلى» يناصر قضية الاضراب وحرية التعبير.. تزوج «ميزى» القطة البضة الدافئة التي لا يهمها سوى الثياب الأنيقة والفيكترولا لكنه سرعان ما يسأم الحياة معها ويذهب إلى المكسيك لينضم إلى الثورة الشعبية هناك لكنه بمجرد أن يمتلك عشيقة ومحلا لبيع الكتب يضيع منه حلم المراهقة وسوف نتركه في «فيراكوز» وعلامة الاستفهام الساخرة على شفاهنا يهرع في الوقت المناسب ليتناول طعام الافطار من الشيكولاته والشطائر.

لكن «باسوس» سوف يعود إلينا في نهاية «الثلاثية» بشخصية أكثر نضجا وأكثر وعيا وأكثر التزاما هي شخصية «ماري فرنش».

أما الشخصية المحورية الثانية فى «خط عرض ٤٢» فهى شخصية «ج وارد مورهاوس» عضه الفقر بنابه هو أيضا لكنه على العكس يشق طريقه على نحو آخر.. وهو أكثر ذكاءا من أن يكتفى بالعمل السلبى والفتات.. إنه يوظف عقله تماما فى التعرف على الاحتياجات الضرورية للنظام الذى يسعى إلى تسلقه وينتهز كل فرصة تمر به لتحقيق أغراضه بصرف النظر عن أية اعتبارات اخلاقية ومن المدهش أن يبدأ «باسوس» هذه الشخصية بتلك الكلمات التى تخفى ورائها الكثير.

«ولد فى «ويلمنجتون» بديلاور فى ٤ يوليه.

كانت مسز «مورهاوس» المسكينة تسمع دوى الألعاب النارية خارج المستشفى طول مدة ولادتها وعندما ولد الصغير واعطوه لها سألت الممرضة بصوت هامس مرتعش هل سيكون لهذا الضجيج تأثير سئ على طفلها.. أجابت الممرضة بأن الصغير سوف ينمو ليكون بطلا وطنيا عظيما أو حتى رئيسا لأنه ولد فى يوم الاستقلال المجيد». ينمو «مورهاوس» ويرحل مبكرا ليلتقط لقمة عيشه بعد أن حرم من استكمال دراسته.

لا يملك غير وجه طفل برىء وعيون زرقاء.. تلقى إليه الصدفة «بآنابيل مارى سترانج» إبنة الطبيب.. فتاة المجتمع التى تحتاج إلى فتى يستر عهرها المفضوح فلا يتردد ج. وارد فى تقديم هذه الخدمة وأكثر منها.. يتزوجها ويتسلق عن طريقها إلى أبواب المجتمع الذى يحلم به.. وعندما تسأم منه يكون قد وضع أقدامه على أول السلم.. وجه برىء.. عيون زرقاء...طعم ممتاز... قدرة فائقة على الدعاية.. إذن فلتكن الدعاية لا لخدمة مكتب سمسرة صغير أو شركة محدودة بل لخدمة نظام بأكمله.. وهكذا يصير ج. وارد مورهاوس مندوب الدعاية للبنوك والاحتكارات والحكومات ويستغل علاقة أخرى بأبنة مليونير عجوز ليفتتح «مؤسسته الخاصة للدعاية والاعلام» ولن يكف هذا اللعين الناعم عن تنظيم عمله وتنظيره ليقدم لنا فى النهاية لا مجرد صورة فردية لشخص ناجح بمقياس المجتمع بل «لمؤسسة دعاية» ستصير لبنة من لبنات النظام الأمريكى وسوف تخرج تلك المؤسسة أجيالا متتالية من أصحاب الوجوه البريئة والكلمات الناعمة والحقائب الدبلوماسية المحشوة بالأكاذيب.

الشخصية المحورية الثالثة هى شخصية «تشارلى» ولن نرى فى «خط عرض ٤٢» غير البدايات الأولى لتكوين هذه الشخصية.. الفتى الأفاق الذى يتعلم «الميكانيكا» على يد أخيه فى فترة بدأت فيها ورش السيارات تغلق اسطبلات الخيول وتحول «الكاوبوى» التقليدى العتيق إلى ذلك الفتى المغامر الذى لا يهمه غير كأسه وفتاته. يتمرد «تشارلى»

على البيت بحياته الرتيبة وطقوسه الجامدة.. يعمل فى حديقة للملاهى حيث تروى «إميزكا» إبنة صاحب الحديقة نهمه للعشق والجنس.. لكنه ليس من ذلك النوع الذى يسعى للزواج.. يعاود التجوال.. يلتقط لقمته بشق الأنفس وهو يحلم باستكمال دراسته.. لكن الجوع والضياع يدفعانه دفعا إلى الحرب وسوف ننهى «خط عرض ٤٢» معه وهو فى طريقه إلى فرنسا متطوعا فى فرق اسعاف الميدان..

لكن «تشارلى» سوف يعود فى الجزء الثالث من الثلاثية فتى العشرينات المدلل الذى يعرف تماما كيف يستغل فترة ازدهار ما بعد الحرب وصناعة الطائرات الوليدة ليكدس الأموال والنساء وسنرى من خلاله رواج «وول ستريت» ومصانع ديترويت العملاقة. وأضواء هوليوود البراقة.. وصناعة «الممثلات».

يبقى من «خط عرض ٤٢» شخصيتان محوريتان نسائيتان..

«جانى ويليامز» تلك الشخصية الباهتة التى سوف تذوب تماما فى شخصية «ج. وارد مورهاوس» لتصبح مجرد ظل له.. تدفن نفسها فى مكتبه كسكرتيرة شخصية وتقدم نموذجا كاملا لفتاة برجوازية صغيرة تصل إلى حد «الاستلاب التام والاغماء العقلى» وسوف نبتسم دائما من تصرفاتها وآرائها وأفكارها وأحلامها دون أن نغفل عن تلك الدوافع الجنسية المكبوتة التى تنعكس إلى البرود والسلوك المشوه.

«عندما يقترب وصول ج. وارد تبدأ فى الاحساس بوخز غريب يشمل كل جسمها.. تقول لنفسها هذا شئ لا معنى له لكنها فى كل مرة تسمع صوت الباب الخارجى تتطلع باهتمام وتوجس وتعانى من القلق.. لعله أصيب فى حادث... ذات يوم لاحظت ساق سروال بذلته الزرقاء وقد لطخته بقعة من الوحل فلم تستطع أن تمنع نفسها طول الصباح من التفكير كيف يمكن أن تجد ذريعة تذهب بها إليه لتنبهه إلى ذلك». سوف نرى بموازاة جانى شخصية أخيها «جو ويليامز» فهذا الفتى الذى لفظه أبوه لن يجد سبيلا للحياة إلا التطوع فى البحرية لكنه لن يخضع للعبة الاستلاب والاغماء العقلى رغم أن تمرده سوف يخرج تمردا عشوائيا لا قيمة له.. إنه يفتقر إلى الوعى الثورى وفترة دراسته القصيرة لن تمنحه اهتماما أكثر من الاهتمام بلعبة «البيسبول» أما آرائه المريرة الصادقة فلن يستقيها من الكتب بل من واقع حياته الشاقة البائسة.. لقد هرب من البحرية بعد قتله لأحد الضباط ليعمل بعد ذلك كبحار على السفن التجارية يرحل من مكان إلى مكان صعلوكا متشردا بلا عائلة أو إنتماء أو وطن وسنراه فى الجزء الثانى من الثلاثية وهو ينتقل من سفينة إلى سفينة ومن ميناء إلى ميناء بائسا ضائعا يعانى أهوال الحرب إلى أن تنتهى

حياته فى شجار داخل إحدى الحانات. أما الشخصية النسائية الثانية فى «خط عرض ٤٢» فهى شخصية «اليانور ستودارد» وبموازتها شخصية صديقتها «ايفلين هتشنز» .. إن الفتاتين تجمعهما رابطة واحدة هى ذلك الحلم الرومانسى بالجمال.... لكنهما سوف يقدمان نمطين مختلفين تماما عندما يصطدم تحقيق هذا الحلم بالواقع.

«عندما كانت إليانور صغيرة كرهت كل شئ.. كرهت أبيها هذا الرجل البدين أحمر الشعر الذى تفوح من شواربه رائحة الغليون النتنة.. كان يعمل فى أحد المذابح وعندما يعود إلى المنزل وقد التصقت بملابسه رائحة السلخانات العفنة لا يكف عن الحديث عن تلك المهازل الدموية التى تحدث عند ذبح الماشية والثيران والخنازير والرجال...

كرهت إليانور منظر ورائحة الدم.. اعتادت أن تحلم كل ليلة بمنزل كبير نظيف أبيض... مفارش بيضاء.. أطباق فضية لامعة.. وباقات من الأزهار».

تلتقى «إليانور» عن طريق عملها بالديكور بمورهاوس - ولعلها ليست مصادفة أن يتآلف الديكور مع الدعاية - فكلاهما مرتبط بالطبقات الثرية ورائحة القصور... تقيم اليانور مع «مورهاوس» علاقة أفلاطونية أنقى من الثلج لكنها سوف تتعلم كيف تحقق حلمها بواقعية شديدة وأنانية مطلقة - إنها ليست ذلك النمط الذى يخضع للعواطف - وبينما ترفض أيفلين (فى الرواية الثالثة من تلك الثلاثية) الخضوع لواقع مزيف وحلم مزيف وحب مزيف وتنهى حياتها بالانتحار.. سنرى «إليانور» تتزوج من أمير روس هارب يحقق لها ذلك البهرج الزائف.. القشرة اللامعة التى يستر بها نظام ما أو شخص ما خواء.

كان «باسوس» يريد كما عبر فى تصديره للرواية أن يلتقط حديث الناس فأمريكا U. S. A. «قطعة من قارة... تكتلات من الاتحادات التجارية.. عمود من حسابات البورصة.. مكتبة عامة مزدحمة بالجرائد القديمة وكتب التاريخ البالية التى امتلأت باحتجاجات على الهوامش.. لكنها فى الأغلب الأعم.. حديث الناس»..

ولقد التقط «باسوس» الكثير.. التقط حديث العمال والمزارعين.. اللصوص وأصحاب الأعمال.. الكادحين والأفاقين.. البحارة والجنود.. الصعاليك والعاهرات.. المثقفين ومزيفى الثقافة، الشرفاء وتجار الكلمات.. الثوار ومدعى الثورية.

وبعد..

هذه هى «خط عرض ٤٢» بعد أكثر من نصف قرن على اصدارها.. مازالت رواية حية.. سوف تجد أبطالها رغم بعد الزمان والمكان يعيشون بيننا ويتحركون أمام أعيننا وقد يختبئون تحت جلودنا..

وإنها لمن الروايات التى تطلبت ترجمتها جهدا خاصا بسبب افتقار النص الأصلى إلى الهوامش مما يجعل البحث عن بعض الأخبار والأحداث التى ذهب بعضها إلى زوايا النسيان أمرا عسيرا... كما أن «باسوس» وضع فيها خلاصة جولاته الواسعة ملتزما بالواقعية البالغة فى الوصف فامتلأت روايته بأسماء المدن والشوارع والميادين والفنادق والحانات والأطعمة والخمور والأزياء والقبعات والمذاهب والأجناس واللهجات.. ولم يتردد فى صياغة الحوار بمختلف اللهجات الامريكية مع استخدام مفردات الفرنسية والأسبانية والالمانية والايطالية بحرية تامة، ولعل هذا مما يؤكد إن انتماء «باسوس» إلى امريكا لم يكن انتماءا غيبيا فارغا وإنما كان انتماءا إلى واقع حى أراد أن يقدم له عملا يضارع فى صدقه الفنى صدق المرآة.

ف . ع

يمضى الشاب بمفرده.. سريعا بين الجموع المبعثرة على الطرقات التى لفها الظلام.. الأقدام اتعبتها ساعات من التجوال.. العيون نهمة لانحناءات الوجوه الدافئة، ووميض العيون المستجيبة.. لحركات الروؤس واهتزاز الاكتاف والطريقة التى تنبسط وتنقبض بها الأيدى.. الدم يفور بالرغبات والعقل خلية من الأمانى تطن وتلسع.. العضلات تتوق لممارسة الأعمال.. لشغل عامل الطريق بالمعول والجاروف.. لبراعة الصياد وهو يسحب شبكته المنزلقة عبر حاجز المركب المترنح.. لحركة الذراع المسيطرة لعامل بأحد الجسور يثبت صامولة متوهجة.. لقبضة قائد القاطرة الحكيمة المتحكمة فى الصمام الخانق.. لانحناءة فلاح رث انحنى بكل جسمه - وقد أوقف البغال - لكى ينتزع المحراث من الأخدود الذى انحشر فيه. يمضى الشاب بمفرده بين الجموع يبحث بعيون نهمة وآذان نهمة.. كلها انصات.. الطرقات خالية.. تفرق الناس عبر الدروب.. استقلوا العربات والاتوبيسات ركضوا إلى قطارات الضواحى .. تسربوا الى المبانى والغرف.. صعدوا إلى المخادع، وفى احدى الفترينات ثمة فتاتان شاحبتان تحضران إلى الواجهة دمية فتاة ترتدى زى سهرة أحمر، وفى احدى الزوايا انحنى بعض عمال اللحام وهم يرتدون الأقنعة الواقية أمام عربة يصلحونها.. وكان بعض السكارى يتسكعون وعابر طريق حزين يتململ تحت أحد أعمدة النور ومن النهر يأتى صفير ثاقب عميق لباخرة تغادر المرفأ بينما أحد اللنشات ينعق من بعيد.

يمضى الشاب بمفرده سريعا (ولكن ليس بكل سرعته) بعيدا (ولكنه ليس بعيدا تماما [الوجوه تنزلق بعيدا عن النظر .. الحديث يتحول إلى همهمات متهالكة وخطو الأقدام يتلاشى فى الأزقة.

لا بد له أن يلحق بآخر الأتوبيسات.. لا بد أن يمد المعابر لكل البواخر وأن يقيم فى كل الفنادق ويعمل فى كل المدن ويلبى كل طلبات التشغيل ويتعلم الحرف ويزاول الأعمال ويعيش فى كل النزل وينام على كل الأسرة. فراش واحد لا يكفي.. عمل واحد لا يكفي.. حياة واحدة لا تكفى.

فى الليل يعج الرأس بالرغبات.. إنه يسير وحيدا مختليا بنفسه.. بلا عمل.. بلا امرأة.. بلا منزل.. بلا مدينة.. الآذان مشغولة بالتقاط الحديث.. إنها لا تشعر بالوحدة الآذان تنصت بعمق.. إنها مشدودة بخيوط العبارات المنغمة.. بوقع الدعابات.. بإنشاد خافت لإحدى القصص.. بالرنين الفظ لاحدى الكلمات..

إن خيوط الحديث تلتف حول أحياء المدينة.. تنطلق عبر الطرقات وتزدهر فى ساحات الحدائق الواسعة وتسابق الشاحنات التى تمرق من ليلها الطويل الذى صاحبها على

الطرق الهادرة وتهمس خلال الطرقات المتربة التى تقطع الحقول الكالحة.. إنها تربط بين المدن والمحطات المزدحمة والنزل والبواخر والطائرات.. إن الكلمات تصيح فوق المراعى وتطفو ببطء عبر الأنهار الى تنحدر الى البحر والشواطئ الهادئة.

لقد تخلص من الوحدة.. ليس فقط أثناء جولاته الطويلة بين الجموع المتدافعة فى الليل او فى معسكر التدريب فى «النتاون» أو يوم كان فى حوض السباحة فى «سياتل» أو فى ليالى صباه الصيفية الحارة التى قضاها فى مدينة «واشنطن» المليئة بالدخان أو بينما كان يتناول طعامه فى «ماركت ستريت» أو بينما كان يسبح قرب الصخور الحمراء فى «سان دييجو» أو وسط فراشه الملئ بالبراغيث فى «نيو اورلياتز» أو فى زمهرير الريح الباردة عند البحيرة.. أو عند مرأى الوجوه الشاحبة المرتعشة من كدح العمل فى شارع ميتشجان أو عند مرأى المدخنين فى القطارات السريعة أو فى ليلة بلا فراش قضاها بين شاحنات البيرة المثلجة فى «يلو ستون» أو فى أيام الأحد التى قضاها فى التجديف فى «كينيباك». بل أيضا .. فى كلمات أمه وهى تحدثه عن الأزمنة الغابرة وفى حديث أبيه عن أيام صباه وفى حكايات الأعمام الساخرة.. وفى أكاذيب الرفاق فى المدرسة.. فى حكايا الرجل الأجير.. وفى روايات الجنود الطويلة التى يحكونها بعد الشراب. إنه ذلك الحديث الذى يلتصق بالأذن ويسرى فى الدماء..

أمريكا .U.S.A قطعة من قارة.. مجموعة من الشركات القابضة.. تكتلات من الاتحادات التجارية.. مجموعة من القوانين ملتصقة بالجلد.. شبكات راديو.. سلسلة من دور السينما.. عمود من حسابات البورصة التى يكتبها ويمحوها فتى «الويسترن يونيون».. مكتبة عامة مزدحمة بالجرائد القديمة وكتب التاريخ البالية التى امتلأت باحتجاجات خطت على الهوامش.

امريكا. .U.S.A أكبر أودية الأنهار فى العالم التى تحيط بها الجبال والتلال..

امريكا. .U.S.A جهاز موظفين جشعين يمتلكون أرصدة عديدة فى البنوك..

امريكا. U.S.A مجموعة رجال دفنوا بملابسهم فى مدفن «ارلنجتون» امريكا U.S.A حروف مسطورة فى نهاية عنوان نكتبه ونحن خارج الوطن.. وفى الأغلب الأعم امريكا U.S.A هى حديث الناس.

چون دوس باسوس

جريدة سينمائية (١)

إنه ذلك الجنس المنعتق..

الذى اعتلى التلال يهاجم..

عصاة

يقتلون.. جاهزون للقتل

العاصمة قد أتمت القرن

كان جنرال «ميلز» بزيه المبهرج وفرسه الهائج محط كل الأنظار لاسيما أن جواده كان هائجا للغاية وبمجرد أن عبرت الفرقة أمام القائد استوى الجواد على قائمتيه الخلفيتين وصار منتصبا تقريبا.. حاول الجنرال «ميليز» جاهدا أن يلجم الحيوان المذعور وأن يتشبث بالمهماز فى محاولة لكبح جماحة.. لكن الحصان - لذعر المشاهدين.. أقعى أرضا وانبطح أمام القائد.. لم يصب جنرال ميلز لكن قطعة كبيرة من جلد الحصان كشطت من جانبه وغطى تراب الطريق كل بوصة تقريبا من معطف الجنرال وفيما بين كتفيه حدث تمزق يقرب من البوصة.. لكنه وبدون انتظار احد ينفض التراب عن بذلته اعتلى جنرال «ميليز» ظهر حصانه واكمل الاستعراض وكأن شيئا لم يحدث. ومن الطبيعى أن يجذب ذلك الحادث انتباه الجمهور الذى لاحظ تلك الحقيقة.. إن القائد العام لم يسمح مطلقا للعلم بأن يمر امامه دون أن ترفع القبعات احتراما وأن يظل الجميع هكذا حتى تمر الراية.

والكابتن الجرئ فى الغرفة «ب»

كان يقاتل فى المقدمة..

جندى حقيقى بين جنود شجعان.

المسئولون لا تشوبهم نقيصة

السلطات الصحية حولت مياه نهر شيكاغو إلى مصرف.. بحيرة ميتشجان تمد يدها إلى رب المياه.. اتحاد زراعة الراين الالمانى[١] .. افتتاح مباراة لغناء طيور الكنارى.. يقول برايان إن الصراع من أجل نظام المعدنين بنسبة ١٦ : ١ لم ينته بعد.

الانجليز يهزمون فى «ميفكنج»[٢]

لقد قتل رجال كثيرون فى لوزون.

المطالبة بالجزر فى كل وقت

نادى هاملتون يستمع إلى (بيان) يلقيه (بوزى Posey) عضو الكونجرس السابق عن انديانا.

الضجة تحيى القرن الجديد..
العمال يحيون القرن الجديد.
الكنائس تحيى القرن الجديد..

مستر ماكنلى[٣] كان منهمكا فى العمل فى مكتبه بينما كان يبزغ فجر العام الجديد.

الأمة تحيى مطلع القرن

قال الرئيس السابق «بنيامين هاريسون»[٤] فى مأدبة أقامها نادى كولومبيا فى انديانا بوليس.. بانديانا ردا على نخب «لتحيا كولومبيا» «انى لا أملك أى حجة أقولها هنا أو فى أى مكان آخر ضد التوسع الاقليمى لكنى خلافا للبعض لا أنظر إلى التوسع الاقليمى على أنه اسلم أو أحسن طريق للنمو القومى فبفضل مرايا وفرة الحديد والفحم الرخيص وبفضل الإنتاج الهائل للسلع الغذائية وبفضل مزايا الاختراع والاقتصاد في الإنتاج نحن نقود الآن أكبر وأعظم الشعوب المستعمرة من أنوفها»..

سيدات المجتمع شعرن بالاشمئزاز.. رقصن مع المخيرين..

لأنه قتل رجال كثيرون فى لوزون ومندناو

الفتيات المرحات تجمعن فى نيوجيرسى

إحدى الصور المطبوعة لبطلة سينمائية أظهرتها ترتدى مايوه «اتلانتك سيتى».. يسترها بالكاد وهى تجلس فوق موقد متوهج وفى احدى يديها كأس خمر مترع.. وعلى الشرائط رسمت ازواج من السرطانات البحرية الهائجة.

لأنه قتل رجال كثيرون فى لوزون ومندناو.. وفى سامار[٥]

قال سناتور البرت ج. بيفردج وهو يحتسى نخب «القرن العشرين»: سوف يكون القرن العشرين «قرن امريكا» سوف يسيطر عليه الفكر الامريكى ولسوف يعطيه التقدم الأمريكى لونه وهدفه ولسوف تعلى من شأنه المنجزات الامريكية.. إن الحضارة لن تنحسر ابدا عن شنغهاى ولن تغادر هونج كونج ولن تغلق بوابات بكين ثانية فى وجه الإنسان المتحضر وأساليبه.. إن اعادة خلق العالم ماديا واخلاقيا قد بدأت والثورات لا تتقهقر إلى الوراء ابدا».

لقد قتل رجال كثيرون طيبون فى الفلبين

انهم يتوسدون قبرا مهجورا.

عين الكاميرا (١)

عندما تسير على الطرقات يجب أن تخطو بحذر على الأحجار لئلا تدوس البراعم الزاهية المتفتحة.. ولعله من الأفضل أن تمسك بيد أمك[٦] وتتعلق بها لكى تستمتع بوقتك.. لو مضيت بسرعة سوف تطأ أوراقا كثيرة وسوف تذوى تلك الأوراق النضرة التى وطأتها اقدامك.. هذا هو السر فى غضب كل هؤلاء الناس.. إنهم يتبعوننا وهم يلوحون بقبضاتهم.. إنها تسير بسرعة ونحن نتبع اطراف اصابعها المدببة التى تتلاحم بقوة فوق تلك الأوراق المسكينة المداسة تحت طيات الثوب البنى المتطاير.. انجليز.. حصاة ترن بين الأحجار.. فلتسرعي يا عزيزتي.. اسرعى إلى مكتب البريد إنه هادئ والرجال الغاضبون فى الخارج لا يستطيعون الدخول.. لا.. ابدا.. ابدا.. لسنا انجليز.. أمريكانش.. امريكا.. فلتحيا امريكا[٧] .. فلتحيا امريكا[٨] إنها تضحك.. أواه يا عزيزتى لقد جعلونى أخاف بحق..

الحرب فى أحراش «كروجر» «وبلومفونتين» و«ليد يسميث»[٩] والملكة فكتوريا[١٠] - المرأة العجوز ذات القبعة الحريرية المزركشة - أرسلت قطع الشيكولاته الى الجنود بمناسبة أعياد الميلاد. على المائدة يسود الظلام والسيدة الالمانية الجميلة التى تحب الامريكيين ولها أصدقاء فى «ترنتون» تعرض عليك البطاقات المصورة التى تتلألأ فيها القصور والفنادق الفاخرة الموحشة.. أوه.. لكم هى جميلة.. مدهشة.. جميلة.. جميلة..

وضوء القمر يترقرق تحت القنطرة .. انعكاسات الضوء تتوهج فى الظلام حول المائدة ونوافذ الفنادق الصغيرة التى تطل على الميناء.. يالروعة القمر؟! والبدر أيضا.

مـــاك

عندما تهب الريح عبر النهر حاملة، دخان المصانع القريبة كان هواء البيت الرمادى المسيج الذى تقطنه أربع عائلات والذى ولد فيه فانى ماك كريرى يعبق طوال اليوم برائحة الصابون وفى الأيام الأخرى كان يمتلئ برائحة الكرنب والأطفال وغسيل مسز ماك كررى.. وكان فانى لا يستطيع اللعب بالمنزل لأن الأب ذلك الأحدب المقعر الصدر ذو الشارب الأشعث كان يعمل خفيرا ليليا فى مصانع شادويك وكان ينام طوال النهار.. فقط عندما تقترب الساعة من الخامسة كانت رائحة الدخان تتسرب من الغرفة الأمامية الى المطبخ إشارة إلى أن الأب قد استيقظ وأنه معتدل المزاج ويريد العشاء. كان فانى يبعث إلى إحدى زوايا الشارع الموحل الذى تصطف حوله البيوت المسيجة المتماثلة. إلى اليمين يقع

مشرب «فنلى» حيث يقف الرجل ببنطلونه الملطخ بالوحل إلى أن يشبع الرجال من احتساء البيرة والويسكى فيقفل عائدا إلى المنزل وهو يخطو بحذر قابضا على سطل البيرة الذى يدمى يديه. وإلى اليسار تقع محلات بقالة «ماجنيس» الفاخرة التى تباع فيها المنتجات المحلية والمستوردة وحيث كان فانى يشتهى أصناف الكريمة المعروضة فى الواجهة مع معلبات السجق وصناديق البطاطس والكرنب والسكر والجنزبيل والرنجة والسلمون والخل والخبز والفلفل ولحم الخنزير المقدد.

– أعطنى من فضلك رغيف من الخبز ونصف أوقية من الزبد وعلبه من فطائر الزنجبيل.

وفى بعض الامسيات عندما تشعر الأم بتوعك كان فانى يذهب الى أبعد من ذلك إلى الطريق الموازى للنهر حيث يسير «الترولى» وكان يعبر القنطرة الحمراء المقامة على النهر الصغير الذى ينساب فى الشتاء راكدا بين ضفتين ثلجيتين ويتحول عند حلول الربيع وذوبان الثلوج إلى مجرى أصغر ترغى فيه المياه وتزبد.. أما فى الصيف فيكتسى لونا بنيا تلوثه بقع الزيت. وعلى امتداد طريق النهر وحتى الشارع الرئيسى حيث تقع الصيدلية كان يقطن الهنغاريون[١١] والبولنديون[٢] حيث يتقاتل ابنائهم على الدوام مع ابناء الايرلندى[١٣] والاوهارا[١٤] والفلانجان[١٥] الذين يعيشون فى شارع البستان. وكان فانى يسير وركبتاه ترتعشان ممسكا بزجاجة الدواء الملفوفة فى ورقة بيضاء بأحدى يديه المكسوتان بالقفاز وعند احدى الزوايا كان يوجد مجموعة من الصبية عليه أن يجتازهم.. لكنه وبمجرد أن تقارب المسافة العشرين ياردة يسمح أول قذيفة من الكرات الثلجية تمرق بجانب أذانه ولم يكن هناك مفر.. لو اطلق ساقيه للريح لظلوا يطاردونه ولو أنه قذفهم بزجاجة الدواء لتلقى عقابه عند عودته.. وتلتصق قذيفة بمؤخرة رأسه ويحس بقطرات الثلج تنزلق إلى عنقه حتى إذا ما أصبح على بعد خطوات من القنطرة انطلق يجرى وهم يصيحون خلفه «أيها القط المذعور.. الايرلندى الحقير الكسيح.. اجرى إلى البيت لتحصر العسكرى» ويظل أولاد البولنديين والهنغار يصيحون خلفه وهم يرشقونه بالقذائف. كانوا يصنعون قذائفهم الثلجية بأن يصبوا عليها الماء ويتركونها تتجمد طوال الليل لتصبح صلبة وقادرة على أن تدمى إذا اصابت الهدف.

كان الفناء الخلفى هو المكان الوحيد الذى يستطيع أن يلعب فيه مطمئنا وكان يمتلىء بالنفايات المحطمة وعلب الطعام الفارغة والدوارق والصفائح التى تحتاج إلى لحام.. وحظيرة دجاج خالية لازال يوجد بها بعض الريش والمخلفات؛. وطعام الخنازير فى الصيف

والوحل فى الشتاء!. ولعل أبرز ما فى فناء ماك كريرى هى حظيرة الأرانب التى يملكها تونى هارمان حيث كان يحتفظ فيها بالأرانب البرية البلجيكية، وتونى هارمان كان مصدورا ويعيش مع أمه فى «البدروم» ويود أن يربى كل انواع الحيوانات الصغيرة كالراكون وثعالب الماء والثعالب الفضية ولعله كان يود أن يصبح غنيا بهذه الطريقة وعندما مات لم يستطع أحد أن يجد مفتاح القفل الذى يغلق به الحظيرة وظل فانى يطعم الأرانب لعدة أيام بأن يدفع إليها بأوراق الكرنب والخس من خلال الستارة الشبكية المزدوجة ثم أتى اسبوع من الجليد والمطر لم يخرج فيه إلى الفناء حتى إذا اقبل أول أيام الصحو مضى لينظر وجد أن أحد الأرانب قد مات.. اصابته الدهشة وحاول أن يقنع نفسه بأنه نائم.. كانت الأرانب الأخرى تتجمع فى أحد الأركان تنظر بأنوفها المرتعشة وآذانها الكبيرة تتدلى يائسة. يالالأرانب المسكينة؟! ودفانى أن يصرخ وجرى إلى أعلى حيث المطبخ والتقط المطرقة وعندما حاول لأول مرة أن يفتح القفل اصاب اصابعه لكنه فى المرة التالية استطاع أن ينتزع القفل ومن الداخل تصاعدت رائحة حادة صارخة. التقط الأرنب الميت من أذنيه.. كانت بطنه البيضاء الناعمة على وشك أن تنفتح.. واحدى عينيه الميتتين مفتوحة بذعر... وشىء امسك بخناق فانى واجبره على أن يلقى الأرنب فى صفيحة القمامة ويجرى صاعدا ولم يزل يرتعش ويكاد يتجمد من البرد واخذ يزحف الى النافذة الخلفية يتطلع إلى أسفل متقطع الأنفاس... ،يلاحظ بقية الأرانب التى اقتربت من الباب بحذر وأخذت تخرج إلى الفناء كان أحدها يقعى على قائمتيه الخلفيتين وأذنيه منتصبتين، ونادت عليه أمه ليحضر لها المكواة وعندما عاد كانت الأرانب كلها فى الخارج.

فى ذلك الشتاء تم اضراب فى مصانع شادويك وفقد الأب عمله واصبح يجلس طوال النهار فى الغرفة الأمامية يدخن وهو يسب ويلعن..

- أنا رجل قادر وحق يسوع... استطيع أن اصرع أيا من هؤلاء البولنديين الملاعين وعكازى وراء ظهرى.. قلت هذا لمستر بارى.. أنا لن أذهب للاشتراك فى أى اضراب.. ومستر بارى رجل هادئ ومعقول.. أنا مجرد عاجز لى زوجة وأطفال.. واجبى التفكير فيهم.. ثمانية أعوام وأنا أعمل والآن أحال إلى المعاش ليحل بدلى مجموعة من اللصوص والمخبرين.. ابناء العواهر الأقذار فطس الأنوف.

رد بعضهم بهدوء - لو لم ينسحب هؤلاء الملاعين الغرباء المقملين.

لم يكن الاضراب مستحبا فى شارع البستان ذلك يعنى أن الأم يجب أن تعمل أكثر وأكثر وأن تغسل أكبر كمية ممكنة من الملابس وأن يساعدها فانى وأخته الكبرى «ميلى»

بمجرد عودتها من المدرسة، حتى كان أحد الأيام..

رقدت الأم مريضة فى الفراش ووجهها الأبيض المستدير المغضن صار شاحبا وأكثر بياضا من الوسادة وأتى طبيب المقاطعة ومعه ممرضة وامتلأت الشقة بغرفها الثلاث برائحة الأطباء والممرضات والأدوية ولم يجد فانى وميلى مكانا خاليا للجلوس غير السلالم.. هناك جلسا معا يبكيان بهدوء.. وأخذ وجه الأم الشاحب يتضاءل حتى صار مثل قطعة من القماش المكرمش.. ثم اخذوها بعيدا وقالوا انها قد ماتت. سارت الجنازة من قاعة دفن الموتى على الطريق الموازى للنهر وشعر فانى بالزهو لأن الجميع قد قبلوه وربتوا على رأسه وقالوا أنه يتصرف كرجل صغير.. وكانت لديه بذلة سوداء مثل الرجال لكنها ذات سروال قصير وكان هناك حشد من الناس فى ساحة الدفن لم يجتمع بمثل تلك الكثرة من قبل.. مستر رسل والجزار والأب أودونل والخال تيم أوهارا الذى أتى من شيكاغو تفوح منه رائحة الويسكى والبيرة مثل تلك التى تتصاعد من خمارة «منلى». كان نحيفا ذو وجه أحمر مبثور وعيون زرقاء غائمة ويرتدى ربطة عنق حريرية سوداء لم تعجب فانى. انحنى فجأة وهمس فى أذن فانى بصوت أجش.

- لا تلق بالا إليهم أيها «الحبوب» .. انهم مجموعة من السكارى والمنافقين.. غارقون فى النفاق حتى آذانهم... انظر الى الأب «اودونل» ذلك الخنزير البدين... إنه مشغول بحساب اتعاب الدفن.. لا تلق بالا إليهم وتذكر أنك من «الأوهارا» من ناحية امك.. أنا لا اهتم بهم أيها الحبوب فقد كانت أختى باللحم والدم.

عندما عادوا إلى المنزل كان فانى يشعر بالنوم شعورا قاهرا وكانت اقدامه مبتلة باردة.. لم يلق أحدهم بالا إليه فجلس يبكى على حافة الفراش ومن الغرفة الأمامية تصاعدت أصوات الشوك والسكاكين لكنه لم يرغب فى الذهاب إلى هناك فتكور امام الحائط وراح فى النوم. وايقظه الضوء الساقط فى عينيه ورأى الخال تيم وأبوه واقفين بجانبه يتجادلان بصوت مرتفع وبدا منظرهما غريبا.. لكنهما لم يظلا هكذا طويلا.. انحنى الخال تيم وهو يمسك بالمصباح والضوء يتلاعب فوق رأسه.

- حسنا.. «فانى» أيها الحبوب.. فانيان أوهارا ماك كريرى.. اجلس واخبونا عن رأيك.. لقد اقترحت أن تذهب معى إلى شيكاغو المدينة الكبيرة المزدهرة إن «ميدلتاون» ليست إلا مكانا للنفايات.. جون لا تعترض.. شيكاغو وحق الرب يسوع لو ذهبت إليها سوف تعرف إنك كنت ميتا وملفوفا بأكفان طوال هذه السنوات.

بدا فانى منزعجا. وسحب ركبتيه أسفل ذقنه ونظر بقلق إلى الشبحين الماثلين امامه

حيث يعكسها ضوء المصباح المرتعش وحاول أن يتكلم لكن الكلمات ماتت على شفتيه .
- تيم .. إن الولد نائم .. انزع ملابسك يافانى واذهب الى الفراش .. استمتع بليلة طيبة فنحن راحلون فى الصباح .

كان الصباح ممطرا ورحلوا دون أن يتناولوا افطارا وكان ثمة صندوق قديم منبعج ملفوفا بحبل يتأرجح فوق سقف العربة التى ذهب فانى ليطلبها من اسطبل « هودجسون ليفرى » ، وكانت « ميلى » تبكى والأب صامت وفمه محشو بغليون منطفئ ... والخال تيم يتصرف فى كل شئ ويطلق بعض النكات التى لا يضحك لها أحد ويخرج من جيبه مجموعة التذاكر عند كل وصلة ويتجرع بين الحين والحين جرعات من زجاجة مألوفة لديه ..بدت فجأة كل الأشياء التى تطويها العربة شاذة متنافرة .. القنطرة الحمراء والبيوت المتداخلة الحقيرة حيث يعيش البولنديون ، آل سميث والصيدلية عند زاوية آل سميث .. ظهر « بيلى هوجان » خارجا حاملا لفافة من « اللبان » فى يده وشعر «فانى» بالرغبة فى أن يناديه لكن شيئا ما جعل الصيحة تتجمد على شفتيه .

ومروا بالميدان الرئيسى حيث العربات واشجار البلوط وتجمعات المتاجر عند زاوية الكنيسة ثم محطة الوقود ونظر فانى للمرة الأخيرة إلى القبو المظلم حيث قطع الالات النحاسية ثم مروا بواجهة الكنيسة الأبرشية الكبرى ثم كنيسة الكرمل المعمدانية والكنيسة الأسقفية للقديس « اندراوس » التى بنيت بالقرميد الأحمر وانحرفت بزاويتها فلم تطل واجهتها على الشارع مثل بقية الكنائس ثم واجهة المؤسسة التجارية التى تعلوها علامة حديدية ذات ثلاث قرون ثم ببقية المنشئات وكل منها له علامته المميزة ودهاليزه الملتوية وحديقته المزهرة ثم أخذت البيوت تصغر بعد ذلك وتختفى الوجهات ، عبرت العربة مخزن « سمبسون » للحبوب وأبطأت مقابل صف طويل من محلات الحلاقة والصالونات والمطاعم ثم نزلوا جميعا فى المحطة فى « المطعم » اجلس الخال تيم كلا منهم ليتناول افطاره وجفف دموع « ميلى » وافرغ انف « فانى » فى منديله الكبير ذى العروة فى أحد زواياه ، وأخذوا يتناولون السمك والبيض والقهوة .. لم يكن فانى قد تزوق القهوة من قبل ولهذا شعر بالبهجة وهو يفكر إنه الآن يجلس كرجل ويشرب القهوة لكن « ميلى » لم تتذوقها لأنها « مرة » وغادرهما « تيم » و « الأب » فترة فجلسا بمفردهما بجانب الصحائف وأكواب القهوة الفارغة وقد وقفت خلف « البوفيه » امرأة ذات عيون شرهة ورقبة طويلة ووجه اعجف عجوز واخذت ترقبها. متبرمة . ثم أتى القطار إلى المحطة بضوضائه الهائلة المزعجة فهرعوا إلى الرصيف واستقبلوا احدى العربات وقبل أن يلتقطوا انفاسهم تحرك القطار وارض

«كونيكتكت» الوردية تهتز تحت عجلاته.

عين الكاميرا (٢)

نندفع متأرجحين داخل احدى العربات العتيقة العفنة التى تفوح منها رائحة الاسطبلات وهو مازال يردد.. لوسى ما الذى تفعلينه لو أنى دعوت واحدا منهم على المائدة أنهم ظرفاء جدا يالوسى.. الرجال الملونون. يمتلك قفازات فى صندوق فضى صغير ورائحة ويسكى الجاودار تعبق انفاسه وهو يلهث ليلحق بالعربات المتجهة إلى نيويورك وكانت هى تصيح - أوه يا حبيبى ليتنا لا نتأخر - كان «سكوت» ينتظرنا بالتذاكر وكان يجب علينا أن نسرع الى رصيف محطة «الجادة السابعة» والطلقات والبنادق الصغيرة تعج بها «أوليمبيا»[١٦] وقد انحنى الجميع لالتقاطها وامرأة القائد «الآبورد» سريعة رشيقة.. كانت البنادق الصغيرة النحاسية تلمع فى الشمس على رصيف محطة «الجادة السابعة» وقام «سكوت» بمصاحبتنا حتى تحرك القطار وأخذ الجرس يقع .. إنحنى «سكوت» ليضع فى يديك حفنة من الطلقات النحاسية الصغيرة تكفى لملأ ماسورة «مفرقعة» كتلك التى شهدت معركة خليج «مانيلا» وقال إن المدفعجى «جاك» هنا.

ومازال يتحدث بحماس فى عربة القطار الفاخرة.. لماذا يا «لوسى» من أجل الانسانية يكون ضروريا أن أذهب لاقتل بالرصاص ذات يوم.. اليس كذلك ياجاك... الست «الساقى» الذى يحضر «الأبوليناريس»[١٧] ومعك القنينة والحقيبة البنية حيث يعبق دائما المنديل الحريرى المطرز برائحة «الروم».

عندما وصلنا إلى «الهافر دى جرس»[١٨] صاح : تذكرى «لوسى» اننا أعتدنا أن نعبر بالقوارب نهر «سسكوانا»[١٩] قبل أن تبنى القنطرة وبواسطة البارود إلى الهنود الحمر الكريك أيضا[٢٠].

مـاك

تلال ذات لون وردى.. غابات ومنازل ريفية وابقار وهناك مهر احمر يلعق عقبيه فى المرعى واسوار ذات قضبان ومستنقعات والأب مازال يردد فى صوت رتيب.

- تيم أنا اشعر شعور الكلب المضروب.. كنت أحاول طول حياتى أن اتصرف التصرف الملائم لكن الآن ما الذى يقولونه عنى.

- وحق الرب يسوع يارجل ما الذى كان يمكن أن تفعله هناك.. ما الذى كنت تفعله

بحق الشيطان وانت مفلس وعاطل وجاء الأطباء والحانوتية والملاك ليستخلصوا «الكمبيالات» ومعك طفلان يجب أن تهتم بهم.

- كنت دائما جادا ومحترما رغم أن سوء الحظ لازمني منذ أن تزوجت واستقر بي الحال.. ما الذي يقولونه عني الآن وقد تسللت هاربا كالكلب المجلود.

- جون.. خذها مني كلمة.. أنا آخر من يفكر في أن يلتصق العار بالمتوفاة وهي أختي لحما ودما لكن الخطأ ليس خطأك ولا هي غلطتي.. العيب عيب الفقر والفقر هو عيب «النظام». فنيان.. يجب أن تنصت إلى تيم اوهارا.. ميلي يجب أن تنصتي أيضا فيجب على البنت ان تعرف هذه الأشياء مثل الرجل تماما اسمعوا إنها المرة الأولى التي يخبركم فيها تيم اوهارا بالحقيقة. إن العيب عيب النظام الذي لا يعطي الإنسان ثمرة عمله. إن الشخص الوحيد الذي يستفيد من النظام الرأسمالي هو اللص الذي يمكنه أن يصبح مليونيرا في غمضة عين لكن العامل الشريف مثل جون أو مثلي لو عمل مائة سنة لما حصل على ما يكفي لدفنه كما يليق.

كانت سحب الدخان تتلوى امام النافذة تحوي في طياتها الأشجار واعمدة التلغراف والمنازل الصغيرة المسقوفة والمدن وعربات الترام وصف طويل من عربات «الحنطور» التي يتصاعد البخار من أحصنتها.

- ومن ذا الذي يحصل على ثمرة عملنا.. إنهم اصحاب رأس المال الملاعين والوكلاء والسماسرة والوسطاء الذين لم يصنعوا أي قدر من العمل المنتج في حياتهم. كانت عين فاني تتابع اسلاك التلغراف وهي تعلو وتنخفض.

- إن شيكاغو ليست هي الجنة.. لا استطيع قول ذلك ياجون لكنها في الوقت الحالي سوق أفضل لعضلات العامل ودماغه عنها في الشرق ولماذا؟ اسألني لماذا؟ بسبب قانون العرض والطلب.. إنهم يحتاجون عمالا في شيكاغو.

- تيم لقد قلت لك أنا احس احساس الكلب المجلود.

- إنه النظام ياجون.. النظام القذر الملعون.

ايقظت الضجة فاني.. كان الوقت ظلاما وسمع «ميلي» تبكي مرة أخرى ولم يكن يدري أين هم الآن بينما كان الخال تيم يقول - حسنا أيها السادة نحن على وشك الوصول لنيويورك.

وعلى المحطة سطع الضوء مما أدهش فاني الذي ظن أن الوقت ليلا، وتركوه هو وميلي مع حقيبة السفر في غرفة الانتظار لمدة طويلة.. كانت صالة الانتظار واسعة ملأى

بأناس ذو وجوه مهيبة غير مألوفة مثل تلك التى توجد فى الكتب المصورة ومازالت «ميلى» تبكى.

- ميلى سوف اضربك إن لم تكفى عن البكاء.

ردت ميلى وهى تئن لماذا ؟ وعادة تبكى بحرقة أشد فأبتعد فانى عنها لكى لا ينظرهم الناس معا وبينما كان على وشك البكاء هو الآخر عاد الأب والخال تيم واخذوهما والحقيبة إلى أحد المطاعم. كانت انفاسهما تعبق برائحة الويسكى الذى احتسوه لتوهما وكانت أعينهم تلمع وجلسوا على مائدة ذات مفرش ابيض وأتى اليهم رجل ملون بشوش واعطاهم ورقة ملأى بالحروف وقال العم تيم.

- دعونا نأكل اشهى عشاء كما لو كان ذلك آخر ما نفعله على هذه الأرض. رد الأب قائلا - اللعنة على النفقات.. إنه النظام الذى يجب أن يلام.

فصاح الخال تيم - فليذهب البابا إلى الجحيم.. سوف نقيم الاشتراكية الديمقراطية رغم أنفه.

أعطوا فانى المحار المشوى والدجاج والآيس كريم والشطائر حتى شعر بوخز مؤلم فى جنبه.

عندما غادورا المطعم ليلحقوا بالقطار وجلسوا فى إحدى العربات النهارية التى إمتلأت برائحة الفحم والعرق وتساءلت ميلى وهى تئن - متى سنذهب إلى الفراش.

رد الخال تيم بمرح - لن نذهب إلى الفراش. سوف ننام هنا مثل الجرذان الصغيرة. فصاحت ميلى وفيض من الدموع ينبثق من عينيها وقد بدأ القطار يتحرك.

- وسوف أهلك مثل الجرذان.

التهبت عينى فانى وفى أذنيه كان الهدير متواصلا وقعقعة العجلات عند نقاط التقاطع والزمجرة المفاجئة عند عبور القناطر والانفاق، وعلى طول الطريق إلى شيكاغو كانت هناك انفاق، وفى مواجهته بدت وجوه الأب والخال تيم محتقنة غاضبة فلم يسترح للنظرات التى تطل منها وبدا الضوء شاحبا مرتعشا.. وفى الخارج كان نفق - بدأت عيناه تؤلماه وهدير العجلات على القضبان لا يبارح أذنيه ثم راح فى النوم، وعندما استيقظ كانت هناك مدينة وكان القطار يسير وسط الشارع الرئيسى وكان الصباح مشرقا.. رأى الناس وهى ذاهبة إلى أعمالها والمحلات وعربات الحنطور والصبية بائعى الجرائد وبعض الهنود الكسالى خارج محلات بيع السجائر ولأول وهلة ظن أنه يحلم لكنه عاد وتذكر كل شئ.. وظن أنها شيكاغو.

كان الأب والخال تيم يستلقون على المقعد المقابل وافواههم مفتوحة ووجوههم ملطخة بالقذارة والنظرات التى تطل من تلك الوجوه لا تبعث على الراحة بينما كانت «ميلى» نائمة ملتفة برداء صوفى.. أبطأ القطار وتوقف فى المحطة.. لو أنها شيكاغو يجب أن يغادروا القطار لكن الكمسارى مر فى تلك اللحظة.. رجل عجوز يشبه قليلا الأب «أو دونل» فسأله فانى - هل تلك شيكاغو.

أجاب الرجل مبتسما - لا يا ولدى شيكاغو لازالت بعيدة.. انها سيراكوز. واستيقظوا جميعا ولساعات وساعات ظلت اعمدة التليفون تمضى والمدن والمنازل المسيجة والمصانع بأدوارها العديدة ذات النوافذ المضيئة والأراضى التى تتراكم فيها النفايات ومستودعات القطارات والأراضى المحروثة والمراعى والأبقار. انتاب «ميلى» الدوار وشعر فانى برجليه تتخدران من تلك الجلسة الطويلة وتتابعت المناطق التى تتراكم فيها الثلوج وتلك التى تسطع بها الشمس ومازالت «ميلى» ينتابها الدوار والغثيان حتى هبط الظلام وناموا جميعا ثم أتى الصباح مرة أخرى والمدن والمنازل والمصانع التى بدأت تتزاحم بجانب بعضها وتتراكم بها المستودعات والمصاعد وساحات القطارات تنتشر على امتداد البصر.. ثم اخيرا.. شيكاغو.. لكنها كانت شديدة البرودة والريح تهب مترية وتلطم وجهه بعنف وعيناه مغلقتين بسبب التراب والتعب فلم يستطع رؤية شئ وبعد أن انتظروا فترة طويلة وميلى وفانى يلتصقان ببعضهما بسبب البرد حضرت عربة سارت وسارت.

وكانا نائمين لدرجة أنهما لم يستطيعا أن يميزا أين انتهى القطار وأين بدأت رحلة العربة والخال تيم يصيح مبتهجا فخورا شيكاغو.. شيكاغو.. بينما جلس الأب واضعا ذقنه على عكازه وهو يقول - تيم انني احس بأننى كالكلب المجلود.

عاش فانى عشرة أعوام فى شيكاغو.

فى البداية ذهب إلى المدرسة ولعب البيسبول مع رفاقه فى أمسيات الأحد لكن يوم التخرج أتى أخيرا وغنى الأولاد نشيد بلادى (فى صحتك) وانتهت أيام المدرسة وكان يجب عليه أن يخرج ليجد عملا.

كان الخال تيم فى ذلك الوقت يمتلك دارا للطباعة فى شارع جانبى مترب فى «نورث كلارك» فى بدروم بأحد المنازل القديمة المتهالكة.. كان يشغل فقط جزءا صغيرا من الطابق الذى كان يستخدم كمخزن تملأه الفئران وكانت له نافذة زجاجية يتيمة نقشت عليها بحروف انجليزية قديمة مذهبية تيموثى اوهارا «مطبعجى».

قال الخال تيم - والآن فانى أيها العزيز قد أتتك الفرصة لتتعلم المهنة من بدايتها

وهكذا أخذ يدور بالرسائل والدوريات والاعلانات والطوابع ويركب دائما عربات الترام هاربا من الكمساري ويشق طريقه مراوغا بين عربات الشحن التى يتصاعد الزبد من افواه احصنتها وأحيانا يستجدى الركوب فى عربات السفر.

وعندما لا توجد رسائل كان عليه أن يمسح وينظف الآلآت ويفرغ سلال المهملات وفى ساعات العمل كان عليه أن يجرى ليحضر القهوة والسندوتشات لعمال الطباعة

أو زجاجة البوربون للخال تيم، وظل الأب لسنوات متسكعا على عكازه باحثا عن عمل ويدخن غليونه فى الأمسيات وهو يسب ويلعن حظه فى الردهة الخلفية لمنزل الخال تيم وفى بعض الأحيان يهدد بأنه سيقفل عائدا إلى «ميدلتاون» حتى جاء يوم اصيب فيه بالالتهاب الرئوى ومات بهدوء فى مستشفى «القلب المقدس».

فى ذلك الوقت اشترى الخال تيم آلة «اللينوتايب» وظل منفعلا لدرجة أنه لم يتذوق الشراب ثلاثة أيام ولكن الأرضية كانت تالفة فأعادوا بناء قاعدة للآلة وظل الخال تيم يقول لكل إنسان - فى المرة القادمة عندما نحضر آلة أخرى سوف نقوم بإصلاح المكان كله.

توقف العمل طوال اليوم غير أن الجميع وقفوا يرقبون الآلة الضخمة السوداء المعقدة التى انتصبت كالأرغن فى فناء الكنيسة وعندما بدأت تعمل وامتلأت المطبعة برائحة المعدن المصهور ظلت عيون الجميع ترقب اليد المرتعشة الدقيقة التى أخذت تنثنى وتنفرد على لوحة صف الحروف. وعندما اكتملت السطور صاح عامل المطبعة الألمانى العجوز الذين كانوا يدعونه لسبب ما (مايك) وهو يرفع عويناته.

- خمسة وخمسون عاما أعمل مطبعجى والآن عندما صرت عجوزا يجب على أن أحمل الدلاء لأكسب عيشى.

كانت أول عبارة صفها الخال تيم على الآلة الجديدة هى

«يا عمال العالم اتحدوا فليس لديكم ما تخسرونه سوى اغلالكم».

عندما بلغ فانى السابعة عشرة وصار يهتم بالفساتين والكعوب وملابس الفتيات الداخيلية وهو يرى أضواء المدينة البراقة تلمع فى سماء الغرب الساطعة كل ليلة وهو يعود إلى منزله.. ثم اضراب لاتحاد نقابات عمال الطباعة فى شيكاغو وتولى تيم اوهارا إدارة شركة تعاونية لطبع مطبوعات الاتحاد مقابل النفقات فقط، وأحضر منشورا بعنوان. إلى المواطن.. احتجاج صارخ. أخذ فانى فى توضيبه على آلة اللينوتيب ذات مساء بعد أن انصرف الفنى إلى منزله. عبارة واحدة التصقت بعقل فانى وأخذ يرددها لنفسه عندما اوى إلى فراشه ليلا «لقد آن الآوان لكى يتحد كل الرجال الشرفاء ليقاوموا استغلال الطبقة

الثرية الجشعة».

وفي اليوم التالي وكان يوم أحد مضى فاني إلى شارع «ميتشجان» ومعه لفافة من المنشورات لتوزيعها.. كان يوما من أيام الربيع المبكر وعبر جليد البحيرة الأصفر الآسن جاءت بضع نسمات بعبير الورود.. واثواب الفتيات الفاتنات تطيرها الريح فشعر فاني بالدماء تفور داخله.. بالرغبة في أن يقبل كل شيء.. أن يرقص.. أن يجرى على الثلوج.. إن يتكلم عبر اسلاك التليفون.. أن يقفز فوق عربات الترام لكنه مضى يوزع المنشورات وهو يأسى على سراويله البالية ويتمنى أن يمتلك بذلة انيقة وفتاة جذابة يسير معها. وفجأة سمع صوت شرطى يهدر فى أذنيه.

- إيه أيها الفتى.. أين التصريح الذى يجيز لك توزيع هذه المنشورات.

نظر فاني للشرطى من وراء كتفه واسقط المنشورات من يده واطلق ساقيه للريح وانطلق يجرى بين العربات وخلال الدروب الجانبية.. جرى وجرى دون أن يلتفت خلفه حتى عبر الكوبرى قبل أن يفتح مباشرة.. لكن الشرطى لم يطارده على أية حال.

ووقف على «الافريز» لفترة طويلة وصفير الحارس يطن ساخرا فى أذنيه.

فى تلك الليلة عندما سأله خاله عن المنشورات وهم جالسون على العشاء.. أجاب

- بالتأكيد لقد وزعتهم على جانب البحيرة.. أراد شرطى ان يستوقفنى لكنى عرفت كيف أزوغ منه.

شعر فاني بوجهه يحتقن وصيحات الاستهجان تنطلق من كل فرد يجلس على المائدة.. فلم يزد فى القول وأخذ يملأ فمه بالبطاطس المهروسة بينما راح خاله وامرأته وبناتهما الثلاثة يضحكون ويضحكون.

علق الخال تيم - حسنا أنه شيء طيب أن تجرى بأسرع من الشرطى وإلا كنت مضطرا أن أدفع لك «كفالة» وذلك يكلفنى نقودا.

فى الصباح الباكر عندما كان فاني ينظف المكتب جاء رجل ذو وجه مكتنز يدخن سيجارا لم ير فاني مثله من قبل وطرق الباب الزجاجي الخارجي.

- أريد أن أحدث مستر اوهارا.. تيموثى اوهارا.

- إنه ليس موجودا الآن.. قد يأتى فى أية لحظة.. هل يمكنك انتظاره.

- بالتأكيد سوف انتظر.

وجلس على حافة الكرسى ثم بصق واخرج طرف السيجار من فمه وأخذ ينظر إليه متفكرا لمدة طويلة.

عندما حضر تيم اوهارا اغلق الباب بعنق ورائه بينما وقف فانى يتطلع حوله بعصبية.. كان يخشى أن يكون الرجل «مخبرا» جاء يتقصى موضوع المنشورات. أخذت الأصوات تعلو وتنخفض.. صوت الغريب بمقاطعه القصيرة الحادة وصوت اوهارا بنبرة المعارضة الطويلة.

وبين الحين والحين يلتقط فانى كلمة - حبس الرهن.

فُتح الباب فجأة وخرج الرجل الغريب ووجهه أكثر احتقانا وفى الردهة الخارجية اخرج من جيبه سيجارا جديدا اشعله من القديم وهدر بالكلمات خلال سحب الدخان الزرقاء.

- أمامك أربع وعشرين ساعة لتفكر ياسيد أوهارا.. كلمة منك وتتوقف كل الاجراءات فورا.

ثم مضى إلى الشارع مخلفا ورائه سحب الدخان الراكدة.

وبعد لحظة عاد الخال اوهارا إلى المكتب شاحب الوجه وقال :

- عزيزى فنيان.. يجب أن تبحث لنفسك عن عمل فسوف افقد عملى.. احتفظ بعينك مفتوحة.. سوف أذهب لاحتساء قدح..

وظل مخمورا ستة أيام أتى فى نهايتها بعض الرجال بنظراتهم الخبيثة ومعهم استدعاء للمثول أمام القاضى وكان يجب على الخال تيم أن يفيق بعض الوقت ليذهب إلى المحكمة ويشهر إفلاسه. وراحت مسز اوهارا توبخه وهى تزمجر.

- ألم أقل لك لا فائدة ترجى من إهدار وإضاعة وقتك مع اتحادات العمال الملحدة، والديمقراطيين الاشتراكيين و «فرسان العمل» كلهم سكارى متشردين عاطلين مثلك.. بالطبع كان يجب على أصحاب المطابع أن يتجمعوا ضد صحيفتك المشهورة ليحطموك ويؤجرونك خادما أنت الآخر.. كان يجب أن تفكر بدلا من أفكارك الاشتراكية الكافرة السكيرة فى زوجتك المسكينة وأطفالها الصغار المساكين.. سوف نجوع كلنا الآن نحن «والعالة التى أحضرتها إلى البيت.

صرخت «ميلى» - حسنا .. يجب أن تعلنى أننى تعلمى حتى النخاع واستعبدت مقابل كل قطعة خبز أكلتها فى هذا المنزل.

ونهضت من على المائدة واندفعت خارج الغرفة.

جلس «فانى» والعاصفة تهدر فوق رأسه ثم نهض ووضع شطيرة فى جيبه ومضى.. وجد الجزء الخاص بإعلانات الوظائف «بالشيكاغو تريبيون» فى القاعة فأخذه والتقط

قبعته وخرج، وصباح الأحد مازالت تتجاوب فيه أجراس الكنائس وتدوى فى أذنيه.. استقل عربة مضت به الى حديقة لنكولن حيث جلس على أحد المقاعد فترة طويلة يلوك الشطرة وينظر إلى أعمدة الاعلانات.. مطلوب شاب..

لم يبدو أيا منها مثيرا للاهتمام.. الشيء المؤكد بالنسبة له إنه لن يستطيع الحصول على أى عمل آخر فى «مطبعة» حتى ينتهى الاضراب، وفجأة صافح عينيه أحد الإعلانات.. «مطلوب شاب ذكى طموح ذواقه للأدب ملم بأعمال الطباعة والنشر وعروض البيع والتوزيع... ١٥ دولار فى الأسبوع.. أكتب إلى ص . ب رقم ١٢٥٦ ب». شعر فانى بالبهجة.. شاب ذكى.. إنه أنا،، طموح ومتذوق للأدب.. حسنا.. يجب أن أتم «النظر للوراء»[٢١] ويجب أن أقرا جيدا.. يمكننى أيضا أن أعمل على «اللينوتيب» ١٥ دولار فى الأسبوع.. حسنا جدا.. وعلاوة عشرة دولارات..

بدأ يكتب الخطاب فى رأسه طالبا للوظيفة.. سيدى العزيز - أو ربما - السادة الأفاضل تلبية للاعلان المنشور اليوم فى الصنداى تريبيون أود أن أتقدم (أو اسمحوا لى أن أقرر) أننى أبلغ السابعة عشرة من العمر (كلا التاسعة عشرة) لى خبرة عدة سنوات فى أعمال الطباعة والنشر.. طموح.. ذو معرفة ممتازة وتذوق لأعمال الطباعة والنشر كلا لا يمكن أن أكرر القول مرتين.. ومحتاج للعمل..

وكلما أغرق فى التفكير شعر بالتشوش يملأ رأسه ووجد نفسه بجانب عربة تبيع الفول السودانى... كان الجو باردا والريح الثلجية تزمجر على الجليد المحطم ومياه البحيرة الداكنة فنزع الإعلان وترك بقية الصحيفة تطير مع الريح واشترى لنفسه قرطاسا من الفول السودانى الساخن.

جريدة سينمائية (٢)

تعال واسمع..

تعال واسمع..

تعال واسمع..

فى خطابه إلى الهيئة التشريعية لولاية متيشجان.. قال الحاكم المتقاعد هازن س. بنجرى «إنى أتنبأ بأنه مالم يغير المسئولون وهؤلاء الذين فى أيديهم سلطة التشريع من نظام «اللامساواة» الحالى فإن ثورة دموية سوف تقوم فى بلدنا الكبير خلال فترة لا تتجاوز الربع قرن».

كارينچى يتحدث عن نصبه التذكارى

فرقة الكسندر الموسيقية

هى الأفضل.. هى الأفضل..

كانت المأدبة التى أقيمت فى المعمل الفيزيائى متخمة بالغرائب فقد وضع نموذج مصغر للفرن العالى ارتفاعه اربعة أقدام على مائدة المأكولات واحيطت اضلاع المائدة بشريط حديدى ضيق طوله أربعون قدما وبدلا من الحديد المصهور كان الفرن يصب شراب «البنش»[٢٢] الساخن فى عربات صغيرة وضعت على الشريط وكان الآيس كريم يشكل الوصلات الحديدية والخبز بهيئة القاطرات وأخذ مستر كارنيجى يمتدح فضائل المعرفة العالية فى كل فرع من فروع التعليم حتى وصل أخيرا إلى تلك الخلاصة.

إن العمل اليدوى يشكل الأساس المتين لأعظم منجزات العقل..

نائب رئيس يفلس بنك

تعال واسمع..

فرقة الكسندر الموسيقية

هى الأفضل.. هى الأفضل

شقيق جيس جيمس يعلن إن الرواية التى تصوره على أنه زعيم عصابة لسرقة القطارات وطريد العدالة غير أخلاقية.. طبقا لبحث اجراه قساوسة «سولت ليك» فإن معركة المقاطعة التى تنتهى بتعدد الزوجات لازالت تمارس عند أعضاء نادى المورمون[٢٣].

إنها أفضل فرقة فى هذا البلد

يقول إن حيوانات السيرك لا تأكل إلا لحم الحصان فى شيكاغو (ضريبة مبيعات فى إنديانا.. المضاربات تشير إلى انتهاء الازدهار العالمى الواسع.. يستخدم «العلم الأمريكى» ككيس للفضلات ويقتل على جزيرة من أكلة لحوم البشر.. حارس يسقط فى الماء ويهاجمه أسد البحر.

أتى الزورق البخارى حينئذ بجانب المنطاد الذى يوشك على الغرق والذى يهدد فى أية لحظة «سانتوس دامونت» بالاختناق والأخير نصف معلق على حافة الزورق وأمير موناكو يستحثه على الصعود الى سطح اليخت ليجفف نفسه ويبدل ملابسه لكن «سانتوس دامونت» لن يغادر الزورق قبل أن ينقل كل شىء من الممكن انقاذه إلى الشاطىء وأخيرا يصعد إلى البر بلا مبالاة مبللا ومبتسما وسط الهتافات المسعورة للجمهور.

عين الكاميرا (٣)

قالت السيدة التى تجلس على المقعد المقابل - يالعينىّ هذا الولد.. جميلتان.. لكنها اضافت أنه لا سبيل إلى الحديث مع الأطفال.. والصبى الصغير شعر بالحرارة واللزوجة وكان الوقت ليلا واللمبة التى تشبه نصف بطيخة تشع لونا أحمرا كابيا والقطار مازال يهدد وفجأة وجدت نفسى هادئا مخدرا على وشك النوم وكان الجو ظلاما دامسا وذؤابات الضوء الزرقاء تتأرجح على حافة الظل الأسود الذى يشبه البطيخة وفى كل مكان ظلال مدببة منحنية.. (أول مرة أتى فيها أحضر بطيخة وكانت الشمس ساطعة تشع خلال الستائر الطويلة الهفهافة وعندما قطعناها فاحت الغرفة كلها برائحة البطيخ) لا تأكل البذور يا حبيبى فقد تصيبك بإلتهاب الزائدة. وأخذت تختلس النظرات من النافذة فى الظلام الدامس الهادر الذى امتلأ فجأة بالمداخن القابعة واندهشت من نفثات الدخان الأسود والأضواء التى تظهر وتختفى من تلك المداخن.. يا عزيزى .. صناع فخار.. إنهم يعملون طوال الليل.. من الذى يعمل هناك طوال الليل؟ العمال وأناس مثل هؤلاء الشغيلة.. التراحيل.. الملوثين بالشحم[٢٤].. كنت خائفا.. والآن.. الظلام من جديد اسود دامس والمصباح فى القطار.. فى السماء.. وكل شىء صار ظلالا زرقاء داكنة وهى مازالت تقص إحدى الحكايات.. منذ زمان طويل قبل أن تعى العالم.. قبل أن تولد مضوا إلى المكسيك فى عربة خاصة على الخط الدولى الجديد.. اصطاد الرجال ظبيا كان خلف القطار وأرانب كبيرة اطلقوا عليها إسم «المغفلين». وفى إحدى الليالى.. منذ زمان طويل.. قبل أن تعى العالم.. قبل أن تولد.. كانت الأم مذعورة جدا بسبب طلقات الرصاص الكثيرة.. لكن كل شىء كان على ما يرام .. لم يحدث شىء.. قليل من القذائف.. انهم فقط يقذفون مكسيكيا عاصيا[٢٥].. هذا كل ما هنالك كان هذا فى الأيام الخوالى.

عاشق الإنسانية

كان «دبز» عاملا من عمال السكك الحديدية، ولد فى أحد الأكواخ الخشبية فى «تيبيرهوت». كان واحدا من عشرة أطفال.. أتى أبوه إلى أمريكا على سطح سفينة عام ١٨٤٩.. إلزاسى من كولمار يعشق القراءة والموسيقى ولا يميل كثيرا إلى جمع النقود.. منح ابنائه الفرصة لكى يكملوا تعليمهم فى المدرسة الحكومية وكان هذا أقصى ما يستطيعه.

فى سن الخامسة عشرة كان «چين دبز» يعمل فى سكك حديد تيرهوت «باندیانا

بوليس» .. ميكانيكى.. وقاد قاطرة.. والتحق بالنقابة المحلية لو قادى القاطرات وانتخب سكرتيرا لها ورحل فى ارجاء القطر يعمل كمنظم. كان رجلا طويلا خجولا لكنه يملك لسانا ناريا يستطيع أن يلهب به عمال السكك الحديدية المحتشدين فى القاعات البائسة.. كان يريدهم أن يتطلعوا إلى العالم الذى يتطلع إليه.. العالم الذى يملكه «الاخوة» .. العالم الذى يشارك فيه كل إنسان.. «لست زعيما عماليا ولا أريدكم أن تتبعونى أو تتبعوا أى شخص آخر.. إذا كنتم تنتظرون «موسى» يخرج بكم من غابة الرأسمالية فسوف تظلون حيث أنتم.. لن أقودكم إلى الأرض الموعودة حتى لو استطعت ذلك لأنى لو فعلت وقدتكم إليها فسوف يستطيع شخص آخر أن يخرجكم منها».

هكذا كان يتحدث إلى عمال الشحن.. إلى الوقادين.. إلى عمال التحويلة وقائدى القاطرات كان يقول «لا يكفى أن ننظم عمال السكك الحديدية بل يجب أن ننظم جميع العمال وإن ينضم جميع العمال إلى اتحاد العمال التعاونى».

ناضل لليال طويلة.. تحت سحب الدخان انطلقت كلماته تدوى فى قاعات العمال المتهالكلة. كان يريد لاخوته جميعا أن يصبحوا احرارا.. هذا ما رآه فى عيون الجمع الذى استقبله فى محطة شارع «اولد ويلز» عندما خرج من المعتقل بعد اضراب عمال «بولمان»[٢٦] هؤلاء هم الرجال الذين اعطوه تسعمائة ألف صوت عام ١٩١٢ وأرعبوا لابسى الفراك والقبعات العالية والسيدات اللاتى يتبخترن بالعقود الماسية عند ينابيع سارا توجا وبحيرة جنيف وبارهارير بشبح رئيس اشتراكى لكن.. أين كان رفاق «جين دبز» فى عام ١٩١٨ عندما اعتقله «وودرو ويلسون» بسبب معارضته للحرب.. أين كان الرجال الكبار المغرمون بالويسكى الذين يتبادلون عبارات الإطراء.. المغرمون بتبادل الأحاديث الرقيقة الثرثارة فوق بارات المدن الصغيرة فى الغرب الأوسط والرجال الهادئين الذين اشتهوا أن يكون لهم بيت بدهليز يتسكعون فيه وامرأة بدينة تعد لهم الطعام والشراب، والسيجار وحديقة يزرعونها وأصحاب يمرحون معهم والذين ارادوا أن يحققوا ما اشتهوا، والذين عملوا من أجل ذلك.. أين كان وقادو وسائقو القطارات عندما زجوه بسجن «اطلنطا» وإعادوه مرة أخرى ليموت فى «تيرهوت» ليجلس فى الرواق على كرسى متحرك يدخن السيجار وبجانبه زهور أمريكية جميلة وضعتها زوجته فى أحد الأوانى. والناس فى تيرهوت والناس فى انديانا والناس فى الغرب الأوسط احبوه وتجنبوه.. اعتبروه العم الطيب العجوز الذى احبهم وارادوا أن يكونوا معه ليقدم لهم الحلوى لكنهم خافوا أن يقتربوا منه لأنه قد سبق والتقط مرض الاشتراكية الذى ظنوه كالزهرى والبرص وذلك شئ سئ للغاية.

. خافوا منه لأنهم وقفوا بجانب مدعى الرفاهية وجعل العالم آمنا بالديمقراطية[٢٧].

ولعلهم خافوا أن يقتربوا منه أكثر خشية أن يقتنعوا به هو الذى قال «طالما أن هناك طبقة دنيا فأنا منها.. وطالما أن هناك طبقة مجرمة فأنا منها وطالما أن هناك سجينا فأنا لست حرا».

عين الكاميرا (٤)

يجلس في المؤخرة ناظرا إلى وجهها فى ضوء العربة المهتز وهى تمضى متأرجحة خلال المطر وهيكلها الضخم يئز عند السقف وهو يتلو «عطيل» بصوته الخفيض المترافع «أحبنى أباها..

وغالبا ما دعانى..

وظل يسألنى عن قصة حياتى..

تلك التى مضت عاما وراء عام..

المعارك والحصار والحظوظ..

تلك كلها جربتها منذ صباى.

حتى تلك اللحظة التى طلب فيها الحديث..

كيف أتكلم عن المصادفات التعيسة المشئومة..

عن الأحداث المثيرة.. والمعارك..

عن معجزات النجاة من براثن البلايا».

لماذا؟ ما هذا الشيلكيل. حوافر الحصان تصطك بعنف فوق الأسفلت المسطح بين الحصى وبرك المطر.. النهر يلمع بحمرة طمى الشتاء.. جاك عندما كنت فى مثل عمرك سبحت بجانب القنطرة.. خلال أعمدة القنطرة نستطيع أن نرى أعماق المياه الباردة التى تلمع فى المطر.. هل ترتدى أية ثياب؟

فقط قميصى.

مـاك

وقف فانى بجانب الباب فى القطار المزدحم مواجها ظهر رجل بدين امسك بالمقبض الجلدى المعلق امامه وأخذ يستعيد قراءة الخطاب المطبوع بحروف باهتة على ورق هش..

تروث سيكر الأدبية للتوزيع ش . م.

شيكاغو ١٤ إبريل ١٩٠٤

فانيان و . هـ ماك كريرى ٤٥٦ ن وود سيتريت شيكاغو.

السيد المحترم / لقد سعدنا بوصول خطابك فى ١٠ من الشهر الجارى وبخصوص الموضوع المعلن عنه وجدنا من الأفضل أن تتم مقابلة شخصية فنرجو التكرم والحضور على العنوان المذكور عاليه يوم الأثنين ١٦ ابريل الساعة التاسعة لكى يمكننا أن نقرر نهائيا لياقتك للوظيفة التى تقدمت بشأنها.

فى خدمة البحث عن الحقيقة

د . عما نوئيل ر. بنجهام

كان فانى خائفا.. وصل القطار إلى المحطة بأسرع من المعتاد.. مازالت أمامه خمسة عشرة دقيقة فأخذ يسير متسكعا فى الشارع وهو يرمق نوافذ المحلات.. وفى محل تحنيط الطيور كان هناك طاووسا ذهبى اللون معلقة فوقه سمكة خضراء كبيرة ذات منقار علقت به لوحة تقول.. سمك أبو منقار.. الموطن خليج فلوريدا يألف الجزر والخلجان الضحلة. وفى مؤخرة نافذة العرض كان يوجد «وشق» وفى الاجانب المقابل قطة قصيرة الذيل وكل منهما يتدلى من فرع شجرة.. وفجأة انتبه إلى نفسه ... ربما يتأخر .. مضى يخترق الضاحية متقطع الأنفاس وقلبه يدق بعنف وعندما أرتقى درجات السلم الأربعة أخذ يفحص الأبواب الزجاجية التى توجد على البسطة.

شركة يونيفرسال كونتاكت..

ف . و . بركنز

للتأمين

شركة ويندى سيتى ماجيك آند نوفلتى..

د. نوبل.. لوازم المستشفيات والعيادات.

وفى المؤخرة بجانب دورة المياه وجد أحد الأبواب القذرة والحروف المذهبة على اللوحة كادت تختفى لكنه استطاع أن يتهجى الكتابة.

المؤسسة العامة للتجهيزات والتجارة..

وبجانبها رأى لوحة معلقة على الجدار بجانب الباب وبها رسم ليد تمسك كاشفا ضوئيا مكتوب اسفله.. مؤسسة تروث سيكر.

طرق الباب بحماس وعندما لم يتلق الرد عاود الطرق فأجابه صوت اجش

- ادخل.. لا داعى للطرق.

وجد فانى نفسه يتمتم وهو يفتح الباب ويخطو فى الحجرة الضيقة المظلمة التى

امتلأت بمكتبين عريضين - لقد استدعيت لرؤية مستر بنجهام.

كان رجل ضخم ذو فك عريض بارز تقترب ملامحه من سيماء كلب الصيد وشعره الأسود الطويل يتجمع متجعدا خلف أذنه ويحمل فوق رأسه قبعة عريضة سوداء يجلس على المكتب الآخر أمام النافذة وقد انحنى على مسند الكرسى وأخذ ينظر لفانى من رأسه حتى أخمص قدمه ثم اندفع يدمدم.

- كيف حالك أيها الشاب ما نوع الكتب التى تنوى شرائها هذا الصباح.. ما الذى يمكننى أن أفعله لك.

- من فضلك هل أنت مستر بنجهام؟

- هذا هو الدكتور بنجهام الذى يقف أمامك.

- لقد جئت من أجل الوظيفة.

فأنقلبت سحنة د. بنجهام ولوى فمه كما لو كان قد تذوق حامضا.. واستدار بكرسيه الدوار وبصق فى مبصقة نحاسية وضعت بركن الحجرة ثم استدار مرة أخرى مواجها فانى وأشار له باصبعه البدين

- أيها الشاب.. كيف تتهجى كلمة «خبرة».

- خ.. ب ..ب ..ر..ر..ن.

- هه .. غير متعلم وبالطبع غير مثقف.. لا شئ من تلك المشاعر الرقيقة التى تمايز بين الرجل المتحضر والرجل البدائى المتوحش.. لا حماس من أجل الحقيقة.. من أجل نشر الضوء فى الأماكن المظلمة.. أيها الشاب أتدرى إنى لا أقدم لك وظيفة بل فرصة كبرى. فرصة مدهشة تستطيع بها تطوير نفسك..

سوف أهب لك تعليما بلا مقابل..

عدل فانى من وضع قدميه وشعر بالكلمات تتحشرج فى فمه وهو يقول

- إذا كان الأمر يتعلق بالتوضيب فى المطبعة فأنا أستطيع أن أفعل هذا..

- حسنا أيها الشاب سوف اضعك فى فترة اختبار قصيرة تذكر خلالها إنك على اعتاب فرصة.

بحث د. بنجهام فى أحد أدراج مكتبه فترة طويلة ثم أخرج سيجارا وضعه فى فمه وأشعله واستدار مرة أخرى إلى فانى الذى كان يتبادل وضع قدميه..

- حسنا ما اسمك

- فنيان اوهارا ماك كريرى.

- اوه.. اسكتلندى ايرلندى.. إنه اصل طيب جدا هو الأصل الذى انحدرت منه وما عقيدتك..

- تلعثم. فانى واحتقن وجهه وهو يقول

- أبى كان كاثوليكيا.. ولكن..

ضحك د. بنجهام وفرك يده - أوه أيتها العقيدة كم من الجرائم ترتكب باسمك عن نفسى أنا «لا أدرى» لا اهتم بطبقة أو «بقانون إيمان» عندما أكون بين الأصدقاء.. لكن أحيانا يا بنى.. يجب أن ننحنى مع الريح.. الهى.. هو الحقيقة التى ترتفع عاليا بين أيدى الرجال الشرفاء الذين يلفظون ظلام الجهل والجشع ليأتوا بالحرية والمعرفة إلى الجنس البشرى.. هل توافقنى؟.

- كنت أعمل مع خالى وهو اشتراكى ديمقراطى.

- آه.. شباب مندفع طائش.. اتستطيع أن تركب حصانا.

- لماذا : نعم.. أظننى استطيع.

- حسنا.. لا أدرى لماذا استخدمك..

- خمسة عشرة دولارا فى الأسبوع حسب اعلان التريبيون.

اكتسى صوت د. بنجهام نغمة ناعمة وهو يقول

- فنيان.. ابنى خمسة عشرة دولارا فى الأسبوع هى أقل ما ستحصل عليه ألم تسمع عن نظام المشاركة.. أنا استخدمك طبقا له.. فبصفتى المالك الوحيد والممثل لشركة «تروث سيكر» عندى مجموعة هائلة من الكتيبات والنشرات التى تغطى كل فرع من فروع المعرفة الأنسانية وتزيد.. أنا مشغول حاليا بحملة للمبيعات تغطى البلد كله وسوف تكون أحد الموزعين.. الكتاب يتراوح ثمنه ما بين عشرة إلى خمسين سنتا.. على كل كتاب بعشرة سنتات سوف تنال سنتا وعلى الكتاب بخمسين سنتا تأخذ خمسة سنتات.

تمتم فانى - أو لن أحصل على شئ كل أسبوع.

- أتشغل نفسك بالتوافه وتفرط فى عظائم الأمور.. تهدر فرصة العمر المدهشة من أجل ضمان مبلغ حقير.. كلا.. استطيع أن أرى فى عينيك المتوهجتين ومن اسمك الثورى النابع من تاريخ ايرلندا القديم(٢٨).. أنك شاب ذو طموح وعزيمة.. اتفقنا.. فلنتصافح على البركة وسوف لا تندم ابدا.

وثب د بنجهام على قدميه وقبض على يدى فانى مصافحا وهو يقول.

- والآن تعالى معى.. لدينا مهمة أولى خطرة يجب أن نتمها.

وثبت قبعته فوق رأسه ثم هبط السلم إلى الباب الخارجي.. كان د. بنجهام رجلا ضخما بدينا تبدو بدانته أكثر عندما يسير وقال فانى لنفسه.. إنه عمل على أية حال.. فى البداية ذهبا إلى أحد «محلات الخياطة والكى» حيث وجدا رجلا أصفر طويل معقوف الأنف دعاه د. بنجهام بإسم «لى» قام متثاقلا لاستقبالهما وكان المحل يفوح برائحة الملابس المغلية وماء الغسيل وتحدث «لى» كمن التصق لسانه بحنكه كالالدغ.

- سيدى الطبيب.. لى عليك أكثر من ألف دولار.

- سوف أوفيها لك «يالى».

- تبعا (طبعا».. تبعا.. فقط أنت مدين لى بالكثير.

رمق دكتور بنجهام فانى بنظرة جانبية.

- أنا أوكد لك أن الموقف المالى بأكمله سوف يسوى خلال ستين يوما.. لكن ما أريده منك الآن أن تقرضنى علبتين من صناديق الكرتون الكبيرة التى تبعث بها الملابس إلى المنازل.

- ما الذى تريد أن تفعله بها.

- إن لى مشروعا صغيرا.. أنا وصديقى الشاب.

- اسمى مكتوب علبهم.. لا يمكنك استعمالهم فى السرقة.

ضحك د. بنجهام بغبطة وهما يخرجان يحملان تحت ابطيهما الصندوقين الكبيرين المكتوب عليهما بحروف منمقة.. ليفى وجولد شيتن.. مكوة مضمونة..

وقال لفانى - إنه فشار كبير.. لكن لتكن حالة هذا الرجل المحزنة عبرة لك فهذا المسكين التعس الحظ يعانى من نتائج مرض سرى خطير التقطه فى إحدى مغامرات الشباب.

مرا بمحل التحنيط مرة أخرى.. مازالت هناك القطط البرية والطاووس الذهبى وسمكة أبو منقار (تهوى الجزر والخلجان الضحلة) وطرأت لفانى الرغبة فى أن يلقى بصندوق الخياط إلى الأرض وينطلق هاربا لكنه عمل على أية حال.

وخاطبه د. بنجهام بلهجة تبدو عليها الثقة - فنيان.. اتعرف بيت «الموهوك».

- نعم سيدى.. اعتدنا أن نعمل لهم بعض المطبوعات.

- إنهم لا يعرفونك هناك.. أليس كذلك؟

- كلا أنهم لا يعرفوننى.. لقد أوصلت لهم بعض الأوراق المطبوعة مرة واحدة.

- رائع.. الآن سوف تذهب إلى غرفتى رقم ٣٠٣.. انتظر وعليك الحضور خلال

خمس دقائق.. أنت صبى «المكوجى» الذى أتى ليأخذ بعض الملابس لتنظيفها .. عليك أن تذهب إلى الغرفة وتأخذ الملابس ثم تذهب بها إلى مكتبى إذا سألك أى شخص إلى أين أنت ذاهب بها.. قل إلى ليفى وجولد شتين أتفهم؟

اطلق فانى نفسا عميقا وهو يجيب - سوف أحضر لك بكل تأكيد.

عندما وصل فانى إلى الغرفة الصغيرة الضيقة فى أعلى بيت «الموهوك» كان د.بنجهام يذرع الغرفة جيئة وذهابا.. قال فانى بثبات.

- ليفى وجولد شتين يا سيدى.

أجاب د. بنجهام - يابنى سوف تصبح مساعدا ماهرا.. أنا سعيد للقائك.. سوف امنحك دولارا علاوة على أجرك..

وبينما كان يتحدث كان يلتقط الملابس والأوراق والكتب القديمة من إحدى الخزائن الكبيرة الموضوعة فى منتصف الغرفة ويضعهم بحرص فى أحد الصناديق وفى الصندوق الآخر وضع معطف فرو.

- هذا المعطف تكلف مائتى دولار.. إنه من بقايا الأمجاد القديمة..

آه الخريف يزهر فى «فالو مبروزا» "Et du in Arcadia Vixisti" ذلك باللاتينى.. لغة المدرسين.

- خالى تيم الذى كان يدير المطبعة التى كنت أعمل بها يعرف اللاتينى جيدا.

- فانيان.. اتستطيع أن تحملهم.. إنها ليست حمولة ثقيلة..

- بالتأكيد استطيع أن أحملهم. وكان بوده أن يطلب الدولار.

- حسنا من الأفضل لك أن تنصرف فورا.. انتظرنى بالمكتب.

فى المكتب وجد فانى رجلا آخر يجلس على المكتب الثانى.. كان شابا ذو أنف مدبب وبشرة ناعمة وشعره الأسود الطويل ينتصب فوقه.. صاح بصوت ثاقب حاد.

- ما عملك؟!

كان فانى يلهث من صعود السلم وذراعاه قد تصلبتا من حمل الصناديق الثقيلة.

- أنا أرى أن تلك حماقة أخرى من حماقات مانى.. اخبره أن يرحل من هنا فقد أجرت المكتب الآخر.

- لكن دكتور بنجهام قد اتفق معى لتوه على العمل فى شركة «تروث سيكر» للتوزيع.

- فليذهب إلى الجحيم.

- سوف يحضر هنا حالا ..

- حسنا.. أجلس إذن واغلق فمك فأنا مشغول كما ترى.

جلس فانى مكتئبا على الكرسى الدوار بجانب النافذة وفى الخارج كان يمكنه أن يرى الأسقف تكدس عليها التراب وفتحات المداخن ومن خلال النوافذ الكالحة كان يستطيع أن يرى المكاتب الأخرى، وعلى المكتب المواجه له كانت توجد مجموعة من الكتب وبعض الكتيبات وابصر عنوانا.. ملكة الرقيق الأبيض [اعترافات صريحة لميلى ميتشام التى اختطفت من والديها فى سن السادسة عشرة وأرغمها مغتصبها الحقير على حياة الخزى والعار].. أخذ فى قراءة الكتاب وشعر بجفاف حلقه واللزوجة تغمر بدنه وبينما كان يقرأ دمدم صوت د بنجهام قاطعا قراءته.

- ألم يقل لك أحد أى شئ .

وقبل أن يجيب انطلق صوت الرجل الجالس على المكتب الآخر.

- مانى.. انتبه لى. يجب أن ترحل من هنا فقد أجرت المكتب.

- صامويل إبشتين لا تصدع رأسى فأنا وصديقى الشاب نشرع فى تحضير حملة لبرابرة متيشجان الجهلة.. سوف نرحل إلى «ساجينو» الليلة وخلال ستين يوما سوف اعود وانتزع المكتب من بين يديك.. هذا الشاب سيأتى معى ليتعلم الصنعة.

زمجر الآخر وهو يدس وجهه مرة أخرى بين أوراقه.

- الصنعة.. هه.. إلى الجحيم

قال د. بنجهام وهو يضع يده السمينة بطريقة نابليونية على صديرية الرداء

- هناك فرصة يجب أن يستغلها الرجال بأقصى ما يستطعون.

لمدة ساعتين أخذ فانى وهو يتصبب عرقا يضع الكتيبات فى أغلفة بنية ثم يعنونها شركة «تروث سيكر - ساجينو - ميتشجان». ثم استأذن لمدة ساعة يذهب فيها إلى المنزل يودع عائلته.. قبلته «ميلى» على جبهته بشفاة رقيقة مضمومة.. ثم انفجرت فى البكاء وهى تغمغم - يالك من محظوظ.. لكم وددت أن أكون «ولدا» ثم اسرعت إلى أعلى، وقالت مسز اوهارا.. أنه يجب عليه أن يكون ولدا طيبا ويقيم دائما فى جمعية الشبان المسيحيين التى تحفظ الشاب من الغواية وأن يجعل من خاله تيم وتصرفاته الطائشة عبرة له. وكان حلقة جافا فعندما ذهب لرؤية خاله تيم حيث وجده فى الغرفة الخلفية وعيونه زرقاء خابية وشفته السفلى أخذت ترتعش وهو يردد - أتأخذ كأسا معى.. لقد أصبحت حرا الآن..

أزدرد فانى كأس البيرة دون أن يتذوقه.

- فانى.. أنت شاب لامع.. وددت أن أساعدك أفضل من ذلك.. أنك من الاوهارا بكل معنى الكلمة.. لقد قرأت ماركس.. إدرس بقدر ما تستطيع وتذكر أنك ثورى بالمولد والدم.. لا تلوم الناس.. انظر إلى تلك المرأة اللاذعة السليطة اللسان التى تزوجتها.. هل الومها.. كلا.. إنى الوم «النظام» ولا تبيع نفسك لأولاد العاهرات إنها المرأة يابنى التى تجعلنا نخون.. أنت تعرف ماذا أقصد.. أتمنى لك رحلة موفقة.

- سوف أكتب لك من ساجينو.. أعدك أن أفعل.

وبينما كان يهرع عبر الشوارع الممطرة المضيئة تحت السحب الساطعة إلى المحطة وحقيبته فى يده كان وجه الخال تيم المحتقن الهزيل وهو يجلس فى الحجرة الخالية والبار ووميض البار الرصاصى ويد «الخمار» التى تنحنى عليه والزجاجات والمرايا وصورة «لينكولن».. كانت كلها تصيبه بالدوار، وفى محطة «الينوى» المركزية وجد د. بنجهام فى انتظاره وسط كومة من رزم المغلفات البنية. شعر فانى ببعض السخرية وهو يراه واقفا بفكيه الغائرين وصديريته وردائه الأسود الفضفاض الذى يشبه رداء الكهنة وقبعته الرمادية المتربة التى تنسدل منها حلقات الشعر المجعد على الأذنين الشحيمتين.. إنه عمل على أية حال.

بدا د. بنجهام يقول فور أن رأى فانى قادما

- يجب أن اعترف أنه بقدر معرفتى الأكيدة بالطبيعة البشرية فإنى كنت خائفا قليلا من انك لن تحضر... أين تلك القصيدة التى تقول ما أصعب تجربة الطيران الأولى للفرخ خارج عشه.. ضع تلك الرزم فى القطار ريثما أذهب لقطع التذاكر وتأكد بأن التدخين مسموح به.

بعد أن تحرك القطار ورأى الكمسارى التذاكر أنحنى د بنجهام وربت على ركبة فانى باصابعه البدينة - أنا مسرور يا فتى لأنك شاب انيق.. لا يجب يابنى أن تنسى أهمية «الواجهة» أمام العالم.. رغم أن القلب يمكن أن يكون كسيرا مكتئبا إلا أن الرجل الذى يهتم بمظهره يجب أن يبدو مبتهجا معتدل المزاج.. سوف نذهب لنجلس قليلا فى المكان الفاخر المخصص للتدخين.. فلنهم خارجا لنبتعد عن هؤلاء الأجلاف.

كان المطر ينهمر ونوافذ القطار مرصعة بالخطوط المتماوجة لحبات المطر فى الظلام.. ولم يشعر فانى بالارتياح وهو يتبع د. بنجهام وهو يترنح خلال طرقات العربة المفروشة المكسوة بالستائر إلى الجزء المخصص للتدخين فى المؤخرة.. هناك سحب سيجارا كبيرا وبدأ

ينفث سحب الدخان الكثيفة من فمه.. جلس فانى بجانبه وهو يضع رجليه تحت المقعد محاولا أن يشغل أقل فراغ ممكن.. وبالتدريج امتلأ المكان بالرجال الصامتين ودخان السجائر الكثيف الملتف وفى الخارج كان المطر يدق على النوافذ ولمدة طويلة لم ينطق أحد بكلمة وبين الحين والحين يميل أحدهم إلى المبصقة ليبصق.

وانبعث صوت من مكان ما موجها الحديث إلى مكان آخر.

- حسنا سيدى لقد كان احتفال التنصيب فخما عريقا رغم أننا كدنا نتجمد حتى الموت.

- أكنت فى واشنطن؟

- نعم سيدى لقد كنت هناك

- معظم القطارات لم تستطع الوصول إلا فى اليوم التالى.

- اعرف لقد كنت محظوظا فبعضها تجمد فى الصقيع ثمانية وأربعين ساعة.

- انها عواصف ثلجية بغير شك.

أخذ د . بنجهام يتلو بصوت خفيض وعيون مسبلة..

«طوال اليوم تهب الريح الشمالية العاصفة..

تدفع أمامها الغبار المتطاير كالنسيم.

يتأرجح محلقا صوب الجنوب..

والشمس تشرق ساطعة خلال الضباب الثلجى»..

- لابد أنك تملك ذاكرة قوية لتستطيع أن تتلو الشعر بهذه السرعة والسهولة.

- نعم ياسيدى.. إن لدى ذاكرة اعتقد بغير انتهاك للتواضع أنها وافيه لو كانت هبة من الطبيعة لكان يجب أن أخجل واصمت لكنها نظرا لأنها حصاد أربعين عاما قضيتها فى دراسة ما انتجه الأدب الدرامى والشعرى فى العالم أرى من واجبى أن اثير الانتباه لعلها تشجع الآخرين الذين يبدأون السير على طريق المعرفة وتثقيف الذات.

واستدار إلى فانى فجأة قائلا - أتحب أيها الشاب أن تسمع خطاب «عطيل» إلى مجلس شيوخ فينسيا.

أجاب فانى وقد تورد وجهه - بكل تأكيد.

- أخيرا أخذ «تيدى»(٢٩) الفرصة لينفذ وعوده بمقاومة الاحتكارات(٣٠).

- أود أن أخبرك أن أغلب أصوات الفلاحين المعارضة تتركز فى الغرب الشمالي.

- افظع شئ ذلك التلف الذى حل بقطارات يوم التنصيب.

كان د. بنجهام غائبا يتلو
«السادة الأجلاء الموقرين..
سادتي النبلاء الكرام..
أعضاء المجلس..
حقا.. حقا لقد أخذت إبنة هذا الرجل العجوز..
وتزوجتها..»[٣١].

– إنهم لن ينفذوا قوانين محاربة الاحتكارات هذه.. صدقني لن ينفذوها.. أنت لا تستطيع أن تنتقص من الحرية.. الحرية الشخصية بهذه الطريقة.

– إنها حرية رجل الأعمال التى يريد الجناح التقدمى للحزب الجمهورى أن يحميها..

أنتصب د. بنجهام واقفا ويده على الصديرى والأخرى يلوح بها فى حركات دائرية واسعة.

«لعلى فظ الكلمات..
فنادرا ما تمتعت بالحديث الناعم المصقول..
لهؤلاء الذين يقضون الوقت فى سلام..
منذ أن اشتد ساعدى فى السابعة..
حتى الآن..
لم تنقض غير تسعة شهور..
تاقت يداى فيها لأحب الأعمال..
تلك التى كانت فى الميدان..».

انبعث صوت الرجل الآخر حادا مقاطعا – صوت «المزارع»
لكنه لم يجد أحدا يستمع إليه فقد كان د. بنجهام هو محور الاهتمام..
«القليل ما استطيع قوله عن العالم الفسيح..
غير ما يتصل بالمعارك والقتال..
لذا لا استطيع أن ابرر قضيتى..
لو بدأت بالحديث عن نفسى..».

بدأ القطار يقلل من سرعته وصوت د. بنجهام يدوى عاليا منفردا وسط الضجيج الذى بدأ يخفت وشعر فانى بصوته يلتصق بمؤخرة المقعد.. وفجأة ساد الهدوء وجرس القاطرة يقرع من بعيد.. قال د .بنجهام بهمس متوتر..

– أيها السادة لدى هنا على هيئة كتيبات الطبعة الكاملة غير المحذوفة من عمل

عالمى كلاسيكى هو «ديكاميرون» لبوكاشيو[٣٢] الذى ظل لمدة أربعة قرون نموذجا للحكمة اللاذعة والفكاهة القارصة.

ثم اخرج من جيبه مجموعة من الكتيبات وأخذ يعرض يده.

- سوف اترك لكم بعض النسخ لأى واحد من السادة يهتم باقتناء واحدة هذا بدافع الصداقة فقط.. فنيان.. خذ وانظر إن كان أحد يريد نسخة الواحدة بدولارين.. صديقى الشاب سيتولى التوزيع.. طاب مساؤكم.

خرج وقد بدأ القطار يتحرك مرة أخرى ووجد فانى نفسه يقف بمفرده والكتيبات فى يده فى منتصف العربة وعيون المدخنين المتشككة الثاقبة توخزه كالدبابيس.. قال رجل ضئيل بأذنين متدليتين كان يجلس فى الركن - دعنا نرى واحدا..

وفتح الكتاب وبدأ يقرأ بنهم بينما وقف فانى وهو يشعر بالوخز فى كل جسمه ويرمق الرجل الضئيل الذى أخذت عيناه تبرق بينما كان ينظر إلى السطور من خلال سحب الدخان ويرى أذنيه المتدليتين تحمران احمرار باهتا، وأخيرا قال الرجل.

- ياله من كتاب ساخن.. لكن دولارين مبلغ كبير.

تمتم فانى - لا أعرف يا سيدى انهم ليسوا ملكى..

- اوه حسنا يا للجحيم..

واسقط ورقتين فئة الدولار فى يد فانى وعاد يتابع القراءة.

عندما رجع فانى لعربة «الركاب» كان فى جيبه ستة دولارات وكتابين وفى منتصف العربة لمح الكمسارى فاوشك قلبه على التوقف لكن الكمسارى رمقه بحدة ولم يقل شيئا. كان د. بنجهام متكئا على المقعد ورأسه بين يديه وعينيه مغلقتين كما لو كان غافيا.. جلس فانى على المقعد المجاور فسأله دون أن يفتح عينيه..

- كم نسخة اشتروها.

- حصلت على ستة دولارات.. لقد افزعنى الكمسارى بنظراته..

- اترك الكمسارى لى.. تذكر إنها ليست جريمة فى وجه الإنسان والإستنارة أن نوزع أعمال الرجال العظام بين التجار والصيارفة.. اعطنى الدراهم.

ود فانى أن يسأله الدولار الذى وعده به لكن د . بنجهام كان يتلو عطيل مرة أخرى.

لو كانت كل عاصفة..

يعقبها سلام مثل هذا..

فلربما اعتلت السفينة المتعبة..
أعلى قمم «الاوليمب».
ناما متأخرين فى البيت التجارى فى «ساجينو» وافطرا افطارا شهيا كان د. بنجهام خلاله يتناقش فى تجارة الكتب من الناحية النظرية والواقعية..
- اخشى كثيرا خلال المنطقة النائية التى نود التغلغل فيها أن نرى الأجلاف لازالوا يلتفون حول الراهبة «ماريا».
قال هذا بينما كان يقشر ثلاث بيضات ويملأ فمه بقطع «البسكويت».. لم يعرف فانى من تكون الراهبة «ماريا» ولم يرغب فى السؤال وذهب مع د. بنجهام إلى اسطبل «هو ليفرى» ليستأجرا عربة واخذا يتجادلان فترة طويلة مع صاحب الاسطبل وكان النهار على وشك الانتهاء عندما خرجا من «ساجينو» ولفائف الكتب تتكوم خلفها وهما ينطلقان على الطريق.
كان يوما ربيعيا باردا والسحب المنخفضة تتحرك كضباب رمادى تحت سماء زرقاء فضية والحصان الأرقط يتكاسل فى السير وفانى يمسك باللجام ويطقطق بلسانه حتى أصبح فمه جافا وعندما يضرب الحصان بالسوط يقفز ثم يعدو واخيرا يعود إلى سابق مشيته وفانى يسب ويطقطق لكنه لا يستطيع أن يجبر الحصان على العدو كما يجب وجلس د. بنجهام بجانبه بقبعته العريضة على مؤخرة رأسه يدخن سيجارا ويثرثر - فنيان.. دعنى أقول لك أن اعتناق الإنسان للأفكار المستنيرة هو فى الواقع نكبة لبيته.. اننى مؤمن بوحدة الوجود لكن حتى الموحد بالوجود يجب عليه أن يأكل والراهبة ماريا..
كانت قطرات ثلجية من الجليد قد بدأت تتساقط على وجوههم.
- سوف اصاب بالالتهاب الرئوى بسبب سيرك هذا.. لقد قلت إنك تستطيع أن تقود حصانا.. اتجه هنا إلى هذه المزرعة على اليسار لعل أصحابها يضعون العربة والحصان فى الحظيرة.
وبينما أخذا يقودان العربة فى الطريق الجانبى إلى حيث يقع البيت الرمادى ذو الحظيرة الرمادية الكبيرة التى تقع تحت خميلة من أشجار الصنوبر توقف الحصان عن السير وبدأ يأكل العشب الأخضر على جانب المصرف فهوى فانى عليه بالسوط ووقف على مقدمة العربة وعاود ضربه لكن الحصان لم يتزحزح عن موضعه.
- اللعنة عليك.. اعطنى اللجام.
جذب د. بنجهام رأس الفرس بعنف لكن الأخير لم يفعل أكثر من أنه ادار رأسه

ونظر إليهما وبقايا الأعشاب المطحونة والرغوة الخضراء بين أسنانه الطويلة الصفراء وبدا لفانى كأنه يسخر منهما وتساقط المطر بغزارة فرفعا ياقات معطفيهما واحس فانى بقطرات الثلج تتسلل إلى مؤخرة عنقه بينما أخذ د. بنجهام يصيح.

- اخرج خارجا عليك اللعنة.. اجذبه إن لم تستطع أن تسوقه.. قفز فانى وأخذ يقود الحصان إلى الباب الخلفى للمزرعة بينما كان المطر يبلل ذراعه. أخذ د. بنجهام ينحنى محييا السيدة العجوز القميئة التى أتت إليهما وقد وقف بجانبها تحت الشرفة ليحمى نفسه من المطر وهو يقول.

- طاب مساؤك يا سيدتى.. اتسمحين أن أضع العربة والحصان فى حظيرتك بضع لحظات.. احتفظ ببعض الأشياء الثمينة السريعة التلف فى العربة بغير واق من المطر.

احنت المرأة العجوز رأسها الأبيض المجدول.

- حسنا.. هذا لطف كبير منك.. فنيان.. ضع هذا الفرس فى الحظيرة.. تعالى واحضر معك اللفافة الصغيرة الموضوعة تحت المقعد.. كنت لتوى أقول لصديقى الشاب من المؤكد أنه يوجد هنا «سامريون» يعيشون فى هذا المنزل يأوون عابرى السبيل المتعبين.

- تفضل بالدخول أيها السيد.. لعلك تود أن تجلس بجانب المدفأة تجفف نفسك

التقط فانى كلماته وهو يدخل إلى المنزل.

- اسمى دكتور بنجهام.. دكتور بنجهام المبشر.

عاد فانى إلى المنزل مبللا يرتعش حاملا لفافة الكتب تحت إبطه.. كان د. بنجهام يجلس بوقار على كرسى هزاز بجانب فرن المطبخ بجانب منضدة نظيفة عليها قطع من الحلوى وقدح من القهوة وتصاعدت من المطبخ رائحة دافئة مريحة خليط من رائحة التفاح وشحم الخنزير وزيت المصابيح وكانت السيدة العجوز تنحنى على المائدة وهى تنصت باهتمام إلى ما يقوله د. بنجهام بينما جلست فى المؤخرة امرأة أخرى كبيرة عجفاء وشعرها القليل ملتف على قمة رأسها وهى تضع اصابع يدها المتنافرة على شفتيها وكانت هناك قطة رقطاء تلعق اقدام د.بنجهام.

- آه فنيان جئت فى وقتك..

ثم تابع حديثه بصوت كهرير القط.

- لقد كنت لتوى اتحدث إلى مضيفيتنا الكريمتين موضحا ما تحتويه مكتبتنا الأدبية الشهيرة من الروائع العالمية الروحية والكهنوتية.. لقد كانوا فى غاية اللطف عندما عاكسنا الطقس ففكرت أن أعرض عليهم بعض الأسماء على سبيل التذكار..

حركت المرأة الضخمة مئزرها وهى تقول.

- أحب القراءة كثيرا لكن لن تحضرنى الفرصة حتى يأتى الشتاء..

أخذ د. بنجهام يبتسم وهو يفك الرباط ويجذب مجموعة الكتب على ركبتيه سقط كتاب على الأرض ورأى فانى أنه للمكة الرقيق الأبيض. ولمح وجه د. بنجهام وقد اكتسى بسحابة من السخط وقد وضع قدمه على الكتاب الساقط

- هذه أحاديث الكتاب المقدس يابنى.. أريد مواعظ «دكتور سبيكنارد لكل المناسبات» وناول اللفافة المفتوحة لفانى الذى اختطفها وانحنى ليلتقط الكتاب من تحت اقدامه ويضعه فى جيبه..

- أظن من الأفضل أن أذهب احضرهم بنفسى.

بمجرد أن خرجا من المطبخ انحنى مزمجرا فى أذن فانى.

- تحت المقعد أيها الفأر الصغير إذا تكررت تلك الفعلة مرة أخرى سوف أحطم عظامك الملعونة.

ووضع ركبتيه بين ساقى فانى الذى اصطكت اسنانه وانطلق تحت المطر إلى الحظيرة وهو يقول معتذرا.

- بشرفى لم افعلها قاصدا..

لكن د. بنجهام كان قد اقفل عائدا إلى المنزل وتصاعد صوته وهو يثرثر بهدوء وأضواء المصابيح بدأت تسطع فى الغسق الممطر.

فى تلك المرة فتح فانى اللفافة بحرص قبل أن يحضرها.. أخذ د. بنجهام الكتب من بين يديه دون أن ينظر إليه واستدار فانى خلف الموقد ووقف بملابسه المبتلة يستمع.. كان جائعا لكن أحدا لم يفكر فى أن يقدم إليه قطعة من الشطائر..

- آه.. اصدقائى الأعزاء. كيف استطيع أن اخبركم بأى امتنان للوهاب العظيم يتجول خادم الأنجيل المنير وحيدا وسط متاعب هذا العالم ليبحث عن المستمعين المخلصين.. أنا واثق أن تلك الكتيبات سوف تكون معينا روحيا لاغنى عنه لمن يبذل أقل جهد فى القراءة والتمعن.. أنا أشعر بهذا شعورا اكيدا يدفعنى لأن أحمل معى طبعات اضافية مقابل مبلغ زهيد ويؤسفنى أن لا استطيع توزيعها مجانا.

تساءلت المرأة العجوز بحدة مفاجئة طبعت محياها - بكم؟

أما المرأة العجفاء فقد اسقطت يدها إلى جانبها وأخذت تهز رأسها وانحنى

د.بنجهام على مسند الكرسى متسائلا.

- فنيان.. أتذكر ما هو ثمن التكلفة لتلك الكتيبات.

كان فانى متجهما فلم يرد بينما تابع د. بنجهام بنغمات معسولة.

- تعال هنا.. تعال لأذكرك بقول الشاعر «اسفل الدرجات فى سلم المجد.. هى التى يجب أن ينظر إليها من يريد الصعود، وعندما يصل إلى القمة سوف يشيح بوجهه عنها.. آنت جائع.. تستطيع أن تأكل شطيرتى.

قالت المرأة العجوز - يمكن أن نجد للصبى قطعة أخرى.

صاح فانى وهو يتقدم - أظنها بعشرة سنتات.

فصاحت العجوز بسرعة - اوه.. إن كانت بعشرة سنتات فقط سأشترى واحدة.

وهمت المرأة العجفاء أن تقول شيئا لكن الوقت لم يسعفها فما كادت الشطيرة تختفى فى جوف فانى والعشرة سنتات التى أخرجتها العجوز من صندوق سجائر قديم فى الخزانة تختفى فى جيب د. بنجهام حتى تناهت إلى آذانهم طرقعة الخيل وخارج النافذة أخترق ضوء مصباح العربة الظلمة واطلت العجوز بعصبية إلى الباب الذى فتح ودخل منه رجل ضخم رمادى الشعر ذو لحية صغيرة ووجه أحمر أخذ ينفض المطر من على أهداب معطفه يتبعه صبى هزيل يقارب عمر فانى وقال د. بنجهام وهو يبتلع آخر قطعة من الشطيرة وآخر رشفة من القهوة.

- كيف حالك أيها السيد.. كيف حالك يابنى.

قالت المرأة العجوز بعصبية - جيمس لقد سألونى أن يضعوا عربتهم فى الحظيرة حتى يتوقف المطر فهل فعلت خيرا.

أجاب العجوز - أظن ذلك..

والقى بنفسه على الكرسى الخالى بينما خبأت المرأة الكتيب بأحد ادراج المنضدة.. وأخذ الرجل يحملق فى لفافة الكتيبات المفتوحة.

- اظنكم ترحلون لتبيعوا الكتب.. حسنا.. نحن لا نحتاج لشئ من هذه التفاهات هنا.. لكن بوسعكم أن تبيتوا الليلة بالحظيرة.. تلك ليلة من الظلم أن يظل فيها كائن بشرى فى الخارج.

وقبل أن يغادروا المنزل أصر العجوز على أن يعطوه علب الثقاب قائلا

- طالما أن هناك كبريت.. هناك خطر الحريق.

حلوا رباط الفرس واعدوا مضجعا على القش فى حظيرة البقر.. كان وجه د.بنجهام

كالحا متوعدا وقد لف نفسه بغطاء الفرس وراح يتمتم.

– هذا امتهان لبنى البشر.

بينما رقد فانى على ظهره سعيدا مبتهجا وراح يستمع إلى دقات المطر على السقف وصوت الماء وهو يجرى فى المزاريب والأصوات المكتومة التى تنبعث من تحتهم.. أصوات الماشية والخيل وهى تطحن طعامها وامتلأت أنفه برائحة القش والحشائش الدافئة.. لم يستطع النوم.. كان يود أن يكون معه إنسان فى مثل عمره يتبادل الحديث معه إنه عمل على أية حال وها هو على الطريق.

ولم يكد يغمض عينيه ايقظه ضوء مصباح والصبى الذى رأوه فى المطبخ واقفا أمامه وظله يتراقص حولهما بين الروافد الخشبية.

– أريد أن آشترى كتابا.

تثاءب فانى وجلس

– أى كتاب تريد ؟

– أنت تعرف كتاب يتحدث عن فتيات الكورس.. عن العاهرات.. عن أشياء مثل هذا.

أتى صوت د. بنجهام من تحت غطائه متسائلا.

– كم تريد أن تدفع يابنى.. لدينا مجموعة من الكتب المثيرة التى تتحدث عن حقائق الحياة بصراحة وحرية.. كتب تصف الفجور الفاقع لحياة المدن الكبيرة وثمنها ما بين دولار وخمسة دولارات والمرجع الكامل للجنس للدكتور برنسايد بستة دولارات وخمسين سنتا.

– لا استطيع أن أدفع أكثر من دولار.. أرجو ألا تخبروا العجوز.

والتفت إلى فانى قائلا وهو يغالب الضحك.

– «ست هاردويك» الذى يعيش أسفل الطريق ذهب إلى «ساجينو» مرة واحضر كتابا من رجل فى فندق.. اوه.. كان رائعا.

قال د. بنجهام وهو يعود للنوم مرة أخرى.

– فنيان .. أذهب واحضر له كتاب ملكة الرقيق الأبيض بدولار.

هبط فانى يتبعه صبى المزرعة على السلم المترنح.

– قل لى هل هو خليع جدا.. ياالهى.. لو وجده أبى لجلدنى.. اراهن انك قرأت كل هذه الكتب.

رد فانى متشامخا - لا احتاج لقراءة كتب.. استطيع أن أعيش الحياة لو اردت.. ها هو الكتاب.. إنه عن امرأة ساقطة.

- هل يساوى دولارا .. يمكن ان اشترى كتابا أكبر بدولار.

- هذا كتاب «حريف».

- سآخذه قبل أن يكشفنى أبى متلصصا.. طابت ليلتك.

عاد فانى إلى الفراش وراح فى نوم عميق.. حلم بأنه يصعد على السلم المترنح فى الحظيرة مع أخته «ميلى» التى أخذت تكبر وتكبر وتصبح أكثر بدانة وبياضا وترتدى قبعة كبيرة يزينها ريش النعام وأخذ ثوبها ينشق من العنق إلى أسفل.. إلى إسفل ود.بنجهام يصيح إنها الراهبة ماريا.. ملكة الرقيق الأبيض.. وكان يهم أن يأخذها حين فتحت أشعة الشمس عينه ورأى د. بنجهام واقف امامه بساقين متباعدتين يمشط شعره وهو يتلو «دعنا نرحل..

إن الشمس الكونية لا تمنح اشعتها لمكان واحد فقط..

وليس للرجل جذور مثل الشجرة».

وصاح عندما رأى فانى مستيقظا - فنيان.. دعنا ننفض تراب تلك المزرعة البخيلة ونرتدى أحذيتنا ونحن نلعنها كما كان يفعل الفلاسفة القدماء.. اربط الفرس.. سنتناول افطارنا اسفل الطريق..

ومضت عدة أسابيع.

ذات مساء وجدا أنفسهما يتجهان صوب منزل أصفر أنيق يتوسط حديقه من أشجار الطمرق. انتظر فانى بجانب العربة بينما ذهب د. بنجهام يستطلع سكان المنزل وعاد بعد لحظة متهللا وهو يقول - سوف نجد معاملة طيبة كأناس محترمون حقا.. كن لبقا فى حديثك.. أتفهم؟! خذ هذا الحصان إلى الحظيرة وحل وثاقه.

قال فانى وهو يثب متجها إلى رأس الحصان.

- مستر بنجهام قل لى ماذا بشأن نقودى.. لقد مضت إلى الآن ثلاثة أسابيع. مرت سحابة من الضيق بوجه د. بنجهام وأخذ يصيح - الدراهم.. الدراهم.

«فلتفحص جيدا يده البيضاء كالحليب..

إن راحتها نظيفة..

لكن بعض اللطخات هنا وهناك..

أتفوه..

إنها آثار الرشوة».

لدى خطط كثيرة للمشروع المشترك الذى تريد أن تفسده بشراهتك وعجلتك الطائشة لكن لو تمسكت بهذا سوف اعطيك الليلة كل ما تستحقه وأكثر.. فك الفرس واحضر لى مجموعة «الراهبة ماريا والمكيدة اليابوية».

كان يوما دافئا وأبو الحناء يصدح فى الحديقة وعبير الزهور يتصاعد من كل مكان وكانت الحظيرة حمراء والفناء يمتلأ بالدجاج.

جلس فانى بعد أن فك العربة ووضع الحصان فى الاسطبل على حافة النافذة يتطلع إلى حقول الشوفان الفضية وأخذ يدخن سيجارة وهو يتمنى أن تكون معه فتاة يستطيع أن يطوقها بيده أو رفيق يتبادل الحديث معه. وفجأة سقطت يد على كتفه ووجد د. بنجهام بجانبه.

- فنيان يا صديقي.. نحن الآن في نعمة.. إنها وحيدة فى المنزل.. زوجها قد ذهب إلى المدينة لمدة يومين مع الأجير.. لن يكون هنا أحد غير طفليها الصغيرين الجميلين.. ربما العب دور روميو.. أنت لم تشاهدنى فى هذا الدور.. إنه أنبل اداورى.. ذات يوم سوف احكى لك عن شبابى الجامح.. تعالى لتقابل الفاتنة الجميلة.

عندما ذهبا إلى باب المطبخ استقبلتهما امرأة ممتلئة ذات غمازتين ترتدى ثوبا ارجوانيا حيتهما بحياء بينما قال د. بنجهام وهو يأخذ وضع النبلاء.

- مدام.. هذا مساعدى الشاب.. فنيان.. مسزكوفاش.

- انتما جائعين؟!

- لقد تناولنا العشاء للتو.

اضاءت أشعة الشمس الغاربة قبة الفرن الذى إزدحمت فيه اوانى الطهى وانعكست ظلال من الأشعة اللامعة على الجفون الهلالية المصقولة وأخذت مسز كوفاش تتحدث بينما كانت تنحنى وطرف مئزرها يتطاير فى الهواء..

فتحت باب الفرن واخرجت قدرا كبيرا من شطائر الحنطة غرفتها فى أحد الاطباق على المائدة بجوار النافذة.. ملأت رائحتها الحارة المطبخ وشعر فانى بلعابه يسيل بينما أخذ د. بنجهام يفرك يديه وهو يكتسح المكان بعينه.. أعدت المائدة وجلسوا جميعا.. أخذ الطفلان زرق العيون وتبدو القذارة على وجوههم يزدردون الطعام فى صمت بينما راحت مسز كوفاش تملأ الأطباق بعصير الطماطم والبطاطس المهروسة وقطع اللحم وصبت لهم القهوة وقالت بعينين مسبلتين - أحب أن أرى الرجال يأكلون.

واكتسى وجهها بنظرة فاتنة اجبرت فانى لأن يحول عينيه وقد وجد نفسه يحدق بها، وبعد أنه انتهى العشاء جلست تستمع إلى د. بنجهام وقد بدت عليها السعادة وقسمات الفتنة الطاغية تملأ وجهها.. وراح د. بنجهام يتحدث ويتحدث وبين الحين والحين يتوقف لينحنى وينفث الدخان أمام المصباح.

- مدام.. اننى لست لوثريا كما تظنين لكنى أعجب بل وأبجل مارتن لوثر كرجل من أعظم رجال البشر المستنيرين فلولاه لكنا مازلنا أذلاء تحت سيطرة بابا روما الرهيبة.

- انهم لن يدخلوا إلى أرض هذا البلد.. أنا ارتجف كلما فكرت فى هذا.

- كلا ما بقيت نقطة من الدماء فى عروق البروتستانت الاحرار لكننا - مدام - لكى نقاتل الظلام لابد من الضوء والضوء لا يأتى إلا عن طريق العلم وقراءة الكتب والدراسات.

- اقرأ معظم الكتب؟ هذا شئ يصيبنى بالصداع.. الحقيقة لا امتلك الوقت الكافى لكن زوجى يقرأ الكتب التى يحضرها من القسم الزراعى.. حاول أن يجعلنى اقرأ كتابا عن تربية الدجاج ذات مرة لكن لم استطع ان استفيد منه.. إن قومه قد أتوا من الوطن القديم.. إن الناس مختلفون هناك هكذا اقول.

- لابد أن يكون الأمر صعبا عند الزواج من غريب كهذا.

- انى اندهش فى بعض الأحيان كيف استطعت الاحتمال.. بالطبع لقد كان جميلا عندما تزوجته وأنا لا استطيع مقاومة الرجل الجميل.

انحنى د. بنجهام أكثر على المائدة وعيناه تبرزان كأنما ستسقطان من محجريهما.

- وأنا لا استطيع المقاومة امام سيدة جميلة.

تنهدت مسز كوفاش تنهيدة عميقة.. ونهض فانى ومضى إلى الخارج وحاول أن ينصت لما يدور.. لكن ما الفائدة. كان الجو باردا فى الخارج والنجوم تتلألأ فوق الحظيرة والمنازل الأخرى ومن حظيرة الدجاج تأتى أصوات الصدمات ورفرفة الأجنحة كلما فقدت دجاجة توازنها.. وأخذ فانى يذرع الحظيرة جيئة وذهابا وهو يلعن د.بنجهام كلما اصطدم بكتلة من الروث وأخيرا نظر إلى المطبخ المضئ.. كان د. بنجهام يحيط بذراعه خاصرة مسز كوفاش وهو ينشد الشعر ويلوح بيده.

«هذه الأشياء كانت تقال..

وتميل ديدمونة إليها..

تهرع لقضاء حاجتها.. وتعود..

آذانها متلهفة للإستماع»..

لوح فانى بيده إلى النافذة وصاح - اللعنة عليك.. أريد نقودى.

ثم مضى يتمشى على الطريق وعندما عاد مقرورا يريد النوم كان المطبخ خاليا والمصباح قد خفت ضوئه.. لم يدر إلى أى مكان يذهب للنوم فاستلقى على أحد الكراسى ليدفأ نفسه بجانب النيران حتى مالت رأسه وراح فى النوم.

وايقظته ضجة هائلة فوق السقف وصراخ امرأة.. ظن للوهلة الأولى أن د. بنجهام يحاول أن يسرق أو يقتل المرأة لكنه سمع صوت رجل آخر يسب ويلعن ويصيح بالجليزية ركيكة وكان يهم بالنهوض عندما رأى د. بنجهام يندفع أمامه وهو يرتدى ملابسه الداخلية.. وحمل حذائه فى يده وفى اليد الأخرى بقية ملابسه وبنطلونه يطير ورائه كذيل الحدأة.

صاح فانى خلفه - هاى ما الذى ستفعله الآن.

لكنه لم يتلق ردا ووجد نفسه وجها لوجه أمام رجل كالح طويل ذو لحية سوداء كثة كان يحشو بندقيته المزدوجة بالبارود - سوف اقتله ابن العاهرة..

- هاى لا يمكن ان تفعل هذا..

فتلقى ضربة بمؤخرة البندقية فى صدره القته على الكرسى مرة أخرى وهرول الرجل خارجا بخطوات سريعة وسُمع صوت طلقتين تمرقان بين مبانى المزرعة وتصاعد صراخ المرأة مرة أخرى تتخلله شهقات مكتومة وضحكات هستيرية. بينما تجمد فانى على المقعد كأنما التصق به وابصر قطعة ذات الخمسين سنتا ملقاة فى أرضية المطبخ وقد سقطت من سروال د. بنجهام وهو يهرول فالتقطها ووضعها فى جيبه..

وحينئذ دخل الرجل الطويل عائدا بالبندقية وهو يئن - لقد فرغت الطلقات ثم جلس على مائدة المطبخ بين الأطباق القذرة وبقايا العشاء وأخذ يبكى كالطفل والدموع تتساقط بين اصابعه الغليظة ويده الكبيرة السوداء.

تسلل فانى من الباب وذهب إلى الحظيرة وهو يهمس - د. بنجهام لكنه لم يجد أثرا لدوك. بنجهام أو الفرس الرقطاء وكانت عدة الفرس مكومة بجانب العربة.. واختلطت صيحات الدجاج المذعور بصرخات المرأة التى مازالت تنبعث من المنزل.

- ماذا افعل بحق جهنم..

سأل فانى نفسه وهو يرى الشبح الطويل ينظر من خلال باب المطبخ المضئ مصوبا البندقية نحوه - إنطلق يجرى كالسهم من الحظيرة إلى الخارج خلال الباب الخلفى بينما

كانت البندقية تطلق قذائفها وأزت طلقة فوق رأسه - اللعنة لقد وجد الطلقات.

انطلق يجرى بأقصى سرعته عبر حقل الشوفان وأخيرا بعد أن تقطعت انفاسه وجد نفسه يتسلق السور الذى نمت عليه الأغصان الشوكية فأدمت وجهه ويديه ثم اقعى فى إحدى القنوات الجافة ليستريح ولم يكن هناك أحد يتعقبه.

جريدة سينمائية (٣)

«لقد كانت لديه الشجاعة أن يعيش فى هذا العالم» آخر كلمات جورج سميث الذى شنقه الغوغاء مع أخيه فى كنساس[٣٣] - وفاة مركيز كوينز برى - النيران تلتهم محصول التوابل - المحكمة تطلق سراح زولا[٣٤].

منذ بضعة سنوات تآمر فوضويون من نيوجيرس يرتدون معاطف عليها أزرار ماك كنلى وشارة الفوضوية الحمراء ويمدهم الجمهوريون بالبيرة.. تآمروا على مقتل أحد أصحاب التيجان فى اوروبا من المحتمل أن خطة اغتيال الرئيس[٣٥] قد تم وضعها فى نفس الوقت أو بعد ذلك بقليل.

إن ضوء القمر جميل الليلة فوق «واباش»[٣٦]..
ومن الحقول يأتى نسيم العشب الناضر..
وبين اشجار الدلب تتلألأ المصابيح..
من بعيد.. على ضفاف «الواباش»..

وداعا للأوقات الهادئة المرحة

ستة آلاف عامل يتظاهرون فى أحد ميادين «سمولنسك» يرفعون لافتات كتب عليها الموت للقيصر السفاح.

المشاغبات ومتاريس الشوارع فى بداية اضراب عمال الشاحنات.

أكبر معركة بحرية فى العالم تقترب[٣٧]

بوليس مدريد يصطدم بخمسة آلاف عامل يحملون الرايات السوداء حطموا الإسطوانة التى تقود الإنسان إلى الجنون.

عين الكاميرا (٥)

ولعبنا معركة «بورت آرثر»[٣٨] فى البانيو وسال الماء تسرب خلال سقف قاعة الاستقبال وكان الأمر سيئا بأكمله فى «كيوجاردنز» جاء لتناول الشاى مستر جارنت

العجوز الذى مازال عطوفا وصحيحا معا فى رغم أنه طعن فى السن.. رأيناه من خلال النافذة بوجهه الأحمر وشوارب «جون بل» قالت العمة أنه يمشى مشية البحار (العايقة) وكان يحمل صندوقا تحت إبطه ونبح «فيكى» و «بومبون» وها هو مستر جارنت هنا لتناول الشاى اخرج «الجرامفون» من الصندوق الأسود ووضع الاسطوانة عليه. ونحوا أدوات الشاى إلى جانب من المائدة.. حاذر أن تسقطها الآن فإنها تتلف بسرعة.. وهل تنفع إبرة الخياطة العادية؟ كلا إنها إبرة خاصة، وأخذنا نتحدث عن الأدميرال توجو وآلبنيان وكيف أن الروس يشربون كثيرا من الفودكا ويقتلون كل هؤلاء الصيادين المساكين فى بحر الشمال.. وأخذ يحركها بمنتهى الحرص لئلا ينكسر اللولب والإبرة تحشرج.. تحشرج.. نعم لقد كنت بحارا أنا نفسى أحد بحارة الاسطول يا ولدى منذ أن كنت غلاما صغيرا لا أزيد عنك وحدث أن صرت عاملا على أول مدرعة بريطانية «المقاتل» وكنت يا سيدى استطيع أن أرقص رقصة المزمار. كانت فى قبضة يده بوصلة البحارة باللونين الأحمر والأزرق وبدت أصابعه سوداء ضخمة وهو يلمس الأبرة والأبرة صارت تحشرج.. تحشرج.. ومن بعيد كانت فرقة تعزف ومن خلال الضجة وفوهة البوق الأسود الصغير سمعنا «فليحمى الله الملك» وكانت الكلاب الصغيرة تعوى.

جريدة سينمائية (٤)

لقد قابلت «حبى» فى آلامو..
عندما كان القمر يبزغ..
غطى جمالها على نوره..
ووميض عينيها أكثر تألقا..

تمكن مثيرو الاضراب قبل الظهر فى أن يردوا عربة محملة بخمسين جنديا كانت فى طريقها إلى محطة الأطفاء بشارعى ميتشجان وواشنطن.. وكان الجنود - كما ذكر - قادمين لمساعدة البوليس المخصص لمكافحة الاضراب.

الأساطيل قد تلتحم اليوم فى معركة غرب «لوزون»

ثلاثة من الذئاب الضخمة قتلت قبل العشاء.

يتم تنظيم استعراض كبير هنا حيث يسير الرئيس روزفلت راكبا بحيث يراه المواطنون وفى المقدمة سوف يسير دب محبوس أسر حديثا بعد قتله دسته من الكلاب وجرحة عدة أشخاص. سوف ينطلق الدب ناحية التلال قبل الموكب بساعة وكلاب الصيد فى

أثره والرئيس روزفلت والحراس فى أعقابهم.

ثلاثة من طلبة كولومبيا يتراهنون على الذهاب إلى شيكاغو سيرا على الأقدام.

خطر الاضراب العام بات وشيكا..

إن ضوء القمر جميل الليلة فوق وا.. باش.

أسعد أيام ملك البترول

طفل كل خمس دقائق - سوق العقارات رائجة والطلب على أماكن إقامة المصانع والمساكن ومستلزمات العمل - مشروعات قوانين تقدم للمحكمة لفض الإطراب.

الأحد الدامى فى موسكو[٣٩]

العملة الإنجليزية تنهار - الجيوش تحرس حقول البترول - أمريكا تنوى أن تصبح امبراطورية تستعيد امجاد قيصر قصيدة بخمسة دولارات للحصول على زوج غنى يقول أديسون قللوا تناول الطعام - لاعب بوكر غنى يسقط ميتا عند سحبه «الفلوش» الملكى اتهامات بالكسب غير المشروع فى «شيشرو».

الاضراب قد يعنى الثورة فى روسيا

غرام على ظهر يختين - قتل ينهى عداء عمالى - ميتشجان تسير على الموضة الانجليزية - الاعلام الحمراء فى سانت بطرسبورج.

القيصر يذعن للجماهير

تحتفظ بطفل ميت أربعون ساعة - العائلات تتشرد نتيجة انفجار ماسورة مياه رئيسية

القيصر يتعهد بالدستور

ومن الحقول يهب نسيم العشب الناضر..

وبين أشجار الدلب تتلألأ المصابيح

عين الكاميرا (٦)

شوط.. شوط.. هكذا صاح مستر لينوود مدير المدرسة عندما كان أحد اللاعبين يجرى فى الملعب وهو يضرب الكرة المستديرة التى يسمونها كرة قدم فى «هامستيد» وبعد ذلك ذهبنا إلى المنزل.. كنت مبتهجا لأن مستر لينوود صاح شوط.. شوط. قال «تيلور» ها هو رئيس امريكى جديد سيأتى.. كانت له اسنان تشبه اسنان «تيدى»[٤٠] التى تظهر فى الصحف وله أنف شامخ وملابس «رف رايدر»[٤١] ثم سألك لمن ستعطى صوتك.. صاح

أحدهم لا أعرف فنفخ صدره وقال أقصد من ستؤيد روزفلت أم باركر؟! أجاب واحد القاضى باركر وكان شعر الأمريكى الآخر أسود فاحم. فكور قبضته وشمخ بأنفه قائلا أنا مع روزفلت.. أتريد النزال؟ رد الآخر وكله يرتعش وأنا مع القاضى باركر.. صاح «تيلور» من معه بنسين لتناول كأس بيرة؟ ولم يتعارك أحد فى ذلك الوقت.

جريدة سينمائية (٥)

الحشرات تقضى على عالم أحياء..

كلب يفك وثاق عاشقة هاربة كانت موثقة ومكممة.

الإمبراطور نيكولاس الثانى[٤٢] يواجه الثورة قائلا الامبراطورية تصون الحرية الشخصية..

الشلل يجمد مبضع جراح - بجرة قلم أصبحت آخر ملكية مطلقة فى أوربا فى ذمة التاريخ - خطر الوفاة لعامل منجم فى وادى الموت - مندوب الاعلانات «لسانتافى رود» يرسل إلى السجن لسرقته (ممول مسرحيات).

بعيدا على ضفاف الواباش.

مـاك

فى الصباح التالى فور أن بزغ الفجر مضى فانى مبللا منهكا إلى سكك حديد «جايلورد» كان شباك التذاكر مغلقا ولم يكن هناك أحد وفى صالة الانتظار كانت توجد مدفأة كبيرة موقدة. خلع فانى فردة حذائه المشبعة بالماء ثم الفردة الأخرى وأخذ يدفأ قدميه حتى جفت جواربه وارتدى الحذاء ثانية ثم تمدد على المقعد وراح فى النوم.

ايقظه صوت شخص يحاول أن يتحدث إليه فجاهد لكى يرفع رأسه لكن النوم غالبه.

- هاى من الأفضل ألا تعرض نفسك لشرطى المحطة

تسلل إليه الصوت رغم النوم ففتح عينيه وجلس

- اللعنة لقد ظننتك شرطيا.

كان يقف أمامه شاب عريض الأكتاف يرتدى قميصا أزرق ومعطفا.

- رأيت أن اوقظك.. إن الشرطى بالغ الفظاظة فى هذا المكان النتن.

مد فانى ساقيه.. كانت قدماه قد تورمتا واستطاع النهوض بصعوبة وهو يقول:

- يا للبشاعة.. لقد تجمدت

- اعرف مكانا نستطيع أن نتناول افطارا شهيا لو كان كل منا معه ربع دولار قال فانى متمهلا وهو يقف واضعا يديه فى جيوبه وظهره للموقد الدافئ وينظر بإمعان للفتى ذو الوجه المربع والفك الضخم والعينين الزرقاوتين.

- معى درلارا ونصف.. من أين أنت؟

- من «دولوث».. أنا متشرد تقريبا.. وأنت من أين جئت؟

- اللعنة.. أود أن أعرف.. لقد كنت أعمل حتى الليلة الماضية.

- هل استقلت؟

- تستطيع قول هذا.. من الأفضل أن نذهب لنتناول الأفطار.

- هذا أفضل.. لم أتناول شئ منذ أمس.. اسمى جورج هال والرفاق يدعوننى «إيك» أنا لست متشردا بمعنى الكلمة فقط اردت أن أرى العالم.

- اظن انى سابدأ فى رؤيته منذ الآن.. اسمى ماك كريرى.. من شيكاغو لكنى مولود فى ميدلتاون.. كونيكتكت.

بمجرد أن فتحوا الباب ذو الساتر فى مطعم عمال السكة الحديدية الذى يقع اسفل الطريق استقبلتهم رائحة لحم الخنزيز والقهوة ومسحوق السمك وجاءت اليهم امرأة شقراء بارزة الاسنان لتلبية الطلبات قائلة بصوت أجش.

- أين يعمل الأولاد؟ لا أذكر انى رأيتكم من قبل.

رد إيك - أعمل فى ورشة النجارة.

- اغلقت ورشة النجارة منذ اسبوعين لأن المدير جُرح فى رأسه.

- كان المفروض أن أعرف.

- من الأفضل أن تدفعوا مقدما أيها الصبيان.

صاح فانى ملوحا بالدولار فى وجهها - معنا نقود.

ردت «الجرسونة» وأسنانها تنفرج عن ابتسامة.

- حسنا مادام معكم نقود ستدفعون كما يجب.

قال إيك مؤكدا - بكل تأكيد.. الأشيا معدن.. سوف ندفع كالمليونيرات. أخذوا يزدردون القهوة مع لحم الخنزير والبيض والبسكويت الأبيض الدسم وبعد أن افطروا أخذوا يقهقهون عاليا على روايات فانى عن حياة د. بنجهام وغرامياته لدرجة أن الجرسونة تدخلت متسائلة.

- هل أنتم سكارى؟

فمازحها إيك طالبا منها أن تحضر لكل منهم قدحا من القهوة (فوق البيعة) وسحب سيجارتين من جيب معطفه وسأل ماك.

- هل معك قداحة؟

قالت الجرسونة - لا تستطيع أن ندخن هنا فمديرة المحل لا تسمح بالتدخين.

- وهو كذلك ياحلوة العينين.. سوف نرحل..

- إلى أين ستذهبون

- حسنا سوف اتوجه أنا إلى «دولوث» حيث يعيش أهلي.

- إذن فأنت من «دولوث» ما هي النكتة الشهيرة عن «دولوث».

إنها ليست نكتة.. إنها مصيبة.. لا تفكرى فى السخرية منى.

ردت الجرسونة وهى تنظف المائدة بيدها المفلطحة وأصابعها الخشنة من عمل المطبخ.

- إنها ليست عادتى أيها المحبوب.

- هل عندك جرائد؟ ليس معى شئ اقرأه وأنا فى انتظار القطار.

- يمكن أن أحضر لك، واحدة فالمديرة تحضر «الأمريكان» من شيكاغو.

- مرحى أنا لم اطالع جريدة منذ ثلاثة أسابيع.

قال ماك - أنا أيضا أحب قراءة الجرائد وأريد أن أعرف ما يحدث فى العالم.

- كلها أكاذيب يطلقها أصحاب المصلحة.

- «هرست» فى جانب الشعب.

- أنا لا أثق به ولا بهم.

- هل قرأت «دعوة للتفكير».

- قل لى هل أنت اشتراكى؟

- بكل تأكيد.. كنت أعمل فى مطبعة خالى حتى افلسه المنتفعون الكبار لأنه ناصر قضية الاضراب.

- مرحى هذا رائع.. ضعيها هناك.. ماك أنه يوم رائع بالنسبة لى فلم يحدث أن التقيت بصديق يشاركنى التفكير.

خرجوا ومعهم لفافة الجرائد وجلسوا تحت شجرة صنوبر ضخمة على مبعدة من المدينة كانت الشمس ساطعة تبعث الدفء والسحب البيضاء ترصع السماء.. واستلقوا على ظهورهم واضعين رؤوسهم على قطعة من جذور الشجرة التى تمددت كالثعبان.. وكانت

الأعشاب الصنوبرية جافة دافئة بالرغم من الليلة المطيرة والحشائش الخضراء على وشك أن تنبت هنا وهناك. واخذوا يقرأون الصحيفة التى مضى على صدورها اسبوعا ويتحدثون.

- ربما فى روسيا سوف تكون البداية.. إنها أكثر البلدان تخلفا والناس فيها يخضعون للقهر البشع.. كان هنا رفيق روسى يعمل فى ورشة النجارة.. رفيق مثقف هارب من سيبريا اعتدت ان اتحدث معه كثيرا.. كان هذا هو ما يفكر فيه.. إن الثورة الاشتراكية سوف تبدأ فى روسيا وتنتشر منها إلى جميع أنحاء العالم. كان شابا رائعا.. اراهن أنه مهم.

- يعتقد خالى تيم إنها ستبدأ فى ألمانيا.

- من المفروض أن تبدأها هنا فى أمريكا لدينا مؤسسات حرة جاهزة وكل ما علينا أن نتخلص من سيطرة أصحاب رؤوس الأموال.

- يقول الخال تيم أن الوضع هنا أفضل كثيرا.. لا نعرف كيف يكون الاستعباد والفقر.. كان هو واخوالى الآخرين من الفنيان[٤٣] فى ايرلندا قبل أن يحضروا إلى هذا البلد ولهذا اطلقوا علىّ اسم «فنيان» أبى لم يحب هذا الإسم..

أظن أنه لم يكن متحمسا كثيرا.

- هل قرأت ماركس.

- كلا للأسف.. أود أن أفعل..

- وأنا أيضا لم اقرأه.. لقد قرأت «النظر للخلف» لبللامى وهذا ما دفعنى لأن أكون اشتراكيا.

- حدثنى عن هذا الكتاب.. كنت على وشك قراءته عندما غادرت المنزل.

- إنه عن شخص اسطورى ذهب لينام واستيقظ بعد الفىّ عام وقد تمت الثورة الاشتراكية وكل شئ صار اشتراكيا. ولم تعد هناك معتقلات أو بؤس لا يوجد أحد يعمل لحساب الآخرين لا توجد وسيلة يستطيع بها أى شخص أن يصبح من حملة الأسهم الأغنياء أو رأسماليا.. الطبقة العاملة تعيش حياة سهلة جميلة.

- هذا هو ما أفكر فيه دائما.. إنهم العمال الذين يخلقون الثروة ويجب أن يحصلوا عليها بدلا من عصابات الكسالى.

- إذا استطعت أن تدمر النظام الرأسمالى والاحتكارات الكبيرة ومؤسسات «وول ستريت» فسوف تحقق هذا..

- رائع.

– كل ما تحتاجه هو إعلان الإضراب العام.. أن يرفض العمال العمل لصالح أى رئيس اللعنة.. لو يدرك الناس أن هذا سهل جدا.. لكن أصحاب رؤوس الأموال يملكون كل وسائل النشر ويحجبون المعرفة والتعليم عن العمال.

– أنا أعرف كيف أعمل على «اللينوتيب» يا للأسف.. قد استطيع أن أفعل شيئا ذات يوم.

وقف ماك على قدميه شاعرا بالوخز فى كل جسمه وموت سحابة غطت وجه الشمس وعلى امتداد الخط الحديدى كانت الأشجار الهزيلة مليئة بأوراق البتولا اليانعة الزاهية بألوانها الذهبية الخضراء. كان دمه يغلى وهو يقف مباعدا ساقيه وينظر إلى الخط الحديدى وعند المنعطف على المدى البعيد ظهرت عربة عليها مجموعة من العمال يرتدون زيا داكنا باللونين البنى والأزرق.. أخذ يراقبها والراية الحمراء ترفرف فى مقدمتها وراحت تكبر وتكبر وتكتسح مساحات الظلال وتبدو أكبر وانصع كلما اقتربت من الشمس.

– ماك من الأفضل أن نختفى عن الأنظار إذا اردنا أن نعتلى قطار الشحن فبعض المخبرين يتناثرون على الطريق.

– وهو كذلك.

مضوا خارج التحويلات الفرعية إلى حيث أشجار البلوط والصنوبر وبجانب جذع شجرة كبيرة توقف ماك ليتبول. اندفع البول اصفر يلمع فى الشمس ويختفى بين الأعشاب والحشائش المتناثرة العطنة كان ينبض بالسعادة فهوى بقدمه على الجذع وكان عطنا نخرا غاصت القدم فيه واثارت زوبعة صغيرة من الغبار العفن المشبع برائحة الدخان.

جلس «إيك» على جذع آخر وراح يسلك أسنانه بأحد الأغصان الصغيرة.

– ماك هل ذهبت إلى الساحل؟

– لا

– اتود ذلك؟

– بكل تأكيد.

– حسنا دعنا نذهب معا إلى «دولوث» فقط لرؤية أمى العجوز فأنا لم اراها منذ ثلاثة شهور.. سنحضر حصاد القمح ثم نمضى إلى فرسكو[٤٤] أو سياتل فى مطلع الخريف فقد علمت أن لديهم مدارس ليلية مجانية فى سياتل.. أريد أن أدرس قليلا فلا زلت أجهل الكثير من الأشياء.

– رائع.

- هل ركبت قطار بضاعة من قبل؟
- ليس تماما.
- اتبعنى إذن وافعل ما سوف افعل.
على الخط الحديدى جاء صفير القاطرة ثاقبا مدوى.
- رقم ثلاثة على المنعطف الآن.. سوف نعتليها فور أن تتحرك من المحطة ستصل بنا إلى «ماكينو» بعد ظهر اليوم.
بعد الظهر وصلوا مقرورين متجمدين من البرد ومضوا إلى سقيفة صغيرة على رصيف مرفأ القوارب البخارية فى «ماكينو» ليستظلوا بها. كان كل شئ على جانب البحيرة مختفيا وراء حلة ضبابية ومبللا بقطرات المطر. ابتاعوا قطعا من الحلوى بعشرة سنتات وتبقى معهم تسعون سنتا وبينما كانوا يتناقشون عما يجب عليهم أن يصرفوه لتناول العشاء خرج صاحب الباخرة من مكتبه.. رجل طويل يرتدى معطفا واقيا من المطر وقبعة خضراء.
- اتبحثون عن عمل أيها الفتيان.. جاء رجل - إلى هنا من فندق «لاكفيو» يبحث عن اثنين من الخدم.. لم تبعث لهم «الوكالة» ما يطلبونه بعد.. أنهم يفتحون غدا على ما أظن..
سأل إيك - كم يدفعون؟
- لا أظن أنها أجرة عالية.. لكن المرأة هناك طيبة جدا.
- ماك ماذا تقول؟ سوف ندخر أجرة السفر وحينئذ سنذهب إلى «دولوث» كأثنين من السادة المتأنقين على ظهر المركب.
وهكذا مضوا تلك الليلة على القارب البخارى إلى جزيرة «ماكيناك».. طالعتهم الجزيرة موحشة كئيبة تزدحم بزوجات وأطفال العمال الفقراء من ديترويت وساجينو وشيكاغو وبها بعض المسارح الصغيرة التى علقت عليها بعض اللافتات «غلاية الشيطان» «قمع السكر»، «نطة الجيب».. والمرأة الكالحة الوجه التى تدير الفندق وينادونها بالمديرة أخذت تجبرهم على العمل من السادسة صباحا حتى بعد غروب الشمس ليس فقط فى غسل الأطباق بل وقطع الأخشاب وتوصيل الرسائل وتنظيف المراحيض وتلميع الأرضية وحمل الحقائب وعدة أعمال أخرى.
كانت الخادمات جميعهن عجائز.. زوجات فلاحين معدمين هاربات من ازواجهن السكارى وكان الذكر الوحيد الآخر هو الطباخ.. شخص سوداوى المزاج مختلط الدم يجمع

بين الأصل الفرنسي والكندى ويصر على أن ينادونه مستر «شيف» فى الأمسيات يجلس فى كوخ خشبى خلف الفندق يشرب البارجوريا(٤٥) ويثرثر عن الله. عندما حصلوا على أجرة الشهر الأول لفوا امتعتهم القليلة فى صحيفة وتسللوا إلى الباخرة «جنياتا» المتجهة إلى «دولوث».. دفعوا أغلب ما حصلوا عليه ثمنا للركوب لكنهم كانوا سعداء وقد وقفوا يرقبون تلال «ماجيناك» وهى تختفى عبر البحيرة وقد غطتها أشجار البلسم والصنوبر، وبدت «دولوث» عند الغروب مغلفة بعتمة المساء وقرص الشمس الكبير الغارب، وظهر السياج الخشبى الذى يفصلها عن الماء والتلال التى تناثرت عليها الألواح والمداخن الطويلة الرفيعة ومخازن الحنطة بروافعها يحيط بها دخان المصانع.

لم يكن «إيك» يرغب فى مغادرة الباخرة لأنه تعلق بفتاة جميلة سوداء الشعر حاول طوال الوقت أن يجذب انتباهها رغم أن ماك كان يقول له.

- اللعنة.. إنها لا تناسبك.. انها لن تلتفت إليك.

قال إيك وهم يهرعون إلى الثقالة (المعبر).

- سوف تسعد العجوز برؤيتنا على أية حال.. لقد توقعت أن أراها على المرفأ أنى لم أخبرها أننا قادمين.. أراهن يافتى أنها ستقدم لنا غذاء رائعا.

- أين تعيش؟

- سوف ترى.. إن المكان ليس بعيدا.. انتبه.. لا تسألنى أى سؤال عن الرجل العجوز إنه لا يهمنى كثيرا فهو فى السجن.. كان حظ أمى مواتيا إذ ولدتنا «صبياناً».. لى اثنين من الإخوة فى «بفالو» لكن لا اتصل بهم وأمى تعمل باشغال الإبرة وصنع الكعك والشطائر وأشياء من هذا القبيل لقد اعتادت أن تعمل فى مخبز لكنها تعانى من «اللمباجو» بشكل فظيع.. آه.. كان يمكن أن تصبح امرأة مدهشة لو لم تعش دائما فى فقر مدقع.

ارتقوا الطريق الموصل إلى التل وعلى القمة كان هناك بيت صغير انيق يشبه المدرسة عبروا إليه خلال البوابة وأمام المنزل كانت تفوح رائحة أزهار القرنفل المتفتحة وكانت الدنيا ظلام.

- هذا هو المكان الذى نعيش فيه.. لكن اللعنة.. لماذا لا يوجد ضوء.

قرع إيك الباب وصاح وهو يقرع مرة أخرى.

- أنا لا أعرف ماذا حدث.

أشعل عود ثقاب فظهرت لافتة على الباب مكتوب عليها «للبيع» وتحتها اسم

سمسار العقارات.

- يا يسوع.. هذا مضحك.. لقد رحلت.. عرفت الآن لماذا لم أتلق منها خطابا منذ شهرين.. أرجو ألا تكون مريضة.. سوف أسأل عنها فى منزل «بود والكر» المجاور.

جلس ماك على الدرج الخشبى ينتظر وفوق رأسه كانت السحب لا تزال تحتفظ بصبغة قانية من آثار الغروب رغم الظلام الهادئ المرصع بالنجوم.. احس بالجوع ورائحة القرنفل تلتصق بأنفه وتنبه على صفير إيك الخافت وهو يقول متجهما.

- هيا.

ثم أخذ يهبط التل بسرعة ورأسه غارق بين كتفيه.

- هاى ما الخبر؟

- لا شئ.. رحلت العجوز إلى «بفالو» لتعيش مع اخوتى.. أظن أن هؤلاء الكسالى الأقذار اجبروها على بيع المنزل ليستفيدوا بالنقود.

- يا للعذاب يا ايك!

لم يجب «إيك» وساروا حتى وصلوا إلى جانب من الشارع تصطف حوله المحلات المضاءة وعربات الترام ونغمات بيانو تنبعث من إحدى الصالات.

استدار إيك ولطم ماك على ظهره وهو يقول.

- دعنا نذهب لاحتساء شراب يا فتى فليس هناك ضرر.

على البار الطويل وقف رجل آخر بمفرده طويل عجوز غارق فى السكر يرتدى حذاء قاطعى الأخشاب وفوق رأسه قبعة عريضة يصيح بصوت خافت غير مسموع (حيوها بحماس أيها الأولاد) ثم يلوح بيده الطويلة الخشنة فى الهواء.

شرب كل من ماك وإيك كأسين من الويسكى المقوى جعل رؤوسهم تدور.. ووضع إيك باقى الدولار فى جيبه وصاح - يا للجحيم دعنا نخرج من هنا.

انعشهما هواء الشارع البارد..

- ماك دعنا نرحل من هنا الليلة.. إنه أمر مفزع أن تعود إلى المدينة التى عشت فيها. سوف اقابل كل الأشخاص المجانين الذين عرفتهم والفتيات اللاتى تعلقت بهن.. وسوف انتهى النهاية القذرة لذلك الأحمق.

فى أحد المطاعم القريبة من مخزن قطارات الشحن أكلوا الهامبورجر والبطاطس مع الخبز والزبدة والقهوة ودفع كل منهم خمسة عشرة سنتا واشتروا بعض السجائر وتبقى ٨,٧٥ دولارا.

قال ماك - مازلنا اغنياء إلى أين سنذهب؟

- انتظر دقيقة سوف أذهب للإستكشاف حول مخزن قطارات البضاعة لعلى أجد شخصا اعرفه يعمل هناك.

أخذ ماك يتسكع تحت أعمدة النور على أحد جانبى الشارع يدخن سيجارة وينتظر. كان الجو دافئا والريح ساكنة ومن احدى البرك فى فناء القاطرات يتصاعد نقيق الضفادع بيب.. بيب.. بيب ومن التل يأتى صوت «اكورديون» يعزف ومن الفناء لا تنقطع دربكة القاطرات وقرقعة اصطدام العربات وقعقعة العجلات وبعد لحظة أتى صفير إيك من الجانب المظلم للشارع فأسرع إليه.

- ماك يجب أن نسرع.. لقد وجدت الشخص.. سوف يدبر لنا مكانا فى عربة شحن فى القطار المتجه للغرب.. قال أنه سيوصلنا إلى الساحل لو اختبأنا فيه.

- وكيف نأكل بحق جهنم لو أن العربة أغلقت علينا.

- اترك أمر الأكل لى.. سنأكل على ما يرام.

- ولكن.. ايك؟

- ألا تستطيع أن تغلق فمك.. أتريد أن يعرف كل واحد فى المدينة ما ننوى أن نفعله؟

مضوا على أطراف أصابعهم فى الظلام بين صفين من قطارات الشحن حتى وجد إيك بابا نصف مفتوح دلف منه وتبعه ماك.. اغلقا الباب المنزلق بهدوء تام وهمس إيك وشفتاه تلتصقان بأذن ماك.

- كل ما يمكننا أن نفعله الآن أن ننام.. من حسن الحظ أنه لا يوجد أى مخبر فى الفناء فى الخدمة الليلية.

فى نهاية العربة وجدوا بعض القش المتناثر من بالة ممزقة وكانت العربة كلها تفوح برائحة القش.. همس إيك - إليس هذا رائعا..

وسرعان ما تحرك القطار.. رقدوا فوق القش وريح الليل الثلجية تزمجر خلال الشقوق.. ناموا نوما متقطعا والقطار يتحرك ويقف ويتحرك ويهتز للخلف والامام.. وصرير العجلات يصك آذانهم والقعقعة عند الوصلات.

وحوالى الفجر ناموا نوما عميقا.

لم يكن احدا منهم يمتلك ساعة وعندما استيقظوا لم يعرفوا الوقت.. فتح إيك الباب قليلا ليتمكنا من النظر خلاله.. كان القطار يجرى وسط واد مغمور بمياه الفيضان..

تتماوج فيه سنابل القمح الخضراء وبين الحينْ والحين تظهر مساحات من الغابات كالجزر المعزولة.

قال إيك - مرحى.. يبدوأن هذا هو النهر الأحمر ولكن لا أعرف أى طريق سنسلك.

رد ماك - للأسف لا استطيع أن أشرب قدحا من القهوة.

- سوف نشرب قهوة لذيذة فى سياتل.. اللعنة عليّ إن لم نفعل..

ناموا ثانية وعندما استيقظوا شعروا بالعطش وأجسامهم كادت تتجمد وتوقف القطار لم يكن هناك صوت مطلقا.. رقدوا على ظهورهم وراحوا ينصتون..

- اريد أن اعرف فى أى مكان نحن.

بعد فترة طويلة سمعوا صوت المزاليج وهى تفتُح وتقفل على أبواب العربات.. رقدوا ساكنين وقلوبهم تدق بعنف بينما أصوات أقدام تقترب وتقترب وفجأة فُتح الباب وغمر الضوء العربة. استمروا ساكنين إلى أن شعر ماك بضربات العصا فوق صدره فنهض وهو يرتعش.. ودوى صوت ذو لهجة اسكتلندية.

- اظن أن هنا بعض ركاب الدرجة الممتازة.. حسنا.. انهضوا وسلموا أنفسكم أو سوف تذهبون إلى مركز البوليس.

صاح إيك وهو يزحف إلى الامام - اوه.. اللعنة..

- لن تفيدك اللعنات والايمانات.. إذا كان معك جنيهان تستطيع أن تركب حتى «وينبج» وهناك تجرب حظك وإذا لم يكن معك سوف تتسول فى الطرقات قبل أن ترى «جاك روبنسون».

كان «عامل الفرملة» رجلا ضئيلا أسود الشعر.. سأله إيك محاولا أن يتحدث كإنجليزى - أين نحن أيها السيد؟.

- «جرتنا» أنت الآن فى منطقة النفوذ الكندى ويمكن أن تؤاخذ أيضا على المرور غير الشرعى خلال حدود صاحبة الجلالة بالاضافة إلى تهمة التشرد.

- حسنا.. من الأفضل أن ندفع المطلوب.. أنت ترى نحن اثنان من أولاد الناس المحترمين ذاهبان لقليل من اللهو.

- لن تفيدك المراوغات.. كم معك؟

- دولاران

- اخرجهما بسرعة.

جذب إيك من جيبه دولارا ثم جذب الآخر.. كانت مطوية معه ورقة بخمسة

دولارات.. سرعان ما أخذهم الرجل وأغلق الباب جلسوا ساكنين فترة طويلة قبل أن ينطق إيك.

- ماك يا للسخرية والغباء.. لم يحدث هذا فى أى رحلة من رحلاتى.. لقد تلقينا ضربة تحت الحزام.. لم يبق معنا غير خمسة وسبعين سنتا.. ليس أمامنا غير أن نقبع ساكنين فربما يكون قد ابرق لاخراجنا من هنا فى المدينة القديمة.

- ألا يضعون نقاط البوليس على الخط الحديدى أيضا.

- لا أعرف عن هذا أكثر مما تعرف.

تحرك القطار مرة أخرى واستدار إيك على جنبه واستعد للنوم متجها ورقد ماك على ظهره بجانبه وهو ينظر إلى أشعة الشمس التى تتسلل من خلال الشقوق وأخذ يتخيل كيف تبدو الحياة داخل السجون الكندية.

فى تلك الليلة بعد أن توقف القطار داخل احدى الساحات حيث تتعالى أصوات الصليل والرنين سمعوا صوت المزلاج ينزلق على الباب. استجمع إيك شجاعته بعد لحظة وفتح الباب ثم هبطوا على القضبان وهم يأنون من الجوع والتصلب.

كان هناك قطار آخر على الشريط التالى وكل ما استطاعوا رؤيته النجوم وهى تتلألأ فوق رؤوسهم.

خرجوا من ساحة القطارات دون عقبة واخذوا يسيرون فى الشوارع المقفرة فى المدينة الكبيرة الواسعة.

قال إيك - وينبج.. يالها من مدينة كئيبة موحشة.

لابد إنها الآن فى منتصف الليل.

اخذوا يسيرون ويسيرون حتى وجدوا أخيرا مطعماً يديره صينى كان على وشك أن يغلقه.. انفقوا اربعين سنتا فى قليل من الحساء والبطاطس والقهوة وتوسلوا إلى الصينى أن يتركهم ينامون على الأرض حتى الصباح لكنه طردهم إلى الخارج. ووجدوا أنفسهم مرهقين كالكلاب فى طرقات المدينة الواسعة الخالية فى جو من البرد القارص يمنعهم من الجلوس فى أى مكان ولم يجدوا أى مكان يمكن أن يحصلوا فيه على سرير مقابل خمسة وثلاثين سنتا وهكذا اخذوا يسيرون ويسيرون حتى بدأت السماء تتلون بلون الفجر فى يوم من أيام صيف الشمال.

عندما اشرق النهار ذهبوا إلى محل الصينى مرة أخرى وانفقوا الخمسة والثلاثين سنتا فى وجبة من الشوفان والقهوة ثم ذهبوا إلى مكتب التوظيف الكندى وقدموا طلبا

للعمل فى معسكر للتعمير فى «بانف» وقضوا الساعات المتبقية على رحيل القطار فى احدى المكتبات العامة. قرأ ماك جزء من «انظر للخلف» لبللامى وبحث إيك عن مجلد لكارل ماركس لم يجده وأخذ يقرأ قصة مسلسلة «عندما يستيقظ النائم» فى مجلة «ستراند ماجازين» وعندما مضوا إلى القطار كانت الثورة الاشتراكية القادمة تملأ ادمغتهم فانطلقوا يتحدثون عنها إلى رجلين هزيلين حمر الوجوه من عاملى الأخشاب كانا يجلسان فى مواجهتهم.. جلس أحدهم صامتا طول الوقت وهو يلوك الدخان لكن الآخر بصق «مضغته» من النافذة وصاح.

- من الأفضل أيها الشبان أن تغلقوا افواهكم عن هذا النوع من الحديث إن أردتم السلامة.

أجاب إيك - اللعنة.. هذا بلد حر.. أليس كذلك؟ من حق الإنسان أن يقول فيه ما يريد.. أليس هذا أبسط حقوقه.

- الصغار يثرثرون طالما أن الكبار لم يعلموهم كيف يغلقوا أفواههم

رد إيك - أنا لا أبحث عن شجار.

فقال الرجل الآخر - هذا أفضل لا تتكلم مرة أخرى.

عملوا طوال الصيف لدى C.P.C(٤٦) وفى أول أكتوبر وصلوا إلى «فانكوفر» بملابس وحقائب جديدة.. مع «إيك» تسعة وأربعين دولار وخمسين سنتا ومع «ماك» ثلاثة وثمانين وخمسة عشرة سنتا وضعها فى محفظة جلدية جديدة.. كان ماك قد إدخر أكثر لأنه لم يلعب البوكر.

استأجروا حجرة بدولار ونصف مناصفة بينهما ورقدوا على الفراش كالأمراء فى أول صباح يتذوقون فيه طعم الحرية وقد لوحت الشمس أجسامهم التى اشتد عودها وتسلخت أيديهم. كانت حجرة الفندق الصغيرة النظيفة بالمقارنة برائحة الغلايين العطنة والأقدام القذرة وبق الفراش الذى يملأ الأسرة فى نزل السكك الحديدية تعد كالقصر.

عندما استيقظ «ماك» تماما ونظر إلى الساعة كانت تشير إلى الحادية عشرة.. وضوء الشمس الذى يتسلل من النافذة يصطبغ بالحمرة من دخان حرائق الغابات التى تشتعل بالقرب من الشاطئ.

نهض واغتسل بالماء البارد وأخذ يتمشى فى الحجرة جئية وذهابا وهو يجفف وجهه وذراعيه بالمنشفة وشعر بالارتياح وهو يتحسس استدارة كتفيه وعضلات ذراعه.

- إيك قل لى ماذا نفعل.. اعتقد إننا يجب أن نذهب بالباخرة إلى سياتل أو

واشنطن مثل اثنين من الرجال الوجهاء.. أرغب فى الاستقرار أن أعمل فى مطبعة تدر الكثير من المال.. أنوى أن أدرس بجد هذا الشتاء..

إيك.. ماذا تظن.. أريد أن أرحل من هذا الجحر الإنجليزى وارجع إلى بلاد الله.. إيك ماذا تعتقد؟

زمجر إيك وهو يتقلب فى فراشه.

- بحق المسيح قل استيقظ أولا يا إيك.

ونهض من الفراش قائلا.

- نحن نريد أولا أن نلقى نظرة على المدينة.. اللعنة عليها.. أريد امرأة.

- علمت أن هناك نساء جميلات فى سياتل.

قفز إيك من الفراش وبدأ يرش جسمه بالماء البارد من رأسه حتى قدميه واندفع يرتدى ملابسه ثم وقف أمام النافذة يمشط شعره.

- متى ستسافر المركب.. يا للسخرية.. احتلمت مرتين الليلة الماضية.. وأنت

احتقن وجه ماك وهو يومأ برأسه.

- يجب أن تحصل على امرأة.. فالاحتلام يضعف الفتى.

- أنا لا أريد أن التقط مرضا.

- اللعنة إن الرجل لا يصبح رجل حتى يأخذ الثلاث جرعات.

- تعالى لنرى المدينة.

قفزوا عبر السلالم وخرجوا إلى الشارع ومضوا يتجولون فى «فانكوفر» يستنشقون الهواء المنعش على رصيف الميناء ويتسكعون تحت الأشجار الضخمة فى الحديقة..

ثم توجهوا إلى مكتب البواخر لحجز تذكرة ثم ذهبوا إلى محل للخردوات واشتروا اربطة مخططة وجوارب ملونة وقمصانا حريرية الواحد منها بأربعة دولارات واحسوا بأنهم كأصحاب الملايين وهم يخطون على المعبر إلى الباخرة المتجهة إلى فيكتوريا وسياتل بملابسهم الجديدة وحقائبهم اللامعة وقمصانهم الملونة.

أخذوا يسيرون على سطح الباخرة يدخنون السجائر وينظرون إلى الفتيات.. همس إيك فى أذن ماك وهو يضربه بكوعه على صدره عندما وقعت عيناه على فتاتين ترتديان القبعات وتتجولان فى الناحية الأخرى من المركب.

- انظر إلى هذا الثنائى الظريف اللطيف.. اراهن أنهم يبحثون عن رجل..
دعنا نحاول اصطيادهم.

تناولوا كأسين من البيرة فى البار وعادوا إلى ظهر الباخرة.. كانت الفتاتان قد غابتا عن البصر فاعتلاهم الوجوم وهم يسيرون.. لكن الفتاتان مازالتا هناك تنحنيان على الحاجز فى مؤخرة السفينة.

كانت ليلة مقمرة يغلفها الضباب والبحر والجزر السوداء تتلألأ بالوميض الأخضر الداكن الذى تلمع فيه النقاط الفضية وكل من الفتاتين كان لها شعر مجعد وهالات سوداء تحت العيون دفعت ماك إلى الظن بأنهما عجوزتان.. لكن إياك كان قد قطع الشوط إلى مداه فتوقف ولم يعبر عن فكرته وأخذ يتحدث إلى إحداهما وتدعى جلاديز رغم أنه أحب نظرات الأخرى التى تدعى «اوليف» لكن إيك كان قد سبقه فى الحديث إليها.

أخذوا يتسامرون على سطح السفينة حتى قالت الفتاتان إن الجو بارد فمضوا إلى الصالة وجلسوا على الأريكة وخرج إيك وأحضر علبة من الحلوى.

قالت أوليف - لقد أكلنا بصل على الغذاء اليوم.. أرجو ألا يهتم الأصدقاء..

جلاديز لقد اخبرتك اننا لا يجب أن نأكل هذا البصل قبل حضورنا إلى المركب.

قال إيك - أعطنى قبلة وسوف اعرف إن كنت اهتم بهذا أم لا.

ردت اوليف وقد تغضن وجهها - أيها الشاب لا يمكن أن تحدثنى بهذه الطريقة فى مركب.

أوضحت جلاديز - يجب أن نكون حريصين فهم ينظرون هذه الأيام بعين الشك لفتاتين تسافران وحيدتين.. أليست هذه جريمة؟

أجاب إيك وهو يتحرك من مقعده مقتربا.

- هى كذلك بكل تأكيد.

قالت اوليف وهى تنهض وتجلس على المقعد المقابل..

- كف عن هذا.. أنا جادة.

لكن إيك نهض ليجلس بجانبهما.

أخذت جلاديز تهمس إلى ماك - فى الأيام الخوالى كانت هناك حرية أكثر على ظهر هذه المراكب لم تعد قائمة الآن. هل كنت تعمل يا صديقى فى مصنع التعليب؟

- لا.. لقد كنا نعمل طول الصيف فى C. R. P.

- ردت وهى ترمق صديقتها بنظرة جانبية - لاشك أنك ادخرت مبلغا كبيرا.

- نعم.. ليس كبيرا جدا.. لقد ادخرت مائة تقريبا.
- وأنت ذاهب الآن إلى سياتل.
- نعم.. أريد أن أعمل على «اللينوتيب».
- سياتل.. أنها البلد الذى نعيش فيه. لدينا شقة هناك أنا واوليف..
الجو حار جدا.. دعنا نخرج إلى السطح.
انحنت جلاديز وهما يمران باوليف وإيك وهمست ببضع كلمات فى أذن اوليف ثم استدارت إلى ماك وهى تبتسم.
كان سطح المركب خاليا فتركته يحوطها بذراعه وراحت اصابعه تغوص فى اللحم وتعتصر حمالات «المشد».. أنت بصوت خفيض.
- أوه لا تكن خشنا يا صاحبى.
فضحك وسحب يده وأخذ يمر بها على ثنايا ثديها. ثم أخذا يسيران وساقه تلاصق ساقها.. لقد كانت المرة الأولى التى يقترب فيها من فتاة إلى هذا الحد.
بعد لحظة قالت أنها يجب أن تذهب إلى الفراش.
- هل يمكن أن انزل معك.
هزت رأسها - ليس هنا.. سأراك غدا.. ربما تأت أنت وصديقك لشقتنا وسوف نريكم المدينة.
اجاب ماك - بالتأكيد.
ثم أخذ يسير وحيدا على السطح وقلبه يدق بعنف كما تدق آلات السفينة وهى تندفع إلى الامام فتحيل المياه من حولها إلى زبد صاخب يتطاير كالسهام حتى التقى بإيك.
- فتاتى.. نزلت إلى مخدعها.
- وكذلك فتاتى.. ماك أين تقيمان؟
- لديهم شقة فى سياتل.
- أخذت قبلة من فتاتى.. يالله.. كانت ساخنة جدا.. لقد الهبتنى.
- سوف نتقابل معهم غدا على أى حال.
كان اليوم التالى مشمسا وشاطئ سياتل يتلألأ تحت أشعة الشمس ورائحة مستودعات الأخشاب وضجيج العربات وصياح السائقين يتصاعد وهم يهبطون من الباخرة.

مضوا إلى جمعية الشبان المسيحيين ليستأجروا حجرة.. لقد كانوا على وشك أن يودعوا حياة الكدح والتشرد وأن يحصلوا على عمل نظيف ويشعرون بالاحترام ويذهبون إلى المدرسة الليلية.

وطوال اليوم ظلوا يتجولون فى المدينة حتى التقوا باوليف وجلاديز فى المساء أمام العمود التذكارى فى ميدان بيونير ثم مضت الأمور بعد ذلك فى ايقاع سريع.. مضوا إلى مطعم وتناولوا غذاءا وافرا وشربوا النبيذ وبعد ذلك توجهوا إلى «مشرب» حيث كانت تعزف فرقة موسيقية وتجرعوا الويسكى.. وعندما ذهبوا إلى غرفة الفتيات اصطحبوا معهم زجاجة ويسكى وأخذ ماك يهرول وهو يصعد ويصدر الضجيج.. قالت الفتاتان.

- بحق المسيح لا تحدث مثل هذه الضجية وإلا سنجد البوليس فوقنا.

كانت الغرفة تفوح برائحة المسك ومساحيق الوجه وملابس الفتيات الداخلية تتناثر على المقاعد. فى البداية أخذت الفتاتان من كل منهما خمسة عشر دولارا ودخل ماك الحمام مع فتاته فلطخت أنفه بأحمر الشفاه وأخذوا يضحكون ويضحكون وعندما حاول أن يضمها إليه لطمته على وجهه.. وجلسوا جميعا إلى المائدة وشربوا المزيد من الخمر ورقص «إيك» رقصة «سالومى» على اقدامه العارية.. وأخذ ماك يضحك وهو يفيض سعادة وقد تربع على الأرض وعندما حاول النهوض انكفئ على وجهه ولم يشعر بنفسه إلا وجلاديز تصب عليه اللعنات وتساعده فى ارتداء ملابسه.

وقالوا له إنه سكران طينة وطردوه خارجا فمضى يسير فى الشارع ويغنى.. وتوقف يستفسر من شرطى عن جمعية الشبان لكن الشرطى أخذه إلى زنزانة المخفر واغلق عليه الباب.

عندما استيقظ كانت رأسه تكاد تنفجر وبقايا القئ تملأ القميص والسروال قد تمزق وأخذ يفتش فى جيوبه لكنه لم يجد «المحفظة» وعندما فتح الشرطى باب الزنزانة وسمح له بأن يمضى بعيدا خرج إلى الشارع وهو يشعر بالشمس الساطعة تلهب عينيه وأخذ الرجل الجالس فى مكتب الاستقبال فى مبنى الشبان ينظر إليه بدهشة لكنه مضى إلى غرفته ورقد فى الفراش دون أن يتكلم معه أحد.

لم يكن إيك قد عاد فنام وهو يشعر بالصداع طوال نومه وعندما استيقظ كان إيك جالسا فى الفراش محتقن العينين متورد الخدود ويعانى قليلا من الخمر..

- ماك هل نشلوك؟ أنا لم أجد المحفظة.. حاولت أن أعود لكن لم أعثر على المكان.. يا إلهى أود أن اسحق أولئك المومسات الملعونات.. أنا لازلت مخمورا.. قال

موظف الاستقبال أننا يجب أن نرحل فورا.. ألا يمكننا أن نسكر فى هذا المكان.

- لكنا دفعنا أجرة الاسبوع.

- سوف يعيد إلينا بعضها.. أوه يا للجحيم.. نحن مفلسين لكن على ما يرام.. لقد قضيت وقتا عاصفا مع الفتاة بعد أن القوك خارجا.

- أشعر أنى مريض كالكلب.

- وأنا اخشى النوم خوفا من مضاعفات الخمر.. تعال إلى الخارج سوف يريحك هذا.

كانت الساعة الثالثة بعد الظهر عندما مضوا إلى مطعم صينى صغير على الميناء وشربوا القهوة ورهنوا الحقائب مقابل دولارين ورفض صاحب محل الرهونات أن يأخذ القمصان الحريرية بسبب قذراتها وفى الخارج كان المطر ينهمر بغزارة.

- إيك.. لماذا بحق الجحيم لم نملك أنفسنا ونظل يقظين.. نحن إثنان من المغفلين.

- لقد امضيت سهرة ممتعة وكنت تبدو رائعا وأحمر الشفاة يلطخ وجهك.

- أنا أغلى كالجحيم.. أريد أن أدرس وأعمل من أجل تلك الأشياء .. أتفهم قصدى؟.

لا أريد أن أصبح «قوادا» ملعونا لكن أريد أن أعمل من أجل الثورة والاشتراكية وهذه الأشياء.. لا اعيش من أجل الصخب والعربدة ثم الكدح مثل هؤلاء الحمقى الذين يتناثرون على السكك الحديدية.

- فى المرة القادمة يجب أن نكون أكثر تعقلا ونترك المال فى مكان آمن.. لقد بدأت أنهك تماما.

- لا استطيع الخروج حتى لو اشتعلت النار فى هذا المكان الملعون.

جلسوا فى المطعم الصينى بقدر ما استطاعوا وخرجوا تحت المطر يبحثون عن فندق حقير يجدون فيه سريرا مقابل ثلاثين سنتا يقضون فيه ليلتهم حيث يأكلهم بق الفراش. وفى الصباح مضوا يبحثون عن عمل.. ماك فى مطبعة وإيك فى التوكيلات الملاحية لكنهم عادوا فى المساء دون أن يجدوا شيئا وقضوا ليلتهم فى الحديقة.

وفى النهاية تمكنوا من تسجيل أنفسهم للعمل فى معسكر لقطع الأخشاب أعلى نهر «سناك».. ارسلتهم الوكالة فى عربة مشحونة بالسويدين والفنلنديين.

وكان ماك وإيك الوحيدين اللذين يتكلمان الانجليزية وعندما وصلوا إلى هناك وجدوا رئيس العمال فظا والعمل سيئا ومنزل الاقامة يفوح منه العفن.. وبعد يومين وجدوا أنفسهم على قارعة الطريق.

كان الجو صقيعا فى الجبال الزرقاء وهدهم الجوع حتى راحوا يستجدون الطعام من المنازل ومعسكرات قطع الأخشاب التى تقابلهم فى الطريق حتى عثروا على الخط الحديدى لمدينة «بيكر» فاعتلوا ظهر أحد قطارات الشحن فى طريق عودتهم إلى «بورتلاند».

وفى بورت لاند لم يجدوا عملا بسبب ملابسهم الرثة القذرة وهكذا مضوا على الأقدام فى اتجاه الجنوب بامتداد وادى «اوريجون» الكبير الشاسع الذى يزدحم بمزارع الماشية. كانوا ينامون فى الأجران ويحصلون على بعض الوجبات لقاء قطع الأخشاب أو القيام ببعض الأعمال حول المنازل. وفى «ساليم» وجد إيك نفسه مصابا بالسيلان وانتاب ماك الأرق خشية أن يصاب بالمرض أيضا.

وذهبوا إلى الطبيب فى ساليم.. رجل مستدير الوجه يضحك ببشاشة عندما اخبروه أنهم لا يملكون مالا قال أنهم يمكن أن يؤدوا بعض الأعمال ثمنا للكشف لكنه عندما علم أن الشكوى من «مرض تناسلى» طردهم خارجا وهو يلقنهم درسا ساخنا عن ثمن الخطيئة.. وهكذا مضوا على الطريق منهكين جائعين اقدامهم تدمى دون أن ينطق احدهم بكلمة وكان إيك مشتعلا بالحمى.. حتى إذا وصلوا إلى احدى محطات شحن الفاكهة ووجدوا خزانا للمياه على الطريق الرئيسى للباسفيك الجنوبى قال إيك أنه لا يستطيع أن يمضى أبعد من ذلك وأن عليهم انتظار قطار للبضاعة - يا يسوع.. إن السجن أرحم من هذا..

أجاب ماك - عندما لا يصادفك الحظ فى هذا البلد فأنت بالتأكيد منحوس ولسبب ما وجدوا أنفسهم ينفجرون بالضحك.

وخلف المحطة بين الأحراش التقوا بعجوز يغلى القهوة فى صفيحة من القصدير اعطاهم منها مع خبز وقليل من لحم الخنزير واخذوا يتحدثون عن متاعبهم..

أجاب العجوز إن العلاج هو مغلى نوى الكرز.

- لكن من أين بحق الجحيم يمكن الحصول على نوى الكرز.

رد العجوز - لا تحزن.. إنه على أى حال ليس اسوأ من نزلة برد.

كان رجلا عجوزا مرحا ملطخا بالقذارة يدا وجهه مثل قناع من الجلد البنى.

راح ماك فى النوم بينما جلس إيك والعجوز يتسامران وايقظه صوت إيك يصيح فى وجهه.. كانوا جميعا يسرعون إلى قطار البضائع الذى بدأ يتحرك وفى الظلام اخطأ ماك خطواته فانكفأ على القضبان والتوت ركبته.

عندما استطاع النهوض كان كل ما استطاع رؤيته ضوء مصباحى مؤخرة القطار وهو يختفى فى ضباب نوفمبر وكانت هذه هى آخر مرة يشاهد فيها «إيك هاك».

عاد بمفرده إلى الطريق وهو يعرج حتى أتى إلى منزل مربى للماشية.. نبح كلب عليه ونهش كعبه لكنه كان منهكا جدا فلم يهتم بشئ وأخيرا جاءت إمرأة بدنية اعطته بعض قطع البسكويت الباردة وعصير تفاح وسمحت له بالنوم فى الحظيرة بعد أن أعطاها ما معه من ثقاب فخرج يعرج إلى الحظيرة وارتمى على كومة قش وراح فى النوم.

فى الصباح أتى إلى الحظيرة مربى الماشية.. رجل طويل أحمر الوجه يدعى توماس.. اعطاه عملا بضعة أيام لقاء طعامه واقامته. كانوا ظرفاء معه ولديهم ابنة جميلة تدعى «مونا» وقع فى حبها.. فتاة ممتلئة متوردة الوجه قوية كفلام وتخاف من كل شئ..

كانا يتلاكمان ويتصارعات معا وعندما استعاد قوته كان لا ينام الليل دون أن يحلم بها وهو يرقد على فراشه بين الحشائش ويستعيد لمسة يدها العارية التى داعبت يده وهى تناوله خرطوم الرشاش الذى يروى به شجر الفاكهة أو بينما كانت تساعده فى جمع الأغصان الجافة لحرقها. كان يحلم باستدارة نهديها ولهاثها الذى يتصاعد كلما كان يمرحان ويلهوان معا عقب العشاء. لكن آل توماس كانت لديهم افكارا أخرى بشأن مستقبل ابنتهم وقالوا لماك أنهم لم يعودوا بحاجة إليه أكثر من هذا.. ودعوه برقة وبكثير من النصائح الطيبة وبعض الملابس القديمة ولفوا له غذاء باردا فى صحيفة لكنهم لم يعطوه نقودا. واسرعت «مونا» ورائه وهو يسير على الطريق الترابى وقبلته أمام والديها وهى تقول.

- احبك.. سوف تحصل على نقود كثيرة وتعود لتتزوجنى..

رد ماك - سأفعل..

ومضى والدموع تترقرق فى عينيه وهو ينبض بالسعادة وكان أكثر ما يسعده أنه لم يلتقط «السيلان» من تلك الفتاة فى «سياتل».

جريدة سينمائية (٦)

بارس اهتزت أخيرا.

عرض تمثال «هاريمان» الحديدى.

اكتشاف «مزيف» خطير.

«تيدى» يستخدم العصا الغليظة[٤٧].

الركاب الوقوف يطالبون بالراحة.

كنا مبحرين فى بحيرة القمر المضئ.

كانت الأصوات تقرع..

كأنها تقول.. لقد سرقت قلبى..

والآن لا ترحل بعيداً..

لقد غنينا..

أغنية..

حب..

قديمة..

حلوة..

فى بحيرة القمر المضئ.

مجرمون يُعْدمون (بدون محاكمة) بعد صلاة.

عندما سال المعدن المصهور خارج الفرن رأيث الرجال يسرعون إلى مكان آمن وعلى يمين الفرن رأيت مجموعة من عشرة رجال تجرى بجنون وقد تحولت ملابسهم إلى كتلة من اللهب ومن الواضح أنهم اصيبوا أثناء الانفجار.. والمساكين الذين تعثروا وسقطوا إنصب عليهم الحديد المصهور فى غمضة عين.

الفضل للاحتكار فإنه نعمة على الجميع.

(خصوم المؤسسات الصناعية يعملون من أجل السلام فى مكتب مسز «بوتر بالمر»).

أغنية..

حب..

قديمة..

حلوة..

فى بحيرة القمر المضئ..

عين الكاميرا (٧)

عندما كنا نتزلق على الجدول الذى يلى مصانع شركة الفضة حيث تفوح رائحة غريبة عجيبة من صابون زيت الحوت القذر قال أحدنا أن الصابون يستعمل فى تنظيف السكاكين والملاعق والشوك الفضية ليجعلها أكثر لمعانا وصالحة للبيع.

كان هناك لمعانا على الجليد الداكن الذى يلمع مثل سن المنشار وقد تناثرت ندفا بيضاء عندما وطأة أول المتزحلقين. لم استطع معرفة الانزلاق وأخذت اسقط باستمرار وقالوا

جميعا انظر إلى هؤلاء الشتامين.. الصبية البولنديين والهنغار الذين يصنعون احجارا من كرات الثلج ويكتبون الكلمات القذرة على الجدران ويمارسون الأفعال القذرة فى الطرقات حيث يعمل أهلهم فى المصانع.. نحن ننظف الصبية الأمريكيين الصغار الجوالة ونمدهم بالأدوات (ذابحو الغزلان لعبوا الهوكى) الصيبة «الكشافة» رسموا «ثمانية»(٤٨). على الجليد.. أخيل.. آجاكس.. اجاممنون.

لم استطع معرفة الإنزلاق وأخذت اسقط باستمرار.

ساحر النباتات

ولد «لوثر بوربانك» فى منزل ريفى فى مقاطعة لانكستر..

تجول حول الغابات ذات شتاء..

وطأ سطح الجليد اللامع..

ودلف إلى واد صغير ينبثق منه دفء الربيع..

وجد الحشائش الخضراء ترعى والاعشاب تنتشر والكرنب النتن يحتل المكان..

ذهب إلى منزله.. جلس بجانب المدفأة وقرأ داروين..

الصراع من أجل البقاء.. أصل الأنواع.. الانتقاء الطبيعى..

أشياء لا تشبه تلك التى يقرلونها فى الكنائس..

لهذا طرح لوثر بوربانك الإيمان جانبا ورحل إلى «لنبورج».

وجد حبة من البطاطس..

أنبتها مستفيدا من الإنتقاء الطبيعي الذى قال به..

مستر داروين وسبنسر وهكسلى..

وخرج ببطاطس بوربانك..

أيها الشباب أذهبوا إلى الغرب..

ذهب لوثر بوربانك إلى «سانتا روزا».

الحلم يملأ خياله.. عشب يزهر.. يطرح الثمار فى الشتاء..

كان لوثر بوربانك يريد أن يستثمر الانتقاء الطبيعي..

حمل معه رؤيا المستقبل..

نباتات خضراء.. ثمار بلا بذور.. خوخ بلا نواة..

ازهار بلا شوك.. صبار بلا عليق..

فصول الشتاء القارص تلف المنزل الريفى المنعزل..
فى ماسشوستس الموحشة..
فإلى «سانتاروزا» المشمسة..
وكان هو.. الرجل العجوز المتفائل..
بالورود التى تتفتح طول العام.. دائما تتفتح..
دائما تطرح.. هجائن.
كانت أمريكا هجينا.
وعليها أن تستفيد من الانتقاء الطبيعى..
كان ملحدا يؤمن بداروين والانتقاء الطبيعى..
والقوة الهائلة الكامنة فى الجماد..
ومزرعة الفاكهة الطيبة الصالحة للتعليب..
كان واحدا من الرجال العظام القدماء..
إلى أن تناهى إلى سمع الكنائس والمجامع أنه ملحد..
يؤمن بداروين..
لم يكن لوثر بوربانك يفكر ابدا فى الشر..
كان يختار ويحسن الهجائن من أجل أمريكا..
فى تلك السنين المشرقة فى سانتاروزا..
لكنه وجد نفسه فى عش الزنانير..
وعندما لم يتخل عن داروين والانتقاء الطبيعى..
لسعوه حتى مات مشدوها..
ودفنوه تحت شجرة أرز..
صورته المفضلة كانت لطفل صغير..
يقف بجانب مهد من الهجائن..
دائما تزهر..
ازهار المرجريتا فى «شاستا».
لم يكن يفكر ابدا فى الشر..
وجبل «شاستا» فى الخلفية..
كان فى الأصل بركانا..
لكنه لم يعد يثور ابدا..

جريدة سينمائية (٧)

يقول إن ذلك هو القرن الذى يجب أن تحكم فيه البلايين والعقول.

مواليد مينا بوليس الرضع يحضرون إلى هنا فى حاضنة.

تشنى.. تشنى(٤٩).

نط ع البونى(٥٠).

يقول أن جيم هيل احرز إدارة تروست البترول بـ ٩٣٩ صوتا.

قطار يتحول إلى حطام.

مقتل النساء والأطفال / يصرح بأنه رأى أثار السياط وحتى تشوهات لكن لا نصل إلى مستوى الانتهاكات الخطيرة..

الحقيقة عن دولة الكونغو الحرة(٥١).

اكتشاف خطأ فادح فى مدرعة سانتوس دامو يتحدث عن تسابق الطيور على الفريسة الزوجات الهدف الأول لمواطنى الكونغو خطاب غير عادى يأمر اسطول الولايات المتحدة بالابتعاد..

البيض فى الكونغو يفقدون أى حس اخلاقى.

امرأة تؤخذ أسيرة لدى بعض القناصين.

مظاهر واضحة للقتال المحتوم..

العمال يعرقلون السياسات..

نهاية شالوم فى نيويورك بطولة أم لا تجدى.

هنا غرفة لاثنين ياحبيبي

لكن بعد الحفل..

اثنين يا حبيبى مثل واحد..

سيركبون مؤخرة البوني..

من تشنى العتيقة..

عين الكاميرا (٨)

جلست على الفراش تخلع حذائك.. صاح تيلور من خلال الباب هاى فرنشى يجب عليك أن تصارع الصبى ألا تريد قتاله؟ إنزل واضربه. قال فريدى وهو يدخل وجهه خلال شق الباب ويصدر صفيرا طويلا.. أنزل وصارعه كل زملائك هناك فإن لم تفعل صرت

«بنوته».. ذهبت بالبيجاما فدفعوا الصبى ضرب الصبى فرنشي وضرب فرنشى الصبى.. صار فمك داميا وهم جميعا يصيحون - عليه ياولد ما عدا جمر صاح الكمه فى فمه ياجاك.

ألقى فرنشى بالصبى على الفراش فجذبه الجميع واخذوه إلى الباب.. كان يتملص يمينا وشمالا ولا يستطيع أن يرى من الذى يضرب. امسك تيلور وفريدى بذراعيه وقالوا للصبى أن يأتى ويضرب لكن الصبى لم يفعل.. كان يبكى..

ومذاق الدم يملأ الفم.. دق الجرس إيذانا بالإيواء إلى الفراش فجرى الجميع إلى حجراتهم.. ذهبت إلى الفراش ورأسك يدق.. كنت تبكى عندما أتى جمر على أطراف أصابعه وقال جاك لقد اعطيته عقلة.. كان عارا كبيرا أن يضربك فريدى وقتئذ.. أتى هوبى على أطراف أصابعه ليعيد جمر إلى الغرفة وتمكن أن يأخذه معه.

ماك

مضى شاقا طريقه إلى «ساكرمنتو» حيث وجد عملا لتعبئة الأقفاص فى مخزن للفواكه المجففة.. استطاع فى العام الأول أن يدخر مبلغا كافيا لشراء بذلة رمادية واستقل الباخرة إلى سان فرنسيسكو فوصلها حوالى الثامنة مساء ومضى وحقيبته فى يده إلى «ماركت ستريت». كانت الشوارع تزدحم بالأضواء والشبان والفتيات الفاتنات يسرن مسرعات فى أزيائهن المبهرجة والريح العاتية ترفع الفساتين والأوشحة وتصفع الوجوه وتثير التراب والأوراق زوابعا صغيرة فى الفضاء.. والناس خليط من الصينين والايطاليين والبرتغاليين واليابانيين وهم يسرعون إلى المطاعم والملاهى.. والموسيقى تتصاعد من خلال أبواب «البارات». ورائحة الطعام المحمر والمشوى تأتى من المطاعم مختلطة برائحة البيرة والنبيذ. كان ماك يود أن يعرج إلى احدى الصالات لكن كل ما معه لا يتجاوز أربعة دولارات.. لهذا ذهب واستأجر غرفة فى جمعية الشبان المسيحيين وتناول بعض الشطائر والقهوة فى كافتريا منعزلة.. وعاد إلى حجرته العارية التى تشبه حجرات المستشفى. فتح النافذة فاندفع تيار من الهواء البارد فى الغرفة التى تفوح منها رائحة الفورمالدهيد..إنتابه احساس طاغ بالسعادة وشعر بالدم يتدفق فى أنحاء جسمه وود لو أن هناك شخصا ما يتحدث إليه أو أن يذهب ليرقص ويحتسى الشراب مع رفيق يعرفه أو أن يصطحب فتاة إلى مكان ما.. وأخذ يستعيد فى ذهنه رائحة أحمر الشفاه ومساحيق الوجه المعطرة لفتيات سياتل.. وأخيرا جلس على حافة الفراش يؤرجح ساقيه ثم اعتزم الخروج

وقبل أن يخرج وضع نقوده فى حقيبته وأغلقها ومضى يسير وحيدا كالشبح فى الطرقات حتى انهكه التعب فعاد مسرعا لا يلتفت يمينا أو شمالا وهو يتجاهل الفتيات المطليات بالأصباغ اللائى يتناثرن فى زوايا الشوارع وعمال الدعاية الذين حاولوا أن يدفعوا بأوراق الإعلانات إلى يده والسكارى الذين حاولوا أن يثيروا الشجار معه والمتسولين الذين يستجدون فى الطرقات.. ومضى إلى حجرته ليرقد متعبا يعانى البرد والمرارة.

فى اليوم التالى وجد عملا فى مطبعة صغيرة يملكها ويديرها إيطالى اصلع ذو شوارب كثه ورباط عنق أسود متهدل يدعى «بونيلو».

حدثه «بونيلو» بأنه كان من أنصار «غاريبا لدى»[٥٢] أصحاب القمصان الحمراء وأنه الآن فوضويا ومثله الأعلى هو «فيرر» fever وحاول معه عسى أن يستميله إلى مبادئه.

طوال الشتاء عمل ماك فى مطبعة «بونيلو» يأكل المكرونة ويشرب النبيذ الأحمر ويتحدث عن الثورة ومع أصدقائه فى الأمسيات ويذهب إلى الندوات الاشتراكية التى تقام فى الهواء الطلق أو إلى اجتماعات الليبراليين فى أيام الآحاد..

وفى ليالى السبت يذهب إلى أحد المواخير مع زميل يدعى «ميلر» التقى به فى مبنى الشبان وكان ميلر يعد نفسه ليصبح طبيب أسنان. وعقد صداقته مع فتاة تدعى ميزى سبنسر تعمل فى مركز «الاليفين»[٥٣]. الذى يقع فى قلب المركز التجارى واعتادت كل أحد أن تستحثه للذهاب معها إلى الكنيسة. كانت فتاة هادئة ذات عينين واستعين زرقاوتين.. حاول هو بدوره أن يحدثها عن الثورة فرمقته بنظرة غير مصدقة وإبتسمت ابتسامة كشفت عن أسنانها اللؤلؤية الصغيرة المنتظمة وبعد قليل كفت عن إلحاحها بالحديث عن الكنيسة واكتف باصطحابه إلى الحفلات الموسيقية التى تقام فى برسيديو Presidio أو الذهاب لمشاهدة النصب التذكارى فى ساتروبارك وهى تختار بعناية إرتداء الثياب الأنيقة.

فى ذلك الصباح الذى وقع فيه الزلزال[٥٤] كان أول شئ خطر لمالك عندما استطاع أن يسيطر على رعبه الهائل هو التفكير فى «ميزى». كان البيت الذى تقيم فيه مع أهلها فى شارع «ماريبوزا» مازال قائما عندما ذهب إلى هناك لكن الجميع كانوا قد غادروه وظل يبحث ثلاثة أيام وهو يعمل فى فرقة الإطفاء بين الدخان وحطام الأخشاب المحترقة حتى وجدها فى اليوم الثالث عند مدخل حديقة «جولدن جيت» فى احدى محطات التموين. كان آل سبنسر يعيشون فى خيمة بالقرب من المشاتل الزجاجية المحطمة. لم تتعرف عليه

ميزى أول الأمر وكان شعره وحواجبه قد تقصفا بفعل اللهب وملابسه قد تمزقت والسخام يلوثه من رأسه حتى قدميه. لم يكن قد قبلها من قبل لكنه هذه المرة أخذها بين ذراعيه وقبلها أمام الجميع وعندما اطلقها كان وجهها قد تلوث بأكمله من السخام وضحك الواقفون وصفقوا.. لكن المرأة العجوز التى كانت تقف خلفهم وتعكص شعرها بتسريحة «البومبادور» وترتدى ثيابا حريرية موشاة صاحت بغيظ.

- يجب عليك أولا أن تذهب لتغسل وجهك.

بعد ذلك اعتبرا أنفسهما مخطوبين لكنهما لم يستطيعا إتمام الزواج لأن مطبعة بونيللو كانت قد دمرت مع بقية مساكن الحى وصار ماك عاطلا.. لكن ميزى اعتادت أن تتركه يحتضنها ويقبلها فى الطرقات الخالية المظلمة وهو يعود بها آخر الليل إلى المنزل.. ولم يستطع أن يذهب أبعد من ذلك.

وفى الخريف استطاع أن يجد عملا ليليا فى صحيفة «البوليتان» ولم يعد يراها إلا فى عطلات الأحد لكنهما بدءا يخططان للزواج عقب أعياد الميلاد.. عندما كان يبتعد عنها كان صمة شئ ما بها لا يروقه لكنه عندما يلتقى بها لم يكن يشعر بهذا الشعور مطلقا. حاول أن يحثها على قراءة الكتب التى تتحدث عن الاشتراكية لكنها ضحكت ونظرت إليه بعينيها النفاذتين الواسعتين الزرقاوتين وقالت أن هذا شئ عويص بالنسبة لها وكانت تحب أن تذهب إلى المسارح وتأكل فى المطاعم التى يرتادها ذوى الياقات المنشاة والتى يعمل بها خدم يرتدون الثياب البيضاء.

فى تلك الفترة ذهب ذات ليلة ليسمع «اوبتون سنكلير Upton Sinclair وهو يتحدث عن مزارع الماشية فى شيكاغو.. جلس بجانبه شاب يرتدى البنطلون الضيق Dungarees وله عينين رماديتين وأنف كالصقر وعلى وجنتيه غضون عميقة ويتحدث بصوت خفيض يدعى «فريد هوف». خرجا معا بعد المحاضرة وشربا كأسين من البيرة وأخذا يتحادثان.. كان فريد هوف ينتمى إلى تنظيم ثورى جديد يسمى عمال العالم الصناعيين I.W.W[٥٥]. وأخذ يقرأ لماك البرنامج وهما يحتسيان القدح الثانى من البيرة.

وكان فريد هوف حديث العهد بالمدينة يعمل كمساعد وقاد على شاحنة.. متبرما بحياة الكدح والتشرد التى قضاها فى البحر.. يحتفظ بمرتبه فى جيبه مصرا على عدم تبديده فى النفقات التى يعدها من قبيل التبذير.. قال ماك لنفسه إنه من ذلك النمط الذى يحيا حياة مقترة تتفق مع ما تردده الصحف من أكاذيب عن الطبقة العاملة.

– يالله يارجل.. أت من ذلك النوع (الكادر) الذى نحتاجه فنحن على وشك طبع جريدة فى جولد فيلد – نيفادا.

لم تنقض الليلة حتى كان ماك قد ذهب إلى الفرع المحلى للمنظمة وكتب استمارة العضوية وعاد إلى البيت ورأسه يدور (ها أنا على وشك أن أبيع نفسى لأولاد الحرام).

فى الأحد التالى كان مقدرا له ولميزى أن يستقلا قطار النزهة إلى قمة جبل «تامالبيز» ايقظه المنبه من نومه العميق وأجبره على مغادرة الفراش.. كان عليه أن يبدأ الرحلة مبكرا لأنه كان يجب أن يعود لعمله فى المساء.

مضى إلى المحطة النهرية حيث تواعدا على اللقاء فى التاسعة.. كانت دقات آلات الطباعة ما تزال ترن فى رأسه.. وما تزال تملأ أنفه الرائحة النفاذة للحبر والورق وفوق ذلك رائحة القاعة التى كان يعمل بها مع اثنين من زملائه ورائحة الغرف العفنة وجرادل الماء القذر ورائحة الإبطين ومنضدة الزينة عند تلك الفتاة ذات الشعر المجعد.. ورائحة الفراش اللزج ومذاق البيرة المغشوشة والصوت الميكانيكى المسجوع وهو يردد – طابت ليلتك يا حبيبى... تعال سريعا.

قال لنفسه – يالله.. أننى لخنزير.

كان صباحا مشرقا والألوان فى الشارع تتألق كقطع البللور.. لقد ضاق بحياة «العاهرات» آه لو أصبحت ميزى رفيقته الوحيدة.. لو أنها آمنت بالثورة لأصبحت الصديقة التى يستطيع أن يتحدث إليها.. كيف يمكنه الآن أن يخبرها بأنه سيترك عمله؟

كانت تنتظره فى المرفأ وهى تبدو مثل فتاة الجبسون(٥٦) Gibson بردائها الأزرق الأنيق وقبعتها العريضة. لم يجدا الوقت للحديث فقد أسرعا إلى القارب. ورفعت رأسها مرة واحدة لتأخذ قبلة باردة بينما كان يداها المكسوتان تستريحان بهدوء فوق كتفه.

فى «سوساليتو» استقلا الترولل وتبدل الحال.. أخذت تبتسم وهما يسرعان ليجلسا فى المكان المفضل فى عربة النزهة واحسا بأنفسهما وحيدين وسط الاتساع اللانهائى للجبال المشوية باللون الأصفر والسماء الزرقاء والبحر.. لم يشعرا بهذا القدر من السعادة من قبل.. جرت أمامه تسابقه فى الصعود إلى القمة وعند المرصد توقفا يلهثان معا بجانب الحائط بمنأى عن الناس.. تركته يقبلها فى كل وجهها.. وعلى رقبتها وكانت بقع من السحاب تمر فتمزق منظر الخليج والوديان والجبال التى يكسوها الضباب وعندما ذهبا إلى الجهة البحرية كانت الريح الثلجية تلف كل شئ وكتلة من الضباب تنبثق من البحر كموجة مد.. ضغطت على يده وهى تقول – أوه فانى.. إن هذا يرعبنى..

حينئذ وفجأة أخذ يخبرها بأنه سيترك عمله.. نظرت إليه خائفة وأطرفها ترتعش فى الريح الباردة.. بدت ضئيلة عاجزة والدموع تنهمر على وجنتيها.

- فنيان.. كنت أظن أنك احببتنى.. أتظن أنه كان سهلا علىّ أن انتظرك كل هذا الوقت انتظرك واحبك أوه.. لقد اعتقدت إنك تحبنى.

طوقها بيده.. لم يستطيع أن يقول شيئا وأخذا يسيران تجاه العربة التى ستصعد بهما.

- أنا لا أريد أن يرانى كل هؤلاء الناس وأنا أبكى.. لقد كنا سعداء اقبل تلك اللحظة دعنا نمضى إلى غابات «موير».

- ميزى.. إنها بعيدة جدا.

- لا أهتم بذلك.. أريد الذهاب.

- مرحى.. إنك لفتاة حبيبة..

بدءا يهبطان والضباب يغلف كل شئ وبعد ساعتين توقفا للراحة.. وحادا عن الطريق حيث وجدا بقعة من الحشائش وسط أجمة ملتفة والضباب يحيط بهما لكن السماء بدت صافية تبعث الاحساس بالدفء.

- اخ.. سوف أصاب بقروح..

طاف تعبير مضحك على وجهها وأخذ فانى يضحك قائلا.

- بشرفى لن يصبح الأمر شاقا بعد الآن..

أراد أن يوضح لها ماذا يعني «الإضراب» ولماذا ينوى الذهاب إلى جولد فيلد لكنه لم يستطع أن يقول شيئا.. كل ما استطاع أن يفعله.. أن يقبلها.. وهو يحس بشفتاها الملتهبة تلتصقان بشفتيه فى شهوة عارمة وأصابعها تتشنج حول رقبته.

- ميزى بشرفى هذا لن يؤثر على زواجنا.. ميزى أنا أشتهيك.. اسمحى لى.دعيني.. لا تمانعين.. بشرفى أنا أحبك كل الحب.. لا تمانعين..

ونهض وهو يربت على ساقها.. كانت ترقد وعيناها مغمضتين.. وجهها شاحب.. كان خائفا أن يكون قد أغمى عليها فركع بجانبها وقبلها برفق على خدها فإبتسمت ابتسامة واهنة وجذبت رأسه وأخذت تعبث بشعره - يا زوجى الصغير..

بعد لحظات نهضا وسارا خلال أجمة الأشجار دون أن يشاهدا شيئا.. وفى رحلة العودة على القارب قررا أن يعلنا الزواج خلال اسبوع ووعدها ماك بأنه لن يرحل إلى نيفادا. لكنه فى الصباح التالى استيقظ وهو يشعر بالاكتئاب.. لم يعد ملك نفسه.. نظر

إلى نفسه فى المرآة بينما كان يحلق فى الحمام وصاح.

- بعت نفسك لأولاد العاهرات يابن الحرام.

وقفل عائد إلى حجرته وكتب خطابا.

حبيبتى ميزى/

لا تفكرى لحظة واحدة أننى لم أحبك كل الحب لكنى قد وعدت بالذهاب إلى جولد فيلد لأساعد الجماعة التى تتولى إصدار الصحيفة ويجب أن أفى بالوعد.

سوف أرسل لك العنوان فور أن أذهب إلى هناك وإذا شعرت بالحاجة لى سوف أعود فورا.. حقا إننى أريد كل حبك.. قبلاتى..

فانى

ثم ذهب إلى «البوليتان» وأخذ أجرته وملأ الحقيبة وخرج إلى المحطة ليعرف موعد القطار المتجه إلى جولد فيلد - نيفادا.

عين الكاميرا (٩)

طوال اليوم كانت مصانع السماد تفوح برائحة كريهة وفى الليل تمتلأ «القمرة» بالبعوض المتوحش وكانت «جريسفيلد» تقع على الشاطئ الشرقى.

«لو إننا نملك مركب جازولين لنشحنهم عبر الخليج.. كنا نستطيع أن نشحن ما عندنا من الطماطم والحنطة والخوخ المبكر.. نشحنهم مباشرة إلى نيويورك بدلا من أن نتعرض لخداع لجنة التجار هنا فى «بالتيمور».. كنا نستطيع إن نشحن محصول مزرعة كاملة من الخضروات التى تسبق أوانها بعد أن نروى ونخصب ونصلح أرض «نورثرن نيك» التى أجهدتها زراعة الدخان».

«لو كنا نملك مركب جازولين.. كنا شحنا المحار فى الشتاء نضرب به السوق». على الشاحنة جلست أتحدث إلى غلام لا يزيد عمره عنى.. كان نائما فوق صندوق هناك فى الشمس وسط رائحة الحنطة والرائحة النفاذة لسمك الرنجة المعطن الذى يذهب لمصانع السماد.

كان له شعر ملئ بأعواد القش وجسده البنى المحروق حتى الخصر يبدو من خلال قميصه المفتوح.

أظنه لا يبالى لكنه من المؤكد إنه قد تشرد على طول الطريق من «مينيسوتا» إلى الجنوب حيث كان ينوى الذهاب.

عندما حدثته عن خليج «شيسبياك» لم يبد اندهاشا لكنه قال أظن من - الصعب سباحته - سوف أجد عملا على مركب الرنجة.

بيج بيل

ولد بيج بيل هايوود عام ١٨٦٩ فى أحد «النزل» فى مدينة «سولت ليك» Salt lake تربى فى «أوتاه».. تلقى تعليمه فى «اوفير» مدينة المناجم حيث أعمال الحفر الجهنمية وليالى السبت التى تخصص للمقامرة والويسكى الذى يراق على موائد «البوكر» مختلطا بكومات الدولارات الفضية الجديدة.

عندما بلغ الحادية عشرة أرسلته أمه للعمل فى مزرعة لكنه هرب بعد أن ضربه صاحبها بالسوط وكان هذا هو «إضرابه الأول».

وفقد إحدى عينيه وهو يحاول أن يصنع مقلاعا من شجرة بلوط وعمل فى حراسة المحلات وكمرشد للمقاعد في مسرح «سولت ليك» وكصبى مراسلة وكخادم فى فندق «الكونتيننتال» وعندما بلغ الخامسة عشرة ذهب إلى المناجم فى مقاطعة «هامبولد» بنيفادا.

كانت عدته الأولى اوفرولا. سترة.. قميص أزرق.. حذاء مناجم.. زوجين من البطاطين قطع شطرنج.. قفازات ملاكمة وغذاءا وافرا من البودنج اعدته أمه خصيصا له. عندما تزوج ذهب ليعيش فى حصن «فورت ماك درمت» Fort Mc Dermitt الذى بنى فى الأيام الغابرة ليصد هجمات الهنود لكنه هجر الآن.. لم تعد هناك «جبهة» هناك ولدت زوجته طفلها الأول دون مساعدة طبيب أو قابله..

«فبيل» هو الذى قطع «الحبل السرى» وهو الذى دفن «الخلاص».

عاش الطفل وبيل يلتقط رزقه بقدر ما يستطيع.. يعمل فى أيام الحصاد فى وادى «الباراديز» ويروض الجياد ويسعى فى البلاد الشاسعة.

وذات ليلة فى «تومبتون ميل» كان واحدا من خمسة رجال جمعتهم الصدفة ليقضوا الليل فى مزرعة ماشية مهجورة.. كانوا الرجال الوحيدين ذوى «العين» فى المقاطعة.

حتى ساءت الأحوال وفقد المستقر.. رقدت زوجته مريضة بينما أطفاله فى حاجة للرعاية.. ذهب للعمل فى أحد مناجم «سيلفر سيتى».

وفى «سيلفر» بولاية «إيداهو» إنضم إلى اتحاد منظمات الغرب لعمال المناجم

W.F.M.[٥٧] وكان مندوب عمال سيلفرسيتى إلى مؤتمر الاتحاد الذى عقد فى مدينة «سولت لاك» فى عام ١٨٩٨.

منذ تلك اللحظة صار المنظم والمرشد والداعية وأصبحت مصالح جميع عمال المناجم هى مصالحه (لقد صارع «التيلوريد»[٥٨] «والكورد آلانية»[٥٩] والخلجان الضحلة) وإنضم إلى الحزب الاشتراكى وشارك فى الكتابة والخطابة فى «إيداهو»، و «أوتا»، و«نيفادا». و «مونتانا» و «كلورادو».. إلى عمال المناجم المضربين من أجل ثمان ساعات عمل ومعيشة أفضل ونصيب فى الثروة التى يستخرجونها من التلال بشق الأنفس.

فى شيكاغو فى يناير ١٩٠٥ تمت الدعوة إلى عقد مؤتمر فى نفس القاعة فى «ليك ستريت» التى كان فوضويو شيكاغو يعقدون فيها اجتماعاتهم منذ عشرين عاما وصار ويليام د. هايوددو هو الرئيس الدائم لذلك المؤتمر الذى أصدر «البيان» الذى خرجت به منظمة عمال العالم الصناعيين .I.W.W إلى الوجود.

وفى طريق عودته إلى «دنفر» اختطف إلى «ايداهو» وحوكم مع «موير» و «بتيبون» بتهمة قتل الراعى «ستننبرج» الحاكم السابق لولاية ايداهو الذى قتل فى عقر داره بقنبله ألقيت على منزله.

عندما صدر حكم البراءة فى «بويز» (وكان دارو محامى المتهمين) اشتهر بيج بيل هايوود بأنه قائد الطبقة العاملة من الساحل إلى الساحل.

الآن.. صارت مصالح كل العمال هى مصالحه.

كان هو المتحدث بلسان «الغرب الأمريكى» عن «رعاة البقر» عن «قاطعى الأخشاب» عن «عماد الحصاد».. عن «عمال المناجم» «الحفارات البخارية قد ألقت الآلاف من عمال المناجم إلى البطالة.. الحفارات البخارية قد ألقت الرعب فى قلوب عمال المناجم فى الغرب،

عندما تبنى «اتحاد عمال المناجم فى الغرب» إتجاها محافظا عمل هايوود مع «عمال العالم الصناعيين» (من أجل بناء مجتمع جديد داخل قشرة المجتمع القديم) وشارك فى الحملة الانتخابية من أجل الرئاسة لصالح «دبز» عام ١٩٠٨ وكان يتواجد فى كل الاضرابات الكبيرة فى الشرق فى تلك الأيام التى كانت تترعرع فيها الروح الثورية فى «لورانس» و «باترسون» واضراب عمال الصلب فى «مينيسوتا».

(لقد تحالفوا مع .A.E.F[٦٠] لينقذوا قروض مورجان.. لينقذوا ديمقراطية ويلسون لقد وقفوا أمام قبر «نابليون» وحلموا بالامبراطورية.. لقد احتسوا أنخاب

الشمبانيا فى بار «ريتز» وناموا مع الكونتسات الروسيات فى «مونتمارتر» وحلموا بالامبراطورية.. فى كل أنحاء البلاد.. فى معسكرات الجنود الأمريكين فى مآدب رجال الأعمال.. إنهم ينفقون الأموال من أجل أن يدعموا الحملة..) لقد اعدموا بدون محاكمة «دعاة السلام ومؤيدى الألمان والمناضلين والحمر والبولشفيك وقدموا بيل هايوود للمحاكمة مع مائة وواحد فى شيكاغو أمام القاضى «لانذر» ملك البيسبول ودون مراعاة لأبسط تقاليد المحاكمات صدر الحكم بعشرين عاما وغرامة ثلاثين الف دولا، وبعد عامين فى ليفينورث» اطلقوا سراحهم بكفالة وبيج بيل (شيخا محطما فى الخمسين من عمره) كانت الحرب قد انتهت واقتسموا الامبراطورية فى «فرساى» فى قاعة المرايا ورفضت المحاكم إعادة المحاكمة.. لم يعد أمام هايوود خيار.. إما الفرار وإما أن يعود إلى السجن ليقضى عشرين عاما.

كان مريضا بالسكر.. لقد أمضى حياة شاقة وقد دمر السجن صحته.. وكانت روسيا هى جمهورية العمال..

ذهب إلى روسيا وأمضى عامين هناك لكنه لم يكن سعيدا.. كان يشعر بالغربة فى هذا العالم.. ومات.. واحرقوا جثمانه ودفنوا الرماد تحت اسوار الكرملين.

عين الكاميرا (١٠)

الميجور العجوز الذى اعتاد أن يأخذنى معه إلى «الكابيتول» عندما يكون مجلسا الشيوخ والنواب فى دورة الانعقاد كان مندوبا عن الجيش الاتحادى وله طلعته الجميلة المهيبة لذا كان المندبون ينحنون للميجور العجوز دونا عن المراقبين[٦٠] الآخرين الذين كانوا غلمانا لا يزيدون عن عمر أخيك الدى كان يخدم فى مجلس الشيوخ ذات مرة وأحيانا كان أحد النواب أو سناتور يلق إليه نظرة بعيون ضيقة وهو ينحنى ويهز رأسه بمودة أو يرفع يده بالتحية فلعله يكون شخصا مهما.

ارتدى الميجور العجوز زية بأناقة.. كانت له شوارب كثة تحيط بذقنه.. مشينا ببطء شديد فى حديقة النباتات.. كانت الشمس ساطعة.. أخذنا ننظر إلى اللافتات الصغيرة المعلقة على الأشجار والشجيرات ونرمق أبو الحناء السمين والزرزور وهو يقفز على الحشائش الخضراء وصعدنا الدرجات إلى القاعة الدائرية تحت القبة وقد امتلأت بالتماثيل الميتة من مختلف الأحجام.. كانت حجرة مجلس الشيوخ حمراء وحجرات اللجان وقاعة مجلس النواب خضراء.. وحجرات اللجان والمحكمة العليا.. لقد نسيت لون قاعة المحكمة

العليا وحجرات اللجان.. الهمس يتصاعد خلف أبواب قاعة الزوار والهواء ساكن خامد والأصوات تثرثر تحت النظارات الزجاجية والأدراج يصفقونها بعنف والدهاليز الطويلة تمتلئ بالهواء الخانق وأقدامنا قد نال منها التعب. أخذت أفكر فى الزرزور الذى يحجل على العشب والدهاليز الطويلة بهوائها العفن وساقى المتعبتين واحسست بالألم ما بين عينى. والرجل العجوز ينحنى بعيون مسبلة - لعله يكون شخصا مهما.

الأفواه تنفرج بخبث والقبعات سوداء مترية ورائحة دورات المياه والهواء الخانق واندهشت فيما يفكر الميجور العجوز وما الذى يدور بذهنى..

لعلها تلك اللوحة الكبيرة فى معرض الفن اتى تمتلئ بالأعمدة والمدرجات والمتآمرين والقيصر والتى يسمونها. [مصرع قيصر].

ماك

هبط ماك بصعوبة من القطار فى «جولد فيلد» فتقدم إليه رجل هزيل يرتدى القميص والنبطلون الكاكى ويحمل شارة الجيش قائلا.

- إذا سمحت يا أخ.. ما هو عملك فى تلك المدينة؟
- أنا اتاجر فى الكتب.
- أى نوع من الكتب؟
- كتب مدرسية وما شابه ذلك لحساب شركة «تروث سيكر» فى شيكاغو.

رد ماك السريع الواثق شعورا بالاقتناع لدى الرجل.

- اظن إنك صادق.

قال ماك وهو منحنى - سوف أنزل فى فندق «الإيجل».

- فلتحرس لئلا تصاب.. إننا نبحث عن هؤلاء المحرضين الملاعين اتباع (مش عايز اشتغل بذمة)(٦٠).

خارج فندق «النسر الذهبى» كان يقف جنديان للحراسة بنظرات جامدة وقد إنحدرت قبعاتهم حتى عيونهم وعندما دخل ماك استدارت وجوه جميع من يجلسون على البار وأخذوا يرمقونه.. صاح بسرعة خاطفة.

- طاب مساؤكم إيها السادة.

واتجه إلى صاحب الفندق يسأله عن غرفة وطوال الوقت كان يفكر كيف يجرؤ بحق الجحيم على السؤال عن المكان الذى يوجد فيه مكتب «عمال نيفادا».

- أظن يمكننى أن اسجلك كبائع جوال.

رد ماك - نعم.. فى الكتب.

فى مؤخرة البار وقف رجل ذو شوارب كثة يتحدث بصوت مخمور

- لو أنهم أعطونى حرية التصرف فسوف أقذف «بأولاد الحرام» هؤلاء فورا خارج البلدة رغم أن المحامين الملاعين يعترضون على هذا أيضا.. اطرد «أولاد العاهرات» هؤلاء خارجا فإذا قاوموا اطلق عليهم الرصاص.. هذا ما قلته للحاكم لكن هؤلاء المحامين أولاد العاهرات يعقدون كل شئ بالمذكرات القانونية - الاعتراض على الحبس - وكل تلك الإجراءات الطويلة المملة.. إنه احتقار للقانون ذلك الاعتراض على إجراءات التوقيف.

صاح صاحب الفندق محاولا تهدئة الجو - لقد فعلت ما عليك ياجو.

اشترى ماك سيجارا وأخذ يسير.. وسمع والباب يغلق خلفه الرجل وهو يصيح مرة أخرى - طظ فى قانون التوقيف.

كان الظلام قد هبط والريح الثلجية تعصف بالشوارع التى امتلأت بالحطام.. وأخذ ماك يتعثر فى الحفرات الموحلة بالطين.. عبر ببعض الأحياء السكنية وهو يتطلع إلى النوافذ المظلمة تجول فى أرجاء المدينة كلها لكنه لم يعثر على أثر لمكتب الجريدة وعندما وجد نفسه يمر للمرة الثالثة عند التقاطع «الصينى» أخذ يبطئ خطواته ووقف مترددا على الرصيف وفى نهاية الطريق كانت منحدرات التل الوعرة تحتضن المدينة.

وعبر الشارع كان شاب يسير متسكعاً أمام نافذة مظلمة لمحل خردوات.. إن منظره يوحى بالثقة.

- أخبرنى أين يوجد مكتب عمال ينفادا.

نظر كلاهما للآخر.

- ما الذى تريد أن تعرفه بحق الجحيم؟

- أريد فريد هوف.. أتيت من سان فرنسسكو لأساعد عمال المطبعة..

- هل معك البطاقة الحمراء؟

جذب ماك بطاقة العضوية قائلا - ومعى بطاقة الاتحاد لو أردت أيضا.

- لا.. أظنك صادق.. لكن لنفرض أنى مخبر إلم تكن تتعرض للاعتقال الآن.

- لقد اخبرتهم أنى بائع كتب جوال وانفقت الربع دولار الباقى معى لشراء سيجار يعطينى المظهر البورجوازى.

أجاب الرجل الآخر ضاحكا.

- حسنا أيها الرفيق سوف اصحبك معى.

تساءل ماك وهو يتبع الرجل ويسيران فى ممر يفصل بين كوخين مغطيين بالأعشاب.

- ما الذى يحدث هنا؟ أحكام عرفية؟

- كل أولاد العاهرات كلاب ولاية نيفادا يوجدون هنا الآن.. أنت محظوظ إذ لم تطرد من المدينة والسونكى فى ظهرك.

فى نهاية الممر ظهر منزل صغير مضاء والرفاق الشبان فى ثياب المناجم يملأون المدخل ويجلسون على الدرجات المتهالكة.

سأل ماك - ما هذا؟ مكتب مراهنات؟

- هذا مكتب عمال نيفادا.. اسمى «بن إيفانز» سوف اقدمك الآن إلى بقية الجماعة.. انتباه أيها الشبان.. هذا صديق العمال «ماك كريرى» أتى من «فرسيكو» ليساعد فى المطبعة..

صاح رجل طويل يبلغ ستة أقدام ويبدو مثل قاطع أخشاب سويدى وهو ينهض ليصافح ماك بقبضة ثقيلة كادت تحطم عظامه..

- إنها هناك.

كان فريد هوف يجلس بعيون مسهدة على مكتب تتكدس عليه ألواح الطباعة.. نهض مصافحا وهو يصيح.

- وصلت فى وقتك لقد اعتقلوا «المطبعجى» ويجب علينا أن نخرج هذه الطبعة أخذ ماك معطفه وذهب ليلق نظرة على المطبعة.. كان ينحنى على لوح التنضيد عندما أتى فريد هوف وأخذه إلى أحد الأركان.

- انتبه.. اريد أن أوضح لك الوضع هنا.. وضع غريب بعض الشئ فإن W.F.M بدأت تشحن الأكاذيب علينا.. أنهم مجرد نفايات.. «سانت» كان هنا منذ بضعة أيام وابن الحرام «مولانى» اطلق عليه الرصاص وهو الآن فى المستشفى..

إنهم حاقدون لأننا ننشر الأفكار عن الصمود الثورى.. لقد أفلحنا فى ضم عمال المطاعم وبعض شغيلة المناجم والآن "A.F. oF LS"(٦٣) وصل بها الذكاء بحيث أحضرت بعض النقابيين المنشقين الحمقى ليجلسوا ويتفاوضوا مع ملاك المناجم فى نادى «مونتزيما».

صاح ماك - هاى فريد على مهلك حتى يمكن استيعابك.

- منذ بضعة أيام تم اطلاق الرصاص أمام المطعم على بعض الشغيلة المناصرين لنا.. اصابتهم الطلقات واخذوا اثنين أيضا إلى المعتقل.
- يا للبشاعة.
- سوف يأتى بيج بيل هايوود الأسبوع القادم ليتحدث.. هذا هو الوضع هنا.. سوف أجلس لأكتب مقالا بسرعة.. أنت هنا رئيس المطبعجية سوف ندفع لك ١٧,٥ دولار مثلنا جميعا.. هل تود الكتابة؟
- لا
- فى مثل هذه الظروف يندم المرء على الفرصة التى ضاعت فى المدرسة.. على أنه لم يدرس كما يجب.. اتمنى أن أكتب مقالا معقولا.
- قد اعلق عليه لو واتتنى الفرصة.
- بيج بيل يكتب لنا بعض المقالات الممتازة.

جهزوا لماك فراشا خلف المطبعة ومضى اسبوع قبل أن يتمكن من الذهاب إلى الفندق ليحضر حقيبته وفوق المطبعة والمكتب كان يوجد رواق طويل به مدفأة ينام فيه معظم العمال.. الذين معهم أغطية يلتفون بها والذين ليس معم يضعون ستراتهم تحت رؤوسهم والذين ليس لديهم سترات ينامون كيفما اتفق. وفى نهاية الغرفة علق لوح من الورق المقوى كتب عليه البرنامج بحروف سوداء مظللة.. بينما علقت على حائط المكتب لوحة رسم عليها عامل مكتوب فوقه I. W. W. يشوط رجلا بديناً يدخن البايب كتب عليه «ماك المنجم» وكتب فوق المنظر حروف التضامن الـ.. ت.. ض.. أ..م..ن

فى ليلة أول نوفمبر أتى بيج بيل هايوود ليتحدث فى اتحاد المناجم.. ذهب ماك وفريد هوف ليسجلا الخطاب للصحيفة.. بدت المدينة كئيبة كمكان تافه قديم فى الوادى الهائل الذى تعصف فيه الريح المزمجره والثلوج المندفعة.. وكانت القاعة حارة مشبعة بالبخار المتصاعد من الأبدان الضخمة ورائحة التبغ الكثيف وملابس «الجبليين» الخشنة التى تفوح برائحة الأكواخ ومصابيح الزيت والخشب المحروق وشوايات الشحم والويسكى الردىء.

فى بداية الاجتماع كان الرجال يتحركون بقلق.. يهزون أقدامهم ويبصقون.. ماك قلق بشكل خاص.. ففى جيبه يوجد خطاب من «ميزى» يحفظه عن ظهر قلب.

فانى الحبيب..

كل شئ حدث كما كنت أخشى.. أنت تعرف ما أقصد يا زوجى الحبيب الصغير..

لقد مضى الآن شهران.. أنا خائفة جدا.. لا يوجد أحد استطيع أن أخبره يا حبيبى يجب أن تعود فورا.. سوف أموت إن لم تعود.. سوف أموت حقا.. أشعر بحنينى بك على أية حال وكذلك خائفة أن يلاحظ أحد شيئا.. ينبغى أن نمضى بعيدا إلى مكان ما لنتزوج ولا نعود قبل مضى وقت طويل..

لو استطيع الحصول على عمل فى جولد فيلد لحضرت إليك.. جميل لو نذهب إلى سان دييجو فلى أصدقاء هناك ويقولون أنها جميلة وهناك نستطيع أن نقول للناس إننا تزوجنا منذ فترة طويلة.. أرجوك تعال يا زوجى الجميل الصغير فأنا مشتاقة لك جدا.. أمر فظيع أن اتحمل كل هذا بمفردى..

ختاما.. زوجتك المحبة.

ميزى

أخذ بيج بيل يتحدث عن التضامن.. عن الوقوف صفا واحدا فى وجه طبقة السادة.. وأخذ ماك يفكر ما الذى يمكن أن يفعله بيج بيل لو أن لديه فتاة فى مأزق كهذا.. كان بيج بيل يقول: إن اليوم قد حان لنبدأ بناء مجتمع جديد على أنقاض المجتمع القديم.. لكى يملك العمال المصانع التى خلقوها بعرقهم ودمائهم.. وانطلق التصفيق والهتاف عاليا عندما صاح.. نحن نعمل من أجل اتحاد كبير واحد.

لكز فريد هوف ماك وهو يصفق قائلا.

– إن الطبقات المستغلة سوف تكون عاجزة أمام تضامن الطبقة العاملة بكاملها إن الميليشيا والحرس هم من العمال أيضا وعندما يدركون الدور الحقيقى للتضامن لن يستطيعوا أن يطلقوا الرصاص على إخوانهم.. على العمال أن يدركوا أن أى معركة ولو صغيرة من أجل أجور أفضل.. من أجل حرية التعبير.. من أجل معيشة لائقة.. ليس لها مدلول إلا على أساس أنها جزء من النضال الأكبر من أجل الثورة والتضامن والاتحاد.

نسى ماك ما يتعلق بميزى.. كان عقله يسبح حول الكلمات بمجرد أن انتهى بيج بيل من خطابه كان مبتهجا ومشتغلا بالحماسة يود أن يصارع الشيطان نفسه.

أخذ يهتف هو وفريد هوف / وعامل المناجم البوهيمى الذى ينضح برائحة كهرية أخذ يصفق / والبولندى الأعور فى الناحية الأخرى كان يصفق/.. ومجموعة من الإيطاليين يصفقون / واليابانى الضئيل الذى يعمل نادلا فى نادى مونتزيما يصفق / وراعى الماشية الذى يبلغ طوله الستة أقدام.والذى أتى على أمل أن يرى عراك يصفق ويصيح المرة تلو المرة.

- خطيب رائع.. ابن حرام.. حقا.. إن «أوتا» هى الولاية التى تخرج الرجال. أنا من «أوجدن» Ogden .

بعد الخطاب نزل بيج بيل إلى المكتب.. كان يضحك مع كل فرد.. وجلس وكتب مقالا للصحيفة وجذب زجاجة وأخذ كل واحد يحتسى قدحا ما عدا فريد هوف الذى كان يكره مرأى بيج بيل وهو يشرب ويكره رائحة الشراب. ثم مضوا جميعا إلى النوم بعد أن أنجزوا الطبعة التالية من الجريدة.. مرهقين لكنهم سعداء.

عندما استيقظ ماك فى الصباح التالى كان أول ما تذكره.. ميزى.. أخذ يعيد قراءة الخطاب والدموع تملأ عينيه وهو جالس على حافة الفراش قبل أن يستيقظ أحد.

ووجد نفسه يضرب رأسه بعنف فى دلو مملوء بالماء المثلج.. ثم نهض ليصب قليلا من الماء الساخن ليلطف أثر الصدمة لكنه لم يستطع أن يزيل الشعور بالألم من جبهته عندما ذهب مع فريد هوف ليتناولا الإفطار فى المطعم الصينى الحقير حاول أن يخبره بأنه سيعود إلى سان فرنسيسكو ليتزوج.

- ماك لن تستطيع أن تفعل هذا.. نحن نحتاجك.

- لكنى مرغم على العودة.. صدقنى.. مضطرا.

- واجب الرجل الأول نحو الطبقة العاملة.

- بمجرد أن يولد الطفل وتستطيع هى العودة إلى العمل سوف أعود.. أنت تعرف إنى لا استطيع تسديد نفقات المستشفى من السبعة عشرة دولارا ونصف الذين اتقاضهم كل اسبوع .

- يجب أن تكون أكثر لياقة..

- لكن بحق الجحيم.. أنا من لحم ودم مثل أى إنسان.. بحق المسيح ماذا تنتظر منا أن نكون.. قديسون..

- المكافح (الويلى) يجب ألا يتزوج أو ينجب إلا بعد الثورة.

- أقسم لك أنا لا أخذل ولا أخون الصراع.. أقسم أمام الله أنا لست كذلك.

صار وجه فريد هوف شاحبا كالموتى ونهض من على المائدة وهو يصر على اسنانه..

وغادر المطعم تاركا ماك يجلس فترة طويلة مكتئبا متجهما ثم نهض وعاد إلى مكتب [العامل] وكان فريد هوف يجلس منهمكا فى الكتابة..

- فريد.. سوف أبقى شهرا آخر.. سوف أخبر «ميزى» بهذا الآن.

- كنت أعرف أنك ستبقى.. إنك لست إنهزاميا.

- لكن والرب يسوع يارجل إنك تطلب الكثير جدا..

رد فريد هوف قائلا - الكثير جدا هو شئ تافه ضئيل.

ويدأ ماك يحضر الجريدة للطبع..

فيما تلا ذلك من أسابيع عندما كانت خطابات «ميزى» تأتى إليه كان يضعها فى جيبه دون أن يقرأها.. كتب إليها يطمئنها بقدر ما يستطيع إنه سيأتى إليها فور أن يجدوا شخصا آخر يحل محله..

حتى أتت ليلة «الكريسماس».. قرأ كل خطابات «ميزى».. كانت كلها متشابهة.. وأحس بالارهاق.. ها هو يمضى الشتاء كله فى «نيفادا» بدون فتاة.. إنه يتلهف الآن على امرأة محترمة. لم يشأ أن يراه الآخرون متجهما فمضى لايحتسى شرابا فى صالة المطعم الذى يذهب إليه العمال.

كانت الصالة تعج بالأصوات السكيرة المدوية وبينما هو يفتح الباب التقى بـ «بن ايفانز» - مرحبا بن.. أين تذهب.

- لإحتساء شراب على حد قول الرفيق.

- حسنا وأنا أيضا.

- ما الخبر؟

- أنا فى غاية الاكتئاب.

ضحك بن إيفانز وهو يقول - يا يسوع وأنا كذلك.. الليلة ليلة الكريسماس أليس كذلك؟

شرب كل منهم ثلاثة أقداح ولم يشعروا براحة من زحام «البار» ولا ببهجة الاحتفال.. فعادوا ومعهم زجاجة إلى حجرة «بن ايفانز».

كان «بن ايفانز» شابا متينا. زنجى ذو عيون سوداء وشعر أسود أتى من لويزفيل بولاية «كنتكى» - تلقى تعليما طيباً ويعمل ميكانيكى سيارات.

كانت الحجرة قاسية البرودة فجلسوا على الفراش وكل منهم يلتف بالأغطية.

- حسنا أليست هذه طريقة للاحتفال بالكريسماس.

قال ماك وهو يكتم ضحكة - يا يسوع المقدس.. أرجو ألا يضبطنا «فريد هوف».

- «فريد» ولد ممتاز.. نقى كضوء النهار.. وما إلى ذلك.. لكنه لا يدع أحدا يعيش.

- أظن لو كنا على شاكلة «فريد» لذهبنا جميعا إلى «السجن».

- سوف نذهب.. ماك قل لى.. أنا قد مللت من كل هذا.. إطلاق الرصاص وهؤلاء الزملاء من اتحاد عمال المناجم فى الغرب .W.F.M فى نادى مونتزيما ليتفاوضوا مع هذا المندوب الملعون من واشنطن..

- حسنا.. لكن لا أحد من جماهير (الوبلى)[٦٤] يفعل ذلك.

- لا.. ولكن عددنا غير كاف.

- بن.. كل ما تريده هو شراب.

- إن الأمر كما قال الرفيق يشبه هذه الزجاجة الملعونة.. لو أن لدينا الكثير منها لشبعنا خمرا ولكنه ليس لدينا.. ولو أن لدينا عددا كافيا مثل «فريد هوف» لقمنا بالثورة ولكنه ليس لدينا.

احتسوا قدحا من الشراب.. ثم قال ماك.

- بن.. لو أن لديك فتاة فى مأزق وتحبها كثيرا..

- أكيد.. مئات منهم.

- ألا يقلقك هذا؟

- ماك.. بحق المسيح.. إن البنت ما لم تكن عاهرة ملعونة لن تؤثر فيك.

- أنا لا أرى هكذا.. ولا أدرى كيف أتصرف.. إنها فتاة نظيفة على أية حال..

- أنا لا أثق بهن.. أعرف فتى تزوج مرة من فتاة مثل هذه.. غزل ثم الحاح ثم حمل.. وتزوجها لكنها صارت كأى عاهرة واضطر أن يتخلص منها.. خذها منى كلمة.. أحبهن واتركهن.. إنه الطريق الوحيد لإشخاص مثلنا.. عندما فرغت الزجاجة.. مضى ماك إلى المكتب لينام والويسكى يلهب احشائه.. وحلم بأنه يسير عبر أحد الحقول مع فتاة فى يوم دافئ والويسكى يشيع الدفء فى فمه ويملأ أذنيه بالطنين.. لم يتأكد فيما إذا كانت الفتاة تشبه ميزى أو أى عاهرة أخرى لكنه كان يشعر بالدفء والحنان وكانت تهمس بصوت حلو دافئ «لنمارس الحب» كان يستطيع أن يرى جسدها من خلال الثوب الشفاف وما كاد ينحنى عليها وهى مازالت تدندن بصوتها الدافئ الحلو - «لنمارس الحب يافتى» حتى استيقظ فجأة وفريد هوف يقف أمامه وهو يلطم وجهه ورقبته بالمنشفة ويصيح..

- أريد أن أنظف المكان قبل أن يحضر الرفاق.

جلس ماك على مضجعه.. لم يستطع أن يعلق بشئ لكنه كان يشعر بالإكتئاب..

هاى.. ما الخبر؟

- من المؤكد إنك كنت «تهلس» الليلة الماضية.

- فريد.. كنت ما كنت.. لقد شربت كأسين..

- سمعتك وأنت تأتى مترنحا كالمخمور..

- انتبه جيدا.. لا أريد من أحد أن يفرض وصايته علىّ.. استطيع التكفل بنفسى.

- إنكم تحتاجون إلى «مربيات».. لا تستطيع أن تنتظر حتى نكسب الإضراب دون أن تنطلق تسكر وتعربد.

كان ماك يجلس على حافة الفراش يربط حذائه..

- قل لى من أجل ماذا نحن نجتمع هنا.. أليس من أجل «راحتنا».

رد فريد هوف وهو يخرج ويصفق الباب ورائه.

- لا أعرف بحق الجحيم من أجل ماذا يتسكع الكثيرون هنا.

بعد يومين تردد أن رفيقا آخر يستطيع أن يدير «اللينوتيب» قد حضر وغادر ماك المدينة.. باع حقيبته وملابسه الجيدة لقاء خمسة دولارات واعتلى قطار بضائع ذو عربات مكشوفة محملة بأحد الخامات أوصله إلى «لادلو» Ludlow وفى «لادلو» غسل التراب القلوى من فمه وتناول طعاما ونظف نفسه بعض الشئ كان شوقه عارما للذهاب إلى «فرسكو» وطوال الطريق كان يفكر أيمكن أن تقتل ميزى نفسها.. إنه يود رؤيتها.. أن يجلس بجانبها.. أن يراها وهى تربت على يده كما اعتادت أن تفعل.. إنه بعد تلك الشهور المتربة الكئيبة التى قضاها فى جولد فيلد يحتاج إلى امرأة.. كانت الرحلة إلى «فرسكو» تكلفه ١١,١٥ دولار.. وهو لا يملك غير أربعة دولارات وبعض البنسات.. قامر بدولار منها فى مؤخرة إحدى الصالات لكنه فقده على الفور فخرج وهو يشعر بقدميه باردتين.

جريدة سينمائية (٨)

بروفيسور فيرر Ferrer المدير السابق للمدرسة الحديثة فى بارشلونة الذى قدم إلى المحاكمة باعتباره المحرض الرئيسى للحركة الثورية الحالية حكم عليه بالاعدام وسوف ينفذ الحكم بإطلاق الرصاص يوم الأربعاء إذا لم..

كوك مازال يثق فى الاسكيمو / يقول إن قلب جزيرة «لوزون» هو أجمل مكان على سطح الأرض.

حديث المتجادلين (يلتهب) بالقفشات

لا تدفننى فى البرارى الموحشة.

حيث يعوى فوقى «الكيوت» البرى.

وحيث فحيح الحيات ذات الأجراس..

وحيث تعربد الريح..

الغجر الجوالون يقتحمون الحصن الصينى..

رجال الأمة الكبار يتهيئون للرحلة النهرية.. نادى نساء «إنجلوود» يسعى لرفع مستوى المسرح.. انجيلى[٦٥] له آلاف الاتباع يحتشدون صامتين للاستماع إلى الأحاديث المؤثرة يجمع ٣٠١٨ دولار ويعتقل.

يمنح مليون جنيه لمحاربة (الانكلستوما)

نشاط خفى «لغجرى» خلال الجانب الجنوبى لحى الدعارة.

بشجاعة استدرت الدموع من أعين أفراد السرية الإثنى عشر المكلفة باطلاق الرصاص تقدم فرنسسكو فيرر هذا الصباح إلى الحفرة التى أعدت لدفنه بعد تنفيذ حكم الإعدام.

الغطس بالسيارة.. الموت فى النهر[٦٦]..

عين الكاميرا (١١)

آل بنى بيكر ذهبوا إلى الكنيسة المشيخية[٦٧] - غنت بناتهم فى الكورس بصوت سبرانو ثاقب يثير القشعريرة وكل منهم تلقى التحية وهم يمضون نحو الكنيسة.. وفى الخارج كانت تلوح أوراق الأشجار الصيفية خضراء زرقاء صفراء تتأرجح من خلال النوافذ. سرنا جميعا رتلا واحدا إلى مقصورة الكنيسة.. وكنت أود أن اسأل مستر بنى بيكر الذى كان «شماسا» من هو «المولى ماجيروس»؟[٦٨].

كان السنجاب يتشاجر على شجرة البلوط البيضاء لكن بنات بنى بيكر وكل الفتيات بقبعاتهن الجميلة كن يرنمن.. من هو المولى ما جيروس؟ الأفكار.. ثقوب الرصاصات فى حظيرة قديمة مهجورة.. جحيم المناجم.. القلابات التى اسود هيكلها.. أماكن النفايات المغطاة بالأعشاب. من هو المولى ماجيروس؟ لكن الوقت كان متأخرا لا يسمح بالحديث فى الكنيسة والفتيات الشابات بقبعاتهن المفضلة يرتدين الأزياء الأنيقة الوردية الخضراء الزرقاء الصفراء والسنجاب يتشاجر.. من هو المولى ماجيروس؟ قبل أن أعرف شيئا كان موعد تناول القربان قد حل.. أردت أن أقول إنى لم أتعمد بعد لكن كل

العيون بدأت تتطلع فى غضب عندما بدأت أهمس إلى «كون».

التناول[٦٩] عصير الكروم فى زجاجات صغيرة وقطع صغيرة من الخبز غير المخمر ويجب عليك أن تزدرد القربان وتضع المنديل على فمك وتحس بالقداسة.

فى منتصف نهار الأحد ذو الشمس الساطعة والسماء الزرقاء.. وسط أشجار البلوط التى تتمايل ورائحة الطعام المحمر من البيت الأبيض والدخان يتصاعد من مداخن الأفران فى يوم الأحد الهادئ الصافى حيث الدجاج المحمر والفطائر والمرق تعد لتكون ساخنة. بين السناجب وقلابات المناجم فى منتصف نهار الأحد الصيفى الأزرق فى بنسلفانيا كانت الزجاجات الصغيرة ترشف لآخر قطرة فى العشاء الربانى..

لكنى شعرت بالأكال فى مؤخرة عنقى فلعلى ضربت بصاعقة لأنى أكلت القربان وتناولت دون أن أكون مؤمنا ودون تعميد ودون أن أكون عضوا فى الكتيسة ثم من هم المولى ماجيروس؟ رجال ملثمون يركبون فى الليل ويطلقون الرصاص على الحظائر لكنهم أين يقيمون عندما يتأخر الليل؟

كانت الكنيسة قد انتهت وكل إنسان قد خرج يتبادلا التحيات وكل إنسان صارت شهيته مفتوحة بعد التناول لكنى لم استطع أن أتناول طعاما والأكال يشتد فى مؤخرة عنقى وصرت فزعاً بالرجال الملثمين الذين يمتطون.. المولى ماجيروس.

جريدة سينمائية (٩)

تغريم نجوم بسبب الشراب..

لا تدفنونى فى البرارى الموحشة..

لم يبالوا بتوسلاته وهو يموت..

ودفنوه هناك..

فى البرارى الموحشة..

رئيس مجمع يستنكر القبلات

وحينئذ استعدنا شجاعتنا عندما عرفنا أن الإنقاذ صار وشيكا..

صحنا وصرخنا لكننا لم نعرف هل سمعوا النداء.. ثم أتى صوت فتح الباب وفقدت الوعى.. نسيت كل الأيام والليالى وسقطت فى النوم..

تصويت فى منتصف الليل لتحديد مصير «آلتمان»

هذا هو اليوم الرابع منذ دفنا هنا.. هذا ما اعتقده لأن ساعاتنا قد توقفت.. إنى

أنتظر فى الظلام لأننا أكلنا شمع المصابيح.. وأنا قد أكلت لفافة تبغ وبعض اللحاء وقطعة من حذائى.. لم أقدر إلا على مضغها..

أرجو أن تقرأى هذا.. لست خائفا من الموت فسوف تشملنا العذراء المقدسة برحمتها.. أعتقد أن ساعتى قد حانت.. أنت تعرفين ثروتى فقد عملنا من أجلها معا وهى كلها ملك لك.. هذه وصيتى يجب عليك تنفيذها.. كنت زوجة مخلصة فلترعاك العذراء المقدسة.. أرجو أن يصلك هذا فى وقت ما لتقرأ أيه.. صار المكان ساكنا هنا تماما ولست أعرف ماذا حل برفاقى.. وداعا إلى أن تجمعنا السماء..

الذين يعاكسون الفتيات يجلدون فى النمسا طبقا للقانون العام..

فى صندوق صغير ٦×٣

وعظامه الآن قد انتنت

فى البرارى الموحشة

ماك

مضى ماك إلى خزان المياه خلف ساحة القطارات ليترقب فرصة يثب فيها إلى قطار بضاعة وكان هناك رجل عجوز يجلس منحنيا يدفن رأسه بين ركبتيه ويبدو محموما تفوح منه الرائحة النتنة وقد تراكم التراب على قبعته وحذائه الممزق البالى الذى حال لونه رماديا باهتا.. لم يتحرك حتى اقترب ماك منه وجلس بجانبه.

- ما الخطب يا أبى؟

- أنا على وشك الموت.. كنت أعانى من داء الرئة طول حياتى وأظن ساعتى قد اقتربت.

والتوى فمه متشنجا من الآلم وترك رأسه تسقط ثانية بين ركبتيه وبعد لحظة رفع رأسه وأتى بشهقة ضعيفة مثل السمك الميت وعندما استراح تنفسه تابع الحديث - طول الوقت تتمزق رئتى بطعنات كطعنات السكين.. هل تساعدنى يافتى؟

رد ماك - بكل تأكيد.

تابع وهو يغالب الاختناق - إذن استمع إلىّ.. أريد أن أذهب إلى الغرب حيث الأشجار والطعام. أرجو أن تساعدنى على ركوب إحدى العربات.. لقد وهنت قواى لا تدعنى أرقد.. سوف أنزف إذا رقدت.. أتسمع؟

- معى دولاران.. سوف أرشو عامل التحويلة لعله..

- إنك لا تتحدث مثل المتشردين؟
- أنا عامل مطبعة أريد أن أصل إلى سان فرنسسكو بأسرع ما استطيع.
- عامل.. وأنا ابن حرام.. لم أعمل منذ سبعة عشرة عاما..

أتى القطار ووقف بجانب خزان المياه والمحرك يطلق الهسيس.. وساعد ماك العجوز كى يقف على قدميه وأجلسه مستندا إلى زاوية عربة محملة بقطع الآلآت التى غطيت بالمشمع ورأى الوقاد والسائق ينظران إليهما من القاطرة دون أن يقولا شيئا وعندما تحرك القطار كان الهواء باردا لكن ماك خلع المعطف ليضعه خلف رأس العجوز كى يحميها من الاهتزاز مع حركات العربة.. بينما جلس العجوز مغمض العينين.. ورأسه ملقاة للخلف.. ولم يدر ماك هل هو ميت أم حى.. حتى هبط الظلام وكاد يتجمد من البرد وهو يرقد مرتعشا على قطعة من المشمع فى الزاوية الأخرى من العربة.

استيقظ ماك من اغفاءته والفجر يوشك على البزوغ.. كانت اسنانه تصطك والقطار قد توقف عند إحدى التحويلات.. وشعر بقدميه مخدرتين فلم يستطيع النهوض إلا بعد حين ومضى لينظر إلى العجوز لكنه لم يعرف أكان ميتا أم حيا..

وبزغ بصيص من الضوء وبدأ المشرق يتوهج مثل قطعة من الحديد فى فرن الحداد.. قفز ماك إلى الأرض ومضى إلى مؤخرة القطار حيث كابينة العمال.. كان عامل الفرملة يغفى بجانب صاحبه.. أخبره ماك بأن المتسول العجوز يموت فى احدى العربات فأخذ العامل زجاجة صغيرة من الويسكى من جيب معطفه المعلق بمسمار بالكابينة.. ومضى معه إلى العربة.. كان ضوء النهار قد انتشر والعجوز ينكفئ على جانبه بوجه شاحب حزين مثل وجه تمثال [جنرال الحرب الأهلية].. ازاح ماك معطفه والقميص الممزق و «الفانلة» القذرة ووضع يده على صدر العجوز.. كان باردا بلا تنفس.. وعندما أبعد يده كانت ملوثة بالدماء.. قال العامل برنة لا مبالاة - نزيف..

تعاونا على اخراج الجثة من القطار لترقد على الحصى بجانب الخط الحديدى ووضعا القبعة على الوجه وطلب ماك من العامل أن يحضر جاروفا ليتمكنا من دفنه قبل أن تنهشه الجوارح لكنه أجاب بأنه لا يملك جاروفا وسوف يراه بعض العابرين ويدفنونه..

ثم أخذ ماك إلى الكابينة وقدم له شرابا وطلب منه أن يقص عليه بالتفصيل كيف مات العجوز.

وصل ماك إلى سان فرنسسكو..

استقبلته «ميزى» بجفاء وبرود فى أول الأمر وقد بدت عليها المرارة.. لكنها بعد أن

تحدثا قليلا انفجرت فى البكاء وراحت تقبله وتقول إنه صار نحيلا ورثا مثل المتشرد. وذهبت معه للحصول على مدخراتها من البنك واشترت لماك بدلة جديدة ثم توجها إلى «مجلس المدينة» وتزوجا دون أن تقول شيئا لأهلها، وكانا فى قمة السعادة وهما يستقلان القطار إلى «سان دييجو».

فى «سان دييجو» استأجرا حجرة مفروشة بملحقات المطبخ وقالا لصاحبة المنزل أنهما متزوجا منتذ عام وارسلا برقية إلى أهل ميزى بإنهما يقضيان شهر العسل وسوف يعودان بسرعة.

حصل ماك على عمل فى مطبعة وبدأ يدفع مستحقات منزل ريفى ذو طابق واحد على ساحل الباسفيك.. لم يكن العمل رديئا وكان سعيدا جدا بحياته الهائة مع «ميزى» وعندما ذهبت إلى المستشفى لتضع طفلها استدان ماك شهرين مقدما من أجره من رئيسه (إيد بالدستون) وفوق ذلك اضطر إلى طلب رهن آخر على المنزل ليدفع روشتة الطبيب.. وأخيرا أتى المولود بنتا ذات عيون زرقاء أطلقا عليها اسم «روز».

كانت الحياة فى «سان دييجو» تمضى هادئة مشرقة.. يذهب ماك إلى العمل كل صباح على (عجلة) بخارية ويأتى فى المساء على العجلة البخارية وفى أيام الآحاد يتسكع حول المنزل أو يجلس أحيانا على الشاطئ بصحبة ميزى والطلفة..

من المفروض عليه منذ الآن أن يفعل كل ما بوسعه لإسعاد ميزى مقابل تلك الأيام الصعبة التى قضتها قبل الزواج.

فى العام التالى جاء طفل آخر ورقدت ميزى مريضة وقضت بالمستشفى وقتا طويلا بعد الولادة... وكل ما يستطيعه الآن بمرتبه الذى يتقاضاه كل اسبوع أن يسدد فوائد الديون وصار عمله اليومى أن يتحايل على البقال وبائع اللبن وصاحب المخبز كى يستطيع تدبير حاجتهم اسبوعا بعد اسبوع.

كانت ميزى تقرأ الكثير من المجلات وتطلب الكثير من الأشياء الجديدة كل حين وآخر بيانولا أو نوع جديد من علب الآيس كريم أو وعاء حديث للطبخ..

كان إخوتها يجنون مالا كثيرا من المضاربة فى العقارات فى «لوس انجلوس» وأهلها يتمتعون بحياة مرفهة وكلما تلقت خطابا منهم تأخذ فى إزعاج ماك وتحرضه على مطالبة رئيسه بأجر أعلى أو أن يذهب ليحصل على عمل أفضل.

وعندما يقع رفيق من (الوبلى) فى المدينة فى ضائقة أو يعتقل أو عندما يجمعون نقودا لصناديق الاضراب أو أى شئ من هذا القبيل لا يستطيع أن يساهم بأكثر من

دولارين.. ولا يستطع أن يدفع أكثر خوفا من أن تعلم «ميزى». وعندما تجد صحيفة مثل «دعوة للفكر» أو أى صحيفة راديكالية أخرى فإنها تحرقها.. ويشب شجار وخصام وبضعة أيام يقضونها فى تعاسة حتى وجد ماك حلا لم يخبرها به أبدا كان يقرأ كل شئ بعيدا عن المنزل لكنها ظنته يذهب مع إمرأة أخرى.

بعد ظهر أحد أيام السبت كان ماك وميزى قد قررا أن يذهبا لمشاهدة عرض من عروض «الفودفيل»(٧٠) بعد أن طلبا من جارة لهما العناية بالأطفال.

وكانا فى طريقهما إلى المسرح عندما شاهد زحام على أحد الأرصفة أمام صيدلية «مارشال» شق ماك طريقه إلى هناك.. كان شاب نحيف يرتدى بنطلونا أزرق يقف بجوار «عمود النور» يقرأ من «وثيقة اعلان الاستقلال» «فى مسيرة الأحداث الإنسانية.. حقوق لا يمكن انتهاكها» جاء شرطى وأمره بالابتعاد «الحياة.. الحرية.. إبتغاء السعادة».. أصبحوا شرطيين.. احاط أحدهما بالشاب من خلف منكبيه محاولا إبعاده عن العمود.. صاحت ميزى بإلحاح - هيا - سنتأخر عن العرض..

بينما كان الشرطى الآخر يقول لزميله - هاى.. انتزع المنشور.. إن ابن الحرام قد التصق بالعمود ومازالت ميزى تستحثه على الذهاب.. لقد وعدها بالمسرح فهى لم تخرج طوال الشتاء.. وكان آخر ما رآه الشرطى وهو يسحب الفتى ويلكمه فى زاوية فكه.

جلس ماك فى المسرح المظلم الراكد الهواء طوال فترة بعد الظهر.. لم يشاهد العرض ولا الأحداث ولم يشاهد التابلوهات التى تتخلل الفصول ولم يتحدث مع ميزى جلس متألما يشعر بوعكة فى معدته.. لابد «للأولاد» أن يبدأوا على الفور الإعداد للنضال من أجل حرية الكلام فى هذه المدينة.. وبين الحين والحين يرمق وجه ميزى فى بصيص الضوء الذى يأتى من خشبة المسرح.. صار الوجه ممتلئاً واستراحت قسماتها وهى تجلس كقطة ترقد بجانب المدفأة.. لازالت جميلة.. وكانت هى قد نسيت كل شئ واندمجت مع العرض وبدت عليها السعادة شفتاها تنفرجان وعيونها تلمع مثل فتاة صغيرة فى إحدى الحفلات.. بينما كان ماك يردد بينه وبين نفسه - لم أعد ملك نفسى على أية حال.. كانت آخر فقرات البرنامج «إيفا تنجواى» التى وقفت تغنى بصوت (أخنف) «أنا ايفا تنجواى.. لم أعد اهتم».. آفاق ماك من شروده الكئيب بدأ كل شئ فجأة ساطعا واضحا بالنسبة له.. ستارة المسرح بزخارفها الذهبية الثقيلة المحرزة وجوه الناس فى المقصورات.. الرؤوس التى أمامه.. مهرجان الأضواء العنبرية والزرقاء على خشبة المسرح.. المرأة الهزيلة التى تتمايل وتهتز داخل دائرة الضوء التى تحيطها داخل دائرة من قوس قزح وهى تغنى..

«تقول الصحف إننى مخبولة..
لكنى.. لم أعد أهتم».

نهض ماك واقفاً - ميزى.. سوف نلتقى بالمنزل بعد أن تشاهدى العرض.. ثم أسرع بالخروج دون أن يتيح لها فرصة الرد وأخذ ينزلق بين الصفوف حتى وصل إلى الردهة وأصبح فى الخارج..

فى الشارع لم يكن هناك شئ غير الزحام المعتاد بعد ظهر أيام السبت.. أخذ ماك يسير ويسير.. لم يكن يعرف أين تقع مكاتب .I.W.W .. لكنه يريد أن يتحدث مع أحد.. وبينما كان يعبر فندق «بروستر» التقط رائحة البيرة وانتابته الرغبة إلى الشراب فدخل ومضى إلى البار وازدرد أربعة كئوس من الويسكى.

كان البار مليئا بالسكارى الذين يتحادثون فيما بينهم بأصوات عالية عن البيسبول.. وعن مباريات الملاكمة وعن «ايفا تنجواى» ورقصتها سالومى..

بجانب (ماك) كان يجلس رجل أحمر الوجه ذو قبعة عريضة يضعها على مؤخرة رأسه وبينما كان ماك على وشك أن يحتسى كأسه الخامس أمسك الرجل بذراعه قائلا: يا صاحب.. فلتكن هذه الكأس على حسابى إذا لم تمانع.. فإننى احتفل اليوم..

رد ماك - اشكرك.. هذه فى صحتك..

- يا صاحبى إن لن يسيئك قولى أنت تشرب كما لو كنت تنوى أن تشرب كل البرميل ولا تترك لنا شيئا.. أتشرب جعة؟..

- وهو كذلك.. فلنجعلها جعة بالبيرة..

قال الرجل البدين - اسمى ماك كريرى.. لقد بعت لتوى محصول الفاكهة..

أنا من أعالى طريق سان جاسينتو..

قال ماك وهو يمد يده ليتصافحا بحرارة - واسمى كذلك ماك كريرى..

- يا للمصادفة.. لابد أننا أقارب أو نحو ذلك من أين أنت يا صاحبى؟.

- من شيكاغو لكن أهلى ايرلنديون..

- وأنا من الشرق.. من ديلاور لكن من أصل ايرلندى - اسكتلندى عريق.

شربوا كأسا بهذه المناسبة ومضوا إلى الناحية الأخرى من الصالة.. وجلسوا على مائدة فى احدى الزوايا وراحوا يتحدثون..

أخذ الرجل البدين يتحدث عن مزرعة الماشية وعن محصول المشمش وكيف أن أمراته ترقد فى الفراش منذ ولادة طفلها الأخير.

- أننى مغرم بإمراتى.. لكن ماذا يفعل الفتى.. أيخصى نفسه لمجرد أن يخلص لزوجته؟

قال ماك - أنا أحب زوجتى كثيرا ولدى منها أولاد ظرفاء.. روز فى الرابعة وعلى وشك أن تتعلم القراءة و «إيد» على وشك أن يتعلم المشى.. لكن قبل أن أتزوج.. اللعنة.. كنت أريد أن أكون شيئا فى هذا العالم.. لا اعنى أن أصبح شيئا على وجه التحديد..

أنت تفهم..

- بالتأكيد يا صاحب.. فقد كنت أشعر بنفس الشعور عندما كنت شابا.

قال ماك وقد انتابته موجة حارة من الانفعال مثل تلك التى تنتابه أحيانا فى أمسيات السبت وهو يساعدها فى استحمام الأطفال ووضعهم فى الفراش والحجرة يملؤها البخار وعينه تلتقى بعينها وليس هناك مكانا يذهبون إليه غير إنهم الآن يتواجدان ويتواجدان معا..

- إن ميزى فتاة طيبة.. أننى أحبها كثيرا طوال الوقت..

بدأ الرجل يغنى - «أوه.. زوجتى ذهبت إلى البلدة.. مرحى.. مرحى.. لكن يافتى.. زوجتى ذهبت بعيدا»..

قال ماك - لعنة الله إلى الأبد.. هل يعمل الرجل لأكثر من نفسه وأولاده كى يجعلهم سعداء.

- اوافقك على الإطلاق يا صاحب.. كل إنسان لنفسه وليذهب الآخرون إلى الجحيم..

رد ماك - اللعنة.. ولكننى أرغب فى التشرد مرة أخرى أو أن أكون مع الجماعة فى «جولد فيلد».

شربوا وشربوا وتناولوا الغذاء وعادوا للشراب.. وكان مع الرجل رقم تليفون لبعض الفتيات فأتصل بهم ثم ابتاعوا زجاجة من الويسكى وذهبوا إلى شقتهم. جلس مزارع الماشية واجلس فتاة على كل من ركبتيه وأخذ يغنى.

«زوجتى ذهبت إلى البلدة»..

لكن ماك انتحى بأحد الأركان وأخذ يتجشأ ورأسه تتدلى على صدره.. وفجأة إنتابته نوبة غضب عارمة فإنتصب واقفا واطاح بالمائدة التى وضعت عليها آنية زجاجية للزهور .. وأخذ يصيح.

- ماك كريرى.. إن هذا ليس مكانا لثورى واعى.. إننى مناضل (ويلى) اللعنة عليك.. سوف أخرج للإشتراك فى الصراع الدائر من أجل حرية التعبير..

مضى ماك كريرى الآخر فى الغناء دون أن يعير الأمر التفاتا.. بينما خرج ماك وهو يصفق الباب ورائه.. اسرعت احدى الفتيات خلفه وهى تبرطم عن الاناء المكسور لكنه دفعها فى وجهها وخرج إلى الشارع الهادئ.

كانت الليلة مقمرة وكان قد فقد ميعاد آخر العربات فإضطر أن يمضى إلى منزله سيرا على قدميه.

عندما دخل المنزل كانت ميزى تجلس فى الشرفة بقميص نومها الفضفاض استقبلته وهى لا تكف عن الصياح وتنظر إليه نفس تلك النظرات المريرة التى استقبلته بها ليلة أن عاد من جولد فيلد قبل أن يتزوجا..

- وأنا الذى أعددت لك. كل هذا العشاء الطيب..

فى الصباح التالى شعر ماك بصداع رهيب وباضطراب معدته.. اكتشف إنه قد أنفق خمسة عشرة دولارا كان ينبغى ألا ينفقها.. لم تتحدث ميزى إليه بينما ظل مستلقيا بالفراش يدور بعينيه الحائرتين وتملأه التعاسة.. لكم يود أن يأتى النوم ويغرق فيه إلى الأبد..

فى مساء ذلك الأحد أتى إليهم بيل شقيق ميزى لتناول العشاء.. وبمجرد أن وصل إلى المنزل أخذت ميزى تتحدث إليه كأن شيئا لم يحدث وشعر ماك بالألم.. كان يشعر بأن هذا ليس أكثر من محاولة لإخفاء ما تم من شجار عن بيل.

كان بيل متين البنيان ذو شعر أبيض ناعم كالكتان ورقبة حمراء وقد بدأ يميل إلى السمنة.. جلس إلى المائدة وأخذ يزدرد الطعام الذى أعدته ميزى.. اللحم المحمر وفطير الحنطة.. وظل يتحدث طويلا عن إزدهار المقاولات فى لوس انجلوس.. كان سائق قاطرة أصيب فى حادث لكن الحظ حالفه وفاز بالقرعة بحق الدفع فى وثيقتى تأمين اشتراها بجزء من مبلغ التعويض.. وأخذ يحاول من خلال الحديث أن يقنع ماك بالتخلى عن عمله فى سان ديبجو ليأتى معه.. وأخذ يكرر قوله.. سوف اساندك من أجل خاطر ميزى وفى خلال عشر سنوات سوف تصبح رجلا غنيا مثلما سأكون أنا خلال مدة أقل من هذا.. إنه الوقت الآن يا ميزى ليتخذ القرار بالتغيير وأنت مازلت صغيرة وشابة وإلا سوف يصبح الوقت متأخرا ويظل ماك طوال حياته مجرد عامل..

لمعت عين ميزى وهى تحضر كعكة بالشيكولاته وزجاجة من النبيذ.. كانت وجنتاها

متوردتين وهى تضحك على الدوام وتنفرج شفتاها عن أسنانها الصغيرة اللؤلؤية.. لم تبد جميلة هكذا منذ أن وضعت طفلها الأول.. إن حدث «بيل» عن النقود يصيبها بالنشوة..

قال ماك - لنفترض أن المرء لا يريد أن يصبح غنيا.. ألا تعرف حديث جان دبز حين قال «أريد أن ارتفع مع الطبقات ولا أريد أن أرتفع عليها».

ضحكت ميزى وبيل بينما صاح بيل - خذها منى كلمة.. إذا تكلم المرء هكذا فإنه لم يفلح ابدا ولم يعد يصلح لشئ..

تورد وجه ماك ولم يضف شيئا بينما جذب بيل كرسيه للخلف وقال بنبرات جادة

- ماك.. انتبه إلىّ.. سوف أظل فى هذه المدينة بضعة أيام أدرس فيها الأحوال إن الأمور تسير بشكل طيب جدا وما اقترحه الآن هو بالتحديد.. أنت تعرف أننى أهتم بميزى واعتقد أنها أطيب فتاة على سطح هذا العالم.. أتمنى لو كانت زوجتى لديها نصف ما تملكه ميزى.. حسنا على أية حال.. هاك اقتراحى.. هناك على الطريق المطل على المحيط عدة منازل رائعة من طابق واحد على النمط الإرسالى[٧١].. إى امتلكها ولم اتصرف فيها بعد.. خمسة وعشرون قدم على واجهة شارع نظيف صالح للمرور وبعرض مئة قدم.. يمكن أن أحصل فيهم على سعر يزيد على خمسة آلاف دولار نقدا..

خلال سنة أو سنتين سوف يصبح هذا الشارع.. شارع المليونيرات ولن يستطيع أحدنا أن يقترب منه.. والآن لو شئت أن تأخذ منزل باسم ميزى فأنا على استعداد لأخلصك من كل إجراءات الملكية وسوف ادفع كل نفقات التسجيل وتحويل وتسوية الرهونات.. كل هذا أفعله لكى يظل المنزل باسم العائلة.. وعلى هذا فأنت لن تتكلف أكثر مما تدفعه هنا وستكون قد وضعت قدمك على سلم النجاح..صاحت ميزى وقد إندفعت إليه تقبله على رأسه بينما جلست على مسند كرسيه وراحت تؤرجح قدميها - أوه.. بيل.. حبيبى.

وقال ماك - مرحى.. سوف أفكر فى هذا العرض طول الليل.. إنه لكرم منك أن تتقدم بهذا العرض..

صاحت ميزى بحدة - فانى.. أعتقد إنه يجب أن تكون ممتنا لبيل أكثر من هذا.. بالطبع سوف نقبل..

قال بيل - لا.. إنه على صواب فالرجل يجب أن يمعن التفكير فى هذا العرض.. لا تنسى المزايا التى ستسفيد بها.. تعليم أفضل للأولاد.. جو أكثر بهجة.. مدينة مزدهرة بدلا من تلك المدينة الكئيبة.. فرصة لكى تشق طريقك فى الحياة بدلا من أن تظل اجيرا بائسا..

وهكذا بعد حوالى شهر كانت أسرة ماك كريرى ترحل إلى لوس انجلوس.. واضافت نفقات الانتقال وتركيب الأثاث دينا على «ماك» قدره خمسمائة دولار وفوق ذلك اصيبت «روز» بالحصبة وبدأت نفقات الطبيب تزداد.

لم يستطع ماك الحصول على عمل فى أى صحيفة حتى الاتحاد المحلى الذى تم تحويله إليه كان به عشرة رجال عاطلين مثله.. وأخذ ينفق الكثير من الوقت متجولا فى المدينة يعانى من الإكتئاب ولا يرغب فى العودة إلى منزله ابدا.. إنه وميزى لم يعودا ينسجمان ابدا وهى ما فتئت تذكره فيما يحدث فى بيت أخيها بيل.. ونوع الثياب التى ترتديها زوجته مارى فرجينيا وكيف يربون أولادهم.. والفيكترولا(٧٢) الانيقة التى اشتروها بينما صار ماك يقضى وقته وهو يجلس على مقاعد الحديقة حول المدينة يقرأ.. «دعوة للتفكير».. «العامل الصناعى». وغيرها من الجرائد المحلية..

وبينما كان يجلس ذات يوم بجوار رجل ظل بجانبه فترة طويلة.. رأى جريدة «العامل الصناعى». تبرز من جيبه وشيئا ما جذبه لينظر إلى الرجل..

- بن ايفانز.. الست أنت بن إيفانز؟
- ماك.. اللعنة.. ما الخبر يافتى.. لقد غدوت نحيلا..
- أوه.. لا شئ.. لقد صرت رب بيت.. هذا كل ما هنالك..

تحدثوا مدة طويلة ثم ذهبوا ليشربوا فنجانا من القهوة فى المطعم المكسيكى حيث كان بعض الزملاء يجتمعون ثم انضم إليهم زميل أشقر.. ذو عينين زرقاوتين وكان يتحدث الإنجليزية بلكنة.. وابدى ماك دهشة عندما عرف إنه مكسيكى..

كان كل واحد يتحدث عن المكسيك.. لقد بدأ (ماديرو) الثورة وسقوط دياز يتوقع فى أية لحظة وفوق ذلك فإن الشغيلة(٧٢) قد صعدوا إلى التلال يطردون الملاك الأغنياء(٧٣) من مزارعهم.

كانت الدعاية الفوضوية تنتشر بين عمال المدينة.. وكان المقهى يفوح برائحة البن المحمص.. وعلى كل مائدة تنتشر الأزهار القرمزية والوردية والأسنان البيضاء تلمع من الوجوه البنية والبرونزية وهى منهمكة فى الحديث بصوت خفيض..

كان بعض المكسكيين ينتمون إلى الاتحاد العالمى للعمال الصناعيين I.W.W لكن معظمهم كانوا فوضويين.

شعر ماك بالسعادة وهو يستمع إلى حديث الثورة والأماكن الغريبة جعلته يستعيد الرغبة فى المخاطرة كأنما قد وجد هدفه فى الحياة مثلما كان يشعر وهو يتجول متشردا مع

إيك هال..

كان بن يقول - ماك دعنا نذهب إلى المكسيك ونرى شيئا من هذا الحديث عن الثورة - إنها ليست للصبيان.. صدق فريد هوف عندما صرخ فى وجهى قائلا إن الثورى لا يجب أن يتزوج.

ووجد ماك العمل أخيرا كموضب للينوتيب فى «التايمز» وتحسنت الأحوال قليلا فى المنزل.. لكنه لم يتوافر له ابدا أى نقود اضافية فائضة.. ذلك لأن كل شئ كان يذهب أولا بأول لاستيفاء الديون وفوائد الرهونات.

ولأنه كان عملا ليليا كان يرى ميزى والأولاد مجرد لحظات قليلة وفى أيام الآحاد كانت ميزى تصطحب «إيد» لزيارة أخيها بيل بينما كان هو وروز يتمشيان أو يتجولان بالتروللى.. كانت تلك هى أفضل لحظات الاسبوع..

فى ليالى السبت كان يذهب أحيانا للاستماع إلى محاضرة أو للثرثرة مع الزملاء فى المكتب المحلى لمنظمة العمال الصناعيين I.W.W لكنه كان يخشى دائما من وجوده مع رفقائه الثوريين خوفا من أن يفقد عمله.. كانوا يعتبرون هذا نوعا من الجبن.. لكنهم كانوا يحتملونه لكونه رفيقا قديما..

ووصلته بعض الخطابات القليلة من ميللى تخبره فيها عن صحة الخال تيم.. وكانت قد تزوجت من رجل يهودى يدعى كوهين يعمل محاسبا قانونيا.. إن الخال تيم يعيش معها.. وكم كان ماك يود أن يحضره ليعيش معه لكنه كان يدرك إن هذا يعنى المزيد من الشجار مع ميزى. كانت خطابات ميللى كئيبة جدا.. إنها تشعر بالسخرية هكذا قالت لأنها تزوجت من يهودى.. والخال تيم صحته تتدهور وقال الطبيب إن ذلك يرجع إلى الشراب لكنهم كلما اعطوه نقودا انفقها على الفور فى المزيد من الشراب.. إنها تود أن تنجب وكيف أنها تعتقد أن فانى محظوظا بأن يكون له مثل هؤلاء الأولاد الظرفاء ثم إنها تخشى أن تكون أيام الخال تيم المسكين قد باتت معدودة.

فى نفس اليوم الذى حملت فيه الصحف نبا مصرع (ماديرو)(٧٤) فى مكسيكوسيتى.. تلقى ماك برقية من ميللى تخبره فيها أن الخال تيم قد مات وترجوه أن يبعث لها بنقود من أجل مصاريف الجنازة.. ذهب ماك إلى البنك وسحب مدخراته التى كانت تبلغ ٥٣,٧٥ دولارا كان يدخرها من أجل تعليم أولاده.. وأخذها إلى «الويسترن يونيون» ليرسل لها خمسين دولارا..

لم تكتشف ميزى هذا إلا عندما أتى عيد ميلاد الطفل وذهبت لتضع الخمسة

دولارات هدية عيد الميلاد من الشقيق بيل.. فى تلك الليلة عندما عاد ماك انتابته الدهشة وهو يشاهد النور مازال يضئ فى الصالة.. وميزى ترقد نصف نائمة وهى تلتحف بالأغطية وتبدو فى انتظاره.. وشعر بالسعادة وهو يراها هكذا لكنه عندما تقدم ليقبلها انتصبت واقفة وهى تدفعه بعيداً.

- ما الذى حدث؟

- أنت لص.. لم أستطع النوم قبل أن أقول لك هذا.. تسرق النقود لتنفقها على شرابك أو على امرأة أخرى.. لا أطيق أن أراك مرة أخرى..

- ميزى.. اهدئى.. ما الذى حدث.. دعينا نتحدث فى هدوء..

- سوف أطلب الطلاق.. هذا ما سأفعله.. أتسرق نقود أطفالك لتتصعلك بها.. أطفالك الصغار المساكين..

اقترب ماك وهو يضم قبضته ويتكلم بهدوء رغم أن شفتيه كانتا ترتجفان..

- ميزى.. إن لى الحق المطلق فى التصرف بهذه النقود.. لقد أودعت المزيد منها خلال اسبوع أو اسبوعين. وهذا ليس من شأنك فى شئ.. قاطعته ميزى وهى تشهق بلا دموع - طبعا.. إنها فرصة أن يتوافر لك خمسون دولارا فأنت لست بالرجل الذى يستطيع توفير الحياة الائقة لزوجته وأطفاله ولا تتورع عن الاستيلاء على مال الأطفال الأبرياء من حسابهم فى البنك..

- ميزى.. يكفى هذا.. لقد سئمت..

- أنا الذى سئمت منك ومن حديثك الاشتراكى الملحد الذى لا ينفع أحدا فى أى مكان.. ومن المتسكعين السفلة الذين تتصعلك معهم.. لقد تمنيت من الله ألا اتزوجك ابدا.. ولم أكن لأفعل ابدا لولا ذلك الحادث الملعون.. لابد أن تثق بهذا..

- ميزى لا تتحدثى هكذا..

لكن ميزى تقدمت إليه وعيناها متسعتان تتوهجان بالحمى..

- لا تنسى إن هذا المنزل بإسمى..

- حسنا.. وأنا سوف أخرج..

وقبل أن يدرك ما يفعله كان قد خرج وصفق الباب خلفه ليجد نفسه فى الطريق.. كانت السماء قد بدأت تمطر وكل قطرة امتزجت بالتراب تحولت إلى بقعة بحجم الدولار الفضى.. لم يدر إلى أين سيذهب.. مضى يسير مبتلا حتى وجد فى إحدى الأركان فى الساحة مجموعة من الأشجار أعطته نوعا من الحماية فتوقف تحتها وهو يرتجف وأخذ

يستعيد بلوعة.. دفء ميزى اللينة عندما كان يعود من عمله الصاخب إلى منزله كل ليلة ويرفع الغطاء قليلا لينزلق بجانبها وهى نائمة.. وملمس ثدييها.. وبروز حلماتها من خلال قميص نومها الشفاف.. والأطفال فى مضاجعهم وهو ينحنى ليقبل الجباه الصغيرة الدافئة.. حسنا لقد أوشكت على النهاية.. قالها بصوت مرتفع كما لو كان يتحدث مع شخص آخر..

وما لبثت الفكرة أن مرقت برأسه... إننى حر الآن.. لأشاهد البلاد.. لأشارك فى الحركة.. لأعود طليقا كما كنت..

وذهب أخيرا إلى مأوى بن إيفانز.. مضى وقت طويل قبل أن يأتى أحد ليفتح الباب وعندما رآه بن جلس على الفراش مشدوها من أثر النوم..

- ماذا حدث بحق الجحيم؟

- بن.. لقد نفضت عنى شئون المنزل وسوف أذهب إلى المكسيك..

- هل تتعقبك الشرطة؟ إن هذا ليس مكانا تأوى اليه بحق المسيح..

- لا.. إن المسألة فقط مع زوجتى..

ضحك بن وهو يقول - أوه.. من أجل عيون الحب.. (..)

- ألا تريد الذهاب إلى مكسيكو ورؤية الثورة..

- وما الذى تستطيع بحق الجحيم أن تفعله فى المكسيك.. على أية حال لقد انتخبونى سكرتيرا للجنة المحلية ٢٥٧.. ومضطر للبقاء هنا واكتفى بال ١٧,٥ دولار.. إنك مبتل.. أخلع ملابسك وارتدى ملابس العمل المعلقة خلف الباب ومن الأفضل أن تأتى لتنام.

ظل ماك فى المدينة أسبوعين حتى استطاعوا أن يجدوا رجلا يحل محله على «اللينوتيب» وكتب إلى ميزى يخبرها بأنه سوف يرحل بعيدا وسيرسل لها نقودا من أجل رعاية الأطفال حالما يسمح وضعه بذلك..

وركب القطار ذات صباح وفى جيبه خمسة وعشرين دولارا وتذكرة إلى يوما بولاية اريزونا.. كان الطقس فى «يوما» حارا كأنما التهيت شواظ من الجحيم.. وقال له فتى فى أحد نزل السكك الحديدية إنه من المؤكد أن يموت من العطش لو حاول الذهاب إلى المكسيك.. لم يكن أحد يعلم شيئا عن الثورة بينما كان يشق طريقه على امتداد الباسفيك الجنوبى إلى (الباسو) وقال الجميع إن جهنما قد أطلق عقالها عبر الحدود وقطاع الطرق على وشك الاستيلاء على (جواريز) فى أية لحظة وهم يطلقون الرصاص على

الأمريكين بمجرد رؤيتهم.

كانت بارات (الباسو) مليئة بمزراعى الماشية وعمال المناجم ولا حديث لديهم غير الحسرة على الأيام الجميلة الماضية عندما كان «بورفيريو دياز» فى السلطة. كان الرجل الأبيض يستطيع أن يجنى مالا طيبا فى المكسيك..

وهكذا.. بقلب واجف مضى ماك ليعبر الجسر الدولى إلى طرقات جواريز الطينية المتربة التى يخيم عليها التوتر..

سار ماك يتطلع إلى عربات الترولى الصغيرة والبغال وإلى الجدران المطلية باللون الأزرق السماوى وإلى نساء (البيون) وهن يتربعن خلف أكوام الفاكهة فى ساحة السوق وإلى واجهات الكنائس المهشمة والبارات الواسعة التى تطل على الشارع.

كان كل شئ غريبا والهواء الساخن يلذع منخاريه وهو يفكر ما الذى سيفعله بعد ذلك.

كان الوقت متأخرا بعد ظهر ذلك اليوم من أيام ابريل والقميص القطنى الأزرق الذى يرتديه قد بلله العرق.. وهو يشعر بالرغبة فى الاستحمام.. لكنه قال لنفسه «لم يعد الأمر يحتمل التفكير فى مثل هذه الأشياء».

ومضى يغذ السير يبحث عن منزل لرجل يدعى (ريكاردو بيريز) أرشده إليه واحد من الفوضويين المكسيك فى لوس انجلوس.. حتى وجده أخيرا..

كان المنزل الواسع ذو الفناء القذر يقع على أحد أطراف المدينة.. ويضع نساء ينشرن الغسيل لم تستطع واحدة منهن أن تفهم كلمة واحدة من كلامه.. حتى سمع أخيرا صوتا ينادى من أعلى بلهجة انجليزية منغمة يشوبها الحذر..

– تعال من فضلك إن كنت تبحث عن رديكاردو بيريز.. أنا ريكاردو بيريز.. نظر ماك فرأى رجلا طويلا ذا لون برونزى وشعر رمادى يتشح بمئزر قديم وهو يطل منحنيا من إحدى الشرفات التى تطل على الفناء.. فأسرع يرتقى الدرجات الحديدية ليصافح الرجل الذى استقبله قائلا..

– صديق العمال ماك كريرى.. لقد أبلغنى الرفاق إنك ستأتى..

– هأنذا.. إنى مسرور لأنك تتحدث الإنجليزية.

– لقد قضيت عدة سنوات فى سانتافى وفى بروكتون بماسشوتس تفضل بالجلوس.. أننى سعيد بأن أرحب بعامل أمريكى ثورى وعلى الرغم من أن أفكارنا لا تتوافق تماما إلا أن لدينا أشياءا كثيرة مشتركة نحن رفاق فى المعركة الكبرى.

وأخذ يربت على كتف ماك وهو يستحثه على الجلوس بينما كان هناك عدد من الأطفال الصغار بوجوههم الصفراء الشاحبة وملابسهم الممزقة يلعبون فى الفناء حفاة الأقدام..

جلس ريكاردو بيريز.. وأخذ أصغرهم على ركبتيه.. طفلة صغيرة بضفائرها الملتوية ووجهها المطلخ بالقذارة.. وكان المكان كله يفوح برائحة الفلفل وزيت الزيتون المحترق.. والأطفال والغسيل..

– ما الذى تنوى أن تفعله فى المكسيك أيها الرفيق العامل..

تورد وجه ماك وهو يرد قائلا..

– أوه.. أريد إن أشارك فى تلك الأشياء.. فى الثورة.

– إن الوضع مرتبك جدا هنا.. فعمال المدن هنا منظمون ويمتلكون الوعى الطبقى لكن البيون والفلاحين من السهل تضليلهم بهؤلاء القادة الذين يتجردون (من أى قيمة أخلاقية) من الضمير.

– بيريز.. لابد لى أن اشارك فى عمل.. لقد كنت أعيش فى لوس انجلوس وكان يمكن أن أظل مجرد مشجع لعين كالباقين.. أظننى استطيع أن.. أعمل فى قسم المطبوعات..

– من الواجب أن أقدمك إلى الرفاق.. تفضل فسوف نذهب الآن.

كان الغسق الأزرق قد بدأ يلف الطرقات وأضواء المصابيح تنتشر شاحبة صفراء.. وأصوات أجهزة البيانو الميكانيكية تجلجل متنافرة عبر أبواب البارات وعلى أحد المداخل كانت اوركسترا مهلهلة تعزف.. وساحة السوق تتوهج بالأضواء وتمتلأ بالبضائع المتعددة الألوان التى تباع فى الاكشاك..

وفى احدى الزوايا جلس هندى عجوز أعمى وامرأة عمياء عريضة الوجه يستجديان بإلحاح ويغنيان أغنية لا نهاية لها بصوت ثاقب وسط حشد من الريفيين.. كانت المرأة تلتف بوشاح أسود يغطى رأسها بينما ارتدى الرجال ملابسهم القطنية البيضاء التى تشبه البيجامات..

– إنهم يغنون عن مصرع ماديرو.. إنه شئ جيد لتربية الناس الذين لا يستطيعون قراءة الصحف فيتلقون الأنباء من الأغنيات.. إنه مفوضكم الذى قتل «ماديرو».. كان مثاليا برجوازيا لكنه كان رجلا عظيما تفضل.. هذه هى القاعة.. انظر إلى هذا الشعار «لتحيا الثورة التحررية كمقدمة للثورة الاشتراكية».. هذه قاعة اتحاد الفوضويين للصناعة

والزراعة.. إن «هُيرتا» له بعض الأنصار هنا لكنهم من الضعف بحث لا يجرؤون على مهاجمتنا إن مدينة «جواريز» بالقلب والروح مع الثورة.. تفضل.. سوف تحيى الرفاق ببضع كلمات..

كانت القاعة التى يلفها الدخان والمنصة تمتلئ بالرجال ذوى الوجوه السمر الداكنة بملابس العمل الزرقاء.. وفى المؤخرة يوجد بعض (البيون) بالملابس البيضاء.. وراحت العيوان السوداء تحدق به.. وامتدت الأيدى لمصافحته.. وعانقه رجال عديدون واخلوا له مقعدا رئيسيا فى الصف الأمامى على المنبر.. كان واضحا أن ريكاردو بيريز هو الزعيم فعند كل وقفة فى خطابه تنطلق عاصفة من التصفيق.. وخيم على القاعة شعور قوى بأن أحداثا هامة سوف تقع..

عندما نهض ماك واقفا إنطلق صوت من القاعة يهتف بالإنجليزية..

- التضامن إلى الأبد..

تمتم ماك بضع كلمات موضحا إنه ليس مندوبا رسميا عن منظمة عمال العالم الصناعيين (I.W.W) لكن أى عامل امريكى يملك وعيا طبقيا يرقب الثورة المكسيكية بآمال كبيرة ثم ختم حديثه بشعار المنظمة عن بناء مجتمع جديد داخل قشرة المجتمع القديم.. وعندما ترجم بيريز كلماته استقبلت استقبالا حماسيا غمر ماك بالسعادة.

استمر المؤتمر طويلا.. ألقيت العديد من الكلمات وتخللتها بعض الأناشيد.. ووجد ماك نفسه يميل برأسه عدة مرات فقد كان وقع اللغة الأجنبية عليه يجلب إليه النعاس.. لكنه عزم بالطبع أن يكون يقظا حتى بدأت الفرقة الصغيرة على باب القاعة المفتوح تعزف ويدأ الجميع ينشدون وانفض الاجتماع.. قال بيريز - تلك أغنية (كواترو ميلباس) ومعناها (أربعة حقول قمح) تلك هى أغنية (البيون) التى يغنيها الجميع الآن

قال ناك.. إنى على وشك الموت جوعا. وأريد أن اتناول شيئا يؤكل فى مكان ما.. لم أتناول طعاما منذ الصباح حيث شربت فنجانا من القهوة وتناولت شطيرة فى (الباسو).

رد بيريز - سوف نأكل فى منزل (رفاقنا) تفضل من هذا الطريق.. ومضوا خارجا.. كان الشارع قد صار مظلما وخاليا ونفذوا من خلال أحد الأبواب الجانبية الذى اسدلت عليه ستارة مطرزة إلى حجرة بيضاء نظيفة تشع بالضوء الذى ينبعث من مصباح استيلين يفوح برائحة نفاذة.. ثم جلسوا فى نهاية مائدة طويلة غطيت بقماش مبقع، وبالتدريج بدأت المائدة تمتلئ بالرجال الذين حضروا الاجتماع ومعظمهم شباب مازالوا يرتدون ثياب العمل الزرقاء ووجوههم تبدو نحيفة صارمة.. وعلى الطرف الآخر من المائدة

جلس عجوز أسود الوجه ذو أنف ضخم وصدغ عريض يميز قسمات الهندى.. صب بيريز لماك كأسين من شراب أبيض طيب المذاق جعل رأسه يدور.. وكان الطعام ساخنا ومتبلا بالفلفل والبهارات اللاذعة لم يستطيع أن يزدرده دون أن يغص به.. وأخذ المكسيكيون يحتفون بماك كطفل فى حفلة عيد الميلاد وكان عليه أن يشرب العديد من اقداح البيرة والكونياك..

غادر بيريز المنزل مبكرا وتركه فى رعاية شاب يدعى (بابلو).

كان بابلو يحمل مدفعا اتوماتيكيا يتدلى من كتفه ويبدو مزهوا به وراح يتكلم برطانة انجليزية ركيكة وهو يجلس وقد طوق بإحدى يديه عنق ماك ووضع يده الأخرى على جراب المسدس وأخذ يردد

- الامريكانى[٧٥] شرير.. إقتله بسرعة.. رفيق عامل.. حسنا.. أممى.. مرحَى..

غنوا نشيد الأممية عدة مرات ثم المارسيلييز والكارمنيول[٧٦] ووجد ماك نفسه يندمج تماما فى هذا الجو المضبب اللاذع.. إنطلق يغنى ويشرب.. ويأكل كل شئ حتى بدأ يفقد السيطرة على نفسه..

قال بابلو - الرفيق.. يتزوج.. فتاة حلوة..

وأشار بيديه تحت رأسه وهما يجلسان فى مكان ما على البار دلالة على وضع النوم.. - تعال..

مضوا إلى قاعة الرقص. على المدخل كان على كل فرد أن يترك بندقيته على منضدة يحرسها أحد الجنود يرتدى خوذة حمراء.. ولاحظ ماك إن الرجال والنساء يحاولون أن يتحاشوه.. ضحك بابلو قائلا..

- إنهم يظنونك امريكانى.. سوف أقول لهم.. ثورى.. أممى.. ريفيلوسناريو.. انترناشونال..

وعلى البعد كانت تقف فتاة جميلة / - فتاة عاملة جميلة.. أيها الرفيق.. ليست عاهرة ملعونة.. ليست للبيع..

وجد ماك نفسه يتعرف على الفتاة ذات الوجه البنى العريض التى ارتدت ثيابا انيقة وشعرها ينسدل عليها اسود لامعا كانت تدعى انكازنسيون..

ابتسمت له - ربت على خدها - شربوا بعض البيرة على البار قبل أن يغادروا.. قاعة الرقص ويذهبون إلى منزل انكارنسيون مع بابلو الذى اصطحب معه فتاة أيضا.

كان منزل انكارنسيون مجرد حجرة وسط فناء صغير تمتد ورائه الأرض الجرداء إلى

أقصى حدود النظر وتبدو الصحراء كأنما امتدت بلا نهاية تحت ضوء القمر الباهت.. وعلى البعد كانت تنطلق بعض ومضات النيران التى أخذ بابلو يشير إليها بيده المنبسطة الممدودة وهو يهمس - الثورة.. قبل أن يمضى مودعا أياهم على باب الحجرة الصغيرة التى لم يكن بها غير الفراش.. وصورة العذراء.. وصورة فوتوغرافية حديثة لماديرو قد علقت بدبوس.

أغلقت انكارنسيون الباب وثبتته بالمزلاج وجلست على الفراش تتطلع إلى ماك وعلى شفتيها إبتسامة.

عين الكاميرا (١٢)

عندما ذهب الجميع بعيدا فى رحلة.. كانت «جينى» تأخذنا كل يوم لنلعب فى ميدان «فاراجوت». كانت تحدثك عن «جورا»[٧٧] فى الشتاء وكيف كانت الذئاب تأتى لتعوى فى طرقات القرية وأحيانا كنا نرى الرئيس «روزفلت» يتجول بمفرده على فرسه الكميت.. وذات مرة شعرنا بمنتهى الفخر لأننا بعد أن رفعنا قبعاتنا للتحية ابتسم ولمعت أسنانه كما تبدو فى الصحف ولمس قبعته.. كنا فخورين جدا وكان يصطحب معه أحد معاونيه.. لكنه كان معنا صديق من رجال الكنيسة اعتدنا أن نلعب معه على الدرجات حتى يبدأ هبوط الظلام وتعوى الذئاب فيهرع الأطفال الصغار والدم يكاد يتجمد فى أنفوفهم خلال طرقات القرية.. لكن.. لقد كان الوقت صيفا فلا ندرى أكلاب هذه أم ذئاب لكنهم يضعوننا فى الفراش - كانت «جين» فتاة فرنسية صغيرة من «جوارا» حيث تعوى الذئاب وتجوس فى الطرقات.. وعندما يكون الكل قد رقد فى فراشه كانت تأخذك إلى فراشها.

ثم تتلو قصة طويلة جدا ومرعبة وافظع الذئاب التى كانت تعوى خلال الطرقات التى لفها الغسق ويجمد دماء الأطفال فى جورا هو «الذئب جارو»[٧٨]. كنا فزعين.. وكان لها ثديان تحت قميص نومها والذئب جارو فظيع للغاية.. اسود الشعر.. ويحتك بها.. وفى الخارج الذئاب تعوى فى الطرقات.. صارت مبللة.. لكنها قالت.. لا شئ.. إنها فقط قد غسلت نفسها..

لكن «الذئب جارو» كان فى الحقيقة رجل.. لى معه علاقة الفة.. رجل عوى خلال الطرقات أنفه المحتقن الذى مزق أحشاء الفتيات والأطفال الصغار.. ذلك الذئب جارو.

بعد ذلك عرفت ماذا تفعل الفتيات وكم كانت سخيفة وهى تطلب منك أن تقسم لها ألا تخبر أحدا.. إنك لن تفعل ذلك بأية حال.

جريدة سينمائية (١٠)

اخفاق مشروع عقد امتياز

المنشقون يفوزون بانتخابات كنساس.. أوك بارك تشارك فى الاحتفال.. ثمانية آلاف يبدأون رحلة مشيا على الأقدام.. يقول فتاة تتوسل من أجل زوجها..

شعور الشفقة يلقى استحسانا..

اوه.. أيتها المحبوبة الجميلة...

أنت أكبر وأجمل دمية..

قالت : إن العالم لا يستطيع أن يفهم ما يعينه هذا.. إنه يبدو كشئ عادى من عاديات هذا العالم مطلى بالزخارف الرخيصة الفجة.. لكنه ليس هناك شئ من هذا.. أنه شريف مخلص.. لقد عرفته.. لقد قاتلت معه جنبا لجنب وقلبى معه الآن.

دعينى الف ذراعى حولك.. يا حلوتى

.. إنى مبتهج لأنى وجدتك..

الجو راكد تقريبا فى منتصف الصيف

كساد فى الأعمال البحرية.. مليون عاطل يجولون سكارى..

المحلفون فى جانب العقاب للبارونات السمان..

قارن الحب ببركان فيزوف.. الشوارع المزدانة تنتظر قافلة الأبطال..

يا حلوتى.. السث مبتهجا لأنى وجدتك..

أوه.. أيتها المحبوبة الجميلة..

أنت أكبر وأعظم وأجمل دمية

يقايض حصانا أبيض بأحمر..

جيوش «ماديرو» تهزم المتمردين فى «بارال» / روزفلت يحصل على تأييد الينوى خطبة تبعث على النوم.. شيكاغو تلتمس زيادة المياه.

الفوضويون الذين أدلوا بالاعترافات يركعون ليقبلوا العلم الأمريكى.

حركة «صن بيم» تأخذ فى الانتشار..

القنبلة رقم (٤) فى حرب الليفى Levee تتناثر شظاياها فى الجانب الغربى لحانة.

التقرير المطبوع يوم الأربعاء بأن المريض المقيم بالجناح الخاص فى مستشفى القديس لوقا لإجراء عملية لاستئصال ورم سرطانى فى جذر اللسان هو الجنرال جرانت قد تم نفيه من قبل سلطات المستشفى والليفتانت هاوزس وصف القصة بأنها تلفيق محض.

عين الكاميرا (١٣)

كان قبطان قاطرة وكان يعرف طريق النهر مغمض العينين من «انديانهيد» حتى رأس فرجينيا والخليج والشاطئ الشرقى حتى «بلتيمور».. وعاش فى منزل من القرميد الأحمر فى الاسكندرية - كانت قمرة القبطان تشيع فيها رائحة مئات الغلايين المنطفئة. هذا «ماى فلور» يخت الرئيس.. والذى هناك هو «دولفين» أما هذه فحاملة الزيت «تيبكانو» وهناك زورق تموين ونحن نمر الآن بجانب زورق بو - ليس وعندما يشب الكابتن «كين» ليجذب الصفارة التى تتدلى من سقف القمرة كنت تستطيع أن ترى الحلقات الحمراء والخضراء التى وشحت معصمه تحت الشعر الأسود. ياحبيب الروح والقلب الكابتن جيفورد العجوز كان صديقى - اعتدنا أن نصيد المحار معا فى معظم الأوقات وقراصنة اللؤلؤ قد اعتادوا أن يجمعوا صبيان شنغهاى فى تلك الأيام ويجعلونهم يعملون طوال الشتاء وأنت لا مهرب لك إلا إذا استطعت أن تسبح إلى الشاطئ والماء بارد جدا كاللعنة والرجل العجوز اعتاد أن يأخذ ملابس الصبية بعيدا حتى لا يستطيعون الذهاب إلى الشاطئ عندما كانوا يرسون بالمركب وهم يثبتون القارب بالقرب من منزل.. ياحبيب الروح والقلب قراصنة اللؤلؤ أناس يصعب التعامل معهم.. مرة ظلوا يعملون حتى سقط منهم صبى وبالكاد سحبوه حتى القوة على السطح.. قراصنة اللؤلؤ لا يراعون أدنى شفقة وعندما تطرح الشباك لالتقاط المحار كل شئ يتجمد ويدك تتسلخ والشبكة تلقى كل دقيقة ويجب أن نثبتها بأيدينا فى الماء المجمد حتى تتيبس.. ما هو التيبس؟ التيبس يا حبيب الروح والقلب شبيه بالموت.. والصبى كان هكذا.. بلا حراك.. يبدو أنه اصطدم بعمود التثبيت أو بالمجداف.. شئ مخيف.. والرجل العجوز فقط ضربه حتى مات.. بالتأكيد كن أى شئ غير قرصان للمحار.

جانى

عندما كانت جانى صغيرة عاشت فى بيت قديم من القرميد الأحمر من طابقين يقع أعلى التل فى نهاية شارع M فى جورج تاون.. كانت واجهة المنزل دائما مظلمة لأن الأم تفضل أن تحتفظ بالستائر الحريرية الثقيلة مسدلة.. وبعد ظهر أيام الآحاد تجلس جانى بصحبة جو وإلن وفرانسى فى الصالة الأمامية وهم يشاهدون الصور أو يقرأون الكتب.. كانت جانى وجو يقرآن صفحة النكات معا لأنهما الأكبر سنا أما الآخران فكانا مجرد طفلين صغيرين لم يعرفا بعد ماذا تعنى الفكاهة.. وكانا لا يستطيعان الضحك بصوت عال لأن

الأب كان يجلس مع بقية صحيفة «الصنداى ستار» وهو يضعها على حجره.. وعادة ما يروح فى النوم بعد الغذاء والصحيفة مطوية فى يده الكبيرة المعروقة وأشعة الشمس الباهتة تنفذ من خلال الستائر وتسقط على وجهه الأصلع وقصبة أنفه الكبيرة الحمراء وشاربه المتدلى وسترة يوم الأحد المبقعة.. وأكمام القميص البيضاء المنشاة ذات الأساور المصقولة والتى تثبت أعلى المرفق بضاغط من المطاط.

كانت جانى وجو يجلسان على نفس المقعد يشعران بضلوعهما تكاد تقفز عندما يضحكان على صبية «كاتز نجمار» وهم يفجرون مفرقعة تحت كرسى الكابتن وكان الصغيران ينظران إليهما وهما يضحكان ويبدان فى الضحك فينظر إليهما «جو» محذرا وهو يهسهس بزواية فمه..

- اسكتا.. انتما لا تعرفان ما نضحك عليه.. ألا تستطيعان السكوت. وفى لحظة إن لم يكن هناك صوت صادر من الأم التى تأخذ قيلولة يوم الأحد فى الطابق الأعلى راقدة على الفراش فى حجرة النوم بردائها الليلكى الباهت ذو الكشكشات وبعد أن يستمعا طويلا لشخير الأب ينزلق جو من فوق المقعد وجانى فى أثره وهما يكتمان أنفاسهما عبر الصالة الامامية والباب الخارجى.. وبمجرد أن يغلقا الباب بحرص حتى لا تصدر منه ضجة ستدير جو ليلطمها وهو يصيح - عندك واحدة .. ثم يهرع هابطا التل إلى شارع M وتجرى فى أعقابه.. قلبها يدق وأيديها باردة خوفا من أن يتوه عنها ويتركها وحيدة.

فى أيام الشتاء تغطا الطرقات بالجليد والنساء الملونات يقذفن مخلفات الأفران خارج الأبواب فى موعد ذهاب الأطفال إلى المدرسة صباحا.

لم يكن جو يمضى معهم لأنهم بناتا.. فهو يتأخر فى الخلف أو يجرى متقدما عنهن وكم كانت جانى تود أن تسير معه غير أنها لا تستطيع أن تترك شقيقاتها الصغيرات اللائى يتعلق بأيديها.

وفى ذات شتاء اعتادوا أن يصعدوا التل مع فتاة صغيرة ملونة تعيش بجوارهم عبر الشارع تدعى «بيرل» كانت جانى وبيرل بعد الظهر تعودان إلى المنزل معا.. وبيرل كان معهما دائما بنسان تشترى بهما بعض الحلوى أو الموز المسكر من المحل الصغير فى طريق «ويسكونس» اعتادت دائما أن تقتسمها مع جانى.. لذلك كانت جانى تحبها تحبها جدا، حتى دعتها ذات يوم للحضور واخذتا تلعبا لعبة العرائس معا فى الفناء الخلفى تحت ايكة من الأزهار الوردية. عندما رحلت بيرل سمعت صوت أمها يناديها من المطبخ كانت الأم تطوى أكمامها فوق ذراعيها الهزيلين.. وترتدى مئزرا يمتلى بالبقع وهى تعد الشطائر

للعشاء ويداها مغطاة بالدقيق..

- تعالى هنا..

ادركت جانى من ارتعاشة صوتها إنها قد ارتكبت خطأ ما فتوقفت أمامها وهى تهز رأسها وتؤرجح ضفيرتها.. - نعم يا أمى..

احست جانى بقلبها ينقبض ويعتصره الألم واحتقن وجهها.. لا تعرف لماذا.

- لا تسيئى فهمى فأنا أحب واحترم الملونين فبعضهم محترم ظريف حيث يقيم لكن لا يجب أن تحضرى هذه البنت إلى المنزل مرة أخرى.. العطف على الملونين واحترامهم علامة من علامات التربية الجيدة لا تنسى أن عائلة أمك من أصل عريق.. إن «جورج تاون» مختلفة هذه الأيام.. لقد عشنا فى منزل كبير بمروج خضراء جميلة.. لكن لا يجب أن تختلطى بالملونين وتعامليهم على قدم المساواة فمن الأهمية أن نراعى هذه الأشياء وسط الجيران..

لا البيض ولا السود يحبون هؤلاء الذين... هذا كل شئ جانى.. أنت تفهمين والآن أذهبى وألعبى فبعد قليل يحن موعد عشائك.

حاولت جانى أن تتكلم لكنها لم تستطيع.. جلست متصلبة وسط الفناء على الغطاء الشبكى الذى يغطى أنبوبة الصرف تحملق فى السياج الخلفى وجو يصيح فى أذنها.. - حبيبة الزنوج هاى.. هو.. هاى.. حبيبة الزنوج.. هاى هو.. هاى.. حبيبة الزنوج.. هاى.. هو.. هاى.

وأخذت جانى تبكى.

كان جو صبيا صموتا أصفر الشعر تعلم السباحة والغطس فى «روك جريك» واعتاد أن يقول أنه سوف يصبح سائق سيارة عندما يكبر وعندما أصبح أفضل أصدقائه لعدة سنوات «اليك ماك فرسون» الذى كان أبوه سائق قاطرة غير جو رأيه وود أن يصبح سائق قاطرة. اعتادت جانى أن تصحبهم عندما يسمحون لها بذلك إلى حظيرة العربات على طريق بنسلفانيا حيث كان لهم أصدقاء من الكمسارية والسائقين يتركونهم يصعدون إلى سطح الشاحنات أحيانا إن لم يكن هناك مفتشين. أو إلى القناة أو حيث يصعدون إلى «روك جريك» يصطادون الضفادع وينزلون إلى الماء ويقذفون بعضهم بالوحل.. وفى أمسيات الصيف حيث يطول النهار بعد العشاء كانوا يلعبون لعبة الأسود والنمور مع غيرهم من أطفال الجيران على الأعشاب النابته فى بعض المساحات الخالية بالقرب من مقبرة «اوك هيل» - وعندما تكون الحصبة أو الحمى القرمزية منتشرة لا تسمح لهم الأم

بالخروج فترة طويلة يأتى «اليك» اليهم ويلعبون «الثلاث قطات» فى الفناء الخلفى.

كانت هذه أحب الأوقات إلى نفس چانى حيث كان الأولاد يعاملونها كواحد منهم وحيث يهبط الظلام وقد تشبعت أجسامهم بالإثارة وهم يسعون وراء الفراشات. وعندما يكون الأب معتدل المزاج يرسلهم أعلى التل إلى الصيدلية فى شارع N لشراء الآيس كريم حيث كان الشبان بقمصانهم وقبعاتهم القش يخطرون مع الفتيات اللاتى يرتدين ايشاربات تحميهن من لسعات البعوض.. وحيث تنتشر رائحة العطور الرخيصة مع الروائح العفنة التى تنبعث من مساكن العائلات الملونة التى تتجمع أمام أبواب المنازل وأفرادها يضحكون ويتحدثون وتبرق أسنانهم بينما تدور محاجر عيونهم البيضاء.

كانت تلك الليالى الحارة الثقيلة الكئيبة تمتلئ بالعرق والرطوبة وتعج بالضجيج والحشرات وقعقعة عربات المرور فى شارع M . وهواء الشوارع يبدو خانقا ساكنا تحت الأشجار الكثيفة.. لكنها عندما تكون بصحبة إليك وجو لم تكن تخشى شيئا حتى من السكارى والملونين الذين يتسكعون بخطوات متهالكة.

عندما يعودون كان الأب يأخذ فى تدخين السيجار وهم يجلسون فى الفناء الخلفى وسط لسعات البعوض والأم والعمة فرانسين والصغار يلتهمون الآيس كريم بينما الأب يدخن ويسرد الحكايات أيام كان قبطان قاطرة سحب فى شيسبياك زمن الشباب وانقذ الزورق «نانسى كيو» من كارثة أثناء أحدى العواصف.. حتى يحين موعد الذهاب إلى الفراش ويعود «إليك» إلى منزله وتأوى جانى إلى فراشها فى الحجرة الخلفية الصغيرة الخانقة بالطابق الأعلى مع اختيها الصغيرتين اللتين ترقدان على سريرهما بجوار الحائط المقابل وتظل هى متيقظة تحملق فى السقف وتكاد تتجمد من الرعب.. هل يمكن أن تنزل صاعقة الآن وتدهم البيت؟ حتى يأتى صوت أمها وهى تتأكد من اغلاق النوافذ ثم صفقة الباب ورائها فتشعر ببعض الطمأنينة وزمجرة الريح ودقات المطر وصوت الرعد يتجمع فوق رأسها ويصيبها بالخوف فتود لو إنها ذهبت إلى حجرة جو لتنام فى الفراش معه لكنها تخشى من أن تفعل ذلك.. فى بعض الأحيان كانت تذهب بالفعل حتى باب الغرفة لكن شيئا ما يجبرها على العودة فسوف يضحك جو عليها وسوف يدعوها بالرعديدة. لم يكن يمر اسبوع تقريبا دون أن يأخذ جو علقة..يأتى الأب إلى المنزل من مكتب براءات الاختراع حيث يعمل.. غاضبا متوعك المزاج.. تخشاه البنات وينسحبن إلى الداخل كالفئران المذعورة لكن جو على ما يبدو يتعمد إثارته فيأخذ فى الجرى وهو يصدر الصفير فى الردهة الخلفية أو يقفز السلالم وهو يطرق بحذائه ذو الكعب الحديدى فيثير ضجة هائلة

ويبدأ الأب فى تعنيفه وجو يقف أمامه دون أن يتكلم يبحلق فى الأرض بعينيه الزرقاوتين المحتقنتين.. وتقف جانى تكاد تتجمد من الرعب وهى ترى الأب يدفع جو أمامه إلى «الحمام» وهى تدرك ما سوف يحدث لسوف ينتزع مشحذة الموسى الجلدية من خلف الباب ويضع رأس الصبى وكتفيه تحت ذراعه ثم ينهال عليه بالضرب ويصر جو على أسنانه ويحمر وجهه لكنه لا ينطق بكلمة حتى يتعب الأب من ضربه.. ينظر كلاهما إلى الآخر حتى يأمره الأب بالذهاب إلى حجرته ويقفل هابطا السلم وهو يرتعش من رأسه حتى اخمص قدمه ويعتبر كأن شيئا لم يحدث وتتسلل جانى إلى الفناء وهى تضم قبضتيها وتهمس لنفسها.. إنى أكرهه.. أكرهه.

ذات ليلة من ليالى السبت كانت السماء تمطر رذاذا وقفت جانى تستند إلى السياج فى الظلام وهى تنظر إلى الغرفة المضيئة تستمع إلى صوتى الأب وجو وهما يحتدان.. وتشعر بأنها سوف تسقط ميتة عند أول ضربات السوط. لم تكن تتبين ما يقولان وفجأة أتى صوت الجلد وهو يشق الهواء مختلطا بشهيق جو المكتوم.. كانت فى الحادية عشرة من عمرها لكنها أحست بشئ ما يثور داخلها فإذ بها تهرع إلى المطبخ بشعرها المبلل وتصرخ فى وجه أمها.. إنه يقتل جو.. أوقفيه.. لكن الأم استدارت ورفعت وجهها الشاحب المستكين من فوق الإناء الذى كانت تنظفه قائلة.. - أوه.. لن يمكنك فعل شئ..

إندفعت جانى تصعد درجات السلم وأخذت تهوى على باب الحمام وهى تصرخ.. كفى.. كفى.. فُتح الباب وكانت خائفة لكن شيئا ما أقوى دفعها على البقاء.. كان جو ينظر ببلاهة بينما احتقن وجه الأب وهو يقف والسوط فى يده..

- أضربنى أنا.. أنا التى استحق الضرب.. لن اسمح لك بأن تضرب جو هكذا وانبثقت الدموع من عينها.

أتى صوت الأب عطوفا على غير عادته - إذهبى أنت إلى الفراش بدون عشاء وتذكرى أن تدخرى قوتك لمشاكلك الخاصة.

هرعت إلى الفراش وهى ترتجف وعندما راحت فى النوم ايقظها صوت جو.. كان يقف برداء النوم على الباب وهو يهمس.

- جانى.. لا تفعلى هذا ثانية.. استطيع التكفل بنفسى.. إن البنت لا يصح أن تتدخل بين الرجال هكذا.. عندما أحصل على عمل وأملك نقودا سوف اشترى بندقية فإن حاول أبى أن يضربنى قتلته بها.

بدأت جانى تشهق بالبكاء.

- على ماذا تبكين.. إن هذا ليس فيضان جو نستاون.

وسمعته وهو يهبط السلم على أطراف أصابعه العارية.

عندما أصبحت جانى فى المدرسة الثانوية تلقت تعليما تجاريا.. تعلمت الاختزال والكتابة على الآلة الكاتبة.. كانت فتاة نحيلة الوجه ليست على هذه الدرجة من الجمال.. صفراء الشعر.. هادئة محبوبة من الاستاذة التقطت الكتابة والاختزال بسهولة واحبت القراءة وأخذت فى استعارة الكتب خارج المكتبة مثل فى قلب الفنجان - معركة الأقوياء - فوز بابربارا ورث[٧٩]. كانت الأم تحذرها دائما من أن كثرة القراءة تؤذى عينيها لكنها عندما كانت تقرأ تتخيل نفسها بطلة الرواية وهذا الأخ الضعيف الذى يهوى إلى الرذيلة لكنه فاضل فى قرارة نفسه وعلى استعداد للتضحية مثل سيدنى كارتون فى «قصة مدينتين»[٨٠] يشبه «جو» أما البطل فهو «إليك» كانت تعتبر «إليك» أجمل و أقوى فتى فى جورج تاون بشعره الأسود القصير وجلده الأبيض المبقع بالنمش وأكتافه القوية المربعة التى تبدو عندما يسير.. وبعده يأتى «جو» فى جمال الوجه والقوة ثم إنه أفضل لاعب للبيسبول.. كان الجميع يتوقعون له أن يستمر فى المدرسة الثانوية بفضل موهبته هذه ولكن فى نهاية السنة الأولى قال الأب أن لديه ثلاث بنات يجب أن يعولهم وأن على «جو» أن يبحث عن عمل وهكذا التحق بالعمل كفتى مراسلة فى «الويسترن يونيون».

كانت جانى تبدو فخورة به وهو يخطر فى بذلته حتى بدأت الفتيات يسخرن منها بسببه.. أما أهل «إليك» فقد وعودوه بالإلتحاق بالجامعة إذا بذل جهدا طيبا فى المدرسة الثانوية وكان هو بدوره يعمل بجد.. لم يكن خشنا بذئيا مثل باقى الأولاد الذين يعرفهم «جو» وكان دائما لطيفا مع «جانى» على الرغم من أنه لم يحاول أبدا أن ينفرد بها.. إنها تميل إليه بشغف.. كانت تحاول دائما أن تقنع نفسها بهذا.. إن أجمل أيام حياتها ذلك اليوم من أيام الأحد الذى اعتزموا فيه الذهاب للتجديف قرب الشلالات الكبرى.. كان يوما صيفيا قائظا أعدت فيه الغذاء الليلة السابقة وفى الصباح اضافت قدرا من اللحم المفروم وجدته فى الثلاجة.. واستيقظوا قبل أن يستيقظ أحد وكانت الظلال الزرقاء الداكنة مازالت تجثم على الشوارع بمنازلها القرميدية وأشجارها الصيفية الخضراء.. تسللت هى وجو خارج المنزل فى السابعة والتقوا «بإليك» الذى كان فى انتظارهم على المحطة وبيده قدر صغير ولحقوا بالأوتوبيس وهو يوشك على الرحيل إلى قنطرة كابينجون.. كانوا بمفردهم فى العربة حتى بدت كسيارة خاصة سارت وهى تتأرجح مخلفة ورائها أكواخ ومنازل الملونين على امتداد القناة وأخذت تطوف على جوانب التل الذى امتلأ بحقول الذرة

المتماوجه التى اصطفت بعيدانها الطويلة كالجنود وأوراقها العريضة الملفوفة بالشرابات التى أخذت تلمع تحت أشعة الشمس بوميض أبيض زرقاوى.

وحول العربة المترنحة ارتفع طنين الجنادب وازيز الذباب وموجات الدخان الخانق الذى يتصاعد إلى السماء الشاحبة.

أكلوا التفاح الصيفى الحلو الذى اشتراه «جو» على المحطة من امرأة ملونة وأخذوا يطاردون بعضهم فى العربة ويرتمون على بعضهم فى المقاعد.. ضحكوا وضحكوا حتى نال منهم التعب والعربة تنطلق وسط الغابات ومن خلال الأشجار بدت معدات التقطيع كالأحصنة الخشبية رأخيرا غادروا العربة فى «كابينجون» وقد نالوا من السعادة ما يكفى قطيع من القردة.. وانطلقوا إلى القنطرة ليشاهدوا النهر وهو ينساب بلونه البنى الداكن تحت أشعة الصباح المشرق بين ضفتين تكاثفت عليهما الحشائش. وجدوا قارب التجديف الذى يملكه أحد أصدقاء «إليك» أمام المنزل.. واشتروا بعض الكريم بالصودا والبيرة وبدأوا يجدفون.. كان إليك وجو يجدفان وجانى تجلس عند القاعدة وقد وضعت سترتها كوسادة. أخذ «إليك» يجدف فى المقدمة فى الحر القائظ حتى تبلل قميصه بالعرق والتصق بعضلات ظهره الممتلئ الذى راح يتجسم مع كل ضربة.. وبعد لحظة خلع الشبان ملابسهم واكتفوا بلباس البحر وراحت جانى ترقب ظهر إليك وعضلات ذراعه البارزة القوية وهى تشعر بجفاف حلقها وخليط من السعادة والرهبة واكتفت بالجلوس فى ثوبها القطنى الأبيض تداعب بيدها المياه الخضراء البنية التى يطفو عليها العشب وتوقفوا لينظفوا المجداف من زنابق الماء البيضاء التى أخذت تلمع كالثلج بينما فاحت رائحة الجذور العطنة.. وشربوا الكريم بالصودا بعد أن صار دافئا.. وأخذوا يتبادلون الدعابات.. امسك «إليك» بسرطان بحرى وألقاه أمام جانى فتطاير الرذاذ الأخضر ولوث ثوبها لكنها لم تلق بالا.. ولقبوا «جو» بالربان فانطلق يحدثهم عن رغبته فى الالتحاق «بالبحرية» بينما قال «إليك» أنه سوف يصبح مهندسا وسوف يصمم مركبا بخاريا وسوف يأخذهم للطواف معه.. كان أكثر ما يبعث السعادة فى نفس جانى أنهم اشركوها معهم وانطلقوا يحدثونها كما لو كانت ولدا مثلهم. وعند أسفل الشلال حيث توجد فتحات الهويس بدأوا ينتقلون إلى «البر» حملت جانى السرطانات والمجاديف والمقلاة بينما أخذ الأولاد يتصببون عرقا ويصبون اللعنات..

وعبروا إلى شاطئ «فرجينيا» واوقدوا نارا فى حفرة صغيرة بجانب صخرة رمادية صدئة.. أخذ «جو» يطهو اللحم وجانى تعد الشطائر والطعام الذى أتت به وتلتقط ثمار

البطاطس الذى نضجت فوق النيران وتشوى كيزان الذرة التى جنوها من حقل بجوار القناة.. بدا كل شئ رائعا غير أنهم لم يحضروا كمية كافية من الزبد وعندما انتهوا جلسوا يأكلون ويشربون البيرة وهم يتحدثون بهدوء حول جذوة النيران واخرج «إليك» و «جو» الغلايين.. كم كانت سعادتها بالغة وهى تجلس بجوار الشلالات الكبرى فى بوتوماك مع رجلين يدخنان الغليون.

- جانى ألم تلاحظى أن جو قد طهى اللحم جيدا.

- عندما كنا أطفالا كنا نمسك بالضفادع وتشويها فى «جروك كريك» أتذكر ذلك يا إليك؟

- بالطبع أتذكر.. وكانت جانى معنا ذات مرة.. ياالله على الشجار الذى تم يومها يا جانى.

- لم أكن أحب أن أراك وأنت تسلخها.

- كنا نظن يومها أننا صيادون من برارى الغرب وكم كان لدينا من فكاهات قالت جانى بتردد - أميل إلى هذا أكثر يا إليك.

قال إليك - وكذلك أنا... اللعنة.. أعتقد أننا نحتاج لبعض البطيخ..

- سوف نجد بعضا منه على ضفة النهر فى رحلة العودة.

- جو.. مستعد لدفع أى شئ مقابل بطيخة.

قال جانى - أمى تحتفظ ببعض البطيخ المثلج.. سوف نجد بعضا منه عندما نعود للمنزل.

فجاء صاح جو بمرارة - لا أرغب فى العودة مطلقا للمنزل.

فردت وهى تشعر بالفزع وبإحساس الانوثة - لا ينبغى أن تتكلم هكذا.

- اتكلم كيفما يحلولي.. إنى اكره هذا المكان القذر التافه...

قالت وهى على وشك البكاء - لا يجب أن تتكلم هكذا.

وتدخل إليك قائلا - اللعنة.. اعتقد أنه قد حان وقت الرحيل.. ماذا تقول يا صاحب سوف نغطس مرة واحدة ثم نأخذ طريق العودة.

مضوا جميعا لمشاهدة الشلال قبل أن يقفلوا عائدين وهم يسيرون مع التيار المندفع بجانب الضفة المنحدرة المظللة بالأشجار. كان الجو قائظا ملتهبا والهواء الساخن يصفع وجوههم والسحب الكثيفة بدأت تتجمع فى الشمال.. لم تعد الرحلة ممتعة بالنسبة لجانى التى بدأت تتوجس من إنهمار المطر وبدأت تشعر بالتوعك والارهاق.. لعل عمادتها

الشهرية على وشك القدوم.. إنها لم تعانى تلك اللعنة غير بضع مرات حتى الآن لكنها عندما تفكر فى ذلك تشعر بالرعب. بأن قوتها تتلاشى وتود لو أنها زحفت بعيدا عن العيون كقطة عجوز مريضة تبعث على الرثاء لم تكن ترغب ابدا أن يدرك چو وإليك ما تعانيه.. ماذا سيحدث لو انقلب القارب الآن.. سيسبح الأولاد الى الشاطئ على مايرام ولكنها سوف تغرق وسوف يجوبون النهر بحثا عن جثتها وكل واحد سوف يبكى ويلفه الحزن .. ربما.

أخذ الضباب الارچوانى الداكن يرتفع ويغطى قمم السحاب البيضاء واصطبغ كل شىء بمزيج من اللونين الأبيض الناصع والأرچوانى وهم مازالوا يجدفون بأقصى طاقاتهم ويكاد هدير الرعد القادم يداعب آذانهم كان الجسر على مرمى البصر عندما صفعتهم الريح .. ريح عاصفة حاره متربه محملة بالأوراق الميته والقش والتبن وأخذت مياه النهر ترغى وتزبد لكنهم وصلوا إلى البر فى الوقت الملائم .. صاح اليك.

- اللعنة.. لسوف تهب عاصفة..چانى .. تعالى نحتمى بالقارب.

قلبوا قارب التجديف على الشاطئ المليئ بالحصى فى ملاذ صخرة ضخمة وجثموا بجانبه جلست جانى فى الوسط وزنابق الماء التى قطفوها فى الصباح قد صارت زاوية ولزجة بين يديها . جلس الأولاد فى لباس البحر المبلل .. كل واحد على جانبها وشعر "إليك" الأسود يلامس خدها بينما جلس چو فى الناحية الأخرى وقد اسند رأسه على القارب ومد قدميه النحيلتين وساقيه يحفان بأهداب ثوبها . ورائحة العرق وماء النهر وشعر اليك وكتفيه برائحة الذكر الفتى.. كل ذلك يصيبها بالدوار.. وعندما انهمر المطر وأخذ يدق على قاع القارب ونثر عليهم الرذاذ الأبيض اللاسع انزلقت بيدها على عنق إليك واستراحت بهدوء على كتفه العارى لكنه لم يتحرك.

صاح "إليك" بعد لحظة من انقطاع المطر - مرحى.. إنه لم يكن بهذه الدرجه من السوء التى توقعتها. كانوا مبتلين مقرورين لكنهم بدأوا يشعرون بالراحة فى الهواء المنعش المغسول بالمطر ووضعوا القارب فى الماء ثانية وجدفوا حتى وصلوا الجسر..اعادوه إلى مكانه االذى أخذوه منه أمام المنزل ثم ذهبوا لإنتظار "الترولّلى" تحت المظلة الصغيرة يغالبون التعب واللزوجة وحرقة الشمس حتى جاءت العربة مزدحمة بجمهور يوم الأحد فى أوقات "العصر" المتنزهون الذين حاصرهم المطر فى الشلالات الكبرى و"جلن ايكو" أخذت چانى تقاوم نفسها حتى تصل الى المنزل وألم الطمث يعتصر أحشاءها .. عندما وصلوا الى "چورج تاون" كان الأولاد مازال معهم خمسين سنتا وارادوا الذهاب للسينما.. لكنها

غادرتهم وكل همها ينحصر فى الوصول إلى الفراش لتلقى بوجهها على الوسادة وتبكى.
لم تبك چانى كثيرا بعد ذلك تلك الأشياء التى كانت تقلقها بل أخذت تواجهها بشعور بارد غير مكترث.. مضت أيام المدرسة الثانوية بسرعة.. الاجازات الصيفية الحارة المزدحمة بالعواصف الرعدية شأن ايام صيف «واشنطن» تتخللها أحيانا بعض النزهات القليلة بقاعة "مارشال" أو حفلة عند بعض الجيران والتحق چو بالعمل فى شركة الخدمات السريعة [آدامز اكسبريس] ولم تعد تراه كثيرا فهو يتناول الطعام خارج المنزل أما «إليك» فقد اشترى دراجة بخارية ولم تعد تسمع عنه كثيرا رغم أنه كان فى المدرسة الثانوية . كانت أحيانا تجلس فى الانتظار علها تظفر بالحديث إلى چو عندما يأتى أواخر الليل تفوح منه رائحة الدخان والشراب رغم أنه لم يأت مخمورا أبدا. كان يخرج إلى عمله فى السابعة ويمضى فى المساء مع "الشلة" يتسكعون بين صالات المراهنات فى شارع ٥ , ٤أو يلعبون الكرابس(٨١) أو البولنغ وفى أيام الآحاد يلعبون البيسبول فى ماريلاند.. كانت چانى تنتظره عندما يعود لتسأله كيف تمضى الأمور فى العمل فيجيبها - على مايرام.. ويسألها كيف تمضى الأمور فى المدرسة فتجيبه - على مايرام ثم يذهب كل منهما إلى حجرته وذات مرة سألته هل مازال يرى"إليك" فرد عليها وطيف ابتسامة يلوح على وجهه- نعم / سألته وكيف حاله ؟ فأجابها على مايرام.

لم يكن لديها غير صديقة واحدة تدعى " اليس ديك" فتاة سوداء قصيرة مكتنزة ترتدى النظارات أتمت معها كل الفصول الدراسية الثانوية وبعد ظهر أيام السبت يرتدين افضل ازيائهن ويذهبن لمشاهدة الحوانيت فى شارع "ف" يشترين بعض الأشياء القليلة ويشربن الصودا ويعدن للمنزل بأحدى العربات بعد أنه يشعرن بقضاء وقت مسلى .وعلى فترات طويلة جدا يذهبن مرة إلى حفلة ماتينيه فى «البولى» وقد تدعو «چانى» «أليس ديك» للعشاء فى منزلها / كانت «اليس ديك» تحب آل ويليامز وكانوا يبادلونها الود.. كانت تقول أن مما يشعرها بالحرية أن تستمتع ببضع ساعات مع أناس متحررى العقل.. كان أهلها من الميثوديين(٨٢) الشماليين وضيقى الأفق تماما.. وكان أبوها كاتبا فى مكتب المطبوعات الحكومى ويعيش فى رعب دائم خوفا من أن يخضع عمله لقوانين الخدمة المدنية وهو رجل بدين ضيق النفس مغرم بتدبير المقالب لزوجته وابنته ويعانى من عسر هضم مزمن.

كانت «اليس ديك» و «چانى» تخططان للالتحاق بالعمل فور الانتهاء من المدرسة الثانوية ولسوف يهجرن المنزل بل وصل بهم التفكير إلى حد انتقاء المنزل الذى سيقمن

فيه.. وهو منزل مبنى من الأحجار بالقرب من دائرة «توماس» تديره أرملة ضابط بحرى تدعى مسز «چنكس» وكان يمتاز بالنظافة وطعام الشمال والأسعار المعقولة مقابل المأكل والمأوى.

وذات ليلة من ليالى الأحد خلال فصل الربيع الذى يوافق مرحلتها الدراسية الأخيرة كانت چانى تخلع ملابسها فى غرفتها. وڤرانسى والين تلعبان فى الفناء الخلفى وتتناهى أصواتهم من خلال النافذة المفتوحة مع نسمات منعشة من عطر الليلك تهب من خميلة ليلك فى الفناء المجاور.. كانت على وشك أن تسدل شعرها وهى تنظر فى المرآة وتتخيل كيف تبدو لو أن لها عشيقا وتملك شعرا اصحرا عندما سمعت طرقا على الباب وصوت چو يأتى من الخارج.. كان صوته غريبا بعض الشئ.. صاحت - تعال.. إنى على وشك تثبيت شعرى - طالعها وجهه فى المرآة ابيضا شاحبا وجلده يلتصق بعظام وجنتيه وفكه الغائر.. ووجدت نفسها تقفز متسائلة - چو.. لماذا؟ ما الخبر؟

أجاب چو وهو ينطق الكلمات بصعوبة - چانى.. لقد حدث الأمر هكذا.. لقد قتل إليك.. تحطم بدراجته البخارية.. عدت لتوى من المستشفى وهو قد مات.

أخذت چانى تستقبل الكلمات كأنما تسجلها على صفحة عقلها الخاوية.. لم تستطع أن تقول شيئا - لقد صرع وهو قادم إلى المنزل من «شيفى شيز» وكان سيخرج ليشاهدنى فى الملعب.. لكنه الآن لو ترينه.. مهشما تماما..

حاولت چانى أن تقول شيئا - لقد كان من أفضل أصدقائك..

- نعم.. كان أفضل صديق عرفته حتى الآن..

ومضى چو يقول بهدوء - حسنا هذا كل ما هنالك.. لكن.. هناك شئ آخر.. لن أعود إلى ذلك المأوى القذر مرة أخرى خاصة بعد موت «إليك» سوف أرحل والتحق «بالأسطول» أخبرى الأهل فأنا لا أريد أن أتحدث معهم.. هذا كل ما هنالك سوف التحق بالبحرية وارى العالم..

- لكن چو..

- سوف أكتب لك.. بصدق.. سوف أكتب لك عن كل شئ.. وداعا چانى. وامسكها من كتفيها وقبلها بقوة على أنفها وخدها وكل ما استطاعت أن تفعله أن تهمس له - چو.. كن على حذر..

وقفت أمام دولاب ملابسها وسط عبير الليلك وصياح البنات الذى يتناهى من خلال النافذة المفتوحة وسمعت خطوات «چو» وهو يهبط درجات السلم بسرعة وسمعت الباب

الخارجى وهو يصفق ورائه فاطفأت النور وارتدت ملابسها فى الظلام ورقدت فى الفراش دون أن تنتابها رغبة فى البكاء.

أتى النجاح وحفلة التخرج واصطحبت «آليس» إلى الكثير من الحفلات وذهبت ذات مرة مع صحبة كبيرة فى احدى الرحلات النهرية تحت ضوء القمر حتى «إنديانهيد» على القارب البخارى «تشارلز ماك الستر».. كان الجمع فظا أكثر مما وددت والأولاد يشربون بكثرة والأزواج القليلون يتبادلون العناق خلف كل ساتر.. لكن ضوء القمر كان جميلا وهو ينعكس على صفحة النهر. جلست چانى وآليس على مقعدين وراحتا تتجاذبان الحديث.. كانت هناك فرقة موسيقية ورقص.. لكنهما رفضتا الرقص تحاشيا للتعليقات الجارحة من بعض الشبان الذين أحاطوا بالحلبة.. وفى طريق العودة راحت چانى تروى لأليس فى صوت خفيض وهى تكاد تلتصق بها حكاية «إليك» .. كانت أليس قد قرأت الحادثة فى احدى الجرائد لكنها لم تكن تتصور أن چانى كانت تقترب منه لهذه الدرجة أو تشعر نحوه بتلك الطريقة فبدأت تبكى ووجدت چانى فى نفسها الشجاعة لكى تهدئها.. وشعرتا بعد هذا انهما لن تستطيعان الافتراق عن بعضهما.. همست چانى إنها لن تقدر على حب إنسان آخر وقالت آليس انها لا تفكر ابدا فى الحب على أية حال فهم جميعا يشربون ويدخنون ويتبادلون الأحاديث القذرة ولا يفكرون إلا فى شئ واحد.

فى شهر يوليو التحقت چانى واليس بالعمل فى مكتب مسز روبنسون وهو مكتب للآلة الكاتبة والاختزال فى مبنى «رجز» وحلتا محل بعض الفتيات اللواتى رحلن لقضاء الإجازة. كانت مسز روبنسون امرأة ضئيلة رمادية الشعر بصدرها المقعر وصوتها الزاعق بلهجة أهل «كنتاكى» الذى يحاكى صوت الببغباء.. كانت امرأة صارمة تراعى كل الأصول فى مكتبها وغالبا ما انحنت إلى الوراء على مكتبها وراحت تشقشق:

- مس ويليامز.. هذه نسخ القاضى روبرت يجب أن ننتهى منها اليوم تماما لقد اعطينا كلمتنا يا عزيزتى وسوف نفى بها حتى لو بقينا إلى منتصف الليل.. الأصول تقضى ذلك يا عزيزتى..

وكاتبات الآلة يتصببن عرقا وتتصلب أطرافهن وأصابع الفتيات تعمل بجنون.. تطبع الملخصات وتنسخ الأحاديث التى لم تلق بعد لأعضاء مجلس الشيوخ وأحيانا ينهمر فيض من تقارير صحفيين وعلماء أو عقود مكاتب للعقارات وأصحاب للتراخيص أو خطابات عاجلة لأطباء أو أطباء أسنان.

عين الكاميرا (١٤)

فى ليالى الأحد عندما كنا نتناول شطائر السمك والفول المحمص كان مستر جارفيلد يقرأ لنا بصوت ممتع للغاية.. يجلس الجميع صامتين حتى إنك تستطيع أن تسمع رنة الدبوس.. كان يقرأ لنا الإنسان بدون وطن[٨٣].. كانت قصة مرعبة جدا.. «وآرون بر» رجلا خطيرا جدا.. هذا الشاب الفقير قال «اللعنة على الولايات المتحدة.. لا أتمنى أن أسمع أسمها مرة أخرى».. كان هذا شيئا مفزعا جدا والقاضى الأشيب كان عطوفا وطيبا جدا.. لقد أصدر حكمه عليَّ.. اخذونى بعيدا إلى الأرض الغريبة على فرقاطة.. بدأ الضباط طيبين عطوفين.. تحدثوا بكلمات حزينة مليئة بالأسف والشفقة.. بلهجة مستر جارفيلد كل شئ بدأ طيبا جدا وحزينا جدا وأسفا جدا - الفرقاطات وزرقة المتوسط والجزائر.. وعندما صرت ميتا بدأت فى البكاء.. كنت أخشى أن يرانى بقية الرفاق والدموع فى عينى.. الأمريكى لا يبكى.. بل يجب أن يبدو طيبا وحزينا وأسيفا جدا بينما كانوا يلفوننى فى العلم ذو النجوم والشرائط ويعيدوننى على فرقاطة لأدفن.. إنى آسف جدا.. لم أعد أتذكر هل اعادونى إلى البيت أم القونى فى البحر.. على أى الحالات لقد لفونى بالراية المجيدة[٨٤].. علم الولايات المتحدة الامريكية.

جريدة سينمائية (١١)

على حكومة الولايات المتحدة أن تصر وأن تطالب بأن يعامل المواطنون الامريكيون الذين يؤخذون كأسرى من طرف أو آخر بإعتبارهم شركاء فى الاضطرابات الثورية الحالية.. بأن يعاملوا طبقا للخطوط العريضة لمبادئ القانون الدولى.

الجنود يحرسون المؤتمر

«تيتانيك» غادرت ساوثها مبتون فى ١٠ ابريل فى أول رحلاتها.. تمت ضد رغبات «نيويورك لايف» طبقا لكميل.. لماذا يعرفون اننى «كميل» فى النيل.. اننى جورج لكل إنسان.. حتى الأم والأخت عندما نلتقى فى الشوارع.

أنا رايح على «مكسيم»
.. حيث الأضواء المرحة.. والحفلات..
أهذر مع كل الآنسات..
اضحك.. وأبوس.. وأغازل..
لولو.. دودو.. چوچو..

كلوكلو.. مارجوت وڤروڤرو.

غرق تيتانيك.. أضخم سفينة فى العالم.

أنا شخصيا لست على يقين أن العمل أثنى عشر ساعة فى اليوم سيكون للعاملين.. خصوصا عندما يصرون على العمل طوال هذه المدة ليجنوا المزيد من النقود

ومازالت ترنيمتى ربى..

أن أكون قريبا منك..

قريبا منك..

الساعة الآن حوالى الواحدة صباحا.. الليلة جميلة تشع فيها النجوم ولكن بلا ق البحر هادئ كالجدول.. لا شئ غير الإيقاع الرتيب للسفينة وهى تنزلق بين الأمواج.. حالمة لولا البرد الملعون. وعلى البعد تلوح «تيتانيك» بإتساعها الهائل وهيكلها اله وحدودها السوداء تظهر على صفحة السماء المشعة بالنجوم.. وكل كوة وصالة بها بالأنوار.

أتنبذ الميثودية[٨٥] الثالوث الأقدس؟!

كان ثوب العروس من الساتان الفاخر ووشاح الشيفون ينسدل حتى يغطى ا. والخمار من الكريبليس المطرز بالعقد الفينيسية وهو يختلف عن خمار العرس التقا أما باقة الورد فمن الزنابق والچردينيا.

لولو.. دودود.. چرچر

كلوكلو.. مارچوت و ڤروڤرو

أنا رايح على «مكسيم»..

وده ممكن بالنسبة لك..

أخذت «التيتانيك» تميل ببطء فى المقدمة وأصبحت مؤخرتها عمودية إلى أ وبينما كانت تنحدر هكذا انطفأت أضواء القمرات والصالات التى لم تظلم لحظة واحد انطلاقنا.. وعادت مرة أخرى للحظة واحدة ثم انطفأت كلية وأخذ المحرك يحشرج السفينة كلها وسمع صوته على بعد أميال ثم بدأ يخبو تماما.

چانى

قالت چانى وأمها تنعى عليها خروجها للعمل - لكنه شئ مثير يا أمى..

- فى أيامى لم يكن هذا يعتبر من شأن السيدات.. كان يحط من قدرهن.

- لكنه لم يعد كذلك الآن..

إنها لتشعر الآن بالراحة العميقة.. لسوف تتخلص من هذا المنزل الممل وتلك الطرقات الكئيبة التى غطتها الأشجار فى چورج تاون لتكون بصحبة «أليس ديك» تنزل إلى المدينة لتشاهد السينما وترى منظر البلاد الأجنبية وتختلط بحشود الناس فى شارع «إف» وتقف أمام المحل لاحتساء الصودا قبل أن تستقل العربة إلى چورج تاون وأحيانا تجلسان معا بجانب النافورة تتحدثان عن الأشياء التى رأينها واوليڤ توماس وشارلى شابلن وچون بونى.

وبدأت چانى تقرأ الصحف كل يوم وتهتم بالسياسة.. وأخذت تشعر بأن هناك عالما كبير مثيرا متوهجا خارج هذا المنزل.. إن الحياة فى چورج تاون حيث الأشياء المكررة البليدة وحيث الأب والأم من الطراز القديم الذى يبعث على السأم هى التى تمنعها من الإتصال بهذا العالم.

كانت الصور التى تتلقاها من «چو» تعمق بها هذا الشعور.. ها هو قد صار بحارا على السفينة الحربية «كونيكتكت» وها هى صورة «هافانا» بواجهتها المطلة على البحر.. أو ميناء «مرسيليا» أو «فيلفرانش» وأحيانا صورة فتاة ترتدى الثياب القروية داخل إطار على هيئة حدوة الحصان كتبت تحتها بضعة سطور يتمنى لها أن تكون على ما يرام راضية عن عملها.. لكن ليست هناك كلمة واحدة عنه.. كتبت له الخطابات الطويلة تكرر فيها السؤال عنه وعن البلاد الأجنبية لكنه لم يرد عليها.. فقط الكروت المصورة هى التى كانت تمنحها شعورا ما بحب المغامرة وكلما رأت جنديا بحريا فى الشارع تذكرن «چو» وأخذت تتخيل كيف يبدو الآن.. كانت صورة البحار وهو يتمايل بزيه الأزرق وقبعته المائلة على رأسه تأخذ بمجامع قلبها.

فى أيام الأحد كانت «آليس» تأتى دائما إلى «چورج تاون».. إن المنزل يختلف الآن چو قد ذهب والأم والأب تقدما فى السن ومالا إلى الهدوء وفرانشى وآلين تفتحتا كفتاتين جميلتين مرحتين فى المدرسة الثانوية لهما العديد من العلاقات الطيبة مع أولاد الجيران وغالبا ما تذهبان إلى الحفلات وفى شكوى دائمة من الحاجة إلى النقود.. وبدأت چانى تشعر بأنها قد نضجت بل وتقدمت فى السن وصارت عانسا كلما جلست على المائدة مع اختيها أو أخذت تساعد الأم فى اعداد صلصة الطعام أو تجهيز البطاطس والكرنب من أجل غذاء الأحد، وبدأت تقف فى صف أبيها وأمها ضد اختيها.. بدا الأب الآن عجوزا منكمشا يتحدث دائما عن التقاعد ويأمل فى الحصول على معاش.

عندما أتمت چانى ثمانية شهور فى العمل عند مسز روبنسون تلقت عرضا من «دريفوس وكارول» محاميان قانونيان فى مبنى «رجز» للعمل مقابل ١٧ دولارا فى الأسبوع بزيادة خمسة دولارات عما تتقاضاه واعطاها هذا احساسا بالسعادة والثقة بأنها ناجحة فى عملها بل وتستطيع أن تعول نفسها مهما حدث، واحتفالا بهذا ذهبت مع «آليس ديك» إلى محلات «ودوارد ولو ثروب» لشراء فستان.. كانت تريد أن تنتقى فستانا حريريا مطرزا على درجة من الاحتشام.. إنها الآن فى الحادية والعشرين وسوف تحصل على سبعة عشرة دولارا فى الاسبوع ومن حقها أن ترتدى فستانا لائقا.. رأت «آليس» إنه ينبغى أن يكون ذو لون ذهبى برونزى يناسب لون شعرها.

مرتا بكل المحلات فى شارع «إف» ولم تجدا ما تطلبانه فالفستان المناسب كان سعره فوق طاقتها.. كل ما فعلتاه هو شراء بعض القماش ومجلات الموضة وعادتا إلى البيت كى تتولى الأم مهمة الحياكة.. ومما يبعث على الغيظ أن تظل چانى تعتمد على أمها فى هذا الأمر لكن ليس فى الأمر جديد.. سوف تحيك مسز ويليامز زيها الجديد بنفس الطريقة التى أعدت بها ملابس أطفالها منذ ولادتهم..

لم تمتلك چانى الصبر ابداً لكى تتعلم الحياكة بالطريقة التى تجيدها الأم.

لقد اشترت قماشا يكفى لكى تهدى منه فستانا لآليس وهكذا كان على مسز ويليامز أن تحيك ثوبين.

كان العمل عند «دريفوس وكارول» يختلف تماما عن العمل عند مسز روبنسون فالمكتب يزدحم بالرجال.. ومستر دريفوس الضئيل بوجهه النحيل وشاربه الأسود الصغير وعيونه السوداء البراقة له نبرة خاصة فى الحديث تذكرها بلهجة دبلوماسى أجنبى وغالبا ما يرتدى قفازات صفراء انيقة ويحمل عصا صفراء.. ويأتى بمختلف أنواع المعاطف الفاخرة التى يحيكها أغلى الحائكين - قال «چيرى برنهام» عنه أنه عقل المؤسسة. أما مستر كارول فكان رجلا ممتلئا أحمر الوجه يدخن السيجار ويبصق بكثرة وله طريقة الشماليين العتيقة فى الحديث.

قال «چيرى برنهام» عنه إنه واجهة المؤسسة.

كان «چيرى برنهام» شاب مغضن الوجه ذو عينين شهوانيتين يعمل مستشارا للمؤسسة فى الشئون التكنيكية الهندسية يضحك بكثرة ويذهب إلى المكتب متأخرا دائما ولسبب ما يتودد إلى چانى ويأخذ فى إلقاء الدعابات عليها وهو يملى عليها ما تكتبه وكانت تميل إليه رغم أن النظرة الشهوانية التى تطل من عينيه أفزعتها قليلا..

كانت تود أن تحادثه كأخت بل وتطلب منه أن يكف عن ارهاق نفسه.

كان هناك أيضا مستر «سيلز» المحاسب العجوز المنكمش الذى يعيش فى «أنا كوستيا» ولا يتحدث إلى أحد بكلمة ولا يخرج فى الظهيرة لتناول الطعام بل يجلس على المكتب يأكل سندوتشا وتفاحة يلفهما فى ورقة من المشمع يطويها بعناية بعد ذلك ويضعها فى جيبه.

طوال النهار يأتى كل أنواع الناس بكل أنواع الملابس الرث والمحترم وآزياء «بيكوك آلى».. يقفون فى المكتب الخارجى يستمعون إلى مستر كارول وهو يتحدث بنبراته الفخيمة بينما مستر دريفوس يغدو جيئة وذهابا دون أن ينطق بكلمة ويبتسم ابتسامة شاحبة لمعارفه الذين يكونون دائما فى عجلة غريبة مبهمة.

فى الكافتريا الصغيرة على الغذاء أو فى مشرب الصودا كانت چانى تخبر آليس بكل شئ والأخيرة تنظر إليها بإعجاب ودائما تكون فى انتظارها عند المدخل فى الواحدة وكانتا قد اتفقنا على الموعد حيث يخف الزحام ولا تنفق واحدة منهما أكثر من عشرين سنتا. لم يكن الغذاء يستغرق وقتا طويلا وكان لديهما الوقت لتتجولان فى ميدان «لاڤاييت» أو أحيانا حول البيت الأبيض قبل أن تعود كل منهما إلى المكتب.

ذات ليلة من ليالى السبت كان على چانى أن تعمل حتى وقت متأخر لتنتهى من كتابة وصف «محرك» يجب أن يصل لمكتب براءات الاختراع صباح الأثنين وكان الجميع قد غادروا المكتب بينما أخذت تحاول استخلاص الكلمات الفنية المعقدة بقدر ما تستطيع وعقلها مشغول بالصورة التى أمامها «لمسيح الإنديز» التى أرسلها «چو» ذلك اليوم وكتب تحتها جملة واحدة فقط.. «سوف أعود للمنزل قريبا.. إلى الجحيم بسفن العم «سام» الصدئة». لم يحمل الخطاب توقيعا لكنها تعرف الخط وقد بدأت تشعر بالإنزعاج. جلس «برنهام» على لوحة مفاتيح التليفونات يراجع الأوراق التى تنتهى منها وبين الحين والآخر يذهب إلى «الحمام» وعندما يعود تفوح رائحة الويسكى فى أرجاء المكتب. أخذت چانى تكتب بأعصابها المتوترة حتى تراقصت الحروف الصغيرة السوداء أمام عينها ومازال «چو» يشغل فكرها.. كيف يتمكن من العودة للمنزل قبل أن تنتهى فترة تطوعه.. لابد أن شيئا ما قد حدث.. و «چيرى برنهام» لم يتوقف عن حركته العصبية المتوترة حول مقعد عاملة التليفون ويبعث فيها الانزعاج.. لقد تحدثت هى وآليس عن خطورة البقاء فى المكتب على انفراد مع رجل مثل هذا.. وقت متأخر وشراب.. لا تملك الرجل حينئذ غير فكرة واحدة.

عندما سلمته الورقة قبل الأخيرة نظر إليها بعينيه البراقتين المبللتين قائلا.
- مس ويليامز.. أرجو ألا يكون قد نالك التعب.. إنه لعار وخزى أن نحتفظ بك إلى هذه الساعة وفى ليلة كليلة السبت أيضا.
أجابته ببرود وأصابعها ترتعش - الأمر على ما يرام.. مستر برنهام، .
- إنها غلطة «الواجهة» العجوز الملعون فهو يلوك حديث السياسة طول النهار ولا يستطيع أحد أن يفعل شيئا.
- حسنا.. لقد انتهى الأمر الآن.
- لقد انتهى الأمر فعلا.. أنها الثامنة الآن.. ومضطر أن ألغى ميعادا مع فتاتى المفضلة أو شئ من هذا.. أرجو ألا تضطرى أيضا إلى إلغاء ميعاد.
- إننى ذاهبة لمقابلة فتاة أخرى.. هذا كل ما هنالك.
ضحك بألفة جعلتها تضحك هى الأخرى وهو يقول
- والآن. إليك هذه النكتة..
عندما انتهت الورقة الأخيرة ووضعها فى المظروف نهضت چانى لترتدى قبعتها.
- مس ويليامز.. سنرسل هذا فى البريد.. بعدها أرجو أن تأتى لتناول الطعام معى.
وبينما كان يهبطان فى المصعد حاولت چانى أن تعتذر وتذهب إلى البيت لكنها لم تفعل.. وجدت نفسها وكل شئ يغلى داخلها تجلس معه باردة فى المطعم الفرنسى بشارع "H" .
قال وهو يضحك وقد استراح على المقعد وناولها قائمة الطعام.
- حسنا والآن ما الذى تعتقدينه فى «الحرية الجديدة».. هنا مربط الفرس دعى ضميرك يتكلم.
- لماذا؟ أنا لا أعرف.
- حسنا.. بصراحة.. أنا معها وأعتقد أن «ويلسون» رجل عظيم.. لا شئ أفضل من التغيير على أى حال.. أفضل شئ فى العالم.. ألا ترين ذلك؟ إن «بريان» جعجاع كبير ولا يفعل شيئا.. وحتى «چوزيف دانيلز» الذى يغرق الاسطول بالنبيذ.. أعتقد أن هناك فرصة لعودة الديمقراطية.. ربما لن نحتاج إلى قيام «ثورة» ماذا تعتقدين؟
لم ينتظر الجواب.. كان يتحدث فقط ويضحك لنفسه طوال الوقت.
عندما أخبرت «چانى» «آليس» بما حدث.. بأن ما تحدث به «چيرى برنهام» لم يكن

مريحا ولا الطعام جيدا ولا شئ جميلا.. اجابتها «آليس» بمرارة.

- أوه چانى.. كيف تذهبين مع رجل مخمور فى مثل هذه الساعة إلى مكان مثل هذا وأنا هنا أجن من القلق.. أنت تعرفين أن رجلا مثل هذا لا تسيطر عليه غير فكرة احدة.. لم أعتقد ابدأ أن تقومى بهذا العمل الطائش القاسى.

- «أليس» لم يكن الأمر بهذه الصورة مطلقا.

حاولت چانى أن تقنعها لكنها بكت ومضت غاضبة اسبوعا كاملا.

اعتادت چانى بعد ذلك أن تخفى كل ما يتعلق بـ «چيرى برنهام».. إن أول خلاف بينهما جعلها في حالة سيئة.. ورغم ذلك عقدت اواصر الصداقة مع چيرى برنهام الذى أحب الخروج معها وأحب رؤيتها تستمع إلى حديثه.. حتي بعد أن استقال من عمله لدى «دريفوس وكارول» كان يتصل بها أحيانا عصر أيام السبت ليذهبا إلى محل «كيث».

رتبت چانى ميعادا آخر للإلتقاء مع «آليس» بعيدا فى حديقة «روك جريك» لكن هذا لم ينفع كثيرا.. دعا چيرى الفتاتين لتناول الشاى وكان يعمل في صحيفة هندسية ويكتب مقالا اسبوعيا في جريدة «نيويورك صن» لكنه أفزع «آليس» وهو يصف واشنطن بأنها بالوعة ومباءة للملل والسأم.. وكيف أنه يتعفن هناك وأن معظم سكانها أموات بصورة أو بأخرى - وبعد أن وضعهم فى العربة المتجهة إلى جورج تاون صاحت آليس بثقة إن «برنهام» الشاب ليس هو الصنف الملائم الذى يمكن أن تتعرف عليه فتاة محترمة / جلست چانى فى المؤخرة تشعر بالسعادة وهى تتطلع إلى الأشجار والفتيات بالملابس الصيفية والرجال بقبعاتهم القش.. وصناديق البريد وواجهات المحلات التى تتتابع أمامها وقالت - آليس.. إنه لذيذ فى نقده اللاذع.. أحب الرجال الأذكياء.. ألا ترين ذلك؟

نظرت أليس إليها وهزت رأسها ولم تقل شيئا.

فى نفس اليوم ذهبوا إلى مستشفى چورج تاون لزيارة الأب.. كانت حالته مفزعة تماما تعرف الأم وچانى والطبيب والممرضة إنه يعانى من سرطان المثانة وإنه لن يعيش طويلا لكنهم لا يعترفون بهذه الحقيقة حتى لأنفسهم. كانوا قد نقلوه إلى غرفة خاصة يحصل فيها على المزيد من الرعاية وكلفهم هذا مالا كثيرا.. اضطروا أن يضيفوا رهنا ثانيا على المنزل بعد أن انفقوا كل مدخرات چانى التى وضعتها فى البنك تحسبا ليوم أسود. وقفوا فى الانتظار ذلك اليوم حتى خرجت الممرضة بالمبولة المغطاة ودخلت چانى بمفردها.. قالت وهى تغتصب ابتسامة ورائحة المطهرات تصيبها بالغثيان.

- أهلا..بابا..

وخلال النافذة المفتوحة هب هواء حار مشبع برائحة الأشجار الذاوية المحترقة وضجيج أمسيات الأحد ونعيق غراب وأصوات حركة المرور البعيدة.. كان وجه الأب ذابلا ومقلوبا على جانبه بشواربه الكثة البيضاء الكتانية الى تبعث على الشفقة واجتاح چانى الشعور بأنها قد أحبته أكثر من أى إنسان آخر فى هذا العالم..

انبعث صوته خافتا متماسكا - چانى.. أوشك على النهاية.. أعتقد أننى.. أنت تعرفين أفضل مما أعرف.. أن أولاد العاهرات لا يخبروننى بشئ.. حدثينى عن «چو» أنت تسمعين عنه.. أليس كذلك؟ كنت أتمنى ألا يلتحق «بالبحرية».. لا مستقبل لصبى هناك ما لم يكن له أحد يسنده.. لكنني مسرور لذهابه إلى البحر.. مثلما ذهبت.. لقد أبحرت ثلاث مرارت حول الهورن[٨٦] فى الأيام الغابرة قبل أن أبلغ العشرين وقبل أن استقر فى العمل على قاطرات السحب.. أتدركين؟ أعتقد وأنا راقد هنا أن «چو» قد فعل ما كنت أود أن أفعله.. «الولد شبيه بأبيه» وهذا يسعدني.. لست قلقا عليه لكنى كنت أود أن أزوجك لأنفض يدى واستريح.. أنا لا أثق فى فتيات هذه الأيام بفساتينهن القصيرة وما شابه ذلك.

أخذت عين الأب تتفحصها بنظرة واهنة تثير القشعريرة أصابت حلقها بالجفاف وهى تحاول أن تقول - أظن أنه يمكننى العناية بنفسى.

- الأولى أن تأخذى عنايتك بى الآن.. لقد فعلت ما استطيع من أجلكم.. أنتم لا تعرفون ما هى الحياة.. لم يحتاج أحدكم لشئ والآن تشحنونى لأموت فى المستشفى.

- أنت الذى قلت من الأفضل أن تذهب إلى مكان تجد فيه عناية أكثر.

- لا أشعر بالراحة لتلك الممرضة الليلية.. أنها تعاملنى بخشونة.. بلغيهم ذلك في الإدارة.

أحست چانى بالراحة عندما حان وقت الرحيل.. سارت هى و «آليس» فى الشارع دون أن تتبادلا كلمة واحدة.. وأخيرا قالت چانى:

- آليس.. لا تقطبى هكذا لأجل خاطرى.. لو تعرفين كم أكره هذا كله.. أوه إنى أود..

- ماذا تودين؟

- أوه.. لا اعرف.

أتى يوليو حارا هذا الصيف وبدأوا يعملون فى المكتب وسط أزيز المراوح الكهربائية المستمر وياقات الرجال المنشاة أخذت تذوى من العرق والفتيات أخذن يكررن طلاء

المساحيق... فقط مستر «در يفوس» الوحيد الذى لم تظهر على وجهه نقطة عرق وظل وجهه باردا وياقته منشاة ناصعة كأنما خرجت لتوها من الصندوق.

كانت چانى تجلس على المكتب فى اليوم الأخير من أيام الشهر تستجمع نفسها استعدادا للعودة إلى البيت خلال الشوارع الملتهبة عندما أتى «چيرى برنهام» وهو يطوى أكمام قميصه فوق المرفق ويرتدى سروالا قطنيا أبيض ويحمل معطفه. بدأ حديثه بالسؤال عن أبيها وأنه قلق جدا للأنباء التى تأتى من أوروبا ثم عرض أن يأخذها إلى العشاء ليتحدث معها ويخفف عن نفسه - معى عربة يملكها «بجز دولان» وليس معى رخصة قيادة لكنى أظن أنه يمكننا أن نسلك الطريق السريع وننعش أنفسنا.

حاولت أن تعتذر بأنها يجب أن تمضى إلى المنزل لتتناول العشاء.. كما أن «آليس» تتجهم دائما عندما تخرج معه.. لكنه رأى إنها راغبة حقا فى المجئ واصر على ذلك.

جلسوا فى المقعد الأمامى «للفورد» ووضعوا المعاطف فى المؤخرة وانطلقوا إلى «الطريق السريع» كان «الإسفلت» يتوهج كالصاج الساخن والأشجار وماء النهر الراكد غلفهما الضباب وصارا مثل الحساء فى الإناء وكادت الحرارة المنبعثة من «المحرك» تكتم أنفاسهما لكن «جيرى» انطلق يتحدث بلا توقف وهو محتقن الوجه عن الحرب التى تختمر فى أوروبا وكيف أنها يمكن أن يكون نهاية الحضارة وتمهيدا لثورة الطبقة العاملة الشاملة وأنه لا يبالى شيئا.. وأى شئ يتيح له الخروج من «واشنطن» حيث يشرب إلى حد السخف ورأسه يغلى بتقارير جلسات الكونجرس سوف يكون مقبولا لديه. وأنه قد تعب من النساء اللواتى لا يردن منه غير النقود والحفلات والزواج أو ما شابه ذلك من الأشياء الملعونة وكيف أنه يشعر بالراحة والصفاء عندما يتحدث إلى چانى التى لا تبدو مثل الأخريات. وأخيرا بعد أن سارت العربة حتى وقت متأخر وسط الجو الحار الملتهب إتجها إلى «الويلارد» كى يأكلا شيئا.. وهو قد أصر على الذهاب «للويلارد» قائلا أن جيبه عامر بالنقود التى سينفقها على أية حال بينما چانى خائفة.. إنها لم تذهب من قبل إلى فندق كبير مثل هذا إنها لا ترتدى الزى اللائق ويمكن أن تسبب فضيحة له. لكنه ضحك قائلا لا يمكن أن يحدث هذا - جلسا فى صالة الطعام الواسعة التى تحيطها الزخارف الذهبية وقال چيرى أنها لا تعدو أكثر من معرض لجثث المليونيرات.. بينما أخذ «الجرسون» يبالغ فى سلوكه المهذب. لم تجد چانى ما ترغب فى تناوله وسط قائمة الطعام الطويلة فلم تطلب غير «سلاطة» وأضاف لها «چيرى» شراب «الجن» قائلا إنه «منعش» لكنها بدأت بعد تناوله تشعر بخفة رأسها وأنها طويلة خرقاء.. وأخذت تنصت إلى حديثه مبهورة الأنفاس بنفس

الطريقة التى كانت تتبع بها «إليك وجر» إلى حظيرة العربات عندما كانت صغيرة.

بعد العشاء.. استقلا العربة مرة أخرى.. جلس چيرى هادئا.. بينما بدا عليها الارتباك لم تجد ما تقوله. ذهبا إلى طريق «رود أيلاند» واستدارا مرة أخرى أمام منزل «قدامى الجنود».. كان الهواء راكدا وأضواء الطريق المتشابهة تمرق من الجانبين.. حتى فوق التلال لم تكن هناك نسمة واحدة.. إلى أن عبرا الجزء «المضاء» من الطريق وانطلقا إلى الشارع المظلم.. بدأ الجو يتحسن بينما جلست چانى وقد فقدت كل احساس بالاتجاه تستنشق العبير الذى يهب بين الحين والحين من بين الحقول أو أجمات الأشجار.

أوقف «چيرى» «العربة قرب بركة صغيرة عند بقعة تهب عليها بعض النسمات الباردة.. ثم انحنى وأخذ يقبلها.. بدأ قلبها يدق بعنف.. أرادات أن تطلب منه أن يكف عن هذا لكنها لم تستطع بينما أخذ يهمس لها - أنا لم اتعمد هذا لكنى لا استطيع.. إنها الحياة فى «واشنطن» التى تضعف الإرادة.. أو ربما أحبك.. لا أعرف.. دعينا نجلس فى المقعد الخلفى فهو أرطب..

بدأ الأعياء يتسرب إلى معدتها ويسرى فى أعماقها وبينما كانت تهم بالخروج قبض على ذراعها فتركت رأسها يسقط على كتفه وشفتاها تلتصقان برقبته.. كانت ذراعا ملتهبتين وهما يطوقانها وكانت تشعر بضلوعه قد انغرست فى قميصها وتضغط عليها. بدأت رأسها تدور من رائحة التبغ والشراب وعرق الذكورة بينما أخذت ساقاه تحتكان بها. جذبت نفسها بعيدا وذهبت إلى المقعد الخلفى.. كانت ترتعش.. تبعها فصاحت - لا. لا. لكنه جلس بجانبها حصرها بذراعه وقال فى صوت مرتعش - دعينا ندخن سيجارة..

أحست بالتدخين يدفع الرغبة فى أعماقها وأنها فى إنسجام معه وطرفا السيجارتين المتوهجتين يلمعان جنبا لجنب.

- چيرى.. أتعنى إنك تحبنى؟

- إنى مولع بك.

- أتقصد إنك..

- أريد الزواج منك.. ولما لا بحق الجحيم.. لا ادرى.. فلتفترضى إننا خطيبان.

- أتعنى أن أتزوجك؟

- إذا كانت هذه رغبتك.. أنت لا تفهمين شعور الفتى فى ليلة كهذه.. ورائح «البركة» يا إلهى.. أدفع أى شى كى آخذك..

دخنا السجائر ومكثا مدة طويلة بدون كلمة بينما كانت تشعر بشعر ذراعه وه

يلتصق بذراعها.

- إننى قلقة على أخى «چو».. أخشى أنه يوشك على الفرار أو شئ كهذا أعتقد أنك سوف تحبه فهو لاعب «بيسبول» مدهش.

- ما الذى دفعك للتفكير فيه؟ أتشعرين نحوى بنفس الشعور؟ إن الحب جميل.. اللعنة عليه.. ألا تدركين أنه لا معنى لأن تفكرى فى أخيك فى وقت كهذا؟

وضع يده على ركبتها.. كانت تشعر به فى الظلام وهو يحدق بها.. إنحنى وقبلها برقة استراحت لرقة شفتيه وبادلته القبلة.. وأخذت تحس بنفسها وهى تسقط فى أعماق الليلة الرطبة وصدره الملتهب يحتوى ثدييها.. ودت لو تتعلق به فيحملها إلى غياهب الليل لكنها أحست فجأة بالاختناق.. بالرغبة فى التنفس كما لو كانت غريقة فبدأت تقاومه.. سحبت ساقها ودفعته بقسوة فى إربه.. فتركها.. خرج من العربة وراح يغدو جيئة وذهابا على الطريق فى الظلام خلفها بينما أخذت ترتعش وهى تشعر بالخوف والغثيان.

عاد بعد لحظة واضاء المصباح وانطلق بالسيارة دون أن ينظر إليها.. كان يدخن سيجارة يتطاير منها الشرر.

عندما وصل إلى زاوية شارع «إم» حيث يقطن آل ويليامز توقف وخرج.. فتح الباب لها فخرجت دون أن تعرف ماذا تقول وهى تخشى النظر إليه..

- لعلك تعتقدين إنه ينبغى أن أعتذر لك لكونى خنزيرا.

- چيرى .. إنى آسفة.

- أنا استحق اللعنة إذ رغبت.. لقد اعتقدت أننا أصدقاء.. كان ينبغى أن أعرف أنه لا توجد امرأة فى هذه البؤرة العفنة بها ذرة من الإنسانية.. تريدين أن تضمنى وثيقة زواج.. إذهبى هذا شأنك.. استطيع أن أحصل على ما أريد من أى عاهرة زنجية هنا أسفل هذا الطريق.. طابت ليلتك.

ذهبت ولم تقل چانى شيئا.. مضت إلى المنزل وأوت إلى الفراش. طوال شهر اغسطس كان أبوها يعانى سكرات الموت ويعيش, على حقن «المورفين» فى مستشفى «چورج تاون» بينما الصحف تطلع كل يوم بالمانشتات العريضة عن الحرب فى اوروبا..

ليج Liége.. لوڤان Lauvain ومونز Mons(٨٧). وأنتابت «دريفوس وكارول» حمى العمل.. دعاوى قضائية كبرى حول حق استخدام الذخائر بل بدأ الهمس بأن مستر «دريفوس» ذلك الحمل الوديع هو عميل للحكومة الالمانية.

أتى «چيرى» ذات ظهيرة ليرى «چانى» ويعتذر لها عن خشونته تلك الليلة.. أخبرها أنه التحق بالعمل «كمراسل حربى» وسوف يرحل خلال اسبوع.. تناولا معا عشاء طيبا أخذ يحدثها خلاله عن الجواسيس والدسائس البريطانية ودعوى السلاڤية واغتيال چوريس Jaures والثورة الاشتراكية.. كان يضحك طول الوقت وهو يقول أن كل هذه الأشياء فى طريقها إلى الهلاك المحتوم - لقد بدأت تشعر بالرقة تجاهه وتعتقد إنه إنسان رائع وتود أن يتكلم عن خطبتهما وهى تشعر بالفزع من أنه قد يقتل.. لكن الوقت أنتهى فجأة وحان موعد عودتها إلى العمل دون إن يطرق أحدهما الموضوع سار معها حتى مبنى رجز وأخذ يودعها.. احتواها فى قبلة طويلة أمام الجميع ثم هرول وهو يعدها بأنه سيكتب لها من نيويورك.

فى تلك اللحظة كانت «آليس» عائدة فى طريقها لمكتب مسز روبنسون ووجدت چانى تندفع فى الحديث عن خطبتها لچيرى برنهام وأنه ذاهب إلى أوروبا للعمل كمراسل حربى.

عندما مات «الأب» فى أوائل سبتمبر شعر الجميع بالراحة.. أخذت وهى تعود من مقبرة «اوك هيل» تستعيد ذكرى كل تلك الأشياء التى أرادتها كفتاة.. وذكرى «إليك» - بدت كل الأشياء كئيبة لا تستطيع احتمالها بينما ظلت أمها هادئة جدا بعينها المحتقنة وانطلقت فى الحديث عن سعادتها لأن هناك حجرة فى المدفن لازالت خالية لتدفن هى أيضا فى «أوك هيل».. كانت تكره كره الموت أن تدفن فى أى مقبرة أخرى فقد كانت «أوك هيل» مقبرة جميلة وكل الرجال النبلاء فى «جورج تاون» قد دفنوا بها.

استطاعت مسز ويليامز بنقود التأمين أن تستخلص المنزل من الرهونات وأن تعد الطابقين العلويين للإيجار.. كانت هذه هى الفرصة التى انتظرتها چانى طويلا لتستأجر مكانا خاصا بها.

استأجرت هى وآليس حجرة فى منزل يقع على طريق «ماسشوستس» بالقرب من مكتبة «چارنيجى» تتوافر فيها مزايا المطبخ.

وهكذا فى عصر يوم من أيام السبت استدعت بتليفون الصيدلية سيارة تاكسى واستقلتها بحقيبتها وصندوق ثيابها وكومة من الصور داخل إطاراتها وضعتها على المقعد بجانبها. كانت هناك صورتين ملونتين «لهنود» بريشة «رمنجتون» «وفتاة الچبسيون» وصورة للمدرعة «كونيكتكت» فى ميناء «ڤيلڤرانش» كان چو قد أرسلها إليها وصورة مكبرة لأبيها فى زيه الكامل يقف أمام عجلة القيادة فى احدى السفن المتخيلة أمام خلفية

من سماء مبلدة ثم اعدادها على يد مصور فى نورفولك بڤرچينيا.. وكانت هناك أيضا صورتان ملونتان غير مبروزتين «لماكسفيلد بريش» اشترتهما حديثا.. وصورة فوتغرافية مبروزة لچو فى ملابس البيسبول.. أما صور «إليك» الصغيرة فكانت تدسها وسط الأشياء فى حقيبتها.

أخذت السيارة تهدر على الطريق وهى تفوح برائحة العفن.. كان يوما خريفيا باردا والبالوعات تمتلأ بالأوراق الجافة وأحست چانى بالخوف والتوتر كأنما تبدأ الرحلة بمفردها من البداية.

خلال هذا الخريف قرأت الكثير من المجلات والصحف كما قرأت «الشريد المحبوب» ل.. و. چ.. لوك. وبدأت تكره الإلمان الذين كانوا يدمرون الفن والثقافة والمدنية فى لوڤان.. انتظرت خطابا من «چيرى» لكن الخطاب لم يأت أبدا.

وبينما كانت فى طريقها للخروج من المكتب متأخرة قليلا ذات مرة وجدت شخصا يقف فى الردهة بجانب المصعد.. إنه «چو» الذى استقبلها هاتفا.. - أهلا چانى.

- مرحى.. إنك أفضل من مليون دولار.

كانت سعيدة برؤيته لدرجة أنها أخذت تتكلم بصعوبة وهى تتعلق بذراعه..

- لقد أخذت أجرى أخيرا ورأيت أن أحضر لرؤية الأهل قبل أن تنفذ النقود.. سوف أدعوك إلى عشاء فخم وسينما أيضا لو شئت.

كانت تلوح عليه حرقة الشمس وكتفاه قد استدارا ويداه الكبيرتان بمعصميه يبرزان من أكمام البذلة الزرقاء الجديدة التى ضاقت عند خصره وبدت الأكمام أيضا قصيرة جدا.

- هل ذهبت إلى «چورچ تاون» ؟

- نعم.

- هل ذهبت إلى المقبرة

- أرادت أمى ذلك ولكن ما الفائدة؟

- يا لأمى المسكينة.. إنها تحتفل جدا بهذه الأشياء..

لم يقل چو شيئا وهما يسيران معا.. كان اليوم حارا والتراب يملأ الطريق..

- والآن.. عزيزى چو.. يجب أن تخبرنى بكل شئ عن مغامراتك.. من المؤكد إنك ذهبت إلى أماكن رائعة.. إنه لأمر مثير أن يكون للمرء أخ فى البحرية.

- چانى.. أقفلى موضوع «البحرية».. أهذا ممكن؟.. لا أريد أن أسمع شيئا عن ذلك لقد فررت فى بوينس أيرس وعملت كبحار انجليزى على مركب بريطانى.. إنها عيشة

كلاب هى الأخرى لكن أى شئ أفضل من بحرية الولايات المتحدة.

- لكن جو..

- لا شئ يدعو لقلقك.

- لكن ما الذى حدث.

- چانى.. لا تتفوهى بكلمة مما سأقوله لأى مخلوق.. لقد تشاجرت مع ضابط وضيع أراد أن يحملنى فوق طاقتى.. لكمته فى فكه وأرديته صريعا.. وجدت أن الأمور لن تسقيم لى فأختصرت الطريق وهربت.. هذا كل ما هنالك..

- أوه چو.. كنت أود أن اراك ضابطا.

- هل يمكن للبحار أن يصبح ضابطا؟.. فرصة مستحيلة.

أصطحبته إلي «مابليون» حيث اعتاد چيرى أن يصحبها.. توقف «چو» عند الباب.. يتطلع متفحصا..

- هل هذا أفخم مكان تعرفينه.. إن فى جيبى مائة دولار.

- أوه.. هذا مطعم فرنسى.. نفقاته باهظة.. لكن لا يجب أن تنفق كل نقودك لأجلى..

- وعلى من أنفقها إذن بحق الجحيم؟

جلس چو على المائدة بينما ذهبت چانى إلى التليفون لتتصل «بآليس» التى لم تكن فى المنزل حتى وقت متأخر. وعندما عادت كان جو قد أخذ يخرج من جيبه بعض اللفافات الصغيرة التى غلفها بورق الجرائد.

- ما هذا؟

- افتحيه وشاهديه.. إنه لك.

فكت اللفافات.. كانت تحتوى على قلادات حريرية ومفرش مائدة منقوش..

- إن القلادات أيرلندية أما الأشياء الأخرى فمن ماديرا[٨٨]. وكانت معى آنية زهر صينية لكن ابن عاهرة ملعون نشلها منى.

- أنا ممتنة لك.. أنه أمر جميل أن تفكر فىّ..

أجاب وهو يلوح بالشوكة والسكين..

- سوف نذهب إلى السينما بعد هذا أو ننتظر حتي المساء لمشاهدة مسرحية.. معى تذاكر «لحديقة الله»[٨٩].

عندما خرجا من «البلاسكو» Belasco إلى ميدان «لافييت» الذى كان هادئا باردا

لا يسمع فيه غير حفيف الأشجار صاح چو - إنه ليس على هذه الدرجة.. لقد رأيت عاصفة رملية حقيقية ذات مرة.

شعرت چانى بالإكتئاب لأن أخيها على هذه الدرجة من الخشونة وقلة الثقافة.. لقد جعلها «العرض» تشعر بما كانت تشعر به وهى صغيرة.. أعاد لها أحاسيسها المفعمة بالرغبة فى رؤية البلاد الغريبة.. رائحة البخور والعيون السوداء والدوقات بمعاطفهم الأنيقة يلقون بالنقود على موائد اللعب فى مونت كارلو.. الرهبان والشرق الغامض.. لو أن «چو» كان متعلما لأصبح قادرا على معرفة قيمة تلك الأماكن التى مر بها.

عند مدخل البيت على طريق «ماسشوستس» وقف يودعها.. سألته.

- إلى أين ستذهب لتقيم؟

- أظننى سأكر عائدا إلى نيويورك لألتقط «سفينة».. إن العمل فى البحر هو أفضل طريق للكسب وهذه الحرب مشتعلة.

- أتعنى الليلة؟

أحنى رأسه مؤيدا..

- كنت أرغب أن تنام معى.. لكنى لا استطيع بسبب «آليس»

- لا.. لا أريد أن اظل في هذه «البالوعة».. لقد أتيت فقط لأقول سلاما..

- حسنا.. طابت ليلتك.. كن حريصا واكتب لى..

- چانى.. طابت ليلتك.. بالتأكيد سوف أفعل..

مضى أخذت ترقبه وهو ينحدر على الطريق حتى غاب عن انظارها خلف ظلال الأشجار.. لم يكن يمشى مشية البحارة البطيئة المخايلة بل كان يخطو خطو «عامل شغيل». تنهدت ومضت إلى المنزل.. كانت «آليس» فى انتظارها.. أخذت تعرض عليها المفرش الحريرى والقلادات وأتفقت معها على أنها جميلة للغاية وثمينة.

قضت چانى وآليس وقتا طيبا هذا الشتاء.. اعتادتا أن تدخنا السجائر وتعدا الشاى لبقية الصديقات فى أمسيات الأحد وأخذتا تقرأن روايات «أرنولد بينت» Arnold Bennett وتتصوران أنهما فتاتان مثقفتان.. تعلمتا لعب البريدج وقصرتا الفساتين وعندما حصلت چانى فى الكريسماس» على مائة دولار حصة الأرباح وارتفع أجرها إلى عشرين دولارا فى الأسبوع أخذت تلوم «آليس» لأنها تظلم نفسها بالبقاء عند مسز روبنسون بل وبدأ يمتلكها فى غدوها ورواحها مع بقية الموظفين فى المصعد أمورا كانت تقتلها حياءا منذ سنة مضت وعندما كان «چونى ادوا ردز» و «كوريس باير» يأخذانها إلى السينما فى

المساء لم تكن تبدى اهتماما وهما يطوقانها بالأذرع أو يقبلانها مرة أو مرتين خلال انشغالها بالبحث عن المفتاح فى الحقيبة.. عرفت فقط كيف تقبض على يد الفتى وتدفعها بعيدا دون أن تلفت إليها الإنظار إذا ما حاول أن يقترب أحدهم أكثر من اللازم، وعندما كانت «آليس» تتحدث محذرة «إن الرجال لا تتملكهم غير فكرة واحدة» كانت تضحك وهى تجيب - إنهم ليسوا على هذه الدرجة من الإيلام، واكتشفت أن قليلا من «البيروكسيد» فى الماء يصبغ شعرها باللون الأشقر ويزيل منظره المنفر، وأحيانا عندما تستعد للخروج فى المساء تضع قليلا من أحمر الشفاة على أصبعها الصغير وتدهن به شفتيها بمنتهى العناية.

عين الكاميرا (١٥)

عند مصب نهر شيلكيل Schyulkill أتى مستر «بيرس» على ظهر سفينة.. كان يبلغ السادسة والتسعين لكنه يبدو صحيحا كالجن.. وكان هو يعمل ساعيا فى مكتب مستر بيرس فى ذلك الوقت الذى تطوع فيه لكنه لم يشترك فى معركة «أنتيتام»[٩٠] بسبب اصابته الشديدة بالدوسنطاريا. وكانت ابنة مستر بيرس.. مسز بلاك تدعوه چاك.

وتدخن السجائر البنية الصغيرة وأدرنا (الأخ دياڤولو)[٩١] على الفونغراف وشعر الجميع بالبهجة ومستر بيرس يشد حمالات سرواله ويشرب التودى[٩٢] وأشعلت مسز بلاك سجائرها الواحدة تلو الأخرى وأخذ الجميع يتحدثون عن الأيام الغابرة وكيف أن أبوه كان يود أن يصبح أبنه كاهنا وأمه المسكينة تعانى الأمرين لتدبير ما يكفى من طعام لتلك العائلة ذات الأفواه الشرهة وكيف كان أبوه صموتا يتكلم «البرتغالية» غالبا وعندما لا يعجبه مذاق أحد الأطباق يمسك به ليلقيه من النافذة وكيف أنه كان يود أن يذهب إلى البحر ويدرس القانون فى الجامعة وفى مكتب مستر «بيرس» وقد أخذ يغنى «مين يقدر يعبر عن الفرح الدفين..

أو عن فوران الدهم فى الشرايين.

ومزج شراب «التودى» وشد مستر بيرس حماليته وشعر كل واحد بمنتهى السعادة وتحدثوا عن المركب الشراعى «مارى ونيتورث» Mary Wenworth وكيف أن الكولونيل «هودچسون» والأب مورفى.. ينظران إلى الشراب نظرة صارمة.. لكنه مزج «التودى» وشد مستر بيرس حمالته ودخنت مسز بلاك سجائرها البنية الصغيرة الواحدة تلو الأخرى وشعر الجميع بالبهجة و «الأخ ديڤولو» تدور على الفونغراف ورائحة الميناء والمعديات و

«ديلاور» بمويجاتها الفضية.. كانت مليئة بالمستنقعات يوم كنا نذهب لصيد البط.. انطلق يغنى (ڤيتوريا) مع الفونغراف.

واصيب الأب «مورڤى» بنوبة حادة مخيفة من النقرس وكان لابد أن يحمل على نقالة ومستر بيرس ذو الستة والتسعين عاما يبدو صحيحا كالجن.. أخذ رشفة من التودى وشد حماليته.. وهبت الريح المنعشة تحمل رائحة الميناء ودخان أحواض السفن فى «كامدن» ورائحة أكواب «التودى» بخليط السكر والليمون والجاودار..

كان الجميع يشعرون بالبهجة.

جريدة سينمائية (١٢)

اليونانيون فى معركة يفرون أمام العسكر..

المسافرون فى عربات النوم يستيقظون عند نقط التفتيش..

إجرى أيها النهر.. إجرى..

لتصب فى البحر..

أيها الفيض المتلألأ

أعد إلى الوطن.. حبيبى..

ليكون لى

قتال فى «توريون»

كتب شامب كلارك عضو الكونجرس اللامع عن ولاية ميسورى فى نهاية الحملة الانتخابية السابقة يقول «لقد أرهقت تماما من العمل الزائد والتوتر العصبى وقلة النوم وفقدان الشهية والحديث المستمر لكن ثلاث زجاجات فقط من (البتر القوى)[٩٣] تجعلنى على ما يرام».

روزفلت يتولى زعامة الحزب الجديد.

هزيمة (برايان) على يد كلارك، يساعد باركر..

حقيقى.. يا عزيزى.. حقيقى..

اناضل كي أكون..

لكن خلاصة القول..

إن الطريق طويل.. طويل..

من ضفاف (السين)[٩٤]..

الجريمة التى عوقب عليها ريتشارد سون بالإعدام على الكرسى الكهربائى هى القتل العمد لحبيبته السابقة أفيس لينيل من «هيانس» ذات التاسعة عشر ربيعا الطالبة فى معهد كونسرفتوار «نيو انجلند» للموسيقى ببوسطون. كانت الفتاة تقف حجر عثرة فى طريق زواج القس من احدى فتيات المجتمع وريثة آل بروكلين وذلك بسبب خطبتها القائمة له وبسبب الورطة التى وجدت نفسها فيها.. تجرعت الفتاة السم الذى قدمه لها ريتشارد سون على أنه علاج لحالتها.. وماتت فى غرفتها بجمعية الشابات المسيحيات.

روزفلت يتحدث لأول مرة كيف أخذت الولايات المتحدة.. بنما.

صدى هتافات التشجيع يتردد لمائة ألف لم يستطيعوا دخول القاعة الكبرى

قال «حاكم الولاية» على الغذاء إنه لم يسمع مباشرة من مستر برايان أثناء النهار قول مستر ويلسون بعد قراءة نتائج خمسة عشرة صندوقا من صناديق الاقتراع.. يلزمنى ١٧٥ صندوقا آخر للفوز.

شاب يقول أن قصص المال السائب هى التى قادته إلى الجريمة.

في ٢٠ ديسمبر تضاعف الاهتمام بالقضية بعد أن علُم أن رجل الدين السابق قد شوه نفسه فى زنزانته بسجن «تشارلز ستريت»

خمسة رجال يموتون بعد وصولهم للقطب الجنوبى

دياز يسلط الأسلحة الثقيلة على الحى التجارى

إن الطريق طويل.. طويل..

من ضفاف السين..

لفتاة تأتى لتقيم..

على ضفاف «ساسكتشوان»(٩٥)

الخطيب المفوه فى «بلات»(٩٦)

لقد حدث فى مؤتمر شيكاغو عام ١٨٩٦ أن وقف الشاب الحائز على جائزة الخطابة، إبن القس الذى لم تقرب شفتاه شرابا، لينطلق صوته الفضى يملأ أرجاء القاعة الرحيبة يشنف آذان الرجال البسطاء.

«السيد الرئيس.. السادة أعضاء المؤتمر

إنها لجرأة حقا أن أقف لأتكلم أمام الرجال المبرزين..

الذين يجب أن ينصت المرء لهم.. حتى لو اعتبرنا هذا مجرد مقياس للقدرات..

لكن هذا ليس موضعا للنظر بين أناس هم أكثر الناس تواضعا فى كل أنحاء البلاد.

عندما يمتشق المرء سلاح قضية عادلة فإنه يكون أقوى من كل جحافل الإثم.

لقد أتيت لأتكلم إليكم دفاعا عن قضية مقدسة تضارع قضية الحرية» الشاب الفصيح بربطة عنقه البيضاء.. منظم حملات الخطابة الريفية.. الداعية.. الإنجيلي..

سَحَر صوته الفلاحين المثقلين بالرهونات من أهل السهل الكبير وجلجل داخل أبنية المدارس الخشبية فى وادى الميسورى.. رقيقا لآذان أصحاب الدكاكين الصغار الجائعون لإئتمان سهل.. آذاب الصوت نفوس الرجال مثل أغنية طائر مغرد أو مثل صوت الطائر الحاكى فى هدوء الشفق. كالتحليق المفاجىء للطائر «الأبلق» فى الشتاء أؤ كصوت النفير ينطلق تحت العلم الخفاق..

اللسان الفضى لأهل السهل البسطاء..

«الرجل الذى يبيع عمله هو صاحب عمل مثله كمثل من يستخدمه.. المحامى فى مدن الريف هو رجل أعمال مثله كمثل مستشار فى عاصمة كبرى.. التاجر فى محل على مفترق الطرق هو صاحب عمل مثله كمثل التاجر فى نيويورك.. الفلاح الذى ينهض فى الصباح ليشقى طول النهار الذى يزرع فى الربيع ويشقى طول الصيف والذى يستخدم مخه وعضلاته فى استثمار الموارد الطبيعية للبلاد فيخلق الثروة هو صاحب عمل مثله كمثل الرجل الذى يعمل وفق لائحة التجارة ويضارب على أسعار الحبوب.

عمال المناجم الذين يهبطون ألف قدم تحت الأرض.. أو يصعدون ألفى قدم على المنحدرات الصخرية ليستخرجوا من تلك الأماكن النائية المعادن الثمينة التى تصب فى القنوات التجارية هم أصحاب عمل مثلهم كمثل الأقطاب الماليون القلائل الذين يجلسون فى الحجرة الخلفية ليراكموا نقود العالم».

جلس الرجل الأجير والمحامى الريفى وأنصتوا.. إنه حديث كبير بالنسبة لمزارع يرهن محصوله من أجل شراء السماد.. حديث كبير بالنسبة لبائع الخردوات فى مدينة صغيرة.. بالنسبة لصاحب المتجر وتاجر الغلال والحانوتى والبستانى وسائق الشاحنة..

«نحن وراءنا الجماهير المنتجة..

لهذه الأمة والعالم..

تؤيدنا المصالح التجارية والمصالح العمالية والكادحون فى كل مكان.. لسوف نجيب طلبهم بخصوص قاعدة الذهب»[٩٧].

بالقول «يجب ألا تضعوا على جبين العمل هذا التاج من الأشواك..

لا يحق لكم أن تصلبوا الإنسانية على صليب من الذهب».

هدرت الحناجر (تاج من الأشواك وصليب من ذهب).. حملوه على الأعناق.. طافوا به حول القاعة.. احتضنوه.. أحبوه.. سموا أطفالهم بإسمه.. رشحوه لمنصب الرئاسة.

الخطيب المفوه ليلات.. اللسان الفضى لأهل السهل..

لكن ماك أرثر وفورست.. اسكوتلنديان فى «راندا» Rand اخترعا طريقة السيانيد لإستخلاص الذهب الخام.. أغرقت جنوب افريقيا سوق الذهب ولم تعد هناك حاجة لنبى الفضة.

انطلق الصوت الفضى من الفم الكبير يدعو «للاعنف»[98].. لتحريم الخمر[99].. للإيمان القويم[100]..

ولوك الكلمات على منصات الخطابة..

واحتساء عصير الكروم والماء وابتلاع الوجبات الهائلة..

وسط دوى الاستحسان والمصافحات والربت على الظهر وحجرات اللجان التى يملأها دخان السجائر فى مؤتمرات الحزب الديمقراطى.. لسان فضى داخل فم جعجاع.. فى «دايتون» Dayton حلم بأن يعيد الدور مرة أخرى.. أن يعيد الساعة للوراء لأهل السهل بالكى والسلخ والسخرية..

من الداروينية والوجهة الالحادية لأناس المدن.. من العلماء والأجانب أصحاب الذقون وأخلاق القرود..

وفى فلوريدا أخذ يتحدث ظهيرة كل يوم للدعاية تحت الظل ليبيع يا نصيب «لكورال چابلز» لقد كان لابد له أن يتكلم ليشعر بالأصوات المتداعية حوله تخفت والآذان المنصتة حوله تُشد والأيدى تنفجر بالتصفيق.

لماذا لا تنظم حملة أخرى فى طول البلاد وعرضها لأحياء الكلمة المنسية من أجل البسطاء الذين يريدون كلمة الله البسيطة؟

(تاج من الأشواك وصليب من ذهب)

كلمة الله البسيطة الغنية المريحة..

للطبقة الامريكية الوسطى الغنية المستريحة؟

لقد كان أكولا وكان الجو حارا.. سقط ميتا بالسكتة.. وبعد ثلاثة أيام فى «فلوريدا» سلمت الشركة..

الحصان الكهربائى الذى أمر بصنعه ليتدرب عليه..

عندما رأى الحصان الكهربائى الذى يتدرب عليه الرئيس..

فى البيت الأبيض.

عين الكاميرا (١٦)

كان الجو ساخنا ونحن نمر بالقناة من مدينة «ديلاور» والسلاحف التى استلقت فى الشمس أخذت تنكفأ فى المويجات الغروية التى يصنعها مرورنا.. كان هو سعيدا جدا وكانت هى على ما يرام هذه المرة.. قدم لنا شرابا من الشاى والنعناع وقليلا من روم (سانت كروس) لكنه كان حارا كجحيم «ديلاور».. ورأينا.. التناجر[١٠١] القرمزية والطيور السوداء ذات الأجنحة الحمراء وطيور الرفراف[١٠٢] التى أخذت تقوقأ بغضب كلما اصطدمت الموجة الصفراء التى يصنعها المجداف الأبيض بأعواد البوص، والأعشاب المائية وقصب الذريرة.. كان يتحدث عن «إصلاح القانون» وما الذى يحبه السياسيون وأين يوجد الرجال الطيبون فى هذا البلد ثم أخذ يوضح لماذا لا يمكن بالطريقة التى أفكر بها أن انتخب «كموثق عقود» فى أى أقليم من الولاية.. لا بنقود العالم كله ولا حتى بالتعلق بأذيال الكلاب.

ج . وارد مورهاوس

ولد فى «ويلمنجتون» بديلاور فى ٤ يوليو..

كانت مسز مورهاوس المسكينة تسمع دوى الألعاب النارية خارج المستشفى طوال مدة ولادتها وعندما ولد الصغير واعطوه لها سألت الممرضة بصوت هامس مرتعش هل سيكون لهذا الضجيج تأثير سئ على طفلها.. أجابت الممرضة إن الصغير سينمو ليكون بطلا وطنيا، عظيما أو حتى رئيسا لأنه ولد فى يوم «الرابع» المجيد[١٠٣] ثم انطلقت تروى حكاية طويلة عن تلك المرأة التى خافت أن تلد متسولا فالصقت يده فجأة حتى أنفها بمجرد أن ولد الطفل الذى كانت له ستة أصابع.. لكن مسز مورهاوس كانت من الضعف بحيث أنها لم تستطع الاستماع وغرقت فى النوم.

حضر مستر مورهاوس فيما بعد عندما كان فى طريق عودته إلى المنزل من المحطة حيث يعمل وقرر أن يطلقا على الغلام إسم «چون وارد» تيمنا بإسم والد مسز مورهاوس الذى كان مزارعا فى «ايوا» على درجة طيبة من الغنى.. ثم مضى مستر مورهاوس إلى «هيلى» ليشرب احتفالا بإبوته وبيوم الاستقلال المجيد.. بينما راحت مسز مورهاوس فى النوم مرة أخرى.

شب «چونى» فى ويلمنجتون مع شقيقين بن، وإيد وثلاث شقيقات ميرتل، إديث، وهازيل . وتمتع بإطراء الجميع فقد قالوا أنه ألمع أبناء العائلة كما أنه الأكبر. كان بن وإيد

يفوقانه فى الحجم والـ ءة إلا أنه كان بطل المدرسة الحكومية فى لعب «البلى» وذاع صيته باعتباره «العمدة فى هذا المجال» بالاشتراك مع صبى يهودى صغير يدعى «إيك جولدبرج» واعتادا أن يؤجرا «البلى» للأولاد الآخرين العشرة بسنت واحد لمدة اسبوع.

عندما اندلعت الحرب الأسبانية[١٠٤] اشتعل الجميع فى ويلمنجتون بالحماسة العسكرية.. بدأ الأولاد يلحون على أبائهم ليشتروا لهم زى «رف رايدر»[١٠٥] ليلعبوا لعبة القراصنة وحروب البونى[١٠٦] الهنود والكولونيل روزفلت ويستعيدون ذكرى (المين)[١٠٧] والاسطول الأبيض و«الأوريجون» التى كانت تبحر عبر مضيق «ماجلان».

كان «چونى» يقف على رصيف الميناء ذات مساء من أيام الصيف عندما شاهد قطع اسطول الأدميرال سيرفيرا Admiral Cervera تتحرك فى تشكيل قتالى وهى تعبر «ديلاوركيب» وعليها فصيلة من ميليشيا الولاية التى اطلقت النيران على الفور على رجل ملون عجوز يصطاد السراطين فى النهر. إنطلق «چونى» مسرعا إلى المنزل يعدو مثل «بول ريفير» Paul Revere .. جمعت مسز مورهاوس أطفالها الستة.. وضعت أثنين منهم فى عربة الأطفال وسحبت الأربعة الآخرين ورائها وهرعت إلى محطة السكك الحديدية تبحث عن زوجها وكانوا على وشك أن يستقلوا أول قطار إلى «ڤيلا دلفيا» عندما تواترت الأنباء بأن الكتيبة الأسبانية كانت مجرد بضع مراكب لصيد «الرنجة» وأن أفراد الميليشيا قد تم اعتقالهم فى المعسكر لتهمة «السُكر» وعندما انتهى الرجل الملون من جمع صيده كر راجعا إلى الشاطئ وأخذ يعرض على رفاقه ثقوب الرصاصات العديدة على جانب القارب الصغير.

عندما تخرج «چونى» من المدرسة الثانوية وكان قد حاز على زعامة «فريق المناظرات» وخطيب الفصل والفائز بجائزة أحسن مقال عن مقاله «روزفلت.. رجل الساعة» توقع له الجميع أن يكمل تعليمه فى «الكلية» لكن الحالة المالية للعائلة ليست على ما يرام.. هكذا قال الأب وهو يهز رأسه فقد كانت مسز مورهاوس المسكينة قد أعتلت صحتها بعد ميلاد طفلها الأخير وذهبت إلى المستشفى لإجراء «عملية» وسوف تظل بضعة أيام قبل أن تعود والأطفال غالبا ما تتنابهم نوبات الحصبة والسعال الديكى والحمى القرمزية والنكاف على مدار العام.. وتسديد الديون يجب أن يتم فى موعده.. وزاد الطين بلة أن مستر مورهاوس لم يحصل على العلاوة المتوقعة فى بداية العام الجديد.. وهكذا كان على چونى بدلا من أن يتجه للعمل كصبى شاحنة أو فى جمع الخوخ بالقرب من «دوڤر» كما اعتاد فى اجازات الصيف السابقة أن يشق طريقه كعميل لشركة توزيع الكتب وأخذ فى

التجوال فى أنحاء «ديلاور» و«ماريلاند» و«بنسلفانيا» حتى تلقى فى سبتمبر خطاب شكر يقولون فيه أنه أول عميل يتمكن من بيع مائة مجموعة مسلسلة من كتاب برايان «تاريخ الولايات المتحدة» وبفضل ذلك ذهب إلى ڤيلا دلفيا الغربية وتقدم بطلب منحة دراسية فى جامعة ڤيلادلفيا وعندما حصل على المنحة واجتاز الاختبارات سجل نفسه كطالب مبتدئ يسعى للحصول على درجة البكالوريوس (فى العلوم).

فى الفصل الدراسى الأول كان يسافر يوميا من «ويلمنجتون» لتوفير نفقات الاقامة.. وفى أيام السبت والأحد يعمل على كسب بعض النقود، ويشارك فى محاضرات «ستودارد» كان كل شئ يمكن أن يسير على ما يرام لولا أن أباه انزلقت قدمه على الجليد فوق درجات المحطة صباح يوم من أيام يناير وچونى فى سنته الدراسية الثانية وكسر عظم وركه وتم نقله إلى المستشفى وتوالت المصائب.. ذهب محام صغير مشبوه.. هو فى الحقيقة والد إيك جولدبرج يزور مورهاوس الذى رقد على الفراش ورفعت رجله فى الهواء داخل الجبيرة وشجعه على رفع دعوى على شركة السكك الحديدية مطالبا بمائة ألف دولار كتعويض طبقا لقانون اصابات العمل.. لكن محاميّ الشركة أتوا بالشهود ليبرهنوا أن مستر مورهاوس كان مخمورا والطبيب الذى فحصه شهد بأنه لاحظ آثار الشراب عليه فى ذلك الصباح الذى سقط فيه.. وهكذا فى منتصف الصيف خرج يتوكأ على عكازين بلا عمل وبلا تعويض. وضع هذا النهاية لتعليم چونى فى الجامعة لكن الحادثة طبعت فى عقله المرارة الدائمة ضد أبيه وضد الشراب. أرسلت مسز مورهاوس إلى أبيها تطلب منه المساعدة لإنقاذ المنزل لكن الرد تأخر طويلا وقبل أن يصل كان البنك قد «حبس الرهن».. إنه لم يكن ليفعل شيئا على أية حال فلم يكن الرد غير خطاب مسجل يحتوى على مائة دولار فقط أى ما يكفى لتسديد نفقات الانتقال إلى الانتقال إلى بدروم أحد المنازل الذى تقطنه أربع عائلات بالقرب من ساحة قطارات بنسلفانيا.

ترك «بن» المدرسة الثانوية والتحق بالعمل كمساعد «عطشجى» بقطار بضاعة وذهب «چونى» إلى مكتب «هيليارد وميلر» لسمسرة العقارات بينما أخذت «ميرتل» وأمها تعدان الشطائر فى المساء وتصنعان «الكحك» لترسلانه إلى «جمعية التبادل النسائية» Woman's Exchange أما مستر مورهاوس فجلس مقعدا على كرسى نقال فى الردهة الأمامية يصب اللعنات على المحامين الأفاقين والمحاكم وسكك حديد بنسلفانيا.

كان هذا عاما عصيبا لچونى مورهاوس.. إنه فى العشرين من العمر لا يشرب ولا يدخن ويحتفظ بنفسه طاهرا للفتاة التى يحلم بزواجها.. لابد أن تكون ذات ثوب وردى

شفاف وجدائل ذهبية.. وهو يجلس فى مكتب «هيليارد وميلر» الضيق العفن يسجل البيانات عن شقق الإيجارات والحجرات المفروشة والمساكن والأرض المرغوب بيعها.. يفكر فى حرب البوير(١٠٨) والحياة النشطة والبحث عن الذهب.

كان يستطيع من مكتبه أن يرى قطاع من الشارع بمنازله المسيجة.. ومن خلال النافذة يظهر زوج من أشجار الدرداء وفى الصيف تغلق النافذة بحاجز شبكى لمنع الذباب ولا يتوقف طنين الذباب المتساقط بينما توضع فى الشتاء «مدفأة غاز» لا تكف عن اطلاق صفيرها الخافت.. ومن خلفه وراء الحاجز الزجاجى الذى يرتفع إلى منتصف الغرفة يجلس مستر هيليارد ومستر ميلز فى مواجهة بعضهما على مكتب كبير مزدوج يدخنان السيجار ويقطعان الوقت بقراءة الصحف.

كان مستر هيليارد رجلا شاحب الوجه يميل إلى الطول ذو شعر أسود.. كان قد بدأ يشق طريقه كمحام جنائى عندما شطب من جدول المحامين بسبب فضيحة لم يعد يشير إليها أحد بكلمة فقد أتفق الجميع فى «ويلمنجتون» إنه قد كفر عنها. أما مستر ميلر فكان رجلا ضئيلا ذو وجه بيضاوى يعيش مع أمه العجوز.. اضطر أن يزاول العمل كسمسار عقارات عندما مات أبوه فى الحقيقة عن بعض قطع الأراضى المتناثرة فى «ويلمنجتون» وضواحى ڤيلا دلفيا دون أن يترك له شيئا آخر يعيش منه.

كان عمل چونى أن يجلس فى المكتب الخارجى وأن يبدو فى غاية التهذيب مع الزبائن الذين يريدون الشراء.. أن يأخذ فى تعداد المزايا ويقوم بالإعلان.. يكتب خطابات المكتب ويفرغ صناديق القمامة وينظف المصيدة من الذباب الميت ويأخذ الزبائن لمعاينة المساكن والبيوت وقطع الأراضى الصالحة للبناء وأن يجعل من نفسه على وجه العموم شيئا مفيدا وجذابا.

اكتشف «چونى» خلال هذا العمل أن له زوجا من العيون الزرقاء الصافية وأن يضع على وجهه سمات الطفولة البريئة التى يحبها الناس وتعشقها السيدات المسنات والباحثات عن المسكن. اعتاد الجميع أن يطلبوا هذا الشاب الجميل ليتجول معهم.. بل أن رجال الأعمال الذين يأتون أحيانا لتبادل الحديث مع مستر هيليارد أو مستر ميلر كانوا يهزون رؤوسهم ويرددون بلهجة خبيرة.. «إنه ولد لامع».. ثم يحصل فى النهاية على ثمانية دولارات كل اسبوع.

وفيما عدا «الحياة النشطة» والفتاة الجميلة التى تقع فى غرامه.. كان هناك شيئ آخر يستقر فى عقل چونى مورهاوس وهو يجلس على مكتبه يسجل البيوت المطلوبة ذات

الغرف الخمس والسبع وحجرة الرسم وحجرة الطعام والمطبخ ومخزن المؤن والشراب وثلاثة مخادع رئيسية بحمام وحجرة الخادمة والماء والكهرباء والغاز والأماكن الصحية على أرض حصباء فى مناطق سكنية هادئة.. هذا الشئ هو أن يصبح مؤلف أغانى. كان يملك صوت «تينور» جميل يستطيع أن يؤدى به بكفاءة.

«حلمت أنى سكنت فى القاعات المرمرية»

أو «وسط اللذات والقصور أطوف وأنا حزين».

وفى عصر أيام الأحد يتلقى دروسا فى الموسيقى على يد الآنسة «أوهيچينز» العانس الأيرلندية الضئيلة العجفاء التى بلغت الخامسة والثلاثين. لقنته أصول البيانو وأخذت تستمع فى شغف إلى مؤلفاته المبتكرة التى أخذت. تسجلها على النوت الموسيقية وتعدها للعزف. ورأت أنه من المناسب أن ترسل احدى أغانيه التى تبدأ بالقول

«أرنى ولاية يزهر فيها الخوخ.. وتحلو الفتيات أنها ديلاور» إلى ناشر موسيقى فى «ڤيلا دلفيا» لكن الأغنية عادت كما عادت المقطوعة التى تلتها.. وأخذت الآنسة «أوهيجنز» أو مارى (كان قد بدأ يدعوها مارى فى ذلك الوقت وكانت قد أعلنت إنها لن تتقاضى منه سنتاً واحداً مقابل الدروس حتى يصبح غنيا ويصير مشهوراً).. أخذت فى البكاء وهى تقول أن المقطوعة جميلة جمال «ماك دويل» وراحت تتلوها..

«خليج ديلاور الفضى ينساب إلى البحر..

خلال براعم الخوخ..

وعندما يهفو قلبى بالحنين..

ذكرياته الحلوة تعود لى».

كانت لدى الآنسة «أوهيچنيز» صالة صغيرة بها الكراسى المذهبة.. تعطى بها دروس الموسيقى وتملؤها بالستائر الحريرية والسُجف المطرزة بلون السلمون التى ابتاعتها من أحد المزادات وفى الوسط وضعت منضدة من خشب الجوز الأسود تراكمت عليها «الإلبومات» المغلفة بالأغلفة الجلدية السوداء البالية.. وفى أمسيات الأحد بعد أن ينتهى الدرس تحضر الشاى والكعك والتوست المتبل بالقرفة بينما يستلقى چونى على المقعد المهترئُ الذى تغطى بالقماش صيفا وشتاءا ليخفى رثاثته.. يجلس چونى وتلمع عيناه الزرقاء الصافية وهو يتحدث عن الأشياء التى يحلم بإتيانها ساخرا من مستر هيليارد ومستر ميللر.. بينما تسرد عليه قصص كبار الموسيقيين ويتورد خداها من السعادة وهى تحس بأنه ليس ثمة فارق كبير بين عمرها وعمره. إنها تساعد بدروسها الموسيقية أما عاجزة

وأبا مدمن على الشراب.. كان ذات يوم مغنى «باريتون» مشهور بل وكان فى شبابه وطنيا من أبناء دبلن قبل أن يتحول إلى الخمر.. وإنها لتشعر بالحب الجارف نحو چونى مورهاوس.. وچونى مورهاوس يعمل فى مكتب هيليارد وميلر المتعفن يكاد يحترق غضبا وهو لايجد شيئا يفعله.. يود أن ينطلق إلى الشارع كالمجنون ليقتل أحدا.. فهو يبعث بأغانيه إلى ناشرى الموسيقى وتعود دائما إليه مرة أخرى وهو يقرأ مجلة (النجاح) التى تغذى طموحه نحو المستقبل وتملؤه بالرغبة فى أن يرحل بعيدا عن «ويلمنجتون» وابيه المتذمر دائما ودخان غليونه والضجة التى يصنعها أخوته واخواته الصغار ورائحة الكرنب واللحم المملح وأمه بهيكلها المحطم ويدها الخشنة المعروقة التى تشقى بكدح العمل.

وذات يوم ارسلوه إلى «أوشين سيتى» بميرلاند ليكتب تقريرا عن بعض قطع الأراضى التى تم تسجيلها فى المكتب.. كان على مستر هيليارد أن يذهب بنفسه لهذه المهمة لولا أنه يعانى من خراج فى عنقه.. اعطى چونى تذكرة الذهاب والعودة وعشرة دولارات لمصروفات الرحلة.. وهكذا عصر أحد أيام يوليو الحارة انطلق چونى إلى المنزل ليغير ثيابه ويحضر حقيبته ويعود إلى المحطة ليلحق بالقطار فى موعده تماما.

كان الجو حارا خانقا والقطار يقطع بساتين الخوخ والأرض القاحلة التى ينمو بها الصنوبر.. تحت الشمس المتوهجة اللافحة التى تكشف عورات حقول القمح الهزيلة التى تتخللها الرمال والأكواخ وتجمعات متتالية من المستنقعات. خلع چونى سترة البذلة الصوفية الرمادية وطواها بعناية على المقعد بجانبه ليحميها من «البهدلة» ووضع ياقته وربطة عنقه فوقها لتظلان سليمتان إلى وقت نزوله وبينما كان يفعل هذا التقطت عيناه فتاة بعينين سوداوين ترتدى فستانا ورديا مكشكشا وقبعة عريضة تجلس عبر الممشى.. كان من الواضح أنها تكبره بأعوام.. وتبدو كإمرأة انيقة مترفة جديرة بعربة خصوصية وليست بعربة الركاب العادية لكن چونى تذكر أن ذلك القطار لا توجد به عربات خصوصية وشعر بأن الفتاة تنظر إليه دائما حتى حين يحول نظره عنها.

كان النهار على وشك المغيب عندما بدأت تمطر.. تناثرت قطرات كبيرة من المطر خلال نوافذ القطار وأخذت الفتاة ذات الفستان الوردى تجاهد لإغلاق النافذة فقفز إليها وهو يقول - اسمحى لى. وأنزل زجاج النافذة.

- شكرا..

تطلعت إلى عينيه وراحت تبتسم وهى تريه قفازاتها البيضاء التى أتسخت من مقبضى النافذة - إن هذا القطار البشع قذر للغاية.

عاود الجلوس على الجانب الداخلى لمقعده لكنها استدارت إليه بوجهها البنى المتنافر القسمات بتجعداته القبيحة التى تمتد من الأنف حتى نهاية الفم لكن عينيها بعثت به شعورا بالوخز.

وبادرته بالحديث..

- لا تظن أننى أعتبر الحديث معك خروجا على اللياقة.. لقد قتلنى السأم فى هذا القطار الملعون وليست هناك عربات ممتازة رغم أن الرجل فى نيويورك أقسم أنها موجودة..

قال چونى وهو يطبع على وجهه تلك النظرة الصبيانية الخجولة.

- أظن أنك مسافرة منذ مطلع النهار..

- أسوأ من ذلك.. لقد أتيت من «نيوبورت» على مركب الليلة الماضية.. أدهشته تماما تلك اللهجة التى يبدو عليها الامتعاض وهى تشير إلى نيوبورت لكنه قال.

- أنا ذاهب إلى (أوشين سيتى).

- وأنا كذلك.. أرجو ألا تكون مكانا مقرفاً.. لم أكن لأذهب إلى هناك لحظة واحدة لو لم يكن الأمر لأجل خاطر أبى.. إنه يدعى حبها..

أجاب چونى - أنهم يقولون أن «اوشين سيتى» ينتظرها مستقبل عظيم..

أقصد فى مجال العقارات.

مضت فترة صمت ثم قال وهو يبتسم..

- إننى قادم من «ويلمنجتون».

- مكان بشع.. إنى لا احتملها..

- لقد ولدت ونشأت هناك.. لعل هذا ما يجعلنى أحبها.

- أوه.. أنا لا أقصد إنه لا يوجد بها أناس طيبون وعائلات عريقة صديقة أتعرف عائلة «رولنز»؟

- أوه.. كل شئ على ما يرام فأنا لا أنوى أن أقضى بقية عمرى بها.. يالهى.. أنظرى إنها تمطر.

كانت تمطر بغزارة حتى اكتسحت المياه الميازيب والكابلات الأرضية وتأخر القطار أربع ساعات عن موعد وصوله وعندما حان وقت النزول كانا قد أصبحا صديقين حميمين.

لقد أبرقت السماء وارعدت وبدأت أعصابها تثور لكنه بدا قويا متماسكا منحها الشعور بالأمن والحماية وامتلأت العربة بالبعوض الذى أخذ يلسعهما معا كما شعرا أيضا

بالجوع الشديد. كان الظلام حالكا فى المحطة ولم يكن هناك أحد من «الحمالين» فكلفه هذا أن يذهب ويعود مرتان لينزل حقائبهما، وفضلا عن ذلك نسيت حقيبة يدها المصنوعة من جلد التمساح فأضطر أن يعود للعربة مرة ثالثة ليحضرها مع حقيبته وعندئذ ظهر زنجى عجوز يقود مركبة قال أنه مُرسل من «أوشين هاوس».. قالت

- أرجو أن تكون أنت أيضا ذاهب إلى هناك.

أجابها بالإيجاب وركبا معا رغم أنه لم يكن هناك مكانا لأقدامهم من كثرة الحقائب.. لم تكن هناك أضواء فى المدينة بسبب العاصفة وراحت عجلات العربة تقعقع على الطريق الرملى وبين الحين والحين تطغى على صوت العجلات وطقطقة الحوذى وهو يستحث حصانه زمجرة الأمواج التى تنكسر على الشاطئ.. كان الضوء الوحيد هو ضوء القمر الذى يحتجب غالبا خلف السحب المتدافعة.. توقف المطر لكن الهواء الثقيل ينبئ بأنها ستنهمر مرة أخرى فى أية لحظة.. وفجأة أعطته يدها كما يفعل الرجال وهى تقول

- من المؤكد كنت سأهلك فى تلك العاصفة لو لم تكن هناك.. أسمى سترانج.. أنا بيل مارى سترانج.. أليس اسما مضحكا؟

أخذ يدها وهو يجيب.

- وأسمى چون مورهاوس.. سعيد بلقائك آنسة سترانج.

شعر براحة يدها جافة دافئة وبدا أنها تضغط على يده وعندما أطلقها أحس بأنها تود أن يستبقى يدها مدة أطول.. ضحكت ضحكة خافتة ذات رنين أجش وهى تقول.

- والآن مستر مورهاوس قد تعارفنا كل شئ على ما يرام.. بودى أن أقول لأبى فور أن ألقاه ما يدور بذهنى.. كيف أنه لم ينتظر ابنته الوحيدة على المحطة.

فى صالة الفندق المعتمة التى أضيئت بمصباحين زيتيين يتصاعد منهما الدخان رآها بطرف عينه وهى تعانق رجلا طويلا أشيب الشعر.. وخلال الوقت القصير الذى استغرقه وهو يكتب بعجلة «البيانات» ويأخذ مفتاح الغرفة من موظف الاستقبال كانا قد انصرفا.. كان الجو شديد الحرارة فى حجرة النوم الصغيرة وعندما فتح النافذة أتى هدير الموج خلال الستار الصدأ مختلطاً بدقات المطر على السقف.. أبدل ياقته واغتسل بالماء الفاتر الذى صبه من دورق مشروخ وضع على حامل ونزل إلى المطعم عله يجد شيئا يأكله بينما كانت الخادمة التى تشبه أسنانها أسنان الماعز تحضر له الحساء.. أتت مس سترانج يتبعها الرجل الطويل.. أتجها إليه حيث كان يجلس على المائدة التى وضع عليها المصباح الوحيد فى صالة الطعام..

- إنه هو يا أبى.. وأنت.. إنك مدين له بالعربة التى احضرتنا من المحطة..
مستر مورس أقدم لك والدى دكتور سترانج.. أليس اسمك مورس؟

تورد وجه چونى وهو يقف مبتسما - مورهاوس.. كل شئ على ما يرام.. سعيد بلقائك يا سيدى.

فى صباح اليوم التالى نهض چونى من نومه مبكرا ومضى إلى مكتب شركة «أوشين سيتى للعقارات والإصلاحات» الذى يقع فى بيت خشبى من طابق واحد(١٠٩) طلى باللون الأخضر أقيم فى أحد الشوارع الجديدة وراء الشاطئ.. لم يكن أحد قد حضر هناك بعد فمضى يسير فى المدينة.

كان يوما رطبا حارا تكتنفه الغيوم وبدت الأكواخ والمحلات والبيوت الصغيرة التى لم تطلى بعد على امتداد السكة الحديدية مقفرة كئيبة وبين الحين والآخر يطرد بعوضة من فوق عنقه وهو يخشى أن تفسد ياقته النظيفة الأخيرة وكلما خطا على أحد جانبى الطريق دخل الرمل فى قدمه والتصقت الأشواك الحادة بكعبه حتى وجد أخيرا رجلا بدينا يرتدى الثياب البيضاء يجلس على درجات مكتب العقارات.

- صباح الخير يا سيدى.. هل أنت كولونيل «ودچوود»؟

لم يستطع الرجل البدين أن يلتقط أنفاسه ليجيب.. فقط أحنى رأسه وهو، يضع منديلا حريريا كبيرا يلتصق بياقة عنقه من الخلف بينما يمسك بمنديل آخر يمسح به وجهه. أعطاه چونى الخطاب الذى أتى به ووقف ينتظر الجواب.

أخذ الرجل يقرأ الخطاب مقطب الجبين ثم مضى إلى المكتب وهو يشهق وتصفر أنفاسه.

- اللعنة.. إنه الربو.. يقطع أنفاسى كلما حاولت أن أسرع.. سعيد بلقائك يابنى.

مضت ساعات الصباح وهو يجلس بجانب الكولونيل العجوز ينظر بعيونه الصبيانية الزرقاء وينصت بأدب إلى قصص الحرب الأهلية والچنرال «لي» Lee بحصانه الأبيض «تراڤلر» وهرع إلى «المخزن» ليحضر ثلجا لوعاء التبريد وأخذ يتحدث باختصار عن المستقبل الذى ينتظر «أوشين سيتى» كمصيف بينما قاطعه الكولونيل مزمجراً.

- ما الذى تمتلكونه فى «اتلانتك سيتى» أو «كيب» أكثر مما نملكه نحن هنا؟

وذهبا معا إلى المنزل الخشبى لتناول الغذاء.. وهكذا مر موعد القطار الذى كان ينبغى أن يعود به إلى «ويلمنجتون».. رفض الشراب - فهو لا يشرب ولا يدخن - لكنه أخذ ينظر بإعجاب إلى الكولونيل الذى أعد «الكوكتيل» وتجرع كأسين دفعة واحدة - من

أجل أزمة الربو التى تلم به أخذ يوزع الابتسامات والنظرات الطفولية الخجولة من عيونه الزرقاء يخص بها «مامى» طاهية الكولونيل الملونة.. ولم تأت الساعة الرابعة حتى كان قد انسجم مع الجو تماما وراح يطلق الضحكات ذات اليمين وذات اليسار.. (على حاكم كارولينا الشمالية وعلى حاكم كارولينا الجنوبية).

وقبل العمل فى شركة «أوشين سيتى للعقارات والإصلاحات» مقابل خمسة عشرة دولارا فى الاسبوع وكوخ صغير مؤثث لإقامته.

عاد إلى الفندق وكتب لمستر هيليارد خطابا يشرح فيه ما تم بشأن الأرض وحساب النفقات واعتذر عن تركه العمل فى الشركة بهذه «العجالة» لكنه مضطر إلى هذا بسبب عائلته التى تحتاج إلى تحسين وضعه ما أمكنه ذلك.. ثم كتب إلى أمه خطابا يبلغها أنه سيبقى للإقامة فى «اوشين سيتى» ويرجوها أن ترسل له ملابسه على وجه السرعة. وأخذ يفكر هل يكتب إلى الآنسة «اوهيجنيز» أم لا.. واستقر رأيه أخيرا على أنه لا معنى للكتابة إليها فما مضى قد مضى.

عندما إنتهى من تناول العشاء مضى إلى «إدارة الفندق» يطلب تسديد الحساب وهو يخشى ألا تكفى النقود التى معه وبينما كان يقفل عائدا ولم يعد فى جيبه سوى قطعتان من ذات الربع دولار وحقيبته فى يده التقى بالآنسة «سترانج» برفقة رجل أسود قصير يرتدى بذلة بيضاء قدمته إليه بأنه «المسيو ديلا روشفيلان» فرنسى يجيد التحدث بالإنجليزية.

- أرجو ألا تكون راحلا..

- لا ياسيدتي.. سأنتقل فقط للإقامة على الشاطى فى أحد أكواخ كولونيل «ودچوود».

أحس چونى بعدم الارتياح لوجود «الفرنسى» الذى وقف مبتسما بأدب كالحلاق بجانب مس سترانج التى صاحت.

- أوه.. أنت إذن تعرف صديقنا السمين.. إنه الصديق الحميم لأبي.. إنه يبعث السأم دائما بحصانه الأبيض «تراڤلر».

ابتسمت مس سترانج والرجل الفرنسى معا كما لو كانا يطويان سرا مشتركا يعرفانه. كان «الفرنسى» يقف بجانبها يميل بهدوء على مفصل قدمه كما لو كان يقف بجانب قطعة من الأثاث يمتلكها ويعرضها لأحد أصدقائه.. أنتابت چونى رغبة عارضة أن يسدد له لكمة عنيفة فى كرشه الذى تغلفه البذلة الصوفية البيضاء.. لكنه قال بهدوء.

- حسنا.. يجب أن أذهب.
- ألن تأت فيما بعد.. هناك حفلة راقصة ونود أن تكون معنا..
قال الرجل الفرنسى - نعم.. أفعل ما بوسعك لتحضر..
- سأحضر إن امكننى ذلك.

خرج وحقيبته فى يده يشعر بالمرارة واللزوجة تحف بياقته.. صاح لنفسه عاليا «اللعنة على هذا الفرنسى».. إن هناك شيئا ما فى نظرات مس سترانج إليه.. أيمكن أن يكون حبيبها ؟

كان اغسطس حارا.. يسوده الهدوء فى الصباح وفى العصر ينهمر وابل من المطر مصحوبا بالبرق والرعد. وفيما عدا الأوقات الى يجب أن يصحب فيها بعض العملاء لمعاينة قطع الأراضى الرملية التى تلفحها الشمس أو مشاهدة الأكواخ.. كان «چونى» يجلس على المكتب بمفرده تحت المروحة الكهربائية ذات الشفرتين مرتديا فانلة بيضاء وقميصا ورديا يطوى أكمامه حتى المرفق.. ويأخذ فى نظم بعض الأبيات الشعرية لوصف (اوشين سيتى.. ميريلاند) التى سوف تتصدر كتيبا للدعاية من بنات أفكار الكولونيل «نفحات الحياة الدافقة على شاطئ الاطلنطى الشاسع تجدها على الشواطئ البللورية لأوشين سيتى (ميريلاند).. النسيم العليل برائحة أشجار الصنوبر دواء المرهقين والمصابين بالربو.. جنة الرياضيين قرب مصب نهر إنديان الواسع وقد يأتى الكولونيل فى العصر يلهث ويتصبب عرقا.. يقرأ چونى له ما كتب ويستمع إلى تعليقه «مرحى.. مرحى» ويقترح، أن ينجز العمل بأكمله.. فيأخذ چونى فى البحث عن مجموعة من الكلمات الطنانة فى «قاموس العصر» ذى الأوراق البالية وينكب على العمل مرة أخرى..

كان يمكن أن تمضى الحياة جميلة هكذا لولا أنه كان غارقا فى الحب..

فى المساء لا يمكن الابتعاد عن «أوشين هاوس» وفى كل مرة يصعد فيها درجات المدخل التى تئز تحت ثقل اقدامه مارا بالسيدات اللواتى يروحن بمراوحهن المصنوعة من سعف النخيل ويعبر الأبواب التى تنسدل عليها الستائر إلى الصالة ينتابه الشعور بأنه سوف يجد «آنابيل مارى» بمفردها لكنه فى كل مرة يجد الرجل الفرنسى معها يبتسم ببرود وكرشه يمتد أمامه وكلاهما يرحبان به ويدللانه ككلب صغير أو طفل بلغ قبل الأوان.. علمته كيف يرقص «البوسطن» كما ظل الفرنسى الذى كان يبدو دوقا أو باروناً أو شخصاً مهماً يقدم له الشراب والسيجار والسجائر المعطرة.

شعر چونى بصدمة رهيبة وهو يراها تدخن أمامه.. لكن.. ألا يتفق هذا مع جو

الدوقات ونيوبورت والرحلات إلى البلاد الأجنبية وكل هذا.. وعندما يرقص معها ويستنشق عطرها النفاذ الذى تستخدمه مختلطا برائحة السجائر فى شعرها يصاب بالدوار والحمي.. وفى بعض الليالى يحاول أن يرهق «الفرنسى» وهما يلعبان «البلياردو» عله ينصرف إلى حجرته لكنه يجدها قد مضت إلى مخدعها.. ويضطر للعودة إلى منزله يسب ويلعن متقطع الأنفاس وعندما يخلع ملابسه يجد آثار عطرها فى أنفه ويحاول تأليف أغنية..

فى بحيرة القمر المضئ..

اشتاق إليك كثيرا..

أنابيل مارى..».

لكن النظم يبدو سخيفا تافهاً ويأخذ فى السير جيئة وذهابا بالبيجاما داخل غرفته الصغيرة والبعوض يحوم حول وجهه وهدير البحر وطنين الذباب والجنادب يملأ أذنيه وهو يسب ويلعن كونه صغيرا وفقيرا وجاهلا ويبدأ فى التخطيط كيف يمكن أن يجمع مبلغا كبيرا من المال ينافس به أى فرنسى ملعون.. حينئذ سوف يكون هو حبيبها الذى تميل إليه ولن يهمه وقتها أن تصادق بعض الفرنسيين الملاعين لو شاءت كمجرد تمائم للخط. كان يضم قبضته ويذرع الغرفة متمتما.. «سوف أفعل ذلك بكل تأكيد».

ذات مساء وجدها وحيدة.. كان الفرنسى قد رحل فى قطار الظهيرة.. تهللت لمرآه لكن هماً ما كان يدور بداخلها وهى تضع ركاما من المساحيق على وجهها وتبدو عيونها محتقنة.. لعلها كانت تبكي.. وضعت يدها على ذراعه قائلة:

- مورهاوس.. لنسير معا على الشاطئ.. لقد كرهت منظرا أولئك العجائز الشمطاوات على الكراسى الهزازة.

كانت الليلة مقمرة وبينما كانا فى الطريق إلى الشاطئ التقيا بدكتور سترانج الذى بدا بقامته الطويلة وجبهته البارزة وشفتيه المضمومتين كمن يحمل هماً.

- آنى.. مادا حدث لروشيفيلان؟

- أتاه خطاب من والدته إنها لا تسمح له..

- وهو شخص بالغ.. اليس كذلك؟

- أبى.. أنت لا تفهم النبلاء الفرنسيين.. إن مجلس العائلة لن يسمح له.. أنهم يستطيعون حرمانه من دخله.

- إن لديك ما يكفى لأثنين.. لقد أخبرته بذلك.

صاحت وهى تنفجر بالبكاء كالطفل

- أوه.. كف عن هذا الحديث.. الا يمكنك ذلك.

وهرولت عائدة إلى الفندق تاركة چونى ورائها وجها لوجه مع دكتور سترانج الذى بدأ يتنبه لوجوده - آه.. اعذرنى.. ثم مضى بخطوات سريعة على الطريق تاركاً چونى يذهب بمفرده إلى الشاطئ ينظر إلى القمر وحيداً.

فى الليالى التى تلت تلك الليلة بدأت أنابيل مارى تمضى معه إلى الشاطئ وبدأ يشعر أنها ربما لم تحب ذلك الفرنسى كثيرا.. كانا يسيران بعيدا وراء الأكواخ المتناثرة.. ويوقدان نارا ويجلسان جنبا إلى جنب يتطلعان إلى اللهب.. أيديهما تتماسك أحيانا وهما يسيران أو وهى تهم بالنهوض.. ويود دائما أن يجذبها نحوه ويقبلها لكن شجاعته تخونه حتى اقترحت عليه فجأة ذات ليلة حارة أن يذهبا للعوم..

- ولكن ليس معى لباس بحر..

- ألم تسبح أبدا بدونه.. أن ذلك أفضل بكثير.. لماذا؟ أيها الغلام المضحك أراك تتورد حياءا تحت ضوء القمر.

- هل تتحدينني؟

- اتحداك.. واتحداك..

هرع إلى الشاطئ وهو ينزع ملابسه.. انطلق بسرعة كبيرة إلى الماء..! لم يجرؤ على الإلتفات لكنه فقط رمقها بطرف عينه ولمح ثدييها وساقيها البيضاوين والزبد الأبيض الذى تناثر حول أقدامها.. وعندما عاد ليرتدى ملابسه مرة أخرى أخذ يعجب من نفسه كيف يفكر فى الزواج من فتاة كهذه تهوى السباحة مع فتى عار هكذا وأخذ يفكر أكثر هل فعلت ذلك مع الفرنسى الملعون؟!

عندما عاود الجلوس بجانب النار المشتعلة قالت له وهى تلف شعرها الأسود حول رأسها وتضع دبابيس الشعر فى فمها وتتكلم..

- كنت مثل «الفون»[(١١٠)] المرمرى.. مثل تمثال المرمر المثير.. لقد أبتل شعرى. لم يكن ينوى.. لكنه جذبها فجأة وقبلها فلم تبد استياءا بل مالت على ذراعه واستدارت بوجهها ليقبلها مرة أخرى.

- أتتزوجين شخصا مثلى لا يملك نقودا؟

- لم أفكر فى ذلك ياحبيبى ولكن قد أفعل..

- إنك بالغة الثراء.. أظن ذلك.. وأنا ليس معى سنتنا واحدا ومن واجبى أن ابعث

بالنقود لأهلي.. لكنى أتوقع..

قالت وهى تجذبه نحوها وتداعب شعره - أى نوع من التوقعات؟

- سوف أجنى مالا كثيرا من سمسرة العقارات.. أقسم على ذلك.

- حسنا يا فتاى المسكين..

- إنك لا تكبريننى كثيرا.. كم عمرك؟

- حسنا.. سوف أتم الرابعة والعشرين ولكن أياك أن تخبرأ أحدا أو تروى ما حدث الليلة أو أى شئ..

- أنابيل مارى ما الذى يمكن أن أرويه؟

فى طريق العودة كان يبدو عليها الإنهماك بالتفكير.. لم تنتبه إلى أى كلمة يقولها.. راحت فقط تهمهم ببعض الكلمات.

وذات ليلة أخرى.. كانا يجلسان عند مدخل الكوخ الذى يقيم فيه وهما يدخنان السجائر كان قد بدأ يدخن بعض السجائر معها أحيانا ليحتفظ بصحبتها.

سألها عما يقلقها.. وضعت يدها على كتفه وهزته.

- أوه.. مورهاوس.. إنك غبى لهذه الدرجة.. لكنى أحب ذلك..

- لكن ما هو الشئ الذى يقلقك.. لم يبدو عليك الحزن ابداً فى ذلك اليوم الذى أتينا فيه بالقطار معا.

قالت وهى تضحك ضحكتها الفظة التى تصيبه بالانزعاج.

- لو أننى أخبرتك أيها «الفاتن» استطيع أن أتخيل منظرك.

- حسنا.. أريد أن يكون لى الحق فى معرفة كل شئ.. ينبغى أن تنسى ذلك الفرنسى الملعون.

قالت وهى تنهض وتأخذ فى السير جيئة وذهابا..

- أوه.. يالك من ساذج صغير..

- أنابيل مارى.. ألا يمكنك الجلوس.. ألا تحبيننى ولو قليلا..

فراحت تمسح شعره بيدها وتداعب وجهه

- بالطبع أيها المغفل الصغير ذو العيون الزرقاء.. لكن ألا ترى أن كل شئ حولى يدفعنى للجنون وكل تلك القطط العجائز التى تحوم بالفندق تتحدث عنى كإمراة داعرة لمجرد أننى ادخن أحيانا سيجارة فى غرفتى الخاصة.. ولماذا؟ فى انجلترا تدخن النساء الارستقراطيات علنا دون أن يقول أحد «بم».. ثم أننى قلقة أيضا على أبى أنه يضع

نقودا كثيرة فى العقارات .. أخشى أن يكون قد فقد عقله ..

– لكن هناك الكثير من الدلائل أن هناك ازدهارا كبيراً سوف يحدث هنا .. لسوف تصبح « أتلانتك سيتى » أخرى فى الوقت المناسب .

– أتعرف أيها الثرثار كم قطعة أرض بيعت هذا الشهر .

– ليس كثيرا .. لكن هناك مبيعات ضخمة على وشك الحدوث .. وهناك تلك الشركة التى تزمع بناء فندق جديد .

– سيكون أبى محظوظا لو خرج بخمسين سنتاً من الدولار .. لكنه يظل يتهمنى بالغباء .. إنه طيب وليس رجل أعمال وعليه أن يدرك ذلك .. إنه عمل لا بأس به بالنسبة لشخص مثلك ليس لديه ما يخسره ووسيلة للعيش فى هذا العالم أن تدس بأنفك فى سمسرة العقارات .. ولكن هذا الكولونيل السمين لأدرى هل هو أحمق أم نصاب .

– أى نوع من الأطباء والدك ؟

– أتعنى أنك لم تسمع عن دكتور سترانج .. أشهر أخصائى للأنف والأذن فى ڤيلادلفيا .. أوه .. هذا شئ جذاب جداً ..

وقبلته على خده وهى تضيف – وجاهل ثم قبلته مرة أخرى – ونقى .. قال بسرعة وهو ينظر بحدة إلى عينيها – لست على هذه الدرجة من النقاء .

بدأ الدم يتدفق إلى وجهيهما وهما يتواجهان وهو يشعر بالدوار من رائحة شعرها بعطره المميز .. جذبها لتنهض وذراعه تلتف حول كتفيها .. كاد يترنح وساقيها تلتصقان بساقه ومشد خصرها يضغط على ضلوعه وشعرها يغمر وجهه .. جذبها خلال صالة المعيشة الصغيرة إلى المخدع وأغلق الباب ورائه .. إنهال على شفتيها بشهوة عارمة فاستلقت على الفراش وبدأت تخلع ملابسها بهدوء بارد .. هكذا شعر .. لكنه قد ذهب بعيدا ولا مجال للتراجع وعندما خلعت « المشد » [١١١] طوحت به إلى زاوية الحجرة قائلة إلى هناك .. أكره هذه الأشياء الحيوانية .. ثم نهضت واقتربت منه وهى ترتدى قميصها وراحت تتحسس وجهه فى الظلام وتهمس بصوت ضارى – ما الخبر ياحبيبتى .. هل أنت خائفة منى ؟

لكن كل شئ تم بسهولة لم يتوقعها چونى .. وأخذا يقهقهان معا وهما يرتديان الملابس وسارا عائدين إلى الفندق عبر الشاطئ..لم تكن فى رأسه حينئذ غير فكرة واحدة

– الآن سوف تضطر للزواج منى .

عندما حل « سبتمبر » هبت عاصفتان ثلجيتان غداة عيد العمال وأصبح « أوشين

هاوس» والأكواخ خالية من الزبائن.. وراح الكولونيل العجوز يتحدث بإسهاب عن الأزدهار القادم والحملة الدعائية التي سيقوم بها وهو يعب الشراب..

كان چونى قد بدأ يتناول الغذاء معه منذ غادر نزل «مسز آميس» وقد انتهى من «الكتيب» وتمت مراجعته وسافر «چونى» مرتان إلى ڤيلا دلفيا بالأصل والصور ليتفق مع المطبعة على طباعته.. وعندما يمر القطار بـ «ويلمنجتون» دون أن يضطر للنزول بها ينتابه شعور لذيذ بأنه قد صار حرا.

صار دكتور سترانج يبدو مهموما أكثر فأكثر وراح يتحدث عن ضمان لحماية استثماراته بدت خطبة چونى لإبنته امرا مفهوما لا يحتاج للحديث.. أما مزاج آنابيل مارى فصار يتبدل بدرجة لا يمكن التنبؤ بها.. تتحدث على الدوام عن السأم القاتل الذى تشعر به ولا تكف عن المشاكسة والإغاظة.. استيقظ چونى فجأة ذات ليلة ليجدها تقف بجانب الفراش..

- هل أزعجتك.. لا استطيع النوم.. استمع إلى الأمواج..

كانت الريح تزمجر حول الكوخ وصوت الأمواج الهادرة يأتى من الشاطئ.. ولم يستطع ايقاظها واقناعها بالعودة إلى الفندق إلا بعد أن بزغ النهار.. وهى تقول..

- دعهم يروننى.. لم أعد أهتم.

ومرة أخرى وهما يسيران على الشاطئ إنتابها «الغثيان» وقف ينتظرها بينما راحت تتقيأ خلف أحد الكثبان الرملية واضطر أن يسير معها وهى تستند على ذراعه ترتعش شاحبة الوجه حتى باب الفندق.. كان هذا يصيبه بالقلق والإنزعاج.

ذهب فى احدى رحلاته لفيلا دلفيا إلى مقر (ببلك ليدچر) يبحث امكان الحصول على عمل كمراسل صحفى وعاد ليجلس عصر أحد أيام السبت فى صالة الفندق يقرأ الصحيفة.. لم يكن هناك أحد.. معظم النزلاء قد غادروا المكان وفجأة على غير انتظار وجد نفسه يستمع إلى حديث اثنين من «الخدم» وقفا يتحدثان بصوت خفيض على منضدة بجوار الحائط.

- چو.. لقد شبعت ما فيه الكفاية هذا الصيف.. اللعنة علىّ إن كنت أكذب

- كان يمكننى أيضا ذلك.. لو لم أرقد مريضا..

- ألم أقل لك أن تكف عن التسكع مع «ليزى» هذه.. أعتقد أن كل الأولاد الحرام فى هذه المدينة قد ناموا مع تلك العاهرة حتى الزنوج.

- قل لى.. هل تعرف ذات العيون السود.. لقد قلت ذلك..

تجمد جونى وهو يمسك الصحيفة أمامه بيد متشنجة..

بينما أجاب الخادم وهو يصدر صفيرا لينا - «اللهلوبة» .. ياإلهى.. إن ما تفعله أولئك السيدات أمامنا يصيبنى بالدوار..

- قل بأمانة.. هل فعلتها؟

- ليس تماما.. لقد خفت إن التقط شيئا.. لكن ذلك الفرنسى فعلها.. لقد كان فى حجرتها طول الوقت.

- أعرف ذلك فقد رايتهما ذات مرة وقد نسيا أن يغلقا الباب..

أخذا يضحكان بينما تساءل الآخر.

- وهل كانت عارية تماما..

- اعتقد هذا.. تحت قميص نومها.. وقف الرجل باردا تماما وطلب احضار ماء مثلج..

- ولماذا لم ترسل له مستر «جريلى»؟

- يا للجحيم.. لماذا؟.. لم يكن الفرنسى بخيلا وأعطانى خمسة دولارات.

إنها تستطيع أن تفعل ما يروق لها.. إن أباها سوف يمتلك قريبا هذا المكان النتن.. هو وهذا الكولونيل العجوز «ود چوود» لقد أخبرونى لذلك.

- وأظن أن ذلك الفتى فى مكتب «العقارات» هو الذى يرافقها الآن.. يبدو إنه سيتزوجها.

- يا للجحيم.. أنا نفسى على استعداد للزواج منها وهى تملك كل هذه الثروة.

كان «چونى» غارقا فى العرق البارد يود أن يغادر الصالة دون أن يراه أحد.. رن الجرس فهرع أحدهم خارجا بينما انكفأ الخادم الآخر على المنضدة.. لعله يقرأ مجلة أو شيئا ما.. طوى «جونى» الصحيفة بهدوء ومضى إلى الخارج.. سار فى الطريق دون أن يرى ما حوله.. للوهلة الأولى طرأ بباله أن يذهب إلى المحطة ليستقل أول قطار يصادفه.. ليلق بكل هذا العمل إلى الجحيم.. لكن «الكتيب» لم يصدر بعد ولا زالت أمامه الفرصة التى سوف يجنى منها الكثير لو ازدهرت المدينة.. وعلاقة هذا بنقود آل سترانج. إن الحظ لا يطرق باب الفتى غير مرة واحدة.. عاد إلى كوخه وأغلق باب حجرة نومه.. وقف ينظر لنفسه لحظة واحدة أمام زجاج المكتب.. الشعر المصقول والأنف الدقيق والذقن.. أهتزت الصورة أمامه.. وجد نفسه يبكى.. فألقى بنفسه على الفراش وراح يشهق بالنحيب.

فى المرة التالية عندما ذهب إلى «ڤيلا دلفيا» ليقرأ بروفة الكتيب.

أوشين سيتى (ميريلاند)
(أجمل أماكن الاستجمام)
كانت معه صورة دعوة الزفاف لطبعها..

دكتور الفونسو ب. سترانج
يعلن زواج إبنته.. آنابيل مارى
إلى السيد / ج . وارد مورهاوس
بكنيسة القديس ستيفن البروتستانتية الأسقفية «بجرما نتاون»- بنسلفانيا فى ١٥ نوفمبر ١٩٠٩ الساعة الثانية عشرة ظهرا.

كانت الدعوة للحفل قد أعدت وفقا لقائمة خاصة ونظرا لعلاقات دكتور سترانج الاجتماعية الكثيرة فقد أعد لحفل زفاف كبير.. أصرت أنابيل على إسم ج. وارد مورهاوس قائلة أنه أكثر وقعا من «چون وارد» بل وبدأت تناديه «وارد» وعندما سألوه عما إذا كان سيدعو أحدا من عائلته أجاب أن أمه وأباه عاجزين وأخوته صغار على مثل هذه الحفلات وكتب إلى أمه خطاباً يدعوها فيه أن تفهمه بكل تأكيد نظرا للحالة التى يعانيها أبوه وما شابه ذلك من ظروف..

ذات مساء قالت له آنابيل إنها تشعر بأعراض الحمل.

- إن الأمر على ما يبدو كذلك..

كانت عيناها تنظران إليه ببرود كامل.. إنتابته الكراهية نحوها فى تلك اللحظة لكن لم يفعل أكثر من أن ابتسم تلك الابتسامة الصبيانية البريئة بعيونه الزرقاء وقال ضاحكا وهو يمسك يدها.

- لقد لاحظت أنك تبدين عصبية وكل هذه الأشياء.. حسنا ها أنا فى طريقى لأجعلك «امرأة شريفة».. ألا أفعل ذلك؟

ثم انحنى ليقبلها وهو يشعر أنها الآن فى قبضة يده.. بينما أنفجرت فى البكاء وهى تقول - أوه.. وارد.. أو لم أكن كذلك؟ تمنيت ألا تقول هذا..

- أنا أغيظك فقط ياحبيبتى.. لكن ألم يكن فى وسعك حل آخر؟

- حاولت كل شئ.. ينبغى أن أخبر أبى لكننى لم اجرؤ على التصريح له.. هو يعرف أننى متحررة تماما.. ولكن..

- يجب أن نذهب بعيدا سنة على الأقل بعد الزواج.. وهذا أمر بغيض لى..

فقد تلقيت لتوى عرضا بالعمل فى «ببلك ليدچر».

- سوف نذهب إلى أوروبا.. بابا سيرتب لنا قضاء شهر العسل..

إنه سعيد لأنه نفض يده منى وأنا امتلك مالى الخاص الذى ورثته عن أمى.

- لكن ألا يمكن أن يكون تقديرك خاطئا ؟

- لا يمكن أن يكون هذا..

- منذ متى تلاحظين تلك الأعراض؟

- منذ مدة طويلة..

ومن جديد نظرت بعينين كئيبتين إلى عينيه.. أخذ كل منهما يحملق بالآخر.. ويشعر نحوه بالكراهية.. لكنها جذبت أذنه كما لو كان طفلا وصعدت لتغير ملابسها مخلفة ورائها حفيف ثوبها.

كان الكولونيل فى أشد حالات الاغتباط بنبأ القران ودعاهم جميعا للغذاء ليحتفلوا بتلك المناسبة.

تم حفل الزفاف بأبهى صورة ممكنة.. وجد ج. وارد مورهاوس نفسه محط الأنظار وهو يرتدى معطف الفراك الذى ناسب جسمه تماما والقبعة الحريرية..قال الجميع أنه بدا أنيقا جدا.. أما أمه فى «ويلمنجتون» فقد تركت المكواه بعد المكواه تبرد بعد تسخينها وراحت تحدق فى الصحف التى نشرت وصف الحفل.. وأخيرا خلعت عويناتها وطوت الصحف بعناية ووضعتها على مائدة الكى.. كانت تشعر بمنتهى السعادة.

أبحر الزوجان الشابان فى اليوم التالى من «نيويورك» على السفينة «تيوتونك».. بدت الرحلة شاقة ولم يمكن الصعود إلى السطح إلا فى اليومين الأخيرين أصيب «وارد» بداور البحر وأخذ يعتنى به مضيف ودود من أبناء لندن.. يخاطب آنابيل بلقب «مدام» ويظن أنها أمه.. أما آنابيل فلم تشعر بشئ لاعتيادها الإبحار لكن «الحمل» بعث فيها الشعور بالتعاسة وكلما تطلعت إلى نفسها فى المرآة بدت هزيلة شاحبة.. ولزمت الفراش. اقترحت «المضيفة» عليها أن تتناول بعض شراب «الچن» المزوج «بالبتر» منحها بعض الانتعاش فى الأيام الأخيرة للرحلة.. وفى الليلة التى أقام فيها القبطان «مأدبة الوداع» ظهرت فى صالة الطعام بملابس السهرة وقد ارتدت ثوبا «ڤالنسينى»(١١٢) اسود ونظر الجميع إليها كأجمل امرأة على السفينة..

كان وارد يجن خوفا من أن تفرط فى احتساء الشمبانيا فقد رآها تتجرع أربعة كئوس كوكتيل من الچن والبتر والمارتينى وهى ترتدى ثيابها وهو قد عقد اواصر الصداقة

مع أحد أصحاب البنوك.. مستر «چارڤيز أوبنهايمر» العجوز وزوجته ويخشى أن تبدو آنابيل أمامهم متهتكة بعض الشئ.. لكن المأدبة مرت بسلام بل استمتع وارد وآنابيل بصحبة ممتازة فالقبطان الذى كان يعرف دكتور سترانج أتى وجلس معهم فى حجرة التدخين بعد ذلك وتناول قدحا من الشمبانيا معهما ومع مستر ومسز أوبنهايمر.. وأخذ الجميع يتساءلون من يكون هذان الزوجان الشابان اللامعان الجميلان؟! لابد أنهما ذو شأن بكل تأكيد وعندما عادا إلى الفراش بعد أن شاهدا المنارات التى تطل على الشاطئ الايرلندى شعرا بأن أيام الدوار والأعياء لم تذهب عبثا.

لم تحب آنابيل الحياة فى «لندن» بشوارعها المظلمة التى تقبض النفس والتى يفترشها الجليد لهذا لم يمكثا غير اسبوع واحد فى «سيسل» قبل أن يبحرا إلى باريس.

أصيب وارد بالدوار ثانية على ظهر السفينة بين «ڤولكستون» و «بولونى» Boulogne ولم يستطع بالطبع أن يلاحق خطوات آنابيل التى وجدها فى صالة الطعام تشرب البراندى والصودا مع ضابط انجليزى بينما كانت السفينة تشق طريقها فى المياه الهادئة بين الحواجز الطويلة لميناء بولونى.

لم يكن الأمر سيئا بالدرجة التى توقعها.. لم يجد صعوبة ما فى بلد يجهل لغته فقد كانت آنابيل تتكلم الفرنسية بطلاقة واستقلا القطار إلى باريس وهما يجلسان فى مقصورة بالدرجة الأولى وبجانبيهما سلة بها بعض الساندوتشات والدجاج البارد والنبيذ الحلو.. شرب وارد للمرة الأولى – فعندما تكون فى روما أفعل كما يفعل أهلها – استقلا عربة من المحطة كزوجان سعيدان يقضيان شهر العسل إلى فندق «واجرام» يصطحبان فقط حقائب اليد بعد أن تولى مندوب الفندق أمر بقية الحقائب كانت أضواء مصابيح الغاز تتلألأ على الطرقات المبتلة وحوافز الحصان تدق على الاسفلت والعجلات المطاطية تنزلق بسهولة والشوارع تزدحم بالمارة رغم الليلة الشتوية الممطرة – كان الناس يلتفون على المناضد الرخامية حول «المدافئ الصغيرة» فى واجهات المقاهى والهواء مشبع برائحة القهوة والنبيذ والزبد المسفوع والخبز المحمص. أخذت عينا آنابيل تومضان وتلتقطان كل شئ.. بدت جميلة جدا وهى تلكزه بين الحين والآخر لتريه بعض الأشياء وتربت على فخذه.. وكانت قد أبرقت إلى الفندق الذى اعتادت أن تنزل فيه مع أبيها فبدا كل شئ جاهز لاستقبالهما.. حجرة النوم البيضاء والقاعة البيضاء والمدير بوجهه المستدير وسلوكه المهذب وهو يتقدمهم فى الطريق والنيران تشتعل فى المدفأة..

تناولا زجاجة من الشمبانيا وبعض الشطائر المحشوة بالكبد قبل أن يذهبا إلى

الفراش.. أحس وارد أنه ملك.. خلعت ملابس السفر وارتدت قميصا فضفاضا بينما ارتدى روب السموكنج الذى أهدته أياه ولم يرتديه من قبل.. تبخرت كل احاسيسه المريرة التى عاناها خلال شهر مضى.. جلسا طويلا حول نيران المدفأة يدخنان سجائر «موراتى» لم تكف عن مداعبة شعره وهى تمر بيدها حول عنقه وكتفيه ثم سألته بنبرات هامسة برنينها الأجش.

– وارد.. لماذا لم تعد عاطفيا؟ أنا امرأة من ذلك النوع الذى يجب أن يعامل بعناية.. أحذر فقد تفقدنى.. هنا الرجال الذين يعرفون كيف يحبون المرأة..

– ألا يمكن أن تتمهلى؟ أن أول ما يجب أن أفعله هو الحصول على عمل مع بعض الشركات الأمريكية وأظن أن مستر «أوبنهيمر» سيساعدنى فى هذا.. وسوف ابدأ على الفور فى تلقى دروس تعليم الفرنسية.. إنها فرصة عظيمة بالنسبة لى.

– أيها الغلام المضحك.

– أتعتقدين أننى سوف أتبعك ككلب الحراسة دون أن أحصل على مال من جهدى الخاص.. حارس احمق.. دعينا نذهب إلى الفراش..

ثم نهض واقفا وجذبها لتقف على قدميها.

أخذ «وارد» يتردد بإنتظام على معهد «برلتز» لتلقى دروس «الفرنسية» ويخرج مع مستر «أوبنهيمر» العجوز وزوجته لمشاهدة «نوتردام» و «مقبرة نابليون» و«اللوفر» وفضلت آنابيل التى قالت إن المتاحف تصيبها بالصداع أن تقضى أيامها فى التنقل بين المحلات للشراء وتحديد المواعيد مع صانعى الأزياء.

لم تكن هناك شركات أمريكية كثيرة فى باريس ولم يجد «وارد» عملا حتى بمساعدة مستر أو بنهيمر الذى يعرف الجميع إلا فى صحيفة «چوردون بنيت» التى تعتبر الطبعة الباريسية «للنيويورك هيرالد».. كان العمل يتضمن اقتفاء الأخبار عن رجال الأعمال الأمريكيين القادميين ومقابلتهم واجراء الأحاديث معهم عن ملامح الجمال فى باريس وعن العلاقات الدولية.. أصبح هذا شغله الشاغل ومكنه هذا من إجراء بعض الاتصالات المهمة.. لكن آنابيل قالت أن كل هذا يصيبها بالسأم.. رفضت أن تستمع إلى شئ يتعلق بهذا.. فقط كانت تجبره على إرتداء ملابس السهرة كل مساء ليصطحبها إلى المسارح ودور الأوبرا وكان هذا ما يود أن يفعله من أجل أجادة الفرنسية.

وذهبت إلى اخصائى شهير فى أمراض النساء الذى وافق على أنها لا ينبغى أن تنجب طفلا فى هذه الأوقات لأى سبب من الأسباب ويلزمها عملية عاجلة لا تخلو من

الخطورة فقد قطع الجنين شوطا طويلا.

لم يعلم «وارد» بالأمر إلا عندما أرسلت له بالخبر من المستشفى بعد أن أنتهى كل شئ كان يوم عيد الميلاد.. ذهب على الفور للقائها وأخذ يستمع إلى التفاصيل والقشعريرة الرهيبة تمزق أوصاله.. لقد تقبل فكرة انجاب طفل لعله يضع آنابيل موضع الاستقرار..

كانت ترقد على السرير فى المستشفى الخاص شاحبة الوجه.. وقف بجانبها وهو يضم قبضتيه ولا يستطيع أن ينطق بكلمة حتى قالت له «الممرضة» بعد فترة إنه يجهد «المدام» فأنصرف.

عندما عادت من المستشفى بعد أربعة أو خمسة أيام أخذت تعلن بسرور إنها صحيحة كالكمان وتنوى الذهاب إلى جنوب فرنسا.. لم يقل شيئا بينما راحت تستعد للسفر وهى تضع فى حسبانها إنه سيأتى معها.. لكنه فى اليوم الذى استقلت فيه القطار إلى «نيس» قال أنه لا يستطيع الذهاب ويفضل البقاء فى باريس تطلعت إليه بحدة ثم قالت ضاحكة - ها أنت تدفعنى للمجون.. أليس كذلك؟

أجابها - إن لى عملى.. ولك ملذاتك..

- وهو كذلك أيها الشاب.. إنها صفقة رابحة!

صحبها إلى المحطة ووضعها بالقطار واعطى «الكمسارى» خمسة فرنكات ليعتنى بها.. ومضى عائدا سيرا على قدميه.. لقد امتلأ أنفه للحظات برائحة العطر النفاذ وعبير المسك. لم يسترح «وارد» كثيرا لباريس.. إنها أفضل من «ويلمنجتون» لكن وقت الفراغ الكثير ومرأى كل هؤلاء الناس وهم يجلسون يأكلون ويشربون بدأ يرهق أعصابه وامتلأ بشعور الحنين إلى الوطن يوم وصله كتيب «أوشين سيتى» مصحوبا بخطاب حماسى من الكولونيل «ودچوود».. إن الأمور قد بدأت تسير وحان قطافها.. هكذا قال الكولونيل.. إنه يضع كل سنت يحصل عليه أو يقترض أو يستجديه فى «الأسهم» وأنه يدعو «وارد» أن يرسل له بعض المال يستثمره لحسابه فهو الآن فى وضع يسمح له بقليل من المخاطرة متأكدا أنه بذلك سوف يجنى عائدا كبيرا.. إن المخاطرة ليست هى الكلمة المعبرة لأن الموقف كله قد أصبح مضمونا وما عليهم إلا أن يهزوا الشجرة لتسقط الثمار فى أفواههم.

خرج «وارد» من مكتب «مورجان هارچيز» حيث تلقى البرقية ومضى يهبط درجات السلم إلى شارع «البوليفار أوسمان» Boulevard Haussmann وهو يتحسس بسعادة المظروف الثقيل داخل جيبه.

كان نفير الأبواق وصليل حوافز الجياد ووقع خطو الأقدام يرن فى أذنيه.. وبين الحين والآخر يستعيد قراءة إحدى العبارات.. لقد أخذت تراوده فكرة العودة إلى «أوشين سيتى» (ميريلاند) بينما بصيص من شعاع الشمس الحمراء يتسرب إلى الشوارع المكفهرة فى الشتاء ويبعث بعض الدفء ورائحة البن المحمص يأتى من مكان ما.. أخذ وارد يستعيد ذكرى تلك الأيام المشمسة البيضاء التى قضاها فى المنزل والتى لن تعود مرة أخرى وذكرى تلك الأيام التى كان يعج فيها بالحيوية والأمل و(الحياة النشطة).. كان لديه ميعاد لتناول العشاء مع مستر «أوبنهيمر» بمطعم صغير متميز بمكان ما يدعى «برج الفلوس» Tour d'Argent ، وزادت سعادته عندما استقل عربة تاكسى واستطاع أن يوجه السائق كما يريد..

ها هو بعد كل شئ قد تعلم واستطاع تعويض تلك السنوات الضائعة التى حرم فيها من الكلية.. وعندما وصل إلى المطعم كان يقرأ «الكتيب» للمرة الثالثة.. نزل أمام المطعم وبينما كان يدفع حساب التاكسى رأى مستر أوبنهيمر ورجلا آخر قادمين من المحطة سيرا على الأقدام. كان مستر أوبنهيمر يرتدى معطفا رماديا وقبعة «الدربى» المستديرة الرمادية بلون شاربه.. بينما بدا الرجل الآخر حاد الملامح بأنف وذقن دقيقين.. إن عليه أن يكون حريصا فى انتقاء ملابسه فى المستقبل.. هكذا فكر وهو يراهما آتيان.

قضوا وقتا طويلا يتناولون الطعام على أدوار متعاقبة رغم أن الرجل (وكان يدعى ماك چيل ويعمل مديرا لأحد مصانع «چونز ولفلين للصلب» فى بتسبورج Pittsburgh قال أن معدته لا تحتمل شيئا وسيكتفى بشريحة من اللحم والبطاطس المحمرة، وشرب الويسكى بالصودا بدلا من النبيذ.. لكن مستر «أوبنهيمر» أخذ يتلذذ بالطعام وهو يتبادل الكثير من النقاش مع رئيس الخدم ويقول.

- أيها السادة.. يجب أن تتسامحوا معى قليلا.. إنه بالنسبة لى إغراء لا يقاوم. عندما اتخلص من رقابة زوجتى تحق لى حرية انتقاء ما يعجبنى.. لقد وضعت زوجتى حدودا مقدسة لا يمكن تجاوزها حفاظا على وزنها.. «وارد» إنك لم تصبح عجوزا بعد لتعطى متعة الطعام حقها.

نظر وارد نظرته البريئة الصبيانية وقال بإرتباك إنه استمتع ببطته استمتاعا كبيرا بينما تابع مستر «أوبنهيمر» - إن الطعام هو اللذة الأخيرة للرجل العجوز.

عندما فرغوا من الطعام واخذوا يحتسون كئوس «براندى نابليون» الكبيرة وهم يدخنون السيجار استجمع «وارد» شجاعته واخرج كتيب «أوشين سيتى» الذى كان يشعر

به طوال العشاء يحرق جيبه ووضعه على المائدة قائلا بتواضع.

– مستر اوبنهيمر.. قد يهمك إلقاء نظرة عليه ك.. كشئ جديد فى اسلوب الدعاية. وضع مستر أوبنهيمر نظارته وثبتها على أنفه وأخذ رشفة من البراندى وطالع الكتاب بنظرة سريعة وابتسامة لطيفة ثم اغلقه قائلا من بين دخان السيجار الأزرق الذى أخذ ينفثه من منخاريه..

– لماذا يجب أن تصبح «أوشين سيتى» الفردوس الأراضى حقا.. هل أنت الذى وضعته.. إنها.. مبالغة كبيرة؟

– ولكن.. أنظر يا سيدى.. إن هدفنا أن ندفع رجل الشارع لأن يتلهف على الذهاب إلى هناك.. بمجرد.. بمجرد أن تلتقط عيناه الكلمات الأولى.. استدار مستر «ماك چيل» وكان حتى ذلك الوقت لا يعر «وارد» اهتماما ونظر إليه نظرة محدقة بعينين كعين الصقر.. امسك الكتاب بيده الثقيلة الحمراء.. وأخذ يقرأه بإمعان من البداية بينما انهمك مستر اوبنهيمر فى الحديث عن عبير البراندى وكيف أنه ينبغى أن تدفئ الزجاجة بين يديك قليلا وتشربها برشفات قليلة كأنك تشمها لاكأنك تشربها..

وفجأة ضرب «ماك چيل» المنضدة بقبضته وهو يضحك ضحكة سريعة جافة لم تحرك عضلة واحدة من عضلات وجهه وقال..

– واها.. واها(١١٣). إنه من الممكن أن يخبلهم أيضا.. أعتقد إن «مارك توين»(١١٤)هو الذى قال إن مغفلا يولد كل دقيقة.

ثم التفت إلى «وارد» قائلا

– يؤسفنى أيها الشاب إنى لم التقط إسمك.. هل تتكرم بإعادته..

– بكل سرور.. مورهاوس.. ج. وارد مورهاوس..

– أين تعمل؟

أجاب وهو يشعر بالدم يتدفق إلى وجنتيه

– أعمل فى «هيرالد باريس» منذ جئت.

– وأين كنت تعيش فى الولايات..

– لقد عشت فى ويلمنجتون بديلاور.. لكن لا أظن أننى سأرجع إلى هناك عندما أعود إلى الوطن فقد تلقيت عرضا للعمل كمحرر «باليلك ليدچر» فى «ڤيلا دلفيا»..

أخرج مستر «ماك چيل» بطاقة زيارة وكتب عليها عنوانا ثم قال.

– حسنا.. إذا فكرت فى الحضور إلى يتسبرج.. تعال لزيارتى..

- سأكون سعيدا برؤيتك..

قال مستر «أوبنهيمر» وهو يتدخل فى الحديث..

- إن زوجته ابنة دكتور سترانج.. أخصائى الأنف والأذن فى ڤيلا دلفيا.. بالمناسبة «وارد».. كيف حال الأبنة العزيزة.. أرجو أن تكون «نيس» قد أراحتها من التهاب اللوزتين..

- نعم يا سيدى.. لقد كتبت لى.. إنها فى تحسن كبير.

قال مستر «أوبنهيمر» وهو يأخذ رشفته الأخيرة من زجاجة البراندى مسبل العينين.

- يالها من مخلوق محبوب.. ساحر..

فى اليوم التالى تلقى «وارد» برقية من آنابيل تخبره فيها بقدومها إلى باريس.. ذهب للقائها فى القطار.. كانت بصحبة رجل فرنسى طويل بلحية سوداء قصيرة مدببة كان يساعدها فى اخراج الحقائب عند وصوله.. قدمته له قائلة.

- مسيو فوريل.. رفيق السفر.

لم تواتيهما فرصة الكلام حتى استقلا العربة التى اغلقوا نوافذها بسبب المطر المنهمر ففاحت فيها الرائحة الكريهة.. قالت آنابيل.

- حسنا يا عزيزى.. هل تعافيت من «الدلال» الذى كنت فيه عندما تركتك.. أتمنى ذلك فأنا أحمل لك انباءا سيئة..

- ما الخبر؟

- بابا أصيب بنكبة مالية كنت أتوقع حدوثها.. فهو لا يعرف شيئا عن الأعمال أكثر من «الهرة».. حسنا.. هذا الإزدهار المزعوم لأوشين سيتى.. إنهار قبل أن يبدأ.. خاف بابا وحاول أن يتخلص من «مساحات الرمال» التى اشتراها لكنه بالطبع لم يجد مشتريا.. أفلست شركة «العقارات والاصلاحات» والكولونيل الثمين صاحبك اختفى.. وجد «بابا» نفسه مسئولا شخصيا عن العديد من ديون حاملى الأسهم.. وهناك يجب أن تكون.. لقد أبرقت له أننا سنعود إلى الوطن فور أن نجد موعدا للإبحار.. أريد أن أعرف ما ينبغى عمله.. فهو كالطفل العاجز فى دنيا الأعمال.

- إن هذا لن يصيبنى بالجنون.. لم أكن أرغب فى الحضور إلى هنا لو لم يكن هذا من أجلك..

- - كل ما تفعله «تضحية بالنفس» .. أليس كذلك؟

- آنابيل.. لا داعى للشجار.

أحب «وارد» باريس فى الأيام الأخيرة التى قضاها بها.. استمعا «للبوهيمية» فى دار الأوبرا أصابتهما بنشوة عارمة، وذهبا بعد ذلك إلى المقهى حيث تناولا اللحم البارد مع النبيذ وأخذ «وارد» يقص عليها كيف تمنى أن يصبح مؤلف أغانى و «مارى أوهيچينز» وكيف أنه بدأ فى تأليف أغنيته عنها.. شعر كل منهما بأنه مغرم بالآخر وراح يقبلها فى العربة مرة تلو الأخرى حتى عادا إلى المنزل واستقلا المصعد.. الذى أحسا به يرتفع ببطء قاتل.

كان ما يزال معهما ألف دولار من حساب الرصيد الذى قدمه لهما دكتور سترانج.. هدية الزواج. اشترت آنابيل كل أنواع الملابس والقبعات والعطور، وذهب «وارد» إلى خياط انجليزى بجوار كنيسة «مادلين» وصنع لنفسه أربع بذلات كما اشترى لها فى اليوم الأخير «بروش» على هيئة ديك مطعم بالعقيق الأحمر بزخارف ليموج اشتراه لها من أجره فى «الهير الدباريس» وتناولا الغذاء بعد شحن الحقائب وهما يشعران بالأسى على مغادرتهما باريس ويتبادلان الأعجاب.. كل منهما بالآخر و «بالبروش». وابحرا من ميناء الهافر Havre على السفينة «تورين» Touraine .. مرت الرحلة بهدوء رائع رغم أنها فى «فبراير» كانت الأمواج رمادية هادئة ولم يصب «وارد» بدوار البحر.. ويخرج كل صباح قبل أن تنهض آنابيل ليتجول فى أرجاء «الدرجة الأولى» وهو يرتدى معطفا من التويد الاسكتلندى وقبعة من التويد أيضا تتوافق معه فى اللون ويضع زوجا من النظارات المعظمة تتدلى من كتفه ويأخذ فى التفكير تفكيرا عميقا عن خطة يواجه بها المستقبل..

إن «ويلمنجتون» على أية حال ترقد على البعد كهيكل سفينة يختفى وراء الأفق. شقت الباخرة طريقها إلى رصيف ميناء «نيويوك» تحف بها القوارب من الجانبين وهى تطلق الصفير بين مراكب الشحن واللنشات والمعديات الحمراء التى تعوى فى مواجهة الريح الغربية الشمالية الثلجية القارصة..

بدت آنابيل متوعكة المزاج وراحت تردد إن كل هذا يبدو بشعا بينما كان وارد يشتعل بالحماسة وهو يتابع سيدا يهوديا يرتدى قبعة مربعة أخذ يسير بيده إلى الحصن ومبنى الجمرك وحوض الأسماك وكنيسة الثالوث.

انطلقوا مباشرة من رصيف الميناء إلى مركبة النقل.. أكلوا فى صالة الطعام المفروشة بالسجاجيد الحمراء فى محطة بنسلفانيا «بچيرس سيتى».. تناول «وارد» المحار المشوى والجرسون الأسود الودود بدأ يذكره بالوطن.. عود إلى بلاد الله.. هكذا قال.. لقد

اعتزم أن يذهب إلى و«يلمنجتون» لزيارة أهله.. أليس هذا واجبا.. لكن آنابيل أخذت تسخر منه، وفى العربة المخصوصة بقطار ڤيلا دلفيا.. جلسا عابسين دون أن يتبادلا كلمة واحدة.

تولت آنابيل إدارة شئون أبيها التى تردت إلى درجة سيئة تماما.. بينما أنصرف هو إلى ممارسة مهنته طوال الوقت.، وتصرفت فى المشكلات المالية بمهارة أدهشت «وارد» والأب معا وهم يقيمون جميعا بمنزل دكتور سترانج الضخم العتيق فى شارع سبروس (Spruce Street) واستطاع «وارد» بمساعدة صديق الدكتور سترانج أن يحصل على عمل فى «ببلك ليدجر» ونادرا ما كان يحضر إلى المنزل فعندما يجد لديه وقت فراغ يقضيه فى معهد «دريكسل» Drexel Institute يستمع إلى المحاضرات فى الاقتصاد وإدارة الأعمال.. بينما تخرج آنابيل كل مساء بصحبة مهندس معمارى شاب يدعى «يواقيم بيل» على درجة كبيرة من الثراء ويملك سيارة.. كان شابا نحيلا مغرما بالماچوليكا(١١٥) وويسكى البوربون ولا يدعو آنابيل إلا بعزيزتى «كليوباترا».

عاد «وارد» ذات ليلة وكان دكتور سترانج قد ذهب لحضور مؤتمر طبى فى كنساس ليجدهما معا فى غرفة آنابيل الخاصة بأعلى المنزل مخمورين يجلسان شبه عاريين توقف عند الباب وهو يطوى ذراعيه قائلا إنه سوف ينصرف ليرفع دعوى بالطلاق ثم غادر المنزل مصفقا الباب خلفه وذهب إلى جمعية الشبان المسيحيين لقضاء ليلته..

عصر اليوم التالى عندما ذهب إلى المكتب وجد فى انتظاره خطابا أرسلته آنابيل تتوسل إليه ألا يرتكب عملا طائشا لأن أى فضيحة ستدمر سمعة والدها فى عمله.. وتعرض عليه أى شئ يطلبه.. وفى الحال كتب يجيب

«عزيزتى آنابيل..

لقد أدركت الآن فقط أنك كنت تستخدميننى طوال الوقت كستار لأعمالك المخزية المنافية لشرف المرأة.. إننى الآن فقط أفهم لماذا كنت تفضلين صحبة الأجانب والبوهيميين وأمثال هؤلاء عن صحبة شاب امريكى طموح..

إننى لا أود أن أسبب لك أو لأبيك أى ألم أو فضيحة علنية لكن فى المقام الأول يجب أن تترفعى عن تلويث إسم «مورهاوس» طالما إنك مازلت تحملينه قانونا.. كما أرى أنه عندما تتم إجراءات الطلاق بالشكل المناسب سيكون من حقى المطالبة بالتعويض عن اهدار وقتى.. إلخ. والإساءة إلى عملى المترتبة على فعلتك تلك.. سوف أرحل غدا إلى بتسبرج حيث ينتظرنى عمل هناك.. أرجو أن ينسينى العمل الألم الكبير الذى سببته لى

خيانتك..».

وأخذ يفكر لحظة كيف ينهى الخطاب وأخيرا كتب: المخلص ج.و.م

ثم أرسله بالبريد..

وفى عربة النوم بالقطار المتجه إلى «بتسبرج» ظل يقظا طول الليل وهو يضجع على الفراش العلوى.. إنه الآن فى الثالثة والعشرين من العمر لا يملك درجة جامعية ولا يجيد مهنة وتنازل عن نيته بأن يصبح مؤلف أغانى.. لعنة الله على كل هذا.. إنه لا يمكن أن يصبح ذيلا لأى سيدة مجتمع مرة أخرى، ووسط هواء العربة الفاسد والمخدة التى كلكعت تحت أذنه أخذ يستعيد شذرات من حديث البيع لتاريخ برايان أو بانكروفت و «خلال بساتين الخوخ إلى البحر» وصوت مستر هيليارد ينبعث من أعماق مكتب العقارات فى ويلمنجتون مخاطبا العملاء.

«العقارات يا سيدى هى الاستثمار الآمن الأكيد المضمون الذى لا يقبل خسارة.. لا بالحريق أو الطوفان.. إن مالك العقار يربط نفسه بروابط لا تنفصم مع أزدهار مدينته وأمته.. يستفيد من وقت فراغه بالراحة.. يجلس فى المنزل هادئا مطمئنا والثروات تتساقط فى حجره.. إنها نتيجة الإزدهار الحتمى الثابت لثروة أمه عظيمة» وصوت مستر «اوبنهيمر» يقول «بالنسبة لشاب ذو علاقات جيدة أو إذا جاز القول طرق محببة وتعليم كلاسيكى ممتاز فإن العمل المصرفى هو المجال الثمين لتنمية فضائل الحيوية والدبلوماسية، وربما أيضا الكد والمثابرة».

وأحس بيد تهز الفراش وصوت الخادم الملون يأتى.

- أنتبه.. سنصل «بتسبرج» خلال خمسة وأربعون دقيقة.

جذب «وارد» سرواله ولاحظ بفزع أن طياته توشك أن تضيع.. هبط من الفراش وارتدى حذائه.. كان لزجا فقد تم طلائه على عجل بطلاء ردىء..

سار مترنحا خلال الممر وهو يمر بالرجال المشعثين الذين بدأوا يغادرون أسرتهم إلى دورة مياه الرجال. كان هواء العربة خانقا لا يحتمل والحمام يفوح برائحة الملابس الداخيلية وصابون الحلاقة.. إنه يشعر باللزوجة فى عينيه ويريد حماما أخذ ينظر من خلال النافذة إلى التلال الداكنة التى تناثرت عليها الثلوج..

وبين الحين والآخر يظهر مقلب فحم وتبدو صفوف من الأكواخ الحقيرة المتشابهة.. ومجرى النهر الذى لوثته نفايات المناجم وأكوام الخبث.. وعلى منحدرات التلال بدت الأشجار الكثيفة المتشابكة التى تصطبغ باللون القرمزى وتحجب ورائها أشعة الشمس ثم

تظهر بمواجهة التلال حمراء ساطعة.. وأحيانا يتناهى إليه صوت فرقعة اللهب داخل أفران الصهر..

حلق «وارد» ونظف أسنانه.. غسل وجهه ورقبته بأقصى ما يستطيع ومشط شعره على مفرقيه.. بدت وجنتاه وفكه وقد اكتسبوا مظهرا متناسقا عريضا أعجبه.. قال لنفسه وهو يثبت ياقته ويعقد رباط عنقه «مدير شاب أنيق».. كانت آنابيل هى التى علمته كيف يرتدى رباط عنق يتفق مع لون عينيه وعندما مر بخاطره اسمها تذكر ملمس شفتيها الرقيقتين ورائحة عطرها النفاذ.. شعر بالإنزعاج ونحى الذكرى جانبا وأخذ «يصفر» لكنه توقف خشية أن يظن بقية الرجال به الظنون.. مضى وتوقف فى ردهة العربة.. بدأت الشمس تسطع الآن وظهرت التلال بلونها الوردى الداكن وبدت التجاويف زرقاء حيث يتجمع الدخان من الأفران التى تعد طعام الافطار.. بدا كل ما هناك صفوف من الأكواخ ومصانع الحديد ومقالب الفحم وبين الحين والحين تبرز مجموعة من الأكواخ وأفران الصهر من بين التلال فى مواجهة السماء. وعند التقاطعات تظهر مجموعات مبعثرة من الزنوج فى ملابس سوداء يقفون فى الأوحال بينما تحجب الجدران المفحمة الكئيبة وجه السماء.

وأخيرا مر القطار عبر انفاق تحت جسور متقاطعة وصاح الخادم.

- محطة اتحاد بتسبرج.

وضع «وارد» قطعة من ذات الربع دولار فى يد الرجل الملون، والتقط حقيبته من بين الحقائب ونزل بخطوات ثابتة متزنة إلى الرصيف وأخذ يتنفس بعمق الهواء البارد المعبق برائحة الفحم تحت مظلة إنتظار القطارات.

عين الكاميرا (١٧)

فى ذلك الربيع الذى شاهدت فيه المذنب «هالى»(١١٦) فوق أشجار الدردار من نوافذ الطابق العلوى الخلفية للبيت العالى قال مستر «جرين ليف» يجب أن تذهب إلى حفلة التثبيت(١١٧) لتثبيت عمادك(١١٨) عندما يأتى الأسقف.. فى المرة التالية التى ذهبت فيها للتجديف قلت «لسكنى» SKinny إنك لن تذهب للتثبيت لأنك لا تؤمن بغير المعسكرات والتجديف ومذنب هالى والكون والصوت الذى يصنعه المطر فوق الخيمة فى تلك الليلة التى قرأتم فيها معا «كلب صيد باسكرفيل» وكنت تعلق قطعة اللحم المفروم فوق الشجرة.. ومن المؤكد أن الكلب قد شم الرائحة فقد ظل يحوم حولك وينبح نباحا مزعجاً.. يومها كنت خائفا جدا (لكنك لم تعترف بهذا ولا تدرى ماذا قلت).

ولم تذهب للكنيسة.. قال «سكنى» إنك مالم تُعَمَد لا يمكن تثبيت معموديتك وعندما ذهبت لتخبر مستر «جرين ليف» بذلك نظر نظرة صارمة تثير القشعريرة قائلا من الأفضل ألا تذهب لحفلات التثبيت مطلقا.. بعد ذلك كنت تذهب إلى الكنيسة أيام الأحد وكان يمكنك أن تذهب كيفما يروق لك فكنت تذهب أحيانا إلى الأبرشية المستقلة[119] وأحيانا إلى الكنيسة الأسقفية البروتستانتية[120] وفى ذلك «الأحد» الذى أتى فيه الأسقف لم تعد ترى مذنب هالى مرة أخرى ورأيت الآخرين يثبتون عمادهم وأستمر الاحتفال عدة ساعات فالعديد من البنات الصغيرات كن يثبتن العماد أيضا وكل ما استطعت أن تسمعه الهمهمة الهمهمة وهذا طفلك.. الهمهمة وهذا طفلك كنت تفكر هل يمكن أن تكون حيا فى المرة القادمة التى يظهر فيها مذنب هالى.

جريدة سينمائية (١٣)

لقد كنت أمام القصر الوطنى عندما بدأ إطلاق النار.. هرولت عبر ساحة «بلازا» Plaza مع ألوف الرجال والنساء والأطفال الآخرين الذين أخذوا يهرعون وسقط العشرات منهم وهم يفرون طلبا للأمان.

اكتشاف جبال شاهقة جديدة

«أوه.. «چيم أوشى» أترمى على أحد الجزر الهندية

أهاليها هناك حبوا شعره..

وحبوا بسمته الأيرلندية..».

جنون فى الفن..

عصابات اللصوص تعصف بالوطن.

واشنطن تعتبر أن أختيار الجنرال «هُيرتا» رئيسا مؤقتا خلفاً للرئيس الذى أطيح به هو اختيار غير طبيعى، وغير منطقى، ومشئوم.

ثلاث مدن مهجورة تخشى الخراب..

إنه يقابل بالجحود كرم الضيافة.. كاتب يقول إنه أتى إلى أمريكا مغتربا ولم يجد غير الدناءة.

لونج يى.. إمبراطورة الصين السابقة تموت فى المدينة المحرمة

«كوكاراتشا.. كوكاراتشا.

مش عايز لف ودوران

ليه مفيش عندك.. ليه مفيش عندك..

ماريجوانا للدخان[١٢١].

تجاهل الطبقات الدنيا فى تنظيم الجمهورية

قد يسبب إنتفاضة أخرى

ستمائة أمريكى يهجرون العاصمة.

عليك تلبسى فى أيدك خواتم..

وتعلقى بصوابعك الأجراس وفى رجلك الخلخال..

عشان تيجى للحاكم..

راكبة الأفيال..

يا وردة أيرلندية صغيرة..

فى عيد «سانت باتريك» الجاى

راح تبقى مسز ممبو .. جمبو.. چيچبهوى.. چاى أو شاى[١٢٢].

اليانور ستودارد

عندما كانت صغيرة.. كرهت كل شئ. كرهت أبيها هذا الرجل البدين أحمر الشعر الذى تفوح من شواربه رائحة الغليون النتنة كان يعمل فى أحد المذابح.. وعندما يعود للمنزل ملتصقة بملابسه رائحة السلخانات العفنة لا يكف عن الحديث عن تلك المهازل الدموية التى تحدث عند ذبح الماشية والثيران والخنازير والرجال.

كرهت اليانور مشهد ورائحة الدم.. اعتادت أن تحلم كل ليلة أنها تعيش بمفردها مع أمها فى منزل كبير نظيف أبيض فى «أوك بارك» فى الشتاء عندما يفترش الجليد الأرض.. وتضع على المائدة مفرشا أبيض وطبقا فضيا لامعا وباقة من الزهور البيضاء.. تقدم لأمها لحم الدجاج الأبيض.. وأمها سيدة مجتمع ترتدى ثيابا بيضاء موشاة بالزخارف الذهبية والفضية.. وعلى حين فجأة تلطخ المائدة نقطة صغيرة من الدم.. تظل تكبر وتكبر.. تقف الأم أمامها عاجزة مرتجفة اليدين.. تحاول أن تزيحها بعيدا لكنها تكبر وتكبر لتصير بقعة دموية كبيرة تنتشر على غطاء المائدة.. تستيقظ من الكابوس وهى تصرخ ورائحة السلخانات تملأ أنفها.

وعندما كانت فى السادسة عشرة فى المدرسة الثانوية أقسمت هى وفتاة تدعى أيزابيل أنهما سوف تنتحران لو لمستهما يد غلام.. لكنه فى ذلك الخريف أصيبت الفتاة بالحمى القرمزية وتبعها الالتهاب الرئوى.. وماتت.

الكائن الوحيد الآخر الذى أحبته اليانور هى مس أوليفانت.. مدرستها فى اللغة الإنجليزية.. ولدت فى إنجلترا وأتى أبوها إلى شيكاغو عندما كانت ما تزال فتاة فى سن المراهقة.. كانت تشتعل بالحماس للغة الانجليزية وحاولت أن تجعل تلميذاتها ينطقن (a) المدودة، وظلت تعتبر من حقها أن يكون لها القول الفصل فيما يتعلق بالأدب الإنجليزى فهى تمت بصلة قرابة بعيدة لمسز «اوليفانت» التى كانت سيدة من سيدات الأدب الإنجليزى فى منتصف القرن التاسع عشر وكتبت عن «فلورنسا» كتاباً رائعاً.

كانت مس اوليفانت تدعو أحيانا بعض تلاميذها النابهين (هؤلاء الذين يبدو عليهم أصول أبائهم الطيبة) ليتناولوا الشاى فى حجرتها الصغيرة حيث تعيش بمفردها مع قطة فارسية زرقاء ناعسة وعصفور دغناش.. ثم تتحدث إليهم عن «جولد سميث»[١٢٣] وأقول دكتور جونسون[١٢٤] البليغة وعن كيتس[١٢٥] وكيف كان أمرا فظيعا أن يموت صغيرا وتنيسون[١٢٦] وكيف كان فظا حيال النساء، وعن كيف يغيرون الحرس فى «وايت هول» (Whitehall) وبساتين الكروم التى زرعها هنرى الثامن[١٢٧] فى هامبتون كورت (Hampton Cour) و«مارى»[١٢٨] ملكة اسكتلندا التعيسة الحظ.

كان أفراد عائلة مس «اوليفانت» من الكاثوليك.. الذين يعتبرون آل ستيوارت[١٢٩] هم الورثة الشرعيون لعرش انجلترا ولا يشربون كئوس النبيذ إلا بعد أن يمروا بها على إبريق الماء فى صحة الملك.

كل هذا كان يثير خيال الأولاد والبنات خاصة اليانور وإيزابيل التى اعتادت مس اوليفانت أن تمنحهما أعلى الدرجات فى «الإنشاء» وتشجعهما على القراءة. لهذا لم يكن من الغريب أن تغرم «اليانور» بها وتظل يقظة منتبهة فى حصتها لدرجة أن مجرد سماعها لمس «اوليفانت» وهى تنطق بعبارات مثل «التراث العظيم للنثر الإنجليزى»، «الأمراء الصغار فى البرج»، و «القديس جورج وانجلترا السعيدة» كان يكفى ليبعث بالنشوة فى أوصالها.

عندما ماتت «ايزابيل» أولتها مس «اوليفانت» المزيد من الحب.. كانت تصطحبها لتناول الشاى بمفردها.. تقرأ لها «ليسيداس» Lycidas[١٣٠] بصوت صاف منعش وتوصيها أن تقرأ «آدونيز Adonais»[١٣١] عندما تعود للمنزل لأنها لن تستطيع أن تقرأها لها فلسوف تنهار لو فعلت ذلك.. ثم تقص عليها قصة أعز صديقاتها عندما كانت صغيرة.. كانت فتاة ايرلندية ذات شعر أحمر وبشرة بيضاء دافئة كخزف التاج Crown Darby يا عزيزتى.. ثم ذهبت إلى الهند وماتت بالحمى.. وكيف ظنت أنها لن تستطيع

احتمال الحزن عليها.. ثم تأخذ فى الحديث عن اكتشاف «خزف التاج» كيف أنفق مخترعه آخر بنس معه وهو يحاول التوصل إلى تركيبة هذا الصينى المدهش وكيف احتاج أخيرا إلى بعض الذهب لإضافته وهم يكادون يموتون جوعا ولا يملكون شيئا غير خاتم زفاف الزوجة وكيف استعملوا كراسيهم وموائدهم كوقود للفرن حتى ظهر فى النهاية هذا الخزف الصينى المدهش الذى تستخدمه العائلة المالكة ولا تستخدم سواه.

كانت مس «اوليفانت» هى التى شجعت اليانور لتأخذ دروسا فى معهد الفن.. وكانت تعلق على حوائط غرفتها لوحات مقلدة لأعمال «روسيتى»[١٣٢] «وبرن جونز»[١٣٣] وتحدثها دائما عن رابطة «محبى رافائيل» Pre - Raphaelite Brother hood.[١٣٤]. وهى التى غرست فى نفسها ذلك الاحساس بالفن كشئ بالغ النقاء.. نبيل صاف أبيض كالعاج.. متسع الآفاق ويغذى الشعور بالحزن.

عندما ماتت أمها بالأنيميا الخبيثة كانت اليانور فتاة نحيلة فى الثامنة عشرة تعمل بالنهار بمحل التطريز فى «لوب» Loop وتدرس فى المساء فن الديكور والأعلان Com-mercial art فى معهد الفن.. ذهبت بعد الجنازة إلى المنزل وجمعت حاجياتها إلى «المودى هاوس» (Moody House) . كان من النادر أن تذهب لرؤية أبيها.. أحيانا كان يحاول الأتصال بها بالتليفون لكنها كانت تتجنب الرد كلما امكنها ذلك.. لقد ارادت أن تنسى كل ما يذكرها به.

فى محل التطريز كانوا يحبونها فقد كانت مهذبة رقيقة تعطى المكان ما أسميته مسز لانج مالكة المحل «تلك اللمسة الحالمة من الأناقة» لكنهم كانوا يعطونها عشرة دولارات فى الأسبوع يذهب خمسة منهم مقابل الايجار والاقامة.. ولم تكن تأكل كثيرا فقد كان الطعام ردئيا فى «صالة الطعام» كما كرهت الجلوس مع الفتيات الآخريات وفى بعض الأحيان تشترى زجاجة اضافية من اللبن تشربها فى حجرتها وقد تمر بضعة أسابيع لا تجد معها نقودا لشراء الأقلام وورق الرسم فتضطر للذهاب إلى والدها.. يمنحها دولارين عن طيب خاطر ولكن بطريقة تحس معها على نحو ما إنها تكرهه أكثر من ذى قبل.

واعتادت فى الأمسيات أن تجلس وحيدة فى حجرتها الصغيرة الخانقة القذرة بسريرها الحديدى القبيح وفراشه الكريه تقرأ كتباً مستعارة من المكتبة العامة لراسكين Ruskin[١٣٥] وبيتر Pater بينما أصوات التراتيل تنبعث من القاعة العامة وفى بعض الأحيان تترك الكتاب يسقط على ركبتها لتجلس طوال المساء تحملق فى المصباح الكهربائى الأحمر الكابى.. كان هذا كل ما سمحت به الإدارة، وكلما طالبت بزيادة أجرها

تجيب مسز لانج بالقول.

- لماذا؟ إنك ستتزوجين سريعا وتتركينني ياعزيزتي.. فتاة من طرازك واناقتك لا يمكن أن تظل بمفردها طويلا. وعند ذلك لن تحتاجين إلى شئ.

فى أيام الأحد اعتادت اليانور أن تستقل القطار إلى «بولمان» (Pallman) حيث تقطن شقيقة أمها فى منزل صغير.. كانت الخالة «بتى» Betty ربة بيت ضئيلة الحجم هادئة تعزو تصرفات اليانور المميزة إلى خيالات المراهقة عند البنات وانحصرهمها فى البحث عن شاب مناسب تستطيع أن تربطها به، كان العم چو زوجها رئيس عمال فى مصنع للقاطرات اصابته السنوات العديدة التى قضاها فى العمل بالصمم التام لكنه ما برح يَدّعى أنه يستطيع بالفعل أن يسمع ما يقال بوضوح فى المصنع. ويقضى أيام الأحد إذا ما كان الوقت صيفا يحرث فى الحديقة حيث يهوى زراعة الخس وزهور النجمة.. أما فى الشتاء أو حيث يكون الطقس رديئاً فيجلس فى الصالة يقرأ مجلة «رجال السكك الحديدية» (Railroad's Man Mogazine) بينما تنشغل الخالة (بتى) فى طهى طعام فخم معقد طبقا للوصفة التى تجدها فى جريدة ربات البيوت Ladies' Home Journal . ويطلبون من اليانور أن ترتب لهم الزهور على المائدة وبعد الغذاء تبدأ الخالة (بتى) فى غسيل الأطباق وتساعدها اليانور فى تجفيفها، وعندما يذهبون للراحة وقت القيلولة تجلس هى فى الصالة تقرأ قسم «الاجتماعيات» فى «الشيكاغو تربيون»، وبعد العشاء إن كان الطقس جميلا يذهبون معها إلى المحطة حتى تستقل القطار.. وتقول الخالة «بتى» أنه من العار أن تعيش فتاة محبوبة جميلة مثلها بمفردها فى المدينة الواسعة.. فتبتسم «اليانور» ابتسامة عريضة لاذعة وهى تجيب إنها لا تخاف.

كانت العربات فى طريق العودة فى ليالى الأحد تزدحم بالشباب والفتيات بوجوههم المشعثة اللزجة الملطخة التى لفحها الشمس أثناء نزهاتهم فى الريف أو التلال الرملية.. تشعر اليانور بالكراهية لمرآهم.. ومرأى العائلات الايطالية بأطفالها الذين لا يكفون عن الصياح والشجار كما يملأون جو العربة برائحة الثوم والنبيذ.. ومرأى الألمان بوجوههم الحمراء المحتقنة بعد أن تجرعوا البيرة طوال فترة العصر.. ومرأى العمال السكارى من فنلنديين وسويد الذين لا يكفون عن الحملقة إليها بنظراتهم الشهوانية المخمورة ووجوههم الغبية البليدة. وفى بعض الأحيان يبدأ أحد الرجال فى إتيان حركة ما تجبرها على مغادرة العربة إلى عربة أخرى.

كانت العربة مزدحمة جدا ذات مرة.. التصق بها رجل مجعد الشعر وأخذ يحتك بها

بصورة فاضحة.. لم تستطع أن تنتزع نفسها بعيدا بسبب الزحام الهائل.. امسكت نفسها بصعوبة عن الصراخ طلبا للنجدة.. أنه لمن السوقية أن تثير جلبة.. كان هذا كل ما يشغلها.. وانتابتها نوبة من الدوار العنيف بعد أن شقت طريقها أخيرا إلى خارج العربة وتوقفت عند إحدى الصيدليات فى الطريق لتشترى قليلا من النشادر وهرولت عبر صالة المودى هاوس حتى وصلت إلى غرفتها وهى ما تزال ترتجف وتشعر بالغثيان ورأتها فتاة فى الحمام بادية الشحوب والإعياء فنظرت إليها بكثير من الريبة. لقد كانت تشعر بالتعاسة كلما تعرضت لموقف كهذا وكثيرا ما فكرت فى الانتحار وكلما مرت بفترة «العادة الشهرية» اصابتها التقلصات المؤلمة حتى اعتادت أن تمكث فى الفراش يوما واحدا على الأقل كل شهر أما بقية الأسبوع فلا يفارقها الشعور بالكآبة.

ذات يوم من أيام الخريف اتصلت بمسز لانج تليفونيا تعتذر عن الحضور لأنها مريضة ولن تقوى على مغادرة الفراش ثم عادت إلى غرفتها ورقدت تقرأ (رومولا) (١٣٦).

كانت منهمكة فى قراءة المؤلفات الكاملة لجورج اليوت(١٣٧) التى وجدتها فى مكتبة المودى هاوس.

وعندما جاءت المرأة العجوز القميئة لترتيب الفراش بادرتها بالقول

- مسز كونتز.. إنى مريضة وسوف أرتبه بنفسى.

لكنها بعد الظهر شعرت بالجوع ولم تستطع مواصلة الرقاد.. أحست بأنها سوف تختنق لو ظلت فى الحجرة دقيقة واحدة أخرى ورغم أنها شعرت ببعض الخجل لأنها تنوى الخروج فى الوقت الذى أخبرت فيه مسز لانج أنها لا تستطيع الحركة.. نهضت وارتدت ملابسها بعناية وهبطت وهى تشعر على نحو ما أنها تسير متلصصة وبينما كانت تعبر الصالة صاحت مسز (بيجز) مشرفة المنزل:

- وهكذا أنت لست مريضة تماما..

- اشعر بالحاجة إلى استنشاق بعض الهواء.

قالت مسز (بيجز) وهى تخرج الكلمات من بين أسنانها

- إنه سيئ بالنسبة لك..

لكنها كانت قد خرجت من الباب.. إن مسز (بيجز) تنظر إليها دائما نظرة الشك لمجرد أنها طالبة فى معهد «الفن».

توقفت وقد انتابها الشعور بالاغماء أمام محل الأدوية واشترت قليلا من ماء

النشادر المنعش قبل ان تستقل العربة إلى «جرانت بارك» Grant park بينما الريح الغربية الشمالية العاصفة تثير الحصى والأوراق فى دوامات صغيرة على امتداد البحيرة.

مضت إلى معهد الفن وصعدت إلى قاعة «ستكنى» Stickney Room لتشاهد لوحات ويسلر (Whistler)[١٣٨].. إنها تحب معهد الفن أكثر من أى شئ آخر فى شيكاغو بل أكثر من أى شئ آخر فى العالم.. كانت تجد فيه الهدوء والبعد عن الرجال المزعجين والرائحة الرقيقة التى تنبعث من طلاء اللوحات فيما عدا أيام الأحد التى يحضر فيها الجمهور ويتحول فيها المكان إلى فوضى مرعبة.. لكن اليوم ليس هناك أحد فى «قاعة ستكنى» عدا فتاة أخرى ترتدى ثيابا أنيقة وتحيط عنقها بياقة رمادية من جلد الثعلب وتضع قبعة رمادية صغيرة يزينها الريش - راحت تنظر بإمعان إلى بورترية لـ «مانيه»[١٣٩] جذبت الفتاة اهتمام اليانور.. كانت تتظاهر بالنظر إلى اللوحات بينما ترمق الفتاة الأخرى كلما سمحت الفرصة حتى وجدت نفسها تقف بجانبها تتطلع هى الأخرى لبورتريه «مانيه» وفجأة التقت عيناهما.. كانت عينا الفتاة الأخرى لوزيتين متباعدتين تصطبغان باللون البنى الهادئ.. صاحت بلهجة واثقة كما لو كانت تريد أحدا ينفى ما تقول..

- أعتقد أنه أفضل رسام فى العالم..

أجابت اليانور وهى تحاول أن تتكلم دون أن يرتعش صوتها..

- أعتقد أنه رسام جميل.. أنا أحب هذه الصورة.

قالت الفتاة الأخرى:

- أنت تعرفين أنها ليست بريشة «مانية» نفسه.. إنها بريشة فانتين لاتور[١٤١]

أجابت اليانور - أوه.. نعم.. بالطبع.

مرت فترة صمت.. بدأت اليانور تخشى أن يتوقف الأمر عند هذا الحد لكن الفتاة الأخرى تابعت الحديث.

- ما هى اللوحات الأخرى التى تحبينها؟

أجابت اليانور ببطء وهى تنظر بعناية إلى لوحة «ويسلر»

- أحب لوحات «ويسلر» و «كورو»[١٤١].

-وأنا أيضا.. لكنى أحب «ميليه»[١٤٢] أكثر.. إنه رشيق ودافئ.. هل ذهبت مرة إلى «الباربيزون».

- كلا.. وإن كنت أود ذلك..

صمتت برهة ثم قالت اليانور بجرأة المجازف.

– ولكنى أعتقد أن «ميليه» ثقيل بعض الشئ.. ألا ترين ذلك؟

– أنت تقصدين لوحته الملونة المنقوشة عن «صلاة التبشير»(١٤٣).. نعم.. إننى ببساطة لا أستريح واكره الشعور الدينى فى أية لوحة.. ألست معى؟

لم تدرى اليانور كيف تجيب على هذا بالضبط فهزت رأسها وقالت

– أننى أحب لوحات «ويسلر» كثيرا.. عندما أنظر إليها فكأنما أنظر من النافذة وتبدو كل الأشياء.. أنت تعرفين.. رقيقة مثل هذا.

قالت الفتاة الأخرى وهى تنظر إلى ساعة صغيرة فى حقيبة يدها.

– عندى فكرة.. أنا لست مضطرة للعودة إلى المنزل حتى السادسة.. لماذا لا تأتين معى لتناول الشاى.. أعرف مكانا صغيرا نستطيع أن نتناول فيه شايا مدهشا.. محل شطائر المانى نستطيع أن نقضى فيه وقتا طويلا طيبا نتبادل الحديث.. لا تعتقدين أن دعوتك خروج على التقاليد المحافظة.. أنا أحب البساطة وعدم التكلف ألست كذلك.. ألا تكرهين شيكاغو؟

نعم.. إن اليانور تكره شيكاغو بكل تأكيد وأهلها بتفكيرهم المتزمت التافه وكل ما يتعلق بالتقاليد.

مضت إلى محل الشطائر وشربت الشاى والفتاة ذات الزى الرمادى كانت تدعى «إيفلين هتشنز» عرضت عليها أن تشربه بالليمون.. تحدثت اليانور كثيرا بينما كانت الفتاة الأخرى تستجيب لها بالضحك، ووجدت اليانور نفسها – تشرع فى الحديث – عن أبيها الذى كان رساما يعيش فى «فلورنسا» والذى لم تراه منذ طفولتها لأنها كانت صغيرة عندما انفصل عن أمها بالطلاق وتزوجت أمها مرة أخرى من رجل أعمال له ارتباطاته بشركات (آرمور وكومبانى).. وأمها الآن قد ماتت ولم يتبق لها غير بعض الأقارب فى «ليك فورست» Lake Forest وهى تدرس فى معهد الفن لكنها تفكر فى أن تتركه لأن أساتذته لا يناسبونها وتعتقد أن الحياة فى شيكاغو لا تطاق وتنوى الذهاب للشرق. سألتها إيفلين هتشنز – لماذا لا تذهبين إلى والدك فى «فلورنسا».

أجابت اليانور – حسنا.. ربما أفعل ذلك عندما يحين الأوان.

قالت ايفلين – أوه.. أنى لن أكون ثرية أبدا فأبى رجل دين.. دعينا نذهب إلى فلورنسا معا ونتصل بوالدك.. لا أعتقد أنه سيطردنا عندما نصل إلى هناك.

– أنا أود القيام بالرحلة يوما ما.

- لقد حان وقت عودتى للمنزل.. بالمناسبة أين تقيمين؟ دعينا نلتقى غدا بعد الظهر نشاهد اللوحات معا.

- أخشى أن أكون مشغولة غدا.

- حسنا.. ربما أدعوك للعشاء يوما ما.. سوف أسأل أمى لترتيب موعد.. إنه لمن النادر أن ألتقى بفتاة استطيع الحديث إليها.. نحن نعيش فى شارع «دريكسل» (Drexel Boulevard) .. هاك بطاقتى وسوف أرسل لك «بطاقة دعوة».. أتعدينى بالحضور؟

- أود ذلك.. بشرط أن يكون الموعد بعد السابعة فأنا أكون مشغولة بالعمل فى فترة العصر، ما عدا يوم الأحد وعادة أذهب فيه لزيارة أقاربى فى..

- فى «ليك فورست».

- تماما.. عندما أكون هنا فى المدينة فأننى أقيم فى «المودى هاوس» بيت كبيوت الشابات المسيحيات .Y.W.C.A إنه مكان عادى لكنه يفى بالغرض.. سوف أكتب عنوانى على هذه البطاقة - أخرجت بطاقة مسز لانج «مخرمات مستوردة ومطرزات شغل يد» وكتبت العنوان بينما شطبت الكتابة على الوجه الآخر وأعطتها لإيفلين.

- هذا شئ جميل.. سوف أرسل لك الدعوة تلك الليلة.. لقد وعدتنى بالحضور.. أليس كذلك؟

أخذت اليانور تلاحقها بنظراتها حتى استقلت «الاتوبيس» ثم مضت بتثاقل تسير فى الشارع.. كانت قد تناست كل مشاعر الأعياء لكنها الآن بعد أن غادرتها الفتاة إجتاحتها كل أحاسيس الإذلال و الإحباط ورثاثة الثياب والوحدة وهى تشق طريقها وسط ضجيج الشوارع التى تعصف بها الريح.

عقدت «اليانور» عدة صداقات من خلال معرفتها بايفلين هتشنز..

فى المرة الأولى التى ذهبت فيها لزيارة «آل هتشنز» منعتها الرهبة من ملاحظة الكثير.. لكنها فى المرات التالية أحست بالمزيد من الحرية لاسيما بعد أن تأكدت بأنهم ينظرون إليها كفتاة مهذبة جدا جديرة بالاهتمام.

كانت العائلة تتكون من دكتور هتشنز وزوجته وابنتيه وأبنه الذى يدرس فى الكلية.. وكان دكتور «هتشنز» قس واسع الأفق من طائفة الموحدين(١٤٤) ومسز هتشنز تهوى رسم الأزهار بالألون المائية وتعلن أنها توحى بموهبة كبيرة.. أما «جريس» الأبنة الكبرى فكانت ملتحقة بمدرسة فى «ڤاسار» Vassar فى الشرق وتعتقد أنها تستطيع أن

تشق طريقها فى عالم الأدب، والإبن كان يعد بعض الدراسات العليا فى «اللغة الإغريقية» فى «هارڤارد» وايفلين كانت تتلقى أهم دروسها هناك فى «النورث ويسترن».

كان دكتور هتشنز رجل خفيض الصوت أحمر الوجه بجبهة عريضة ملساء ويده الناعمة البيضاء تبدو كيد الميت، وكانت العائلة تزمع الذهاب إلى الخارج للنزهة فى السنة المقابلة التى كانت «فترة الراحة» بالنسبة لدكتور هتشنز..

لم تستمع اليانور أبدا إلى حديث مثل هذا من قبل وشعرت بالإثارة تجتاحها.

ذات مساء صحبتها ايفلين إلى منزل مسز «شوستر» وهى توصيها قائلة:

- لا ينبغى أن تتفوهى بكلمة عن مسز «شوستر» فى البيت.. إن مستر «شوستر» متعهد فنى، وأبى يعتقد أنهم يحيون حياة بوهيمية لأن «آنى شوستر» جاءت إلى منزلنا ذات ليلة وأخذت تدخن أثناء العشاء.. لقد قلت لهم أننا سنذهب «لسماع» حفلة موسيقية فى قاعة الموسيقى (Auditarium) .

كانت «اليانور» قد صنعت لنفسها فستانا جديدا.. فستانا أبيض بسيط بزخارف خضراء. ليس بفستان سهرة لكنه لائق لترتديه فى المناسبات، وعندما أخذت «أنى شوستر» وهى امرأة قصيرة ضئيلة بدينة لكنها تسير وتتحدث بإنطلاق - تساعدهم فى خلع معاطفهم فى الصالة راحت تبدى اعجابها به.

قالت ايفلين - نعم.. إنه جميل وفى الحقيقة إنك تبدين جميلة كالخوخة هذه الليلة.

قالت مسز «شوستر» - أراهن إن هذا الفستان لم يصنع فى هذه المدينة يبدو لى أنه من «باريس».

إبتسمت اليانور وهى تبدى تواضعها بينما توردت وجنتاها وبدت أكثر أناقة عن ذى قبل.

إزدحم حشد كبير من الناس فى الغرفتين الصغيرتين اللتين تفوحان برائحة دخان السجائر وأكواب القهوة ونوعا ما من «البنش» وبدا مستر شوستر رجلا أبيض الشعر باهت الوجه يحمل رأسا كبيرا لا يتناسب مع جسمه ويبدو عليه الإرهاق وهو يحاول أن يتصرف كرجل إنجليزى. كان هناك الكثير من الشبان يلتفون حوله من بينهم شخصا تعرفت عليه اليانور بالصدفة فى معهد الفن يدعى «إريك إجستروم».. كانت دائما تشعر بإعجابها نحوه بعينيه الزرقاوتين وشعره الكتانى الأبيض وشاربيه الشقراوين وكان من الواضح أن مستر «شوستر» يوليه الكثير من الاهتمام.

أخذتها إيفلين وقدمتها للجميع وأخذت تسأل كل واحد اسئلة بدت فى بعض

الأحيان مثيرة للإرتباك.. كان الجميع يدخنون.. الرجال والنساء وهم يتحدثون عن الكتب واللوحات وعن أناس لم تسمع اليانور عنهم من قبل. وقفت تتأمل ما حولها وهى تتجنب الحديث تنظر إلى الصور الظلية الغريبة تحت ضوء المصابيح البرتقالية واللوحات على الجدران التى بدت فريدة حقا وصفان من الكتب الفرنسية بأغلفتها الصفراء على الرف، وشعرت أن عليها أن تتعلم الكثير.

أنصرفتا مبكرا لأن إيفلين أرادت الذهاب إلى قاعة الموسيقى للتعرف على برنامج الحفلة خوفا من أن يسألوها عنه - خرج بصحبتهما إريك وشاب آخر.. وبعد أن ودعوا إيفلين على باب منزلها سألوا اليانور أين تسكن؟ لم تجب اليانور.. كرهت أن تخبرهم عن «الميدى هاوس» الذى يقع فى مكان كئيب قذر.. سمحت لهم فقط أن يصحبوها حتى المحطة العلوية Elevated station .. أرتقت الدرجات بسرعة وهى تثنيهم عن التقدم أبعد من ذلك رغم رعبها من الذهاب إلى المنزل بمفردها فى مثل هذا الوقت المتأخر.

إعتاد الكثيرون من زبائن مسز لانج على الظن بأن اليانور فتاة فرنسية وهم يرون شعرها الأسود ووجهها البيضاوى الرفيع وبشرتها الناعمة.. وعندما جاءت مسز ماك كورميك ذات يوم تسأل مسز لانج - التى كانت تعتبرها دائما من بيت ماك كورميك - عن تلك الفتاة الفرنسية الجميلة التى خدمتها من قبل واتت مسز لانج تلك الفكرة.. لماذا لا تصبح اليانور فرنسية من الآن فصاعدا.. هكذا اشترت لها عشرين بطاقة فى مدرسة «برلتز» وقالت أنها يمكن أن تأخذ ساعة - ما بين التاسعة والعاشرة صباحا - لتذهب إلى هناك تأخذ دروسا فى اللغة الفرنسية.

قضت اليانور شهرى ديسمبر ويناير تدرس الفرنسية ثلاث مرات فى الاسبوع على يد رجل عجوز يرتدى دائما جاكته من الألباكا(١٤٥) تفوح منها الرائحة، وبدأت تنطق بعفوية بين الحين والآخر بعض العبارات الفرنسية أثناء حديثها مع الزبائن.. وعندما يوجد أحد فى المحل لا تخاطبها مسز لانج إلا بكلمة «مدموزيل».

كانت تعمل بجد.. استعارت الكتب ذات الأغلفة الصفراء من بيت «شوستر» لتقرأها فى المساء بمساعدة أحد المعاجم وسرعان ما فاقت ايفلين فى التحدث بالفرنسية وهى التى تربت على يد مربية أطفال فرنسية عندما كانت صغيرة.

وذات يوم وجدت استاذا جديدا فى مدرسة «برلتز».. كان الاستاذ العجوز قد أصيب بالالتهاب الرئوى وحل محله شاب فرنسى نحيل بذقن دقيقة ملساء وعيون بنية واسعة وأهداب طويلة.. أعجبت اليانور به فى الحال لاسيما بيده الارستقراطية الناعمة وسلوكه

المترفع ولم تمضى أكثر من نصف ساعة حتى كانا قد نسيا كل ما يتعلق بالدرس واندمجا فى الحديث بالإنجليزية.. كان يتحدث الإنجليزية بطلاقة ولكن بلكنة مضحكة.. أحبت بالذات طريقته فى نطق حرف (r) .

فى اليوم التالى كانت تشعر بالخدر يسرى فى كل جسمها وهى تصعد السلم وتفكر.. هل سترى نفس الشاب.. كان هناك.. أخبرها أن العجوز قد مات فلم يظهر عليها أحساس ما بالأسف.. رمقها الشاب وهو يلوى وجهه شبه مستنكر وشبه ضاحك وصاح - ويل للغليان[١٤٦]. ثم انطلق يحدثها عن بيته فى فرنسا وكيف أنه كره الحياة البورجوازية المحافظة وأتى إلى امريكا لأنه يعتقد أنها أرض الشباب والمستقبل وناطحات السحاب وشركات القرن العشرين. وكيف أن شيكاغو مدينة رائعة.. لم تكن اليانور قد سمعت إنسانا يتحدث هكذا.. قالت ضاحكة.

- إنك على ما يبدو قد ذهبت إلى إيرلندا وقبلت حجر النفاق.. بدا عليه الحزن وهو يجيب بالفرنسية.

- مدموزيل.. إنها الحقيقية خالصة[١٤٧].

فقالت إنها تصدقه تماما وكم هو مثير أن تلتقى به ومن الواجب أن تقدمه إلى صديقتها إيفلين هتشنز فعاود الفرنسى حديثه وأخذ يقص عليها كيف عاش فى «نيواورليانز» بعد أن أتى على ظهر مركب تابع للخطوط الفرنسية عمل عليه «خادما».. وكيف أنه أشتغل فى غسيل الأطباق وكصبى نادل يرفع الأطباق من على الموائد وعازف بيانو فى النوادى الليلية وفيما هو أسوأ منها.. وكيف أنه أحب الزنوج كثيرا وكان يهوى الرسم وود أن يمتلك «مرسما» يرسم فيه لكنه لم يمتلك بعد ما يكفى من المال.

شعرت اليانور ببعض القشعريرة وهو يحدثها عن تلك الفترة الخاصة بغسيل الأطباق والكباريهات والملونين لكنه عندما بدأ يخبرها عن هوايته الفن أقتنعت بأنه يجب عليها حقا أن تعرفه بإيفلين وأحست بأنها قد تعدت حدود الجرأة والتحرر من التقاليد وهى تطلب منه أن يلتقى بهم فى معهد الفن بعد ظهر يوم الأحد.. فعلى أية حال لو لم يقتنعوا بالأمر لن يجبرهم أحد على الذهاب.

أصيبت إيفلين بتوتر شديد حتى أستقر الرأى أن يصحبهم «إريك إجستروم» تحسبا من التاريخ السئ الذى يتمتع به الفرنسى.

لم يأت الشاب الفرنسى فى موعده.. تأخر كثيرا حتى بدأوا يخشون عدم حضوره أو ربما قد تاه عنهم فى الزحام.. لكن اليانور رأته يرتقى درجات السلم الطويل.

كان يدعى «موريس ميليه».. لا.. لا علاقة له بالرسام.. رفض أن ينظر إلى أية لوحة من لوحات معهد الفن.. صعقهم بقوله.. إنها كلها ينبغى أن تحرق.. وأخذ يستفيض فى حديث ضمنه الكثير من الكلمات التى لم تسمع بها اليانور من قبل.. التكعيبية(١٤٨) والمستقبلية(١٤٩).. لكنها أثارت اهتمام إيفلين وأريك البالغ.. لقد تعلقا فى الحقيقة بكل كلمة كان ينطقها ولم يلتفت إليها أحد طوال الوقت الذى قضوة يتناولون الشاى.

دعت إيفلين موريس إلى المنزل.. ذهبوا جميعا لتناول العشاء حيث أظهر موريس الأدب الجم تجاه دكتور هتشنز وزوجته.. ثم مضوا إلى بيت «شوستر» بعد ذلك..

قال موريس بعد أن غادروا عائلة شوستر أنهم لا يحتملون ويلطخون جدرانهم باللوحات البالغة القبح «كل هذا رجعية فظيعة»(١٥٠) Tout ca c'est affreusement Pompier. شعرت اليانور بالحيرة لكن إيفلين واريك قالا أنهما يفهمان تماما ما يقصده - إنهم لا يفهمون من الفن أكثر من أنه حفل لرجال المطافئ، وأخذوا جميعا يضحكون.

فى المرة التالية التى إلتقت فيها بإيفلين أعترفت إيفلين لها بأنها تحب «موريس» بجنون راحتا تبكيان معا.. إن صداقتهما الجميلة قائمة رغم هذا.. وعلى رف المصطلى فى حجرة إيفلين فى شارع «دركسل بولفار» كانت هناك لوحة تحاول فيها إيفلين أن ترسم له بأقلام الباستيل «بورتريه» من الذاكرة.. جلستا متجاورتان على الفراش.. كل منهما تحيط الأخرى بذراعها وهما يتحدثان بوقار.. أخبرتها اليانور بحقيقة مشاعرها تجاه الرجال لكن إيفلين لا تشعر بتلك الطريقة.. لكنه فى النهاية لا شئ يمكنه أن يحطم صداقتهما الجميلة ولسوف تتصارحان دائما بكل شئ.

فى ذلك الوقت تقريبا حصل «إريك أجستروم» على عمل بقسم الديكور الداخلى فى «مارشال ڤيلد» Marshal Field مقابل خمسين دولارا فى الاسبوع وأصبح له «ستوديو» انيق يطل على أحد الدروب المتفرعة من شارع «نورث كلارك» وذهب «موريس» ليقيم معه وأصبحت الفتاتان تقضيان معظم الوقت هناك وصار لهم أصدقاء كثيرين يحضرون لتناول الشاى فى أطقم الاكواب «الروسية» أو نبيذ «فرچينيا دير» Virginia Dare فى بعض الأحيان.. لم يعد هناك محال للذهاب إلى بيت «شوستر» وعندما تحاول اليانور أن تنفرد بإيفلين للحديث لا تجد منها غير الشعور بالتعاسة.. إن موريس لا يبدى نحوها نفس الشعور الذى تبديه نحوه لكن «إريك» وموريس منسجمان معا وينامان على فراش واحد ويبدوان فى قمة السعادة.

لم تعد اليانور تعجب لذلك كثيرا.. يكفيها أن تتعرف على شبان يتصرفون بلطف

تجاه النساء ويذهبون إلى الاوبرا معا وإلى الحفلات الموسيقية ومعارض الفن وغالبا ما تشترى إيفلين أو إريك التذاكر ويدفعان حساب المطاعم.. شعرت اليانور فى تلك الشهور القليلة أنها تقضى أمتع أوقاتها.. تلك التى لم تعشها من قبل.. لم تعد تذهب إلى «بولمان» وأخذت تتحدث مع إيفلين عن ضرورة حصولها على «ستوديو» معا عندما تعود عائلة هتشنز من رحلتها إلى الخارج.. لم يعد يزعجها شئ إلا عندما تفكر فى بعض الأوقات بأن «يونية» قد أقترب وحان ميعاد سفر إيفلين.. لتتركها بمفردها تواجه صيف شيكاغو الرهيب بعرقه وترابه وزوابعه.. لكن «إريك» كان يحاول أن يحصل لها على عمل فى «مارشال ڤيلد» كما كانت تتلقى بصحبة إيفلين دروسا فى الديكور الداخلى بالجامعة كل مساء..

كل هذا يمنحها أملا ما.. تتطلع إليه.

رسم موريس أجمل لوحاته ببقع الألوان الصفراء البرتقالية والألوان القرمزية الباهتة.. لصبية مستطيلى الوجوه بعيون كبيرة وضاءة ورموش طويلة.. وفتيات مستطيلات الوجوه يشبهن الأولاد.. وكلاب صيد روسية ذات عيون متوهجة.. ودائما توجد فى خلفية اللوحات بعض العوارض أو ناطحات سحاب بيضاء يلفها السحاب الأبيض الكثيف كانت إيفلين واليانور تعتقدان أنه من العار بعد ذلك أن يذهب لإلقاء الدروس فى مدرسة «برلتز» وقبل أن تبحر إيفلين إلى أوروبا أقاموا لها حفلة صغيرة.. أحاطت لوحات موريس بالجدران بينما أخذوا يخلطون الابتهاج بالأسى والإنفعال بالضحك والثرثرة وأعلن «إجستروم» إنه قد تحدث مع رئيسه عن «اليانور» كيف تجيد الفرنسية كما درست الفن وكم تبدو جميلة وكل هذا وقال له مستر «سبوتمان» أن يحضرها ظهر الغد.. لو استطاعت الحصول على العمل ستتقاضى على الأقل خمسة وعشرين دولارا فى الأسبوع. واكتملت سعادتهم عندما دخلت امرأة عجوز لتشاهد لوحات موريس وأخذت تفكر فى شراء واحدة منها.. اشتركوا جميعا فى الشعور بالابتهاج والمرح وشربوا كثيرا من النبيذ حتى إذا حان وقت الوداع كانت إيفلين هى التى أحست بالمرارة لأنها ستفارقهم بدلا من اليانور التى توقعت لها أن تشعر بالوحشة.

وفى المساء التالى كانت اليانور تكر عائدة على الرصيف بعد أن انتهت من وداع عائلة هتشنز وهى فى طريقها إلى نيويورك وقد أعدوا حقائبهم للشحن على السفينة البخارية «البلطيق».. كانت عيونهم تتوهج بالنشوة.. لسوف يذهبون إلى «الشرق» ثم إلى الخارج. سارت اليانور خلال رائحة دخان الفحم وسط هدير المحركات ودقات الأجراس

وهرولة الأقدام.. سارت وقد ضمت قبضتها وأنشبت أظافرها الحادة المقلمة فى راحة يدها تردد لنفسها القول..

«لسوف أذهب أنا أيضا.. إنها مسألة وقت... ثم أذهب أنا أيضا».

عين الكاميرا (١٨)

كانت سيدة بادية الأناقة ترتدى أحدث موضة وتعشق الكلاب «البلترير»[١٥١] ولها صديقها «الجنتلمان» الذى يشتهر بمشابهته للملك «إدوارد».

كانت سيدة بادية الأناقة - وبعض الزنابق البيضاء تنتشر بالقاعة.. لا.. لا ياعزيزى.. لا أحتمل رائحتهم فى الغرفة.. والكلاب البلترير نهشت الباعة وموزع الصحف الصغير.. لا.. لا.. ياعزيزى إنهم لم يعضوا ابداً الناس الظرفاء وينسجمون تماما مع «بيلى» وأصدقائه.

ركبنا جميعا المركبة التى تجرها أربعة أفراس.. والرجل فى المؤخرة نفخ فى البوق الطويل.. حيث وقف «ديك وتينجتون» تبدو عليه المهابة.. كانت السلال تمتلأ بالطعام وكانت بعيونها الرمادية تفيض بالعطف على إبن صديقها الصغير رغم أنها تعاف ببساطة.. تعاف معظم الأطفال وصديقها «الجنتلمان» الذى يشتهر بمشابهته للملك إدوارد لا يستطيع احتمالهم ولا احتمال «البلترير» ولم تكف عن السؤال: لماذا تناديه هكذا؟

أخذت تفكر فى «ديك وتينجتون».. سيادة اللورد عمدة لندن ثلاث مرات - والأجراس الكبيرة لكنيسة «باو»[١٥٢].. نظرت إلى عينيها الرماديتين وقلت.. ربما لأنى ناديته هكذا أول مرة رأيته فيها - لم أسترح لها ولم استرح للبلترير ولم أسترح للأفراس الأربعة لكنى وددت أن يقرع «ديك وتينجتون» - سيادة اللورد عمدة لندن ثلاث مرات - الأجراس الكبيرة لكنيسة «باو».. وددت ديك وتينجتون.. وددت أن أكون بالبيت.. لكن ليس لى بيت.. والرجل فى المؤخرة نفخ فى البوق الطويل.

اليانور ستودارد

كان العمل فى محلات «مارشال فيلد» يختلف تماما عن العمل عند مسز «لانج» فبينما كانت فى محل «مسز لانج» لا تجد غير رئيسا واحدا كان يبدو أن كل شخص فى المحل الكبير يرأسها فى القسم الذى تعمل فيه لكنها احتفظت بسلوكها المهذب البارد وطريقتها البسيطة المحددة الباهرة فى تناول الأمور أثناء الحديث واستطاعت أن تشق طريقها رغم أن الكثيرين لم يشعروا نحوها بالكثير من الحب حتى مسز «بوتر» ومستر

«سبوتمان» رؤساء القسم كانوا يخشونها قليلا بعد أن راجت الشائعات بأنها فتاة راقية من فتيات المجتمع وليست مضطرة للبحث عن لقمة العيش..

أما هى فراحت تبدى تعاطفا كبيرا مع الزبائن وهى تحاول أن تتفهم رغباتهم فى تأثيث المنزل وبدأت تتعامل مع مسز «بوتر» بطريقة متواضعة بها الكثير من الكياسة واللطف وراحت تمدح ذوقها فى إرتداء الملابس.. وهكذا لم يكد شهر ينقضى حتى كانت مسز «بوتر» تقول لمستر «سبورتمان» - إن تلك الفتاة ستودارد «لقطة»..

أجاب مستر «سبورتمان» وهو يحاول أن يتحاشى اللسان السليط للمرأة العجوز..

- لقد أعتقدت ذلك أنا أيضا.

عندما خرجت «اليانور» بعد ظهر يوم تسطع فيه الشمس إلى شارع «راندولف» وهى تمسك بيدها المظروف الذى يحتوى على مرتب الأسبوع الأول كانت تشعر بالسعادة الغامرة.. تراقصت ابتسامة صغيرة على شفتيها الدقيقتين بصورة ملفتة جعلت زوجا من المارة يرمقها وهى تسير فى مواجهة الريح العاصفة تحنى رأسها لتحتفظ بقبعتها فوق رأسها خوفاً من أن تطير.. استدارت إلى شارع «ميتشجان» باتجاه قاعة الموسيقى وهى تتطلع إلى واجهات المحلات المضيئة والسماء الزرقاء الباهته وقطع السحاب الرمادية التى تتراكم فوق البحيرة ونفثات الدخان الأبيض الذى يتصاعد من السيارات.. مضت إلى الصالة الصفراء بلون العنبر الغميق فى المقهى الملحق بالقاعة الموسيقية.

جلست وحيدة أمام مائدة من «الخيزران» فى ركن من الردهة.. أمضت فترة طويلة بمفردها تحتسى الشاى وتأكل الخبز المحمص المدهون بالزبد وتخاطب «الجرسون» بصوت خفيض واضح مصقول يبدو عليه الانتعاش..

ذهبت بعد ذلك إلى «المودى هاوس».. جمعت حاجياتها ومضت إلى «نادى اليانور» حصلت على حجرة مقابل سبعة دولارات وخمسون سنتا شاملة تكاليف الطعام.. لكن الحجرة لم تكن أفضل من سابقتها ومازالت تفوح منها تلك الرائحة الكريهة التى تتميز بها حجرات المؤسسات الخيرية.. وهكذا فى الاسبوع التالى كانت تنتقل مرة أخرى إلى فندق صغير فى الضاحية الشمالية حيث استأجرت غرفة مقابل خمسة عشر دولارا فى الاسبوع شاملا الطعام وبهذا لن يتبقى فى ميزانيتها غير ثلاث دولارات وخمسين سنتا بعد أن تبين أنها لن تحصل من العمل إلا على عشرين دولارا وهذا يعنى ثمانية عشر دولارا وخمسون سنتا بعد خصم التأمين.. وعليها أن تذهب إلى أبيها مرة أخرى..

راحت تقنعه بإرتفاع مستواها والفرص التى تنتظرها حتى وعدها بخمسة دولارات

كل أسبوع رغم أنه لا يجنى أكثر من عشرين دولارا ويستعد للزواج مرة أخرى من مسز «أوتول» وهى أرملة لها خمسة أطفال وتدير نزلا على طريق «إلزدون» Elsdon way..

رفضت اليانور أن تذهب لرؤية زوجة أبيها المقبلة.. أخذت وعدا منه أن يرسل إليها النقود بمجرد الحصول عليها.. قبلته وهى تودعه قبلة رقيقة فوق جبهته غمرته بالسعادة بينما أخذت تقول لنفسها طول الوقت.. سوف تكون هذه المرة هى المرة الأخيرة بكل تأكيد..

عادت إلى فندق «إيفانهو».. صعدت إلى حجرتها.. استلقت على السرير النحاسى المريح وراحت تتأمل الحجرة الصغيرة.. الروافد الخشبية البيضاء.. ورق الحائط الأصفر الباهت المخطط بالخطوط الداكنة والستائر المطرزة المسدلة على النافذة والسجف الثقيلة.. كان هناك شق فى طلاء السقف والسجادة بالية.. لكن الفندق نظيف.. يزدحم بالأزواج العجائز الذين يعيشون على دخولهم الضئيلة.. والخادمات طاعنات فى السن.. لكن الجميع مؤدبين، وللمرة الأولى فى حياتها تشعر أنها فى البيت.

عندما عادت «إيفلين هتشنز» من «أوروبا» فى الربيع التالى.. ترتدى قبعة مزينة بريشة وجعبتها مليئة بالحكايات عن «صالون التويلرى» وشارع السلام والمتاحف والمعارض الفنية والأوبرا.. وجدت «اليانور» فتاة مختلفة.. بدت أكبر عما كانت.. أصبحت ترتدى الملابس الأنيقة الهادئة.. تتكلم بطريقة جديدة تشو بها الحدة والمرارة.

كانت قد استقرت فى قسم «الديكور المنزلى» فى مارشال ڤيلد وتتوقع زيادة أجرها فى أية لحظة لكنها لم تعد تتحدث عن هذا كما توقفت عن الذهاب إلى فصول الدراسة أو التردد على معهد الفن.. أصبحت تنفق معظم وقتها مع عانس عجوز تقيم فى «إيفانهو» تدعى مس «اليزا بركنز» يُشاع عنها الغنى الفاحش والبخل الشديد.

فى الأحد الأول لعودة إيفلين دعتها اليانور لتناول الشاى فى الفندق..

جلستا فى الصالة الخانقة تتحدثان بهمسات رقيقة مع «العجوز»..

سألتها إيفلين عن «إريك وموريس».. إجابت: لعلهما على ما يرام.. إنها لم تشاهدهم منذ فقد إريك عمله فى «مارشال ڤيلد».. إنه لم يثبت فى النهاية أنه بتلك الصورة الطيبة التى تمنتها له فقد أخذ هو وموريس يسرفان فى الشراب ويخرجان مع رفقة مشبوهة ونادرا ما واتت اليانور الفرصة لتراهم.. إنها تتناول العشاء كل مساء مع مس بركنز التى تهتم بها كثيرا وتشترى لها الملابس وتصطحبها فى جولاتها فى الحدائق وأحيانا إلى المسرح عندما يكون هناك شيئا يستحق الذهاب كـ «منى مادرن فسك» أو «چاى

باتس بوست» في مسرحية مثيرة.

كانت مس «بركتز» إبنة صاحب حان ثرى.. وقعت فى شبابها ضحية لمحام شاب أحبته وأعطته ثقتها فى استثمار بعض الأموال لكنه هرب مع فتاة أخرى وسرق المال.

كم من الأموال تكتنزها مس بركنز وسوف تخلفها ورائها؟ كان هذا ما يشغل بال اليانور رغم انها فشلت فى التوصل إلى الاجابة.. إنها على أية حال تملك مالا وافرا فهى تحجز دائما أفخر الأماكن فى المسرح وتتناول الغذاء فى الفنادق والمطاعم الفاخرة وتستأجر العربة طوال اليوم كلما أرادت ذلك.

صاحت إيفلين بعد أن غادرتا مس بركنز فى طريقهما إلى بيت «هتشنز» لتناول العشاء - حسنا.. أنا لا أرى ما ترينه فى تلك العانس العجوز القميئة.. وأنا هنا أكاد أنفجر شوقا لأن أخبرك مليونا من الأشياء وأسالك مليونا من الأسئلة.. إن هذه خسة منك.

- إيفلين.. لقد أخلصت لها تماما واعتقدت إنك مهتمة بمقابلة أية صديقة حميمة لى.

- أوه بالطبع يا عزيزتى ولكن.. باللباقة.. أنا لا استطيع أن أفهمك..

- حسنا.. لن تضطرى لرؤيتها مرة أخرى رغم أننى أقول لك بملاحظة سلوكها نحوك..

إنها أحبتك.

سارتا من المحطة العلوية إلى بيت عائلة «هتشنز» كأنهما تستعيدان الأيام الخوالى..

أخذت اليانور تقص عليها كيف بدأت المشاعر العدائية تنمو بين مستر «سبوتمان» ومسز «بوتر» وكل منهما يرغب أن يستحوذها لنفسه.

ضحكت ايفلين وراحت تعترف لها بأنها على «كرونلاند Kroonland » فى طريق العودة قد وقعت فى غرام رجل من مدينة «سولت ليك Salt Lake city » فرغم كل شئ إنهم يبعثون على الراحة هؤلاء الغرباء.. أحبت اليانور أن تغيظها فقالت إنه ربما يكون من «المورمون».. ردت ايفلين ضاحكة - لا.. إنه قاضى ولكنه متزوج بالفعل..

قالت اليانور - ها أنت ترين.. لابد طبعا أن يكون من «المورمون».

لكن إيفلين أجابت بإصرار إنه ليس كذلك وإنه لو طلق امرأته سوف تتزوجه على الفور.. صاحت اليانور إنها لا تعترف بالطلاق.. كادتا أن تبدا الشجار لولا وصولهما للمنزل.

لم تلتق بإيفلين كثيرا طوال هذا الشتاء.. كان لإيفلين الكثير من الأصدقاء وتخرج إلى الكثير من الحفلات.. أصبحت اليانور تقرأ أخبارها من صفحة المجتمع فى «الصنداى» صباح كل أحد وأنهمكت فى العمل حتى أخذت تعود فى المساء مرهقة تماما لا تقوى حتى على الذهاب إلى المسرح بصحبة مس «بركنز».

بلغ الخلاف بين مسز «بوتر» ومستر «سبورتمان» ذروته وقررت الإدارة نقل مسز «بوتر» إلى قسم آخر.. تهالكت المرأة بمجرد سماعها النبأ على مقعد أسبانى قديم.. لم تتمالك نفسها فأنفجرت فى البكاء أمام «العملاء».. اضطرت «اليانور» أن تصحبها إلى حجرة تغيير الملابس واستعارت لها بعض الأملاح المنعشة وساعدتها فى إعادة تصفيف شعرها المصبوغ «بالبيروكسيد» ليستعيد تسريحة «البومبادور» مرة أخرى.. ثم راحت تعزيها بأنها ربما يكون من الأفضل لها العمل فى القسم الآخر.

ظل مستر «سبوتمان» بعد ذلك معتدل المزاج عدة شهور.. أحيانا كان يصطحب اليانور معه لتناول الغذاء ويتبادلان الضحك وهما يتذكران على سبيل السخرية شعر مسز «بوتر» المنكوش وهى تبكى أمام العملاء.. بل وبدأ يرسلها فى العديد من المهام الصغيرة إلى بيوت الأثرياء.. حازت إعجاب الزبائن بفضل سلوكها المهذب الودود لكنها حظيت بكراهية بقية الموظفين فى المكتب وأصبحوا يطلقون عليها لقب «دلوعة الأفندى».. أما مستر «سبوتمان» فراح يردد القول أنه يسعى للحصول لها على نسبة مئوية كعمولة ولم يكف عن الحديث عن تلك العلاوة التى قد تزيد على خمسة وعشرين دولارا فى الاسبوع.

عادت «اليانور» إلى الفندق ذات يوم فى وقت متأخر لتناول العشاء وإذ بكاتب الفندق العجوز يخبرها إن مس بركنز قد أصيبت بهبوط حاد فى القلب وهى تتناول فطائر اللحم المفروم والكلى أثناء الغذاء وماتت لفورها فى غرفة الطعام ونقلوا الجثة إلى قاعة كنيسة «ايرفنج» الجنائزية وسألها إن كانت تعرف أحدا من أقاربها يمكن إبلاغهم.. لكن «اليانور» لم تكن تعرف شيئا غير أن «بنك كورن للمعاملات» هو الذى يتولى شئونها المالية وأنها تعتقد أن لها بنات أختها يقيمون فى مدينة ماوند Mound City لكنها لا تعرف اسمائهن.. كان الموظف قلقا فمن الذى سيدفع مصروفات نقل الجثة والطبيب ويسدد فاتورة الفندق الأسبوعية التى لم تدفع.. إن كل حاجياتها قد تم التحفظ عليها حتى يظهر شخص له الحق فى ملكيتها.. كان الموظف يتكلم كما لو كان يشك أن مس بركنز قد ماتت خصيصا نكاية فى إدارة الفندق.

صعدت «اليانور» إلى غرفتها.. أغلقت الباب وألقت بنفسها على الفراش.. بكت

قليلا غرامها بمس بركنز حتى بدأ ذلك الخاطر يستولى على فكرها وأخذ قلبها يدق بعنف.. ماذا لو أفترضت أن «مس بركنز» قد تركت لها ثروة فى وصيتها.. إن أشياء مثل هذا تحدث غالبا مع السيدات العجائز.. يتركن ثرواتهن لأشخاص كالفتى الذى يفتح لهن مقصورة الكنيسة أو الحوذى الذى يلتقط حقيبة اليد.. بدأت تتخيل اسمها فى المانشتات الرئيسية للصحف.

موظفة فى «مارشال فيلد» ترث مليوناً.

ولم تستطع أن تنام طول الليل وأسرعت فى الصباح لتجد مدير الفندق لتعرض عليه أن تفعل كل ما بإستطاعتها واتصلت بمستر سبوتمان وأخذت تتملقه حتى يمنحها اليوم إجازة موضحة إنها قد لزمت الفراش بالفعل نتيجة لموت مس بركنز ثم إتصلت ببنك «كورن اكستشانج» وتحدثت مع مستر «سميث» الذى يتولى شئون «التركة» وتلقت الرد بأن لها أن تطمئن إلى أن البنك سيفعل كل شئ فى حدود سلطته ليحمى حقوق الورثة والموصى لهم وأضاف مستر «سميث» إن الوصية فى خزانة مس «بركنز» وأنه متأكد أن كل شئ فى وضعه القانونى السليم.

بعد ذلك لم تجد «اليانور» ما تفعله بقية النهار.. إلتقت بإيفلين لتناول الغذاء وذهبت بصحبتها إلى مسرح «كيث» 'Keith رغم أنها شعرت أنه ليس من اللائق أن تذهب إلى المسرح وصديقتها العجوز ما تزال ترقد بين يدى «الحانوتى» لكنها كانت بدرجة من التوتر العصبى الهستيرى تدفعها لأن تفعل أى شئ يشغل فكرها عن هذه الصدمة المرعبة.. بدت إيفلين فى غاية الود.. إنهما الآن أقرب مما كانتا منذ ذهبت عائلة هتشنز للخارج لكن اليانور لم تنطق بكلمة واحدة عن آمالها.

لم يشترك أحد فى الجنازة غير «اليانور» وخادمة إيرلندية عجوز كانت تتولى ترتيب غرف النوم.. راحت تشهق.. بالبكاء وتكثر فى رسم علامة «الصليب»، ومستر «سميث» ومستر «سوليفان» نائبين عن أقارب مدينة «ماندو».

إرتدت «اليانور» الثياب السوداء.. اقترب منها الحانوتى قائلا.

- أعذرينى يا آنسة.. لكن لا استطيع أن اكتم كم أنت جميلة مثل زنبقة برمودا.

لم يكن الأمر بالسوء الذى توقعته فقد إنتهت مراسم الدفن بسرعة وخرجت «اليانور» بصحبة مستر سميث ومستر سوليفان ممثل المؤسسة القانونية التى تتولى شئون الأقارب وهم جميعا يشعرون بالبهجة.

كان يوما من أيام أكتوبر الساطعة.. أتفقوا جميعا على أن أكتوبر أحسن شهور

السنة وأن القس قد أدى طقوس الجنازة بصورة رائعة.. سأل مستر «سميث» اليانور هل تود أن تتناول الطعام معهم.. إن اسمها قد ورد فى الوصية.. كاد قلب اليانور يتوقف عن الخفقان وهى تسبل عينيها وتجيب أن هذا مما يسرها بالطبع.

استقلوا جميعا عربة تاكسى.. قال مستر «سليفان» أنه سعيد لانه قد تخلص من جو القاعة الجنائزية وتلك الأفكار المزعجة.. ذهبوا إلى «دى يونج» de Yonghe's لتناول الغذاء.. أخذت اليانور تقص عليهم وهم يضحكون كيف تصرفوا فى الفندق وكيف شمل الارتباك الجميع.. وعندما اعطوها قائمة الطعام قالت أنها لا تستطيع أن تأكل شيئا.. لكنها عندما رأت «السمك الأبيض المشوى» لم تجد مانعا من أن تأخذ منه قليلا.. شرائح تحلل طبقها.. وتبين فى النهاية أن هواء أكتوبر المنعش ورحلة التاكسى الطريلة قد عضتهم جميعا نياب الجوع.

استمتعت «اليانور» بطعامها كثيرا.. بعد السمك الأبيض تناولت قيلا من «سلاطة ولدورف»(١٥٣) وتبعتها بشرائح الخوخ.

وأستاذنها الرجال المهذبون بأن تسمح لهم بتدخين السيجار.. نظر إليها مستر «سميث» نظرة مكشوفة قائلا: ألا ترغبين فى سيجارة.. أجابته محتقنة الوجه.. كلا.. إنها لا تدخن أبدا.. قال مستر «سليفان» إنه لا يحترم أبدا المرأة التى تدخن ورد مستر «سميث» إن بعض الفتيات من أرقى العائلات فى شيكاغو يدخن وأنه شخصيا لا يرى ضررا فى هذا إن لم يحولن أنفسهن إلى مداخن.

عبروا الشارع بعد الغذاء.. استقلوا المصعد إلى مكتب مستر «سليفان».. استرحوا فى المقاعد الجلدية الوثيرة.. اكتسى وجه مستر «سليفان» ومستر «سميث» بسمات وقورة.. تنحنح مستر «سميث» وبدأ فى قراءة الوصية.. لم تستطع «اليانور» أن تستوعبها للمرة الأولى واضطر مستر «سميث» أن يوضح لها.. أن معظم الثروة وتبلغ ثلاثة ملايين دولار قد وهبت لملجأ.. «فلورنس كرتنتون» للفتيات المشردات** ومبلغ ألف دولار لكل من بنات الأخوة الثلاث فى «ماوند سيتى» و «بروش» أنيق من الماس على هيئة قاطرة قد وهب لإليانور ستودارد.. وأضاف مستر «سميث».

- إذا تفضلت بالحضور إلى بنك «كورن اكستشانج» غدا فسوف يسعدنى أن أسلمه لك..

إنفجرت «اليانور» بالبكاء..

بدا كلاهما متأثرا للغاية لأن مس ستودارد قد تأثرت كل هذا التأثر بتذكار

صديقتها العجوز.. بينما نهضت لتغادر المكتب بعد أن وعدت بالحضور غدا للحصول على «البروش» وسمعت مستر «سليفان» يقول بصوت ودود - مستر سميث.. لعلك تفهم أننى مضطر للتشكيك فى هذه الوصية لصالح آل بركنز فى «ماوند سيتى» - أجاب مستر سميث بنفس اللهجة الودوة - أقدر هذا مستر «سلفيان» لكن صدقنى لن تظفر بطائل فالوثيقة قاطعة وكانت محفوظة ومحرزة وقد أخرجتها بنفسى.

وهكذا فى اليوم التالى فى الثامنة صباحا كانت «اليانور» تقطع طريقها إلى «مارشال ڤيلد» مرة أخرى حيث ظلت هناك عدة سنوات. حصلت على العلاوة والعمولة وتقاربت كثيرا مع مستر سبوتمان لكنه لم يحاول أبدا أن يجذبها إلى حبائله.. ظلت العلاقات بينهما بصورتها الرسمية.. ذلك شئ أراح «اليانور» وهى تسمع دائما القصص عن المشرفين ورؤساء الأقسام الذين لا يولون همهم إلا للموظفات الشابات.. واختص مستر «الوود» بالكثير من هذه الاتهامات عندما أشيع إن «ليزى ووكر» الصغيرة فى طريقها لإنجاب طفل.. ربما لم يكن مستر «ألوود» بمفرده مسئولا عن هذا الخطأ فليزى ووكر الصغيرة ليست فوق مستوى الشبهات.. على أية حال لقد كان يخيل لأليانور أنها سوف تمضى بقية أيام حياتها تجهز للآخرين حجرات النوم وحجرات الطعام وحجرات الرسم توفق ما بين ألوان الستائر وورق الحائط وقماش التنجيد.. تلطف من حدة النساء الساخطات من الزبائن الذين لم يعجبهم شئ أو الذين أختاروا الأشياء بأنفسهم وعادوا يرفضون النقوش والزخارف.

ذات مساء.. وجدت إيفلين هتشنز تنتظرها عند إغلاق المحل.. لم تكن تبكى لكن وجهها كان شاحبا شحوب الأموات.. طلبت من «اليانور» أن تصحبها لتناول الشاى فى «شيرمان هاوس» Sherman House أو أى مكان آخر.. إنها لم تتناول طعاما منذ يومين. ذهبتا إلى المقهى الملحق بقاعة الموسيقى.. طلبتا الشاى والخبز المحمص بالقرفة ثم بدأت إيفلين فى الحديث.. إنها قد فسخت خطبتها «بديرك ماك آرثر» وأنها لا تنوى أن تقتل نفسها بل ستذهب للعمل..

- لن أقع فى حب أى شخص آخر بعد ذلك.. هذا كل ما هنالك.. لكنى يجب أن أعمل شيئا.. ثم إنك «اليانور» تبددين وقتك وطاقتك فى هذا المحل العفن.. إنك لن تحصلين أبدا على الفرصة التى تظهرين بها مواهبك.. أنت فقط تهدرين قدراتك..

أجابت اليانور - نعم.. إننى اتجرعه كالسم.. لكن ما الذى استطيع أن أفعله؟

- لماذا لا نفعل ما كنا نحلم به طوال هذه السنوات.. أوه.. إن الناس يصيبوننى

بالجنون.. إنهم لا يجيدون فهم أى شئ مبدع يستحق الاهتمام.. أراهنك لو بدأنا العمل بالديكور فسوف تنهال علينا الطلبات.. سوف تعطينا «سالى إمرسون» منزلها الجديد لتركيب الديكور.. ثم سيطلب منا الآخرون أن نفعل لهم ذلك.. لا أعتقد أن الناس يحتملون حقيقة.. تلك الأماكن الخانقة المزعجة التى يعيشون فيها.. إنهم فقط لا يجدون شيئا أفضل.

رفعت اليانور قدح الشاى ورشفت بضع رشفات.. نظرت إلى يدها البيضاء الصغيرة التى طلت أظافرها وقلمتها بعناية ثم قالت.

- ولكن من أين نحصل على «رأس المال».. لابد أن نحصل على «رأسمال» صغير نبدأ به.

- أعتقد أن «بابا» سوف يمنحنا شيئا وربما «سالى إمرسون» أيضا.. إنها صديقة رائعة طيبة جدا وسوف يتكفل أول عمل نقوم به بإذاعة شهرتنا بين الناس.. أوه.. ألا توافقين اليانور؟.. سوف يكون هذا رائعا.

قالت اليانور وهى تضع قدح الشاى..

- «هتشنز وستودارد للديكور المنزلى».. أو ربما «مس هتشنز ومس ستودارد للديكور».. لماذا يا عزيزتى؟ أعتقد إنها فكرة عظيمة.

- ألا تعتقدين أنه يكفى اسم «إليانور ستودارد وإيفلين هتشنز».

- أوه.. حسنا.. سوف نقرر الأسم عندما نستأجر «الاستوديو» ونضطر لوضعه فى «دليل التليفون».. ما الذى يمنع من وضعه هكذا.. عزيزتى إيفلين.. لنشرع فى العمل فورا لو وافقت صديقتك مسز «امرسون» على إعطائنا ديكور منزلها الجديد.. أو فلننتظر عرضا طيبا يمكن أن نبدأ به.

صاحت إيفلين وقد استعادت لونها واشتعلت بالحماس.

- وهو كذلك.. أنا متأكدة إنها ستفعل.. سوف أسرع لرؤيتها الآن.. على الفور.. ثم نهضت وأنحنت فوق إليانور لتقبلها قائلة:

- أوه.. اليانور.. كم أنت حبيبة..

- أنتظرى لحظة.. نحن لم ندفع بعد.. حساب الشاى.

أصبح العمل فى «المحل» فى الشهر التالى لا يطاق.. شكاوى العملاء.. ومغادرة «إيفانهو» كل صباح وهى تهرول.. واصطناع الأدب مع مستر «سبوتمان» وهى تحاول إضحاكه بإلقاء بعض النكات الصغيرة - صارت حجرتها فى «إيفانهو» صغيرة حقيرة

برائحة الطهى التى تأتى عبر النافذة ورائحة الشحم فى المصعد القديم.. إتصلت عدة مرات بالتليفون لتدعى أنها مريضة وعندما كانت تجد نفسها وقد أصبحت لا تطيق البقاء بالغرفة.. تخرج.. تطوف فى المدينة.. تذهب إلى «المحلات» وعروض «الصور المتحركة»(١٥٤) حتى يداهمها فجأة الإرهاق البالغ فتود أن تأخذ تاكسى يوصلها إلى البيت لكنها لا تملك أجرته.. وذهبت فى بعض المرات النادرة إلى «معهد الفن» لكنها لم تعد تحتمل التطلع إلى «اللوحات» فقد حفظتها عن ظهر قلب.. وأخيرا استطاعت «إيفلين» أن تقنع مسز «ڤيليب بان إمرسون» بأن منزلها الجديد لن يكتمل إلا بإضافة مبتكرة لغرفة الطعام.. وعرضت عليها مبلغا أقل بكثير مما يمكن أن يتقاضاه أى «مصمم محترف للديكور»..

أخذت «اليانور» ترقب بسعادة غامرة وجه مستر «سبوتمان» وقد علته الدهشة وهى ترفض طلبه بالبقاء حتى بزيادة أجرها إلى أربعين دولارا فى الأسبوع قائلة أن لديها مهمة مع احدى الصديقات لعمل ديكور المنزل الجديد «لبان إمرسون» فى «ليك فورست».. قال مستر «سبوتمان» وهو يزم فمه المربع الشاحب.

- حسنا يا عزيزتى.. لو أردت أنهاء عملك لن أقف فى طريقك.. يمكنك الخروج توا لو شئت.. وبالطبع ستخسرين منحة «الكريسماس».

أسرعت نبضات قلب «اليانور».. نظرت إلى الضوء الخافت الذى ينبعث من المكتب.. إلى صندوق «الفهارس» الأصفر والخطابات داخل ملفاته تتدلى منها قطع «العينات» توقفت «إيلابوين» فى الردهة الخارجية الملحقة عن الدق على الآلة الكاتبة.. لعلها تتصنت.. زكم أنف «اليانور» الهواء الراكد الذى يفوح برائحة «الشيت» المطبوع وطلاء الأثاث وحرارة البخار وأنفاس الناس فرفعت رأسها قائلة..

- وهو كذلك مستر «سبوتمان».. سوف أرحل.

قضت النهار كله لتستطيع أن تجمع أجرها والتأمينات المستحقة لها.. دخلت فى جدال طويل مع «الصراف» عن المبلغ المستحق.. وهكذا كان الوقت قد جاوز فترة «العصر» عندما إستطاعت أن تخرج إلى الشارع الذى تراكمت عليه الثلوج وتهرع إلى «الصيدلية» لتتصل «بإيفلين»

كانت «إيفلين» قد استأجرت بالفعل طابقين فى منزل على النمط الفيكتورى القديم يطل على شارع «شيكاغو» ومضى الشتاء كله وهما منهمكتان فى عمل ديكور المكتب وصالة العرض بالطابق السفلى والشقة التى ستعيشان فيها فى الطابق العلوى

بالإضافة إلى ديكور حجرة الطعام فى منزل «سالى امرسون».

احضرتا خادمة ملونة تدعى «اميليا» تجيد الطهى لكنها تشرب قليلا وفى المسـ
تدخنان السجائر وتشربان «الكوكتيل» وتتناولان طعاما قليلا مع النبيذ ووجدتا الطر
إلى خياط فرنسى يصنع لهما ثياب السهرة التى تخرجان بها مع «سالى إمرسو
وصحبتها. واعتادتا ركوب التاكسى والتعرف على الناس المهمين حقا.. وفى الربيع عند
وصل أخيرا شيك بمبلغ خمسمائة دولار من «ڤيليب بأن امرسون» كان مجموع الديون يـ
ألف دولار لكنهما تعيشان بالطريقة التى تروق لهما.

أعتبر ديكور حجرة الطعام متطرفا قليلا لكن البعض أعجبوا به وجاء المزيد
الطلبات وأصبح لهما العديد من الأصدقاء.. بدأتا مرة أخرى فى التجول مع الفنا
وخاصة المحررين فى «الديلى نيوز» و «الامريكان».. تذهبان فى صحبتهم لتناول الغذ
فى المطاعم الأجنبية التى تمتلئ بدخان السجائر الكثيف وهناك يتحدثون كثيرا عن
التصوير الفرنسى الحديث وعن الغرب الأوسط والذهاب إلى نيويورك وذهبوا إلى العر
العسكرى ووضعوا صورة فوتغرافية «لطائر برانكوزى الذهبى» على المكتب ونسخ
«لتيل ريڤيو» (Little Review) ومجلة الشعر (Poetry) وسط أضابير الخطابات
الزبائن والفواتير التى لم تسدد لتجار الجملة.

اعتادت اليانور أن تخرج كثيرا مع «توم كوستس» العجوز أحمر الوجه المغـ
بالموسيقى وفتيات «الكورس» والشراب.. كان مشتركا فى كل النوادى وظل لسنوا
طويلة من أشد المعجبين بمارى جاردن Mary Garden وله مقصورته الخاصة فى
«الأوبرا» وفى صالة «ستيفنز» ولا هم له غير الذهاب إلى «الترزية» وزيـ
«الأخصائيين». وأحيانا يذهب للإدلاء بصوته ضد أى يهودى أو وافد جديد يتقـ
لعضوية أحد النوادى التى ينتمى إليها. كانت (آرمورز) قد اشترت شركة أبيه لتعـ
اللحوم وهو مازال طالبا رياضيا فى الكلية ولم يجرب العمل من وقتها.

كان يدعى أنه قد سأم الحياة الاجتماعية ويستمتع بالاهتمام بأعمال الديكور الـ
تقوم بها الفتيات ومازال يحتفظ بصلاته الوثيقة مع «وول ستريت Wall street» و
بعض الأحيان يعطى اليانور زوجا من الأسهم التى يتعامل بها.. إذا ارتفعت قيمتها يكـ
الربح من نصيبها واذا انخفضت تكون الخسارة على حسابه..

كانت زوجته تقيم فى أحد المصحات الخاصة.. لكنه هو و «اليانور» قد قررا
يكونا أصدقاء فقط.. وفى بعض الأحيان التى تغلبه العاطفة وهما يستقلان التاكسى

المساء توبخه اليانور ويعود فى اليوم التالى نادما أشد الندم حاملا إليها باقات كبيرة من الزهور البيضاء.

عرفت «إيفلين» أصدقاء عديدين.. كتاب ومصورين وأشباههم ممن لم يكن يبدو عليهم أبدا أنهم يعرفون لون النقود.. دائما مفلسون يأكلون ويشربون كل ما يصادفونه بالمنزل عندما يأتون للغذاء.. كان من بينهم «ڤريدى سيرچنت» ممثل ومخرج يتصعلك الآن فى شيكاغو لسبب ما وكان له الكثير من الأصدقاء فى شركة «شوبرت» 'Shubert وطموحه الأكبر أن يصمم عرضا للبانتوميم مثل عرض «رينهاردت» يقوم فقط على أساطير هنود «المايا»[155].. كان معه الكثير من الصور الفوتغرافية لبقايا «المايا».. وشرعت «إيفلين» و «اليانور» فى تصميم الملابس والديكور للعرض.. كانوا يأملون أن يقوم «توم كوستس» أو «بان إمرسون» بتمويل الإخراج فى شيكاغو. لم تبق هناك مشكلة غير «الموسيقى».. ابتدأ عازف بيانو شاب كان «توم كوستس» قد أرسله إلى باريس للدراسة فى تأليفها.. ثم حضر ذات ليلة ليعزفها أمامهم.

واحتفالا بالمناسبة أقاموا حفلا دعوا فيه بعض الأصدقاء.. حضرت «سالى إمرسون» وبصحبتها الكثير من «المتأنقين» وأفرط «توم كوستس» فى شرب كئوس «الكوكتيل» حتى يستطيع أن يسمع اللحن الموسيقى وسكرت «أميليا» الطباخة وأفسدت الطعام وصاحت إيفلين بالعازف الشاب «إن موسيقاه تدوى مثل موسيقى السينما» فهرول خارجا وهو غاضب.

عندما خرج الجميع أخذ «ڤريدى سيرجنت» وايفلين واليانور يطوفون بالشقة التى تبعثرت محتوياتها وبدت فى حالة يرثى لها.. كانوا يشعرون بالكآبة والاحباط الشديد.. قال «ڤريدى سيرجنت» وهو يشد شعره الأسود الذى وخطه الشيب بيديه الطويلتين - إنه سيذهب لينتحر.. وبدأت إيفلين واليانور تتشاجران بضراوة.. لكن إيفلين مازالت تصر على رأيها - إنها تدوى مثل موسيقى الصور المتحركة[156].. ثم.. ما وجه الاعتراض على هذا..

التقط «ڤريدى سيرجنت» قبعته ومضى خارجا وهو يقول

- إنكم أيها النسوان تحيلون الحياة جحيما بالنسبة لى.

إنفجرت إيفلين بالبكاء وأصابتها نوبة هستيرية وأضطرت «اليانور» أن تستدعى الطبيب وفى اليوم التالى جمعوا خمسين دولارا كى يذهب «ڤريدى» إلى «نيويورك» ومضت إيفلين لتعيش فى المنزل فى «دريكسل بوليفار» وتركت «اليانور» تقوم وحدها

بكل العمل.

في الربيع التالى باعت إيفلين واليانور بخمسمائة دولار بعض النجف الذى اشتروه من محل للعاديات القديمة فى الحى الغربى بخمسة وعشرين دولارا وانهمكتا فى تحرير بعض الشيكات لتسديد الديون التى لم تعد تحتمل التأجيل عندما وصلت البرقية.

«لتوقيع عقد مع شركة شوبرت الأهلية للإنتاج.. ستقومان بتصميم المناظر مقابل مائة وخمسين دولارا فى الاسبوع لكل واحدة.. يجب الحضور فورا إلى نيويورك.. يجب أرسال برقية فى الحال.. فندق الفنانين).. سنترال بارك ساوث.. ڤريدى».

صاحت إيفلين - اليانور يجب علينا أن نقبل..

والتقطت سيجارة من حقيبة يدها وأخذت تتجول فى الغرفة وهى تدخن بشراهة وتقول.

- قد يبدو الأمر تهورا لكن دعينا نتصل بشركة «القرن العشرين» Twen- tieth Centnry بعد ظهر اليوم.

قالت اليانور بصوت مرتعش - نحن الآن تقريبا فى وقت الظهيرة.. وبدون أن تجيب مضت «إيفلين» إلى التليفون وأتصلت بمكتب «بولمان» للسفر.

فى نفس هذا المساء كانتا تجلسان فى مقصورتهما تتطلعان من خلال النافذة إلى عمال الصلب فى «إنديانا هاربر Indiana Harbor » والهياكل الخرسانية الضخمة تنفث دخانها الأصفر الكثيف الداكن والأفران المتوهجة لمصانع «جارى» Gary تختفى وراء ضباب الشتاء والدخان الملتف. لم تستطع أى واحدة أن تنطق بكلمة.

عين الكاميرا (١٩)

كانت زوجة القس «الميثودى» إمرأة طويلة نحيلة ترتل الترانيم القصيرة على البيانو بصوت ضعيف واه..كانت تسمع عنك إنك تحب الكتب وتربية الزهور والنباتات وتثير اهتمامك فقد كانت ذات مرة من أتباع الكنيسة الأسقفية البروتستانتية. وكانت تحب الأشياء الجميلة وكتبت قصصا كثيرة نشرتها إحدى المجلات.

كانت أصغر سنا من زوجها الصموت أسود الشعر الذى يشبه فمه مصيدة الفئران وتفوح ذقنه برائحة التبغ، وكانت ترتدى الثياب البيضاء الرقيقة وتضع العطور وتتحدث بصوت نابض كيف تبدو الأشياء جميلة كالزنابق والقمر يسطع خلف أشجار الصنوبر ويبدو كفقاعة على وشك الانفجار..

عندما مضينا عائدين على الشاطئ كان ينبغى أن تحيطها بذراعك وتقبلها.. لكنك لم تفعل.. لم تواتيك الشجاعة وأنت تسير متثاقلا على الرمال وأشواك الصنوبر تحت البدر المستدير الذى أنتفخ وأوشك على الإنفجار كقطرة كبيرة من الزئبق.

كانت تتحدث بحزن رهيب عن الأشياء التى تمنت أن تكون وكنت تشاركها الشعور بالتعاسة.

لقد أحببت الكتب.. چيبون[157] إنحدار وسقوط الامبراطورية الرومانية».. وروايات الكابتن «ماريات»[158].. كم كنت تود لو ترحل بعيدا.. إلى البحر وإلى المدن الأجنبية كاركسون[159].. مراكش.. أصفهان..

أحببت أن ترى الأشياء جميلة.. وددت أن تواتيك الشجاعة لتحتضن وتقبل «مارثا» الفتاة الملونة إبنة «إيما» العجوز التى يقولون أنها نصف هندية. و «مارى» الصغيرة الحلوة ذات الشعر الأحمر التى علمتها كيف تسبح..

لو أننى فقط كنت امتلك الشجاعة فى تلك الليالى الخامدة التى يكتمل فيها القمر.. ولكن.. آه يا إلهى.. ليست هناك زنابق.

جريدة سينمائية (١٤)
المدفعية توقف الأستراليين

كولونيل يقول أن «الديمقراطيين» قد أوقعوا الأمة فى محنة.. «هيرتا» يزمجر متحديا المعارضة لن أستقيل إلا بالموت ونصف المكسيك ستموت معى.. لم تشاهد ألسنة النيران لكن الذيل الممتد للسحابة السوداء التى اندفعت من فوهة البركان ارتفع نحو السماء حوالى «الميل» ثم سقط الرماد البركانى على سهول مكومبر على بعد ثلاثة عشرة ميلا.

الناس ليه زعلانة؟ مش لاقيه شغلانه[160].

فى «آلابامى» القديمة.

ع الطريق فوق الرصيف..

كان فيه «بابى» كان فيه «مامى»

ويا «إفرام» ويا «سامى»

جنيات القمر ترقص على مروج «رافينيا».

ويلسون سوف يأخذ بنصيحة رجال الأعمال..

يعترف بإلقائه القنبلة / شرطية تشترى الخمور / بعد خسارته للقمح / يذبح كلص

فى الليلة القمرية

كلهم صحبة هنية..

واقفة هناك مستنية..

بالآت «البانجو»(١٦١) والإنغام..

كلهم نازلين فى كلام..

يا سلام.. على الأغانى..

ياسلام.. على المعانى..

يدرك أن جيمس / فى عجلة / الرئيس قبض على المفرقعة ونزع الفتيل.. سيل من النقاط الذهبية اللزجة سقطت على الدرج.. حينئذ حملق المدير العام فى الورقة وقرأ.. «لا تأكل كثيرا من هذا لأن «ماما» تقول أنها ستصيبك بالمرض لو أكثرت».

يمتطى «ذئب البحر»(١٦٢) فى المياه المكسيكية

الكل قاعد يتمايل..

يهز وسطه ويتخايل.

الكل نازل دندنه..

جايه مركب الهنا

«روبرت.. إى.. لى»(١٦٣)

تشحن «القطن» لى..

«إيزادورا دنكان»(١٦٤) والسعادة الجديدة..

مشاغبون من .I.W.W (١٦٥) هاجموا احتفالا بعيد ميلاد «غار يبالدى» فى «روزبانك ستاتن آيلند» بعد ظهر هذا اليوم وأهانوا العلم الآيطالى واشتبكوا بالايدى والهراوات مع أعضاء جمعية السلاح الايطالية. وكادوا أن يلقوا بالعلم الامريكى فى التراب لو لم..

ست فتيات يسبحن عرايا ليشعر بالخزى الرجل البغيض

الغواصون الهنود يبحثون عن جثة صبى غريق بعض الشهود يقولون إنهم رأوا أمراة وسط الحشد.. ارتطمت بشخص.. الرجل الأشيب وقف خلف فستانها ليهيج.. إن السطوح العلوية والأماكن المنعزلة فى المركب هى جنة «المغرمين» حيث يأخذون راحتهم مع الفتيات الصغيرات المخدرات.. اللاتى يجب على الأمهات ألا تسمح لهن بالذهاب إلى

المراكب دون حماية.

الغرب الأوسط قد يؤيد أو يخذل ويلسون..
يتحدث عن أسباب عدم الاستقرار فى عالم العمال..

«أنا أدميرال سويسري في طريقي إلى امريكا» واستدعا له الشرطي تاكسي.

شوف كيف الرقص بالقدم الحافى..

شوف كيف اللحن والأغانى..

دول ببساطة جمع ظريف..

منتظر فوق الرصيف..

منتظر»..

روبرت

أى..

لى..

امبراطور «الكاريبى»

عندما مات ك. كيث الصغير خرجت كل الصحف تحمل صورته رجل بعينين لامعتين وأنف معقوف وعوينات كبيرة تخفى وراءها نظرة قلقة خلف العينين.

كان ك. كيث الصغير ابن رجل ثرى ولد فى عائلة مغرمة برائحة النقود.. كانوا يستطيعون التقاط تلك الرائحة حتى منتصف الكرة الأرضية.

كان عمه «هنرى ميجز» Henry Meiggs .. دون هنريك[١٦٦] الساحل الغربى، وكان لأبيه عمله الكبير فى تجارة الأخشاب والمضاربة على العقارات فى «بروكلين».

وكان «كيث» الشاب هو هذا الشبل من ذاك الأسد..

(فى عام ١٨٤٩) شد دون هنريك رجاله إلى «سان ڤرنسسكو» مدفوعاً بهوجة الذهب.. لم يذهب مستكشفا فى التلال.. لم يمت من العطش.. لم يسممه التراب القلوى فى وادى الموت.. إنما ذهب يبيع المؤن والمعدات للآخرين وظل فى سان ڤرنسسكو يلعب بالسياسة ويعقد الصفقات الكبيرة حتى غرق لآذانه. لم تنقذه غير سفينة إعتلاها على عجل ليهرب إلى الخارج.

إلقت به السفينة فى «شيلى».. هناك استطاع أن يلتقط رائحة النقود.. كان هو اليانكى الرأسمالى الذى أنشأ خط السكك الحديدية من «سانتياجو» حتى «ڤالباريسو»[١٦٧] Valparaiso.. وفى جزر (تشنشا)[١٦٨] حيث توجد رواسب السماد





عندما خرجت كل الصحف تحمل صورة «كيث الصغير» «رائد تجارة الفاكهة» ومنشأ الخطوط الحديدية.. لماذا كانت تبدو تلك النظرة القلقة فى عينيه يوم أن مات؟

عين الكامير (٢٠)

عندما بدأ عمال «الترام» إضرابا فى «لورنس» تعاطفا مع من كانوا بحق الجحيم مجرد شراذم من الإيطاليين. البوهيميين والغوغاء الذين لا يغسلون رقابهم ويأكلون الثوم ولا يكفون عن الشجار مع زوجاتهم الشحيمات وأطفالهم الملاعين.. أعلنوا أنهم فى حاجة إلى متطوعين شبان من ذلك الصنف الطيب النظيف.. ليؤدبوا العمال ويثبتوا لمحرضيهم الأجانب أن هذا البلد سيظل بلد الرجل الأبيض..

حسناً.. هذا الزميل عاش فى «ماثيوز». وكان يريد دائما أن يصبح محصل فى الترام.. لقد قالوا ان مستر «جروفر» كان يعمل محصل ترام فى «ألبانى» واستمتع بالشراب وصحبة «البغايا» علنا فى الشوارع.

حسناً.. هذا الزميل عاش فى «ماثيوز» ومضى بصحبة رفيق حجرته إلى «لورنس» وتطوع وسمع صياح الجماهير «خونة.. سفلة».. لكن هؤلاء الذين لم يكونوا إيطاليين.. خبثاء.. ارتاحوا كثيرا لما فعله هذا الزميل ورفيقه..

صعد الزميل إلى الرصيف.. أدار المقبض النحاسى اللامع ودق الجرس..

كان رفيقه أمام كبينة القيادة يحاول أن ينزع شيئا ما بين «الإكصدمات»..

ادار الزميل المقبض النحاسى اللامع وبدأت العربة تسير.. مر على رفيقه التى سُحقت رأسه بين «الإكصدامات».. هكذا تماما.. أرداه قتيلا.. وعليه الآن أن يعود ليخبر أهله.

ج وارد مورهاوس

حصل «وارد مورهاوس» فى «بيتسبرج» على عمل كمراسل صحفى فى «التايمز ديسباتش» وأنفق ستة شهور فى الكتابة عن حفلات الزواج الإيطالية والمؤتمرات المحلية والوفيات الغامضة وحوادث القتل والانتحار بين الليتوانيين والألبانيين والكروات والبولنديين والمشكلات التى يصادفها أصحاب المطاعم اليونانية فى استخراج أوراق الجنسية ومآدب الطعام التى تقيمها جمعية «أبناء ايطاليا» وعاش فى منزل كبير من القرميد الأحمر فى نهاية طريق «هاى لاند» تديره مسز «كوك» العجوز النزقة التى أتت

من «بلفاست» واضطرت إلى تأجير المنزل بعد وفاة زوجها الذى كان يعمل رئيسا للعمال فى مصنع من مصانع «هومستيد»[١٧٣] وسحقه «ونش» أفرغ فوقه حمولة من الحديد المصهور.

كانت تعد له الإفطار وغذاء أيام الأحد وتقف بجانبه وهو يتناول طعامه بمفرده فى غرفة الطعام الخانقة التى تزدحم بالمفروشات تحدثه عن أيام شبابها فى شمال أيرلندا وخيانة اتباع المذهب الكاثوليكى وفضائل مستر كوك الراحل.

كانت تلك الأيام أياما عصيبة «لمستر وارد» فلم يكن له أصدقاء فى «بيتسبرج» وكثيرا ما اصيب بنزلات البرد والتهابات الحلق طوال فترة الشتاء الباردة الكئيبة التى يكثر فيها الجليد.. لقد كره مكتب الصحيفة والمنحدرات الزلقة والسماء الملبدة بالغيوم والسلالم الخشبية المتهالكة التى يرتقيها كل يوم صاعدا هابطا ورائحة الفقر والكرنب والأطفال والغسيل فى المنازل التى أوشكت على السقوط.. وهو يبحث عن مسز «بيرتى» التى قتل زوجها فى شجار فى احدى حانات شارع «لوكست» أو عن «سام بيركوفتش» الذى انتخبوه رئيسا «لجمعية الغناء الأوكرانية» أو عن بعض النسوة التى لا تخلو أيديهم أبدا من رغاوى الصابون وهم يحدثونه عن أحد أطفالهم الذى اعتدى عليه رجل مصاب بالشذوذ الجنسى..

ولا يعود إلى المنزل أبدا قبل الثالثة أو الرابعة صباحا وعندما يأتى الوقت الذى يتناول فيه افطاره يكون النهار قد انتصف فلا يمكنه أن يفعل أى شئ غير أن يعود إلى المكتب يواصل عمله من جديد.

عندما أتى إلى «بتسبرج» فى أول الأمر إتصل بمستر «ماك چيل» الذى إلتقى به فى باريس بصحبة «چارڤيز اوبنهيمر» يطلب مقابلته لكن مستر «ماك چيل» بعد أن تذكره أخذ عنوانه وطلب منه أن يداوم على الاتصال به لأنه يأمل أن يجد له الفرصة المواتية للعمل فى مكتب إعلامى يجرى تنظيمه تحت إشراف «مجلس التجارة»[١٧٤] لكن الأسابيع مضت دون أن يتصل به مستر «ماك چيل» وتلقى رسالة جافة من «آنابيل مارى» تخبره فيها بالإجراءات القانونية للطلاق.. سوف ترفع دعوى للطلاق بسبب الهجر واستعمال القسوة وعدم الإعالة.. وكل ما عليه أن يفعله أن يرفض الذهاب إلى «ڤيلا دلفيا» عندما يتسلم أوراق الدعوى. أثارت رائحة العطر على الورقة الزرقاء فى نفسه رغبة غامضة حقوده للنساء.. لكنه يجب أن يحتفظ بنفسه نظيفا ويفكر فى عمله.

كانت عطلة نهاية الاسبوع أسوأ الأوقات بالنسبة له فغالبا ما يقضيها ممددا على

بلهجة عفوية - كم.. نحو مائة دولار فى الاسبوع؟

داعب مستر «ماك چيل» شاربه وقال مبتسما.

- حسنا.. سوف نقرر تلك الأمور فيما بعد..

ثم نهض وتابع كلامه - أنصحك بشدة أن تترك عملك الحالى.. سوف أتصل بمستر «بيتمان» فى هذا الشأن وسوف يفهم لماذا أخذناك منه..

لا نريد مشاعر عدائية بسبب استقالتك المفاجئة.. أتفهم؟ لا نريد أبداً مشاعر عدائية.. تعال لرؤيتى غدا فى العاشرة.. أنت تعرف مكتبى فى مبنى «فريك». قال «وارد»:

- أعتقد أن لدى بعض الأفكار القيمة بشأن الدعاية والإعلان.. إنه العمل الذى يستحوذ على اهتمامى.

لكن مستر «ماك چيل» لم يعد يعيره أنتباها.. إنحنى ومضى خارجا بينما خرج «وارد» ليجرى الحديث مع المحاضر وهو يخشى أن يترك العنان لنفسه ويطير فرحا.

كان اليوم التالى هو آخر أيام عمله بالصحيفة وقبل العمل الجديد مقابل خمسة وسبعين دولارا فى الاسبوع مع وعد بالزيادة بمجرد أن تثبت الأيام جدارته.

إنتقل إلى «شفلى» وأصبح له غرفة بحمام كما أصبح له مكتبه الخاص فى مبنى «ڤريك» حيث كان يجلس مع شاب يدعى «أوليفر تايلور» ابن أخت أحد المديرين فى الشركة. كان «أوليفر تايلور» لاعب تنس من الطراز الأول ويشترك فى كل النوادى ويسعده أن يترك «لمورهاوس» القيام بكل العمل.. وعندما اكتشف أن «مورهاوس» قد ذهب إلى الخارج ويجيد إرتداء الثياب التى صنعت فى انجلترا ضمه إلى عضوية «نادى سويكلى الريفى»[(١٧٧)] وبدأ يصطحبه معه للشراب بعد إنتهاء ساعات العمل.

شيئا فشيئا ابتدأ «مورهاوس» يتعرف على الناس بل وتوجه له الدعوات كشاب مرموق وأخذ يتلقى دروسا فى لعبة الجولف على يد مدرب فى «أليجنى» حيث كان يأمل ألا يذهب أحد ممن يعرفه إلى هناك وكلما أجاد لعبة ذهب إلى «سويكلى» ليلعبها..

بعد ظهر كل يوم أحد يذهب مع «اوليفر تايلور» إلى هناك.. راح «أوليفر» يشير إلى كل واحد من المديرين الكبار لمصانع الصلب وأصحاب المناجم وصناعة البترول وهم يستلقون فى راحة يوم الأحد.. ويخص كل منهم بتعليق بذئ يستجيب له «وارد» بضحكة مكتومة لكنه سرعان ما شعر بسخافة الموقف.

كان الوقت بعد ظهر يوم من أيام مايو التى سطعت فيها الشمس والنسيم يحمل

رائحة براعم الخرنوب من أراضى «أوهايو» الشاسعة الخصبة وعلى البعد تتردد الأصوات الحادة لضربات كرة الجولف يختلط بهفهفة الأثواب الفاخرة على المرج حول مبنى النادى مع الضحكات العصبية والأحاديث المتناثرة الزاعقة التى يتبادلها رجال الأعمال وهم يستنشقون النسيم الذى مازال يحتفظ بآثار باهتة من دخان الأفران، لقد كان صعباً أن يجعل الرجال الذين تَعَرّف عليهم يقتنعون بما يشعر به من الود.

لم يكن يشغله فيما خلا ذلك من الوقت غير العمل.. كانت لديه كاتبة آلة تدعى مس «روچرز» عانس لا تمتلك مسحة من الجمال لكنها عليمة بصناعة المعادن وخباياها فقد عملت خمسة عشر عاما فى مكاتب «بتسبرج».. أمدته بالكتب عن «الصناعة» كان ينهمك فى قراءتها بالفندق كل مساء.. وعندما كانت تنعقد اجتماعات المديرين كان يدهشهم بمعرفته الواسعة لكل عمليات ومنتجات التصنيع.. كان رأسه يمتلئ بالمثاقب والكلابات والمطارق والإطارات والفئوس والبلط والمفاتيح الانجليزية وفى بعض الأحيان عند خروجه لساعة الغذاء يتوقف عند محل لبيع الأدوات المعدنية بحجة شراء بعض «المسامير» ويأخذ فى النقاش مع البائع..

كما قرأ «فن مخاطبة الجماهير» ومختلف الكتب فى علم النفس..

كان يحاول أن يتخيل تاجرا للأدوات المعدنية أو مديرا لمؤسسة «هامتشر شليمر» Hammacher Schlemmer أو أى محل كبير لبيع تلك الأدوات ثم يأخذ فى التفكير العميق ما نوع مراجع المواصفات التى يقدمها المصنع له وتبدو أكثر قبولا. وبينما كان يحلق فى الصباح والماء يسيل أمامه تمر أمام ناظريه سلسلة طويلة متتابعة من حوامل الوقود والمنصبات والشباك الحديدية ذات القطبان ومعدات الأفران والمضخات والمفارم والمثاقب وفرجار قياس السُمك والمناجل والمسابك وأسلاك السحب. تمر الصور أمام وجهه فى المرآة وهو يفكر كيف يمكن أن يجعل تلك الأشياء مرغوبة عند تاجر التجزئة.

إنه يحلق بموس چيليت فلماذا يحلق بچيليت دون غيره من أصناف الأمواس..؟

إن «بسمر» إسم رنان يرتبط برائحة النقود ومصانع الصلب العملاقة والمديرين الكبار الذين لا يركبون غير «الليموزين».. هذا هو الشئ الهام.. أن يشعر مشترى الأداة المعدنية بأنه يتعامل مع قوة لها وزنها.. بأنه جزء من شئ عظيم متين الأركان.. «بسمر» كان هذا كل ما يشغل باله وهو ينتقى رباط عنقه.. «بسمر» الكلمة التى كان يرددها لنفسه وهو يتناول طعام الافطار حتى وهو يقفز فى الترام محاولا أن يشق طريقه بين الركاب الواقفين كان يتساءل لماذا يجب أن يكون «الخابور» الحديدى لمصانعنا أكثر جاذبية من غيره..





تلك البيوت الموثوق بها.. هكذا قال.. والتقى بفتاة بولندية جميلة سمراء لا يزيد عمرها عن الثامنة عشرة لم يتردد كثيرا على المكان.. كانت الزيارة الواحدة تكلفه خمسين دولارا فضلا عن الخوف والهلع أن تقع حملة من حملات البوليس أثناء وجوده أو يقع ضحية لعملية تشهير تجبره على دفع النقود.

قالت له «چيرترود» عصر يوم من أيام الأحد أن أمها قد بدأت توبخها لأنها تشاهد كثيرا معه. رغم أنه مازال زوجا لإمراة فى «فيلا دلفيا» لكن الحكم بالطلاق كان قد وصل صباح اليوم السابق وبدا «وارد» معتدل المزاج وهما يشاهدان حفلة من حفلات «الأرغن» فى معهد «كازنيچى» الذى اعتبراه مكانا طيبا للقاء فلا أحد يفكر فى الذهاب إلى هناك.. أخبرها بما حدث وطلب منها الزواج بينما بدأت الموسيقى تعزف.

– لو أتيت إلى «شنلى» سأريك وثيقة الطلاق..

لكنها هزت رأسها وأخذت تربت على يده التى استقرت على ساقها البضة فوق ركبتها.. خرجا فى منتصف الحفل لأن الموسيقى توتر أعصابها ووقفا فى الصالة يتحدثان فترة طويلة.. كانت تبدو عليها التعاسة والأعياء.. إنها فى وكر سئ.. أبوها وأمها لن يوافقان على زواجها من رجل لا يملك دخلا يوازى دخلها.. كم كانت تود أن تكون كاتبة آلة فقيرة أو فتاة من عاملات التليفون تستطيع أن تفعل ما تراه.. إنها تحبه كثيرا وسوف تحبه دائما ولا حل أمامها غير أن تفرط فى الشراب أو تلجأ للإنتحار أو أى شئ فالحياة هكذا أصبحت مستحيلة. ظل «وارد» باردا محتفظا بهدوئه ثم قال إنها فى الحقيقة لا توليه اهتماما وكان يخشى دائما أن تكون هذه هى النهاية.. ثم إنهما بعد ذلك سيكونان صديقين مخلصين.. اصطحبها فى عربة «الستوتز» التى لم يدفع ثمنها بعد حتى نهاية طريق «هاى لاند».. أراها المنزل الذى عاش فيه عندما أتى إلى «بتسبرج» أول مرة حدثها عن نيته فى الذهاب للغرب كى يبدأ عمله فى «الدعاية والاعلان» لحسابه وأخيرا تركها فى منزل أحدى الصديقات فى «هاى لاند بارك» كانت قد أتفقت مع سائقها أن يأتى لها هناك فى السادسة.

عاد إلى «شنلى» واحتسى قدحا من القهوة «السادة» طلبه فى غرفته.. شعر بالمرارة البالغة وهو يجلس ليعد بعض النشرات وأخذ يعصر بأسنانه طوال الوقت قائلا – فلتذهب تلك العاهرة إلى الجحيم.

لم يشغل نفسه كثيرا «بچيرترود» فيما تلا ذلك من الشهور فقد وقع «إضراب» فى «هومستيد» وقتل بعض المضربين برصاص حرس المناجم وشن بعض المحررين المتعاطفين

فى «نيويورك» و «شيكاغو» حملة ضارية فى الصحف يندون فيها بصناعة الصلب وأوضاع العبودية فى «بتسبرج» هكذا أطلقوا عليها.. والتقدميون فى الكونجرس أثاروا ضجة وطارت الشائعات بأن البعض ممن يريدون استغلال المسألة لأغراض سياسية يسعون إلى تشكيل لجنة تحقيق أمام الكونجرس.

إلتقى مستر «ماك جيل» «بوارد» على إنفراد فى شنلى ليتبادلا الرأى حول الموقف قال «وارد» أنه من المهم اتباع خط جديد فى الدعاية وإنه من وظيفة «الإعلام» أن يثقف العامة عن طريق خط دعائى يوضع بعناية على مدى سنوات..

أبدى مستر «ماك چيل» تفهما كبيرا وقال أنه سوف يتحدث فى «مؤتمرات المديرين» عن إمكانية تأسيس مكتب مشترك للإعلام وظيفته الدعاية عن الصناعة بمجملها.. قال «وارد» إنه يجب أن يكون على رأس ذلك المكتب لأنه يضيع وقته فى الدعاية لمنتجات «بسمر» التى تحولت إلى عمل روتينى يستطيع أى فرد القيام به ثم أخذ يتحدث عن نيته فى الذهاب إلى «شيكاغو» لكى يشرع فى عمل «وكالة للإعلان» على حسابه.. إبتسم مستر «ماك چيل» وداعب شاربه الأشيب ثم قال.

- لا تتسرع يافتى.. أبق هنا فترة أخرى وأعدك بشرفى إنك لن تندم على ذلك قال «وارد» إنه يود ذلك ولكن ها قد مضى عليه فى «بتسبرج» خمسة سنوات وأين هو مما أراد أن يحصل عليه؟

تم تأسيس «مكتب الإعلام» وتولى «وارد» العمل الرئيسى فيه بمرتب عشرة آلاف دولار فى السنة وبدأ يشترى بالمال الفائض لديه بعض الأسهم على حذر.. لكن فوقه عدة رؤساء يحصلون على مرتبات أعلى ولا يفعلن شيئا غير الوقوف فى طريقه.. كان هذا يمنحه الشعور بالقلق.. إن عليه أن يستقر ويتزوج وتكون له مؤسسة تعمل لحسابه - أجرى العديد من الاتصالات بمختلف فروع صناعة الحديد والصلب والصناعات البترولية وكان عليه أن يفكر فى الأمر مليا. لقد أقام المآدب فى «فورت بت» وفى «شنلى» وكلفه هذا الكثير لكنها سوف تؤتى ثمارها يوما.

ذات صباح وجد فى الصحف أن «هوراس ستابل» قد مات بالذبحة الصدرية فى اليوم السابق بينما كان يستقل المصعد فى مبنى «كارنيچى» وأن «چيرترود» وأمها تقيمان الحداد فى القصر الفخم فى «سويكلى» جلس فى الحال على المكتب رغم أن ذلك قد يؤخره بعض الشئ عن ميعاده وكتب «لچيرترود» رسالة عزاء..

«أعز العزيزات چيرترود»..

صاحب النُزل أن لديه غرفة تصلح لهما وأنه من الجنون على «المسيو» و «المدام» أن يذهبا خاصة أن الريح ستكون فى المواجهة على امتداد الطريق .. إنتابت «چيرترود» لحظة من الهلع وهى تقول إنها تفضل أن تقتل نفسها على البقاء .. ثم إنهارت فجأة بين ذراعى « وارد » وراحت تشهق بهستيرية : أريد البقاء .. أريد البقاء .. أنا أحبك أيضا .

أتصلوا تليفونيا ببيت « ستابل » قالت الممرضة الليلية إن مسز ستابل تنام بهدوء الأطفال بعد أن أخذت الحقنة المنومة .. أخبرتها « چيترود » أن عليها أن تخبر أمها عندما تستيقظ إنها قد قضت ليلتها مع صديقتها « چين إنجلش » وإنها ستعود إلى المنزل بمجرد أن تسمح لها العاصفة الثلجية بقيادة العربة على الطريق .. ثم اتصلت بعد ذلك « بچين إنجلش » وقالت إنها قد إنهارت من الحزن وقد استأجرت حجرة فى « فورت بت » لتنفرد بنفسها وإن عليها أن تخبر أمها لو أتصلت بها إنها تنام عندها ثم اتصلت بعد ذلك بفندق « فورت بت » وحجزت حجرة بإسمها .. وبعد أن انتهت من ذلك كله مضت معه إلى الفراش .

كان « وارد » متهللا يطفح بالسعادة .. أيقن الآن إنه يحبها كثيرا رغم أن تلك لم تكن على ما يبدو تجربتها الأولى .. كان أول مانطقت به .

– نحن لا نريد أن نجعل من هذا .. ليلة عرس إجبارى .. أتود ذلك ياحبيبى ؟

بعد ستة شهور كانا قد تزوجا .. تنازل «وارد» عن وظيفته فى مكتب «الإعلام» لقد نال – ضربة حظ – وقرر أن يمضى سنة فى أوروبا لقضاء «شهر» العسل ..

إتضح بعد ذلك أن ثروة «ستابل» قد تركت كلها تحت وصايا مسز «ستابل» وإن «چيرترود» سوف تحصل فقط على دخل سنوى قدره خمسة عشر ألفا حتى تموت أمها .. لكنهما أخذا يخططان للإلتقاء بالسيدة العجوز فى «كارلسباد» (١٨٠) وهما يأملان أن يتملقاها من أجل الحصول على بعض رأسمال مشروع «الدعاية الجديدة» .

أبحرا فى ثياب الزفاف على الباخرة «دويتش لاند» إلى «بليموث» .. كانت الرحلة جميلة هادئة ولم يُصب « وارد » بدوار البحر غير يوم واحد .

عين الكاميرا (٢١)

لم تمطر فى «أغسطس» هذا نقطة واحدة ونادرا ما أمطرت فى «يوليو» .. أصبحت مزرعة الخضار فى حالة يرثى لها وعلى امتداد الشق الشمالى «لفرچينا» كان يبدو أنه لا فائدة حتى من الحصول على «العلف» لأن الأوراق السفلى قد ذوت وتجعدت حوافها ..

فقط «الطماطم» أعطت محصولا.

عندما كانوا يستغنون عن «راتلر» Rattler فى المزرعة كان يمكنك أن تركبه (كان فرساً أسمر اللون ضاربا للحمرة مخصبا عمره ثلاث سنوات ويتعثر فى مشيته) لتتجول به خلال أشجار الصنوبر الطويلة البيضاء على الطرق الترابية التى تمتلئ بحريق الأعشاب المتسلقة، وخلال المستنقعات الجافة التى تشققت سطوحها فى خطوط متقاطعة مثل جلد التمساح.. مرورا بمنزل «مورس» حيث يبدو الذبول والتراب ولفحة الشمس على وجوه أطفاله. ثم حول ضفة النهر فيما وراء «هارمونى هول» Harmony Hall حيث تجد «سيدنر» الرجل الضخم الذى يبلغ طوله ستة أقدام وست بوصات بقدميه الحافيتين ووجهه المستطيل وأنفه الطويل الذى يحمل ثؤلولا كبيرا وهو يتجول مترنحا لا يدرى ماذا يفعل ليواجه الجفاف وزوجته المريضة التى تنتظر طفلا آخر.. وأطفاله المصابين بالسعال الديكى بالإضافة إلى متاعب معدته.

ثم تمر «بساندى بنت» مرة أخرى وتعبر أشجار الصنوبر الضخمة..

والآنسة «إميلى» تطل من خلف السياج وهى تقف بجانب شجيرة «اللاجر ستْرُمية» المزهرة (كانت الآنسة إميلى ترتدى البوك بونيت)(١٨٨) ودائما تحمل معها بعض الزهور وزوجا من «الفراريج» لبيعها وفى عروقها تجرى أنقى دماء «الجنوب».. «متغندرة» هكذا نتهجاها لكننا ندعوها «غندورة».. لو أن الأولاد فقط ليسوا على هذه الدرجة من الاهمال.. دائما يشربون ويحملون عبر ضفة النهر الويسكى المهرب من «ماريلاند» بدلا من أن يهتموا بالصيد.. يسكرون (طينة) ويعودون بشباك ممزقة أو ضائعة.. مس إميلى نفسها تحتسى رشفات بين الحين والحين لكنها دائما تنظر إلى الأشياء بوجه بشوش وهى تتطلع من خلف السياج ذى الاوتاد تقف بجانب أيكة الشجيرات المزهرة ليراها الناس الذين يمرون بالطريق.

ثم بعد ذلك تمر بضيعة «لينتش» حيث يعيش «بوى فرانكلين» العجوز (لم يكن على أية حال شخصا مهما ولا يساوى حتى «بوى فرانكلين» الديك الصغير المشاكس الذى يماثله فى مد رقبته الطويلة العجفاء.. مشيته الكسيحة لا تمكنه من العمل ولا يجد نقودا للشراب فلا يفعل شيئا غير اطعام دجاجاته التى لا قيمة لها وتبدو مثلما يبدو «بوى».. وأحيانا يتسكع عند الميناء وعندما تكون أحد المراكب موجودة أو بعض الصيادين الذين إلتوت رقابهم من اللهاث وهم يكدحون فى الخليج.. يمنحه أحدهم بعض الويسكى.. ينام عليه طول اليوم)حتى إذا ما بدأ «راتلر» يفرز عرقه الكريه لأنه يتغذى

بالحنطة فى مثل هذا الجو الحار وأخذت تتصاعد من السرج الرائحة النتنه وبدأ الذباب يطن حوله وحان وقت العشاء تعود متكاسلا إلى المنزل.. كارها تلك الأرض التالفة الملعونة وهذا الجفاف الذى خرب المزرعة والجنادب والذباب الذى يحوم حول صمغ الشجيرات وأشجار «البرسيمون» التى غطاها التراب وتحولت إلى أشباح على امتداد الطريق والشاطئ الذى يشبه المنجل وينتشر عليه «قراص البحر» الذى يلسعك كلما حاولت العوم والبراغيث، والأحاديث المتناثرة عما يحدث فى «لاهاى» و«وارسو» و «چيكاتون»، والتليفون فى «الكشك» الخشبى الذى يأخذ فى الرنين كلما رفعت زوجة أى «مُزارع» على الخط «المستقبل»(١٨٢) لتتحدث إلى زوجة «مزارع» آخر وعلى امتداد الخط لا تكف «المستقبلات» كلها عن الرنين فكلها تصب فى «مستقبل» يمكنه سماع ما يقال. والأرض فيما بين الأنهار قد فقدت خصوبتها بزراعة «الدخان» منذ أيام «والتر رالى كابتن سميث»(١٨٣) المبكرة وقصته مع «بوكاهونتا» لكنها كيف كانت قبل أن تستهلك الحرب الرجال والنساء؟!.

أمتطيت «راتلر» الفرس المخصى الذى يبلغ من العمر ثلاث سنوات الذى يتعثر كثيرا.. وكرهت الأرض التى حرقتها الشمس «والطفلة» التى يجلبها المحراث من تحت التربة وأشجار الصنوبر التى تئن والسوائل الصمغية الى لا فائدة منها وأحراش «البرسيمون» ونباتات العليق.

لم يكن هناك غير الخليج الذى يبدو متلألئا وراء الأفق والريح الشمالية التى تهب بالنسمات المنعشة عصر كل يوم وأشرعة المراكب البيضاء.

كان هذا فقط ما يمكن أن تحبه.

جريدة سينمائية (١٥)

يسود الظلام حين يلهو الأسياد «بالوطن.. الوطن المحبوب»..

تقول إمرأة إن الأجور المنخفضة هى سبب القلاقل..

هناك «فتاة» فى قلب «ماريلاند»

وقلبها يتعلق بى...

يريد حربا عظمى أو لا حرب

«المانيكان» التى تعد سمة من سمات عروض «باريس» تفوقت على نفسها فى الترويج للبدع.. لقد أرتدت ثوبا يدعو للدهشة وسارت به برباطة جأش تامة.. والتقلب هو شعارها.

تجمهر حشد من الناس المتحمسين حول ثلاثة من ضباط الصف الألمان مروا بالقرب منهم وأصروا على مصافحتهم.

فتاة إشتعلت فيها النيران وماتت عندما خطت على فتبل لإشعال البارود.

صارت «ميرلاند»

أرض الأحلام..

عندما قالت.. ستكون لى..

الدانوب[١٨٤] «طلق الإشارة للصراع الوشيك

إننى ضد عقوبة الإعدام ومعى كل النساء العاقلات.. إننى أكره مجرد التفكير فى أن أى امرأة يمكن أن تشاهد «الشنق».. إنه شئ فظيع أن ترتكب الدولة جريمة قتل.

القيصر[١٨٥] يفقد صبره حيال النمسا

الهرج والمرج أثناء اخلاء «كارلسباد».. إختفاء «ماچور» يكشف عن سلسلة طويلة من حوادث الاغتيال.. «ديكوليتيه»[١٨٦] فى وضح النهار.. ثياب تماثل الملابس الداخلية التى لا يمكن مقارنتها بثياب الحمام.. ما الذى سيرتدونه بعد ذلك؟.. باريس تصرخ.. فرقة أولاد بصحبة «بروفيسور» فى جولة بالغابات تقيم مخيما.. بلغراد تسقط..

الحرب الشاملة تقترب

سفاح يذبح النائب (چوريس Jaures)

يعيش ساعتين قبل موته..

لقد فقدت صديقا وحبيبا عندما فقد «چاروس» Garros حياته لكنى أتوقع أن أفقد المزيد من الأصدقاء فى المهنة قبل أن تنتهى هذه الحرب.

الشاحنات المفقودة تصل لندن..

إن بعض التقاليد والمتواضعات من نوع أو آخر قد تنتهك لا محالة أثناء وقت الفراغ أو أجازة أيام الصيف وبسبب الكسل والاسترخاء الذى يسود الآن فإن الكثير من الشباب الذين ينتظرون «أيام العمل» بعد أثنين أو حتى ثلاثة فصول يتمتعون ببهجة الـ...

بلاك بوب مات أيضا..

تم إستيراد كميات كبيرة من تبغ فرچينيا من قبل إنجلترا خصيصا لاستعمال الجيوش البريطانية فى القارة.

هناك فتاة فى قلب «ماريلاند»

وقلبها يتعلق بى..

أمير السلام

أندرو كارنيچى
ولد فى «دون ڤرملين» بأسكتلندا..
أتى إلى الولايات المتحدة على ظهر سفينة مهاجرين..
عمل فى مصنع نسيج.. صبى على «مكوك»..
أشعل «الغلايات»..
توظف فى مصنع «بكرات» مقابل ٢,٥٠ دولار فى الاسبوع..
طاف «ڤيلادلفيا» بالبرقيات كساعى فى «الويسترن يونيون».
تعلم طريقة «مورس» وعمل على التليغراف فى خطوط «بنسى» «بنسلفانيا» وكان مراسلا حربيا على التليغراف أثناء الحرب الأهلية..
ودائما يدخر نقوده..
وكلما حصل على دولار حاول أن يستثمره..
بدأ أندرو كارنيچى بشراء أسهم شركتى «آدامز اكسبريس» و «بولمان» عندما كانت قيمتها فى الحضيض..
وكان يضع ثقته فى «السكك الحديدية».
وكان يضع ثقته فى «شركات الإتصالات» [البرق والهاتف].
وكان يضع ثقته فى «وسائل النقل».
وآمن بالحديد..
آمن اندروكارنيچى بالحديد.. بنى الجسور ومحولات «بسمر» والأفران العالية ومصانع القاطرات.
آمن أندرو كارنيچى بالبترول..
آمن أندرو كارنيچى بالفولاذ..
ودائما يدخر نقوده..
وكلما توفر له مليون دولار حاول استثماره..
أصبح أندرو كارنيچى أغنى رجل فى العالم ثم مات..
بسمر.. دكون.. رانكين.. بتسبرج.. بيت لحم.. جارى(١٨٧).
أعطى أندرو كارنيچى ملايينا من أجل السلام..
والمكتبات والمعاهد العلمية والمواهب والاقتصاد..

كلما جمع «بليونا» منحه لأحد المعاهد كي ينشر السلام فى العالم دائما..
إلا فى زمن الحرب.

عين الكامير (٢٢)

طوال الاسبوع كان الضباب يلف البحر ومنحدرات الشاطئ الصخرية وعند الظهيرة كان يوجد بالكاد من حرارة الشمس التى تتسلل من خلال الضباب ما يكفى لتجفيف السمك المملح على صفائح التجفيف.. صفائح رمادية.. بحر أخضر.. بيوت داكنة.. ضباب أبيض.. عند الظهيرة كان هناك بالكاد ما يكفى من أشعة الشمس لانضاج التفاح المحمص والكمثرى البرية.. وفى الأرض الموحلة ما يكفى ليبعث الدفأ فى «الشمعية»[١٨٨] والسرخس الحلو. وفى أوقات تناول الطعام فى «النزل» كان الجميع يلتفون حول «الراديو» فى انتظار المذيعين، والمذيعون بالكاد يستطيعون التهام طعامهم.. نعم.. إنها الحرب..

هل سندخل الحرب؟ هل «بريطانيا» ستدخل الحرب؟

«طبقا لنصوص معاهدة الـ.. تسلم السفير أوراق سفره»..

كل صباح يخرجون السمك المملح على الصفائح.. ينشرونه فى بصيص الضوء الذى يتسلل خلال الضباب..

من بعيد يأتى صفير وصوت ارتطام الأمواج بالصخور على امتداد الشاطئ الذى انتشرت عليه الأعشاب المائية مع صراخ طيور النورس وقعقعة الأطباق بالداخل إعلان التعبئة.. معركة كبيرة فى بحر الشمال.. الأسطول الألمانى حطم الاسطول البريطانى حطم قطع الاسطول الالمانى خارج كيب ريس[١٨٩] أهل «نيوفوند لاند»[١٩٠] المؤيدين للقوات المسلحة.. إغلاق الميناء فى مينائى «سانت چونر وأو باسك»[١٩١].

وكل مساء يجمعون السمك المملح من الصفائح.. قعقعة الأطباق داخل «النُزل» الجميع ينتظرون «مذيع الراديو».

مع إرتطام الأمواج بركام الصخور على الشاطئ وصياح طيور النورس التى لا تكف عن الحومان والانقضاض.. بيضاء فى الضباب الأبيض وصفير باخرة يأتى من بعيد وكل صباح ينشرون السمك المملح على الصفائح.

ج. وارد مورهاوس

عندما عاد «وارد» من شهر العسل الثانى كان قد بلغ الثانية والثلاثين من العمر

لكنه يبدو أكبر من ذلك.. حصل على «رأس المال» والصداقات وبدأ يشعر أن فرصته الكبرى قد حانت، وبوادر الحرب فى «يوليو» هى التى دفعته لقطع رحلته..

كان قد التقط فى «لندن» شابا يدعى «إدجار روبنز» أرسل إلى اوروبا كمراسل للأنترناشيونال نيوز» مغرما بالشراب ومولعا بالنساء لكن «وارد» و «چيرترود» كانا يصطحبانه فى كل مكان ويتبادلان الثقة معه وهما يهدفان إلى تقويمه..

ذات يوم.. أنتحى روبنز بوارد جانبا ليخبره أنه قدَ أصيب «بالزهرى» وأنه ينوى من الآن أن يلتزم جادة الصواب.. فكر «وارد» قليلا ثم عرض عليه العمل فى مكتب «نيويورك» الذى اعتزم أن يفتتحه بمجرد عودته للوطن، وأخبرا «چيرترود» إنه يعانى من اضطراب فى الكبد وراحت توبخه كالأطفال عندما تراه يحتسى الشراب.. وفى باخرة العودة إلى امريكا كان قد صار مخلصا لهما تماما.

لم يعد «وارد» يكتب أى «نشرات» بعد ذلك.. وجه كل همه لتنظيم العمل بعد أن تم إقناع مسز ستابل العجوز برصد خمسين ألف دولار لخدمة المؤسسة أستأجر مكتبا فى ١٠٠ الشارع الخامس.. زوده بزهريات من الخزف الصينى وطفايات السجائر المذهبة من صنع «فانتين» وفرش حجرة مكتبة ببساط من جلد النمر.. أبتدأ يقدم الشاى على الطريقة الانجليزية عصر كل يوم ووضع إسمه فى دليل التليفون. چ. وارد مورهاوس.. مستشار العلاقات العامة وبعد أن ترك لـ «روبنز» مهمة إعداد المطبوعات للنشر.. توجه فى رحلة إلى بيتسبرج وشيكاغو وبيتلحم وفيلادلفيا لكى يعيد توثيق العلاقات.. إلتقى فى فيلادلفيا وهو فى طريق عودته إلى بهو فندق «بلفيو ستراتفورد "Bellevue Stratford" بآنابيل مارى.. حيته بمودة وهى تقول إنها قد سمعت عنه وعن عمله فى «الدعاية».. تناولا الغذاء معا وهما يتحدثان عن الأيام التى مضت.. ظلت تردد القول «إكيد إنك قد تحسنت».. كان «وارد» يشعر من خلال حديثها إنها قد ندمت قليلا على الطلاق لكنه لم يستطع أن يقول لها نفس الاحساس.. كانت غضون وجهها قد زادت ولهجة حديثها قد تفككت.. لم تكن تنهى جملة واحدة.. تحول صوتها إلى ما يشبه صراخ الببغاء وقد لطخت وجهها بالمساحيق وبدت فى صورة فاضحة.. أخذ يفكر عما إذا كانت قد بدأت تناول المخدرات.. لم يكن يشغلها طول الوقت غير قضية طلاقها من «بيل» الذى تحول كما قالت إلى ممارسة الشذوذ الجنسى معها.. قال «وارد» بلهجة جافة أنه قد تزوج مرة أخرى وأنه سعيد جدا فأجابته - ومن ذا الذى يستطيع بجانب ثروة ستابل أن يتخلى عنها..

أثارته اللهجة المسيطرة التى مازالت تختفى وراء حديثها.. نهض بعد الغذاء مباشرة قائلا أن لديه عملا يجب أن يتمه.. نظرت آنابيل إليه بعيون نصف مغمضة ورأسها ينحدر على كتفها قائلة - أتمنى لك حظا سعيدا..

ثم مضت لتأخذ المصعد وهى تضحك ضحكة مجلجلة.

فى اليوم التالى سافر من بنسلفانيا إلى شيكاغو فى مقصورة خاصة.. اصطحب معه مس «روزنتال» سكرتيرته و «مورتون» خادمه الإنجليزى.. تناول طعامه فى المقصورة مع مس «روزنتال» شاحبة الوجه التى ينقصها الجمال لكنها تجيد عملها وتكرس كل وقتها له وكانت تعمل معه فى بتسبرج فى شركة «منتجات بسمر» عندما رفعت فناجين القهوة وصب مورتون «البراندى الذى أخذت مس روزنتال تتجرعه بعناء قائلة أنه يدير رأسها.. بدأ «وارد» يملى عليها ما تكتبه..

كان القطار يهدر ويهتز.. وبين الحين والآخر يمتلئ الجو برائحة غازات الفحم الساخنة التى تنفثها القاطرة ورائحة الشحم المحترقة والأبخرة الزرقاء والرمادية التى تنتشر فوق جبال الآبلاش الداكنة وكان عليه أن يرفع صوته وسط هدير القطار.. إهتزت نبرات صوته لكنه نسى كل شئ خلال كلماته.. الصناعة الأمريكية مثل القاطرة البخارية.. مثل قاطرة جبارة تقود قطارا سريعا ضخما وهى تفرز خلال الظلام الوسائل الفردية العتيقة(١٩٢).. ما الذى تحتاجه تلك القاطرة؟ التعاون... تعاون عقل المخترع.. العقل الفعال الذى جعل تطور تلك المنتجات العظيمة أمرا ممكنا... تعاون «الرأسمال» الطاقة الكامنة للأمة فى صورة «أرصدة أئتمانية» توجه بذكاء... الطبقة العاملة.. العامل الأمريكى القانع المرفه التى ستعود عليه منافع «رأس المال» اللامحدودة التى لم يسبق لها مثيل عندما يتجمع فى شركات مساهمة ضخمة».. ستعطيه وجبة الطعام الكاملة ووسائل النقل الرخيصة والتأمين وساعات العمل القصيرة.. كمقياس للراحة والرفاهية لم يسبقنا إليه أحد ولن يسبقنا أحد منذ التاريخ المكتوب «لعصر التملك التراچيدى» وفى أى مكان مسكون على سطح الكرة الأرضية.. إضطر أن يتوقف عن الاملاء بعد أن شعر بإحتباس صوته.. صرف مس روزنتال لتنام ومضى أيضا إلى الفراش لكنه لم يستطيع النوم.. كانت الكلمات والأفكار والخطط وحسابات البورصة تدور فى رأسه كشريط «تليغرافى» لا تنتهى فيه الدقات.

عصر اليوم التالى فى «لاسال La Salle»(١٩٣) تلقى مكالمة من القاضى «بوبيى ك.. بلانت».. جلس «وارد» ينتظر حضوره وهو يتطلع إلى سماء بحيرة «ميتشجان»

الزرقاء الباهتة وبين يده بطاقة صغيرة كتبت عليها البيانات.

«بلانيت.. بوبيى ك. قاض ولاية تينسى[١٩٤].. زوج «الزى ويلسون وينفر» استثمارات صغيرة فى النحاس والرصاص... ناب أزرق؟[١٩٥] مستكشف فاشل عن البترول.... عضو شركة قانونية غير هامة.. «بلانيت وويلسون.. سبربخفيلد.. الينوى».

صاح قائلا عندما تلقى دقة على الباب - حسنا.. مس روزنتال.. ثم دلف إلى حجرة أخرى ببطاقة البيانات.

فتح «مورتول» الباب ليدخل رجل مستدير الوجه يرتدى قبعة من اللباد الأسود ويضع السيجار فى فمه..

قال «وارد» وهو ينهض على قدميه مادا ذراعيه.

- أهلا بالقاضى.. كيف الأحوال.. هل تفضلت بالجلوس؟

تقدم القاضى «بلانت» ببطء عبر الحجرة وهو يظلع فى مشيته كما لو كانت قدماه تؤلمانه.. وصافح اليد الممدودة ثم جلس فى مواجهة الضوء الساطع الذى يأتى عبر النوافذ الواسعة خلف مكتب «مورهاوس»..

تقدم «مورتون» بحرص حاملا صينية تتلألأ بطقم الشاى الفضى متسائلا.

- أتود كوبا من الشاى ياسيدى..

بدا القاضى مندهشا لدرجة إن رماد السيجار الذى ثبته فى فمه ليبدو وقورا تساقط على ردائه المنتفخ لكنه ظل محتفظا بوجهه المستدير البشوش.. كان يشى بوجه رجل وضيع أزيلت منه بعناية كل علامات الخسة..

أخذ القاضى يرشف من فنجان الشاى الدافئ الذى أضيف إليه اللبن..

بينما صاح «وارد» وفنجان الشاى أمامه باردا لم يمس:

- إنه ينعش الذهن أيها القاضى.. إنه ينعش الذهن..

نفث القاضى «بلانت» دخان سيجاره بهدوء ثم قال:

- حسنا يا سيدى.. إننى سعيد برؤيتك..

فى تلك اللحظة أعلن «مورتون» قدوم «مستر بارو» ودخل رجل نحيل أعجف يحمل عيونا جاحظة وتفاحة آدم بارزة فوق رباط عنقه المبروم.. تبدو العصبية على تصرفاته ويدخن بشراهة.. بدا كما لو كان قد صبغ بأكمله بالنيكوتين.. وجهه.. أصابعه.. أسنانه كلها صفراء.. وعلى مكتب «وارد» كانت هناك بطاقة أخرى صغيرة

عليها البيانات «بارو ج. هـ. روابط عمالية.. ذات مرة سكرتير نقابة مهندسى

القاطرات.. لا يمكن الوثوق به».

نهض وهو يقلب البطاقة على وجهها مصافحا مستر «بارو» واجلسه فى مواجهة الضوء وبعد أن عرض عليه فنجان الشاى ابتدأ يتكلم..

انبعث صوته بطيئا حذرا كما لو كان يملى كلماته:

«رأس المال والعمل.. كما لاحظتم أيها السادة خلال أعمالكم المتنوعة.. القَيِّمَة.. رأس المال والعمل.. هاتان هما القوتان الكبيرتان فى حياة أمتنا.. ولا يمكن أن يوجد أحدهما بدون الآخر.. إنهما ينموان وكل منهما متباعدين عن الآخر على الدوام.. أى نظرة خاطفة على الصحف يمكن أن توضح لما هذه الحقيقة.. حسنا.. لقد بدا لى أن أحد أسباب تلك الحالة المشئومة التى وصلت إليها الأمور يكمن فى عدم وجود أى هيئة خاصة تقوم بتوضيح الموقف للناس.. عدم وجود «المعلومات» التى تبث بعناية فى أماكنها الصحيحة هو السبب فى معظم مشاكل سوء الفهم فى هذا العالم.. إن القادة الكبار لرأس المال الامريكى كما تعلم «مستر بارو» من المؤمنين إيمانا جازما.. بالعدالة والديمقراطية.. هم يودون أن يعطوا العامل نصيبه من عائد الصناعة لو أنهم فقط عرفوا الطريق لفعل ذلك.. مع إنصاف الناس والمستثمرين فبعد كل شئ إن الناس هم المستثمرون الذين يجب أن نخدمهم.

قال مستر «بارو» - أحيانا.. ولكن بصعوبة..

- ربما تودون أيها السادة بعض الويسكى والصودا.

قال القاضى «بلانيت» - والله لا أمانع..

وقف «مورتون» بينهم بشعره الأملس المصقول يحمل الصينية التى أصطفت عليها الأوانى والكئوس الطويلة التى وضع بها الثلج وبعض زجاجات «أبولينارس Apollinaris» المفتوحة ثم إنسحب خارجا بهدوء تاركا أياهم مع قعقعة الكئوس.

كانت السماء فى الخارج على وشك التوهج بحمرة الغسق وصار هواء الحجرة منعشا والشراب أضفى المزيد من المرح على الأشياء وأخذ القاضى يلوك مؤخرة سيجار جديد قائلا.

- مستر «مورهاوس» دعنى الآن أرى أن كنت أجدت فهمك.. إنك ترى أنه بالعلاقات مع أجهزة الدعاية والشركات الكبيرة تريد أن تقتحم مجالا جديدا على هيئة «وكالة» تسعى لحل المشاكل العمالية بطريقة ودية وسلمية.. فقط كيف يمكن أن تضمن هذا ؟

قال ج . هـ. بارو وهو ينحنى للامام على ذراع الكرسى.

- أنا متأكد أن النقابات المنظمة سوف تتعاون مع أمثال هذه الحركة.. فقط.. لو تأكدت.. حسنا.. إنها..

أكمل القاضى ضاحكا - إنها لن تتحول إلى ثور مغمض العينين..

- تماما.

- حسنا إيها السادة.. سوف أضع أوراقى مكشوفة على المائدة.. إن الشعار الكبير الذى سأقيم عليه العمل هو.. التعاون.

قال القاضى وهو يضحك مرة أخرى ويضرب ركبته.

- أنا بالتأكيد أتفق معك.. ولكن المعضلة العويصة هى كيف يمكنك الوصول لهذا الوضع السعيد.

- حسنا.. إن الخطوة الأولى هى تأسيس «الروابط».. حسنا.. فى تلك اللحظة وأمام أعيننا ألم نشهد تأسيس رابطة صداقة..

قال ج. هـ بارو وهو يضحك ضحكة مهتزة.

- ينبغى أن أصرح بأنى لم اتوقع أبدا أن أشرب نخباً مع عضو فى شركة «بلانيت وويلسون».

ضرب القاضى ساقه السمينة وصاح.

- تعنى بسبب مشكلة «كلورادو».. لا داعى فأنا لن اكلك.. ولكن مستر «مورهاوس» يخيل لى أن هذا ليس هو الوقت المناسب لتنفيذ مشروعك الصغير..

تنحنح ج. هـ. بارو وبدأ يشرع فى الحديث..

- هذه الحرب فى أوروبا..

لكن «وارد» قاطعه قائلا.

- إنها فرصة «امريكا» العظمى.. أنت تعرف المثل القائل.. عندما يتشاجر اللصوص.. إنه فقط فى الوقت الراهن استطيع القول إننا نمر بلحظات من اليأس والشك.. لكنه حالما تتمكن المشروعات الامريكية من الشفاء من الصدمة الأولى وتنهض لتتماسك معا.. حسنا لماذا أيها السادة أتيت من أوروبا.. لقد أبحرت أنا وزوجتى فى اليوم الذى أعلنت فيه «بريطانيا العظمى» الحرب.. استطيع القول لقد وقعت فى مأزق والذى استطيع أن أؤكده بثقة ما إنه مهما كان الفائز فإن اوروبا ستخرج محطمة اقتصاديا.. هذه الحرب هى الفرصة الكبرى لامريكا.. إنها الحقيقة الوحيدة الساطعة من وراء «حيادنا»..

قال ج . هـ . بارو - لا أستطيع أن أرى أحدا سيستفيد غير صانعى السلاح تحدث « وارد » فترة طويلة ثم نظر فى ساعته التى وضعت على المكتب أمامه ونهض قائلا .

- أرجو المعذرة أيها السادة فلم يعد من الوقت ما يكفى لتغيير ملابسى وتناول العشاء . وقف « مورتون » جاهزا بجانب المكتب ومعه القبعات بينما بدأ الظلام يسود الحجرة .. صاح « وارد » .

- مورتون .. النور من فضلك .

عندما صاروا خارجا قال القاضى « بلانيت » .

- مستر « مورهاوس » إنها مناقشة ممتعة للغاية لكننى أخشى أن تكون خططك مثالية بعض الشئ .

وقال ج. هـ. بارو - من النادر أن استمع إلى رجل أعمال يتحدث بهذا الفهم والتعاطف عن الموقف العمالى .

أجاب « وارد » وهو ينحنى مودعاً .

- أننى فقط أتحدث بمشاعر « عملائى » .

فى اليوم التالى تحدث فى مأدبة بنادى « الروتارى » (١٩٦) عن « الأزمة العمالية .. المشكلة والحل » جلس على المائدة الطويلة فى قاعة الفندق الفخم التى امتلأت برائحة السجائر والطعام .. والجرسونات المهرولين .. أخذ يفرد بالشوكة الطعام الموضوع أمامه فى الطبق وهو يحاول أن يجيب على سؤال يوجه إليه ويتبادل بعض « النكات » مع القاضى « بلايت » الذى جلس على الطرف المقابل لكن همه الأول ينصب على تكوين بعض العبارات داخل رأسه من ضباب الكلمات .. أخيراً جاء الوقت لينهض على قدميه ويتحدث وقف عند نهاية المائدة الطويلة وهو يمسك السيجارة بيده .. نظر إلى صفين من الوجوه السمينة التى اكتنزت لغدها واستدارت ترمقه .

- عندما كنت صبيا فى « ديلاوير » ..

توقف .. كانت قعقعة الأطباق الهائلة تأتى من خلفه من خلال الباب الهزاز .. الذى يهرول منه الخدم وهم يحملون صوانى الطعام .. ذهب رجل إلى الباب يأمرهم بالهدوء وعاد بخفة . كان صوت حذائه يكاد يسمع على الأرضية « الباركية » إنحنى الرجال على المائدة يتطلعون للأمام .. وبدأ « وارد » مرة أخرى .. وجد نفسه ينطلق فى الحديث ومن الصعب أن يعى تماما ما يقول .. لكنه استطاع أن يبعث المرح .. انطلقت الضحكات وزال توتر الأعصاب ..

«المشروعات الامريكية متهاونة فى فهم الأهمية البالغة لامكانيات «الدعاية» الحديثة.. إن تعليم الناس.. الموظفين ومن يوظفونهم.. والكل فى خدمة الشعب.. التعاون.. ملكية الأسهم التى تمنح «الشغيل» اهتماما بالعمل.. تفادى الأخطار المحزنة للاشتراكية والديماجوجية وما هو أسوأ.. فى مثل هذه الظروف يمكن أن يخطو «مستشار العلاقات العامة» خطو الرجال بثقة وهدوء ليقول «انظروا أيها الرجال دعنا نتناقش وجها لوجه... لكن مهمته الأساسية هى فى زمن السلم الصناعى.. فعندما يتشاجر رجل مع آخر وعلى وشك أن يضربه.. لا وقت للعظات.. إن الوقت قد حان لحملة توعية.. حرب الكلمات الصليبية التى سوف تصل إلى كل هذا الحشد الذى يلتف حول صرح الصناعة الامريكية الشامخ.. إن الوقت قد حان.. الآن.. اليوم..»».

إنطلقت موجة من التصفيق الحاد المتواصل.. عاد ليجلس متطلعا إلى وجه القاضى «بارتيت» والابتسامة فى عيونه الزرقاء.. كان وجه القاضى يبدو عليه الاقتناع.

جريدة سينمائية (١٦)

المتسابق «الفيلادلفى» أكمل الدورة الثالثة عشرة ولم يبق له غير ميلين من الرابعة عشرة ويعتقد أن سرعته تتراوح بين المائة والمائة عشرة ميل فى الساعة.. تأرجحت العربة بغتة ثم جنحت إلى اليسار وارتطمت بتل منخفض وقفزت وعندما حطت على الأرض بعجلاتها الأربع استقرت فوق جسر مرتفع وواصلت إندفاعها الذى خرج عن السيطرة.. حاول «ويشارت» أن يبعدها عن الجسر ليستعيد الطريق لكن السرعة لم تسمح له بالاستدارة المطلوبة وانحرفت السيارة إلى مزرعة تقع على جانب الطريق.. أفلت من أحدى الأشجار لكنه ارتطم بأخرى مقابلة ونتج عن الصدمة تهتك الساقين حيث انحشرت بين عجلة القيادة وتمزقت عن البدن.

أريد أن أذهب..

إلى المكسيك..

تحت الراية الأمريكية.

أحارب الأعداء..

فرقعة كاميرا تنهى الحياة..

الكراسى والموائد الصغيرة الزاهية تصطف مهجورة على الرصيف لأنه يوجد قليل من الناس يشعرون بدرجة من البهجة والغنى تدفعهم لاحتساء بعض الشراب.

«سمكرى» له مائة قصة حب
يحضر النسانيس إلى البيت

فقدان بعثة تبشيرية / تحديد الفاقد فى محصول الولايات المتحدة تقرير دع الطفل يمش عاريا إذا اردت أن يحتفظ بصحته.. إذا أردت حل اللغز فتش عن المرأة.. قال قائد الدورية إى. ب.. جارفنكل إن الأحداث التى قادت إلى الحرب الحالية يعود أصلها إلى الثورة الفرنسية.

جامعة تطرد «رجل مباحث»..

لقد ظهر أنهم يترنحون مثل سكارى ضربوا فجأة على أنوفهم وبعد ذلك هرعوا نحونا وهم يصيحون بلهجة غريبة لم نستطع فهمها.

ونسوان عصر الحريم..

فى «بغداد» الشرق من الزمن القديم..

يعرفوا بالتمام..

يدوبوا أهل الغرام

عين الكاميرا (٢٣)

كانت صديقة أمى هذه.. امرأة جميلة جدا بشعر أشقر جميل ولها ابنتان جميلتان.. تزوجت الشقراء منهم برجل يبحث عن البترول.. أصلع مثل راحة يدك.. وذهبت لتعيش فى سومطرة أما السوداء فتزوجت رجلا من بوجوتا وقطعت رحلة طويلة فى زورق صنعوه من شجرة مجوفة فى نهر المجدلينا[١٩٧] وسط السكان من الهنود.. ناموا فى «الهاموك»[١٩٨] وأصيبوا بتلك الأمراض الفظيعة وعندما حملت المرأة بطفل كان الزوج هو الذى ذهب إلى الفراش واستعملوا السهام المسمومة ولو أنك أصبت بجرح فى تلك البلاد فإنه لا يلتئم بل يتقيح ويكبر.. إنساب القارب فى المياه الحارة المشبعة بالبخار.. كانت المياه تمتلئ بالأسماك المتوحشة ولو كنت مصابا بخدش أو جرح ينزف فإنها تنجذب إلى رائحة الدم وأحيانا تمزق الناس إلى أشلاء مبعثرة..

مضت ثمانية أسابيع فى نهر المجدلينا فى الزورق المصنوع من شجرة مجوفة حتى وصلوا إلى «بوجوتا».

عاد المسكين «چوناس فينمور» إلى المنزل من بوجوتا مريضا جدا.. قالوا أنه مصاب بداء الفيل[١٩٩].. كان رفيقا طيبا أخذ يقص الحكايات عن الأدغال الكثيفة

والعواصف الرعدية والتماسيح والأمراض الفظيعة والأسماك المتوحشة وشرب كل الويسكى فى الخوان وعندما ذهب للسباحة كنت تستطيع أن ترى البقع البنية السمكية على ساقيه مثل القشرة على التفاحة.. كان يحب احتساء الويسكى وهو يتحدث عن «كولومبيا» كيف أصبحت واحدة من أغنى بلاد العالم.. عن البترول وبعض الاحتطاب لمجرد التعمية.. وفراشات المناطق الحارة.

لكن الرحلة عبر نهر المجدلينا كانت طويلة جدا وحارة جدا وخطرة جداً.. لأنه قد مات..

قالوا من الويسكى ومن داء الفيل..

ونهر المجدلينا..

اليانور ستودارد

عندما وصلتا نيويورك لأول مرة كان على «اليانور» التى لم ترى «الشرق» من قبل أن تعتمد على «إيفلين» فى كل شئ.

إلتقى بهما «ڤريدى» فى القطار.. أصطحبهما إلى فندق «بريفورت» لحجز غرفتين..

قائلا إنه يبعد قليلا عن «المسرح» لكنه أكثر إثارة من أى فندق آخر بقلب المدينة لأن الفنانين والراديكاليين والمهمين حقا يقطنون فيه كما أنه يدار على الطريقة الفرنسية تماما.. وبينما كانوا يستقلون التاكسى أخذ يثرثر بلا انقطاع عن المسرحية الرائعة ودوره الكبير فيها وكيف أن المخرج «بن ڤريلبى» رجل أحمق وكيف أن أحد المموليين دفع فقط نصف ما وعد به لكن «چوزڤين چيلكرست» مديرة الأعمال قد دبرت المبلغ الآن وأن «آل شوبرت» يهتمون بالأمر وسوف يفتتحون العرض فى المدينة على «جرينوتش» بعد شهر تماما من اليوم..

راحت اليانور تتطلع إلى الشارع الخامس وريح الربيع القارصة تطير فساتين النساء.. رأت رجلا يعدو وراء قبعته والاوتوبيسات الخضراء وعربات التاكسى وأضواء «الفترينات».. إن كل هذا لا يختلف كثيرا عن شيكاغو..

لكنه على الغذاء فى «بريفورت» كان الوضع مختلفا تماما.. أخذ «ڤريدى» يقدمها إلى الكثير من اصدقائه بمزيد من الفخر.. إنه على ما يبدو يعرف الكثير من الناس.. كانوا جميعا أسماء سمعت أو قرأت لها فى عمود «الكتب» فى «الديلى نيوز».. أظهر الجميع مشاعر الود. تحدث «ڤريدى» بالفرنسية إلى الجرسون، وكانت الصلصة الهولندية

من ألذ الأطعمة التى تذوقها حتى الآن.

عصر ذلك اليوم فى الطريق إلى بروڤة العرض المسرحى ألقت «اليانور» نظرتها الأولى الخاطفة على «ميدان التايمز» من خلال نافذة التاكسى.

وداخل المسرح المظلم وجدوا «الصحبة» تجلس فى انتظار مستر «ڤريلبى» بدا المكان ملغزا مليئا بالأسرار.. لمبة كهربائية واحدة تتدلى فوق خشبة المسرح ديكورات مسرحية أخرى تبدو مهجورة يعلوها التراب.. ثم أتى رجل رمادى الشعر ذو وجه عريض حزين تحيط بعينيه هالات كبيرة سوداء.. إنه «بنيامين ڤيريلبى» الشهير.. أخذ يتصرف بطريقة أبوية يبدو عليها الإرهاق.. دعا إيفلين واليانور لتناول العشاء معه فى حجرته تلك الليلة مع ڤريدى ليتحدثوا براحتهم عن الديكورات والملابس.. استراحت اليانور لطريقته الودودة والإرهاق الذى يبدو على وجهه.. واستراحت أكثر لأن الملابس التى ترتديها هى وايفلين أكثر أناقة بكثير مما ترتدينه ممثلات نيويورك أولئك.. أثار مستر «ڤريلبى» ضجة هائلة لعدم كفاية االاضاءة.. هل كانوا يتوقعون منه أن يجرى البروڤة فى الظلام.. جرى مدير المسرح و «النص» فى يده ليبحث عن الكهربائى وأرسل أحدهم ليتلفن إلى مكتب الخدمات.. أخذ مستر «ڤريلبى» يسير على خشبة المسرح وهو يرغى ويزبد «إن هذا شئ بشع» حتى وصل الكهربائى وهو يمسح فمه براحة يده وعندما اضيئت الأنوار كان لابد أن يجلس مستر «ڤريلبى» على كرسى ومنضدة عليها مصباح ليستطيع القراءة ولم يتمكن أحد من إحضار الكرسى الملائم فأستمر يرغى ويزيد وهو يشد شعره الرمادى صائحا «إن هذا شئ بشع» حتى تمكن أخيرا من الجلوس..

نظر إلى مستر «شتاين» مدير المسرح الرجل النحيل الذى جلس على كرسى آخر بجانبه.

- مستر شتاين.. سنبدأ بالفصل الأول.. هل كل واحد معه «دوره».

صعد بعض الممثلين إلى خشبة المسرح بينما استمر الآخرون فى الحديث بصوت خفيض حتى صاح مستر «ڤريلبى» - السكوت من فضلكم يا.. أولاد.. وبدأت البروڤة. منذ تلك اللحظة سار كل شئ بإيقاع سريع مفزع.. خيل لاليانور أنها لن تستريح أبدا فى الفراش وأتضح أن مستر «بريدچمان» رسام المناظر حيث ترسم المناظر فى الاستوديو الخاص به يعترض على كل شئ وأن شخصا آخر وهو شاب شاحب يضع «العوينات» ويعمل عند مستر «بريدچمان» هو الذى سيصمم المناظر من «الاسكتشات» التى ستضعانها وعلى هذا فإن إسميهما لن يعلنا فى البرنامج على الاطلاق إلا فيما يتعلق بالأزياء على أساس أنها

خارج تخصص «وحدة تصميم المناظر».

وعندما كانتا تفرغان من الجدال فى استوديو «بريدچمان» تبدآن تجوسان الشوارع فى التاكسيات بعينات المواد المطلوبة ولا تأويان إلى الفراش قبل الرابعة أو الخامسة صباحا.. كان كل شخص يبدو سريع التهيج.، وتجد «اليانور» كل اسبوع عنتا شديدا حتى تحصل على «الشيك» من مس «چيلكرست» عندما تم اعداد الملابس وجميعها على الطراز الفيكتورى المبكر.. ذهبت اليانور بصحبة ڤريدى ومستر ڤريلبى لمشاهدتها فى محل الخياطة.. كانت على ما يرام لكن الخياطين لم يقبلوا تسلميها بدون «الشيك».. لم يستطيع أحد العثور على مس «چيلكرست» وأخذ كل منهم يعدو فى تاكسى للبحث عنها وفى النهاية.. فى وقت متأخر من تلك الليلة قال مستر «فريلبى» أنه سوف يدفع الشيك الخاص به..

وأتت شاحنة شركة النقل «بالمناظر» حتى باب المسرح لكنهم لم يسمحوا بنقلها إلى المسرح حتى يتم الدفع.. كان مستر «بريدچمان» هناك وهو يصيح ان الشيك قد عاد له لأنه «بدون رصيد» وأخذ يتشاجر مع مستر «ڤريلبى» أمام شباك التذاكر.. أخيرا ظهرت «چوزفين چيلكرست» فى تاكسى ومعها خمسمائة دولار نقدا لمستر بريدچمان وشركة النقل.. إبتسم الجميع عندما ظهرت أوراق النقد البرتقالية وبدأ عليهم الارتياح..

مضت «اليانور» مع إيفلين وڤريدى سيرچنت وچوزفين چيلكرست ومستر ڤريلبى بعد أن تأكدوا من نقل المناظر على المسرح إلى مطعم «بوستنوبى» ليصيبوا شيئا من الطعام.. عزمهم مستر ڤريلبى على زوج من زجاجات «بول روجر» Pol Roger وقالت چوزڤين چيلكرست أنها تشعر حتى النخاع أن المسرحية ستنجح نجاحا باهرا وأن هذا الشعور لا يحدث معها على الدوام وأجاب ڤريدى أن عمال المسرح قد أعجبوا بها وتلك علامة طيبة أما مستر «ڤريلبى» فقال أن «إيك جولد» صبى مكتب شوبرت قد جلس يستمع إلى بروڤة العرض والدموع تنساب على خده لكن لم يكن أحد يدرى ما المسرح الذى سيتم الافتتاح عليه بعد اسبوع «جرينوتش» أو «هارتفورد».. قال مستر «ڤريلبى» أن أول ما سيفعله فى الصباح أن يذهب للحديث شخصيا مع چ. چ. حول هذا الأمر. إتصل الأصدقاء من شيكاغو يطلبون الحضور لرؤية بروڤة الملابس.. شعرت اليانور بمدى أهميتها خاصة عندما اتصلت «سالى إمرسون» تنبئها بالمجئ. تمت البروڤة بشكل مريع.. لم تكن نصف الأزياء قد أتت ولم يرتدى فلاحو «ويسكس»[٢٠٠] أية ملابس لكن الجميع اتفقوا على أنه فأل حسن أن تتم بروڤة الملابس بصورة سيئة.

فى ليلة الافتتاح لم تتناول «اليانور» عشاءها.. لم يكن أمامها غير نصف ساعة فقط لارتداء ملابسها.. كانت تشعر بجبل من الجليد يرقد فوقها ورغم التوتر الذى يعصف بها كانت تتمنى أن يحوز فستان السهرة الجديد المصنوع من «التول الشرتروز»(٢٠١) والذى عهدت به إلى خياطة محل تابيه Tappe's .. إن يحوز الأعجاب.. لكن لم يكن أمامها الكثير من الوقت للقلق.. إزدردت قدحا من القهوة السادة وأحست بالتاكسى يسير ببطء قاتل وعندما وصلت إلى المسرح كانت الصالة تسطع بالأضواء وتزدحم بالقبعات الحريرية والظهور العارية التى تطيبت بعناية وعقود الماس ومعاطف السهرة ورواد الليلة الأولى الذين يتبادلون النظرات ويلوح كل منهم لأصدقائه وهو يتساءل عمن يقف هناك ولا يكفون عن التجوال فى الممرات ما بين فصول المسرحية. وقفت إيفلين واليانور متصلبة خلف الكواليس وعندما تحوز الأزياء على الاعجاب تلكز كل منهما الأخرى حتى إذا ما انتهت المسرحية كان رأيهما الذى أتفقا عليه أن اداء الممثلين قمة البشاعة وأن «ڤريدى سرچنت» كان أسوأهم..

أقامت «سالى إمرسون» لهم بعد ذلك حفلة فى الشقة الفاخرة.. لأصدقائها «آل كارى» أتفق الجميع أن المناظر والأزياء كانت جميلة وأنهم متأكدون أن المسرحية ستلقى نجاحا كبيرا.. صارت اليانور وايفلين موضع الاهتمام رغم أن ايفلين أفرطت فى الشراب وأثارت الضجيج.. التقت اليانور بعدد كبير من الشخصيات البارزة وقررت فى نفسها أن تظل فى «نيويورك» مهما حدث..

فشلت المسرحية بعد اسبوعين فقط ولم تتمكن اليانور وايفلين من الحصول على سبعمائة وخمسين دولارا فى ذمة الادارة فعادت ايفلين إلى شيكاغو بينما استأجرت اليانور شقة فى الشارع الثامن بعد أن رأت «سالى إمرسون» إن لديها موهبة كبيرة ودفعت زوجها كى يضع ألف دولار لحسابها لتبدأ عمل «الديكور» فى نيويورك، وأرسلت «ايفلين» خطابا - رغم مرض أبيها - من شيكاغو تقول فيه أنها ستحضر بمجرد أن تتمكن من ذلك.

أمضت اليانور ذلك الصيف فى نيويورك بصحبة «سالى إمرسون» طول الوقت.. تعرفت على الكثير من الأثرياء ومن خلال معرفتها بالكسندر بارسونز تمكنت من الحصول على عمل لديكور المنزل الذى يقيمه چ. وارد.. مورهاوس بالقرب من «جريت نيك» Great Neck أخذتها مسز مورهاوس إلى المنزل الذى لم يتم بعد.. كانت تبدو عليلة مرهقة ولم تكف عن الشكوى من أنها كانت ستقوم بنفسها بعمل الديكور لولا الاعياء

الذى تشعر به منذ اجراء «العملية الجراحية».. إنها ترقد فى الفراش منذ ميلاد طفلها الثانى وراحت تشرح لأليانور تفاصيل العملية لكن اليانور شعرت بالكراهية لشكاوى المرأة وأخذت تحنى رأسها بين الحين والآخر ببرود كامل - صرفت همها لشئون العمل وهى تستفسر عن الأثاث ولون الستائر وتدون بعض الملاحظات على رقعة من الورق..

طلبت مسز «مورهاوس» منها البقاء لتناول الغذاء فى الكوخ الخشبى الصغير الذى يقطنونه إلى أن ينتهى البيت.. كان الكوخ الصغير عبارة عن منزل كبير واسع أقيم على طراز المستعمرات الهولندية يزدحم بالكلاب البكينية والخادمات بمآزرهن الطويلة ذات الأهداب تحت إمرة رئيس الخدم وبينما كانتا فى الطريق إلى غرفة الطعام سمعت «اليانور» صوت رجل فى الغرفة المجاورة وشمت رائحة السيجار وعلى مائدة الطعام تم تقديمها إلى مستر «مورهاوس» ومستر «بيرى» اللذان انهمكا فى الحديث عن لعبة الجولف وتامبكو(٢٠٢) وآبار النفط.

بعد الغذاء عرض مستر «مورهاوس» اصطحابها إلى المدينة فى طريق العودة.. تنفست الصعداء بعد ابتعادها عن مسز «مورهاوس» ولم تكن قد سنحت لها الفرصة للحديث عن أفكارها فى عمل ديكور المنزل لكن مستر «مورهاوس» أخذ يسألها خلال الطريق الكثير من الاسئلة عن ذلك.. تبادلا الضحكات عن ذلك القبح الذى تبدو عليه بيوت معظم الناس.. بدا لأليانور أمرا مثيرا للاهتمام أن تجد رجل أعمال يهتم بمثل هذه الأشياء.. اقترح مستر «مورهاوس» أن تعد تقديراتها وتحضرها إلى مكتبه - هل يناسبك يوم الثلاثاء؟. كان يوم الثلاثاء مناسبا.. لم يكن لديه مواعيد بل ويمكنهم تناول الغذاء معا لو أرادت..

قال وعيونه الزرقاء تتلألأ بالوميض.

- إن وقت الطعام هو الوقت الوحيد الذى أخصصه لمطالب الروح..

وهكذا اتفقا معا على يوم الثلاثاء / مرة أخرى وهى تخرج عند تقاطع الشارع الثامن والممر الخامس.. أحست اليانور بأنه يمتلك روح الدعابة وشعرت أنها تحبه أكثر من «توم كوستس».. تعددت اللقاءات كلما تقدم سير العمل.. ودعته لتناول الغذاء فى شقتها بالشارع الثامن.. أمرت خادمتها «أوجستين» من جزر المارتنيك أن تعد «سوتيه الدجاج» بالفلفل الأحمر والطماطم.. وشربوا «الكوكتيل» بالأبسنت مع زجاجة من البُرجندى المعتق..

استمتع «وارد هاوس» بالاسترخاء على الأريكة والانطلاق فى الحديث.. واستمتعت

بالاستماع إليه.. بدأت تدعوه ج . و. وصارا أصدقاء بصرف النظر عن العمل فى منزل «جريت نيك».. أخذ يقص على اليانور كيف قضى صباه فى «ويلمنجتون» بديلاوير وعن ذلك اليوم الذى أطلقت فيه «الميليشيا» النار على الزنجى العجوز وظن أنه الأسطول الأسبانى.. عن زواجه الأول التعيس وعن زوجته الثانية التى أصبحت لا تصلح لشئ.. عن عمله فى الصحف ومكاتب الدعاية واليانور فى ثوبها الرمادى الشفاف الذى يكشف كتفيها ويبرز ملامح جسمها تطلب منه المزيد عن كيفية العمل الذى يقوم به ومهمته فى إرشاد الجماهير عن طبيعة العلاقة بين العمل ورأس المال وتفنيد دعايات العاطفيين والاصلاحيين وتدعيم المبادئ الامريكية فى مواجهة الأفكار الاشتراكية الألمانية المجنونة و«الدواء» السحرى لكل العلل الذى يؤمن به فلاحو الشمال الغربى الساخطون الأقذار..رأت اليانور أن أفكاره هذه جديرة بالاهتمام لكنها فضلت أكثر أن تستمع إلى كيفية عمل البورصة.. تبادل الأسهم.. كيف تأسس اتحاد الصلب المصاعب التى تواجهها شركات البترول فى المكسيك.. و «هيرست» Hearst والثروات الضخمة.. استفسرت منه عن بعض الاستثمارات الصغيرة التى لديها.. تطلع إليها بعيونه الزرقاء المتلألئة فى وجهه المستدير الأبيض الذى بدأت تظهر عليه حياة الرفاهية تحت استدارة فكيه وقال - مس ستودارد.. هل يكون لى الشرف بأن أصبح مستشارك المالى؟

كان أكثر ما يجذب «اليانور» إليه لهجته الشمالية الخفيفة وطريقته «الجنتلمان» التى يتصرف بها وددت لو كان لها شقة أكثر فخامة تحتفظ فيها ببعض الثريات الكريستال بدلا من أن تبيعها. كانت الساعة الثانية عشرة قبل أن ينصرف قائلا إنه قد أمضى أمسية طيبة جدا لكنه لابد أن يذهب للإجابة على بعض المكالمات البعيدة.

جلست «اليانور» أمام المرآة على مائدة الزينة وراحت تدلك وجهها بالكريم البارد على ضوء شمعتين.. وددت أن تكون رقبتها أكثر امتلاء بدلا من تلك النحافة.. وراحت تفكر.. لماذا لا تبدأ فى استعمال خضاب «الحناء» بين الحين والحين بعد أن تغسل شعرها.

عين الكاميرا (٢٤)

كانت تمطر فى «كويبيك»[٢٠٣] العريقة.. كانت تمطر فى «شاتو»[٢٠٤] فى «كويبك» ذات التاريخ حيث كان «وولف»[٢٠٥] الشجاع بقبعته المثلثة الأركان يجلس فى المراكب كما يبدو فى الصورة المطبوعة يقرأ مراثى «جراى»[٢٠٦] لرجاله.. تسلق «وولف» الشجاع

المنحدرات الصخرية ليلتقى «بمونتكام»(٢٠٧) الشجاع بقبعته المثلثة الأركان على سهول «ابراهام» بأقواس السهام الصلبة وازياء الجنود ذات الكشكشات الحريرية على الأرض الجرداء - تحطمت الشجاعة وأوامر القتال والكشكشات الحريرية - كلها اختلطت بالوحل على سهول «ابراهام».

لكن «شاتو» كانت هنا قصر «فرونتناك»(٢٠٨). بيت الضيافة.. الشهير.. العالمى.. التاريخى.. فى المطر الرمادى فى كويبك العريقة ذات اللون الرمادى. وكنا نصعد فى نهر «ساجوناى» فى المركب البخارى (سينيك) عبر (أعظم طريق خلاب) فى العالم والمحاضر (الشوتوك)(٢٠٩) معه زوجته بصوته الباريتون الجهير من أثينا «كنتكى»(٢١٠) حيث يوجد عندهم تل يدعونه «الاكروبوليس»(٢١١) يشبه تماما ذلك الذى فى «أثينا» اليونان.. والثقافة ونسخة من «البارثينون»(٢١٢) تماما مثل تلك التى فى أثينا «الإغريق».

مطر غزير على الطرق الحجرية وعلى رصيف الميناء عند «سانت لورنس»(٢١٣). يتجول الناس ذهابا وأيابا بالمظلات على رصيف الانتظار الخشبى العريض تحت المطر.. يتطلعون إلى الأسقف الاردوازية لكويبك وإلى أرصفة شحن الفحم ومخازن الحبوب ومصاعد الغلال والمعديات «وامبراطورة ايرلندا»(٢١٤) بمداخنها البيضاء بلون الزبدة تدخن عبر الجانب الآخر والليفز(٢١٥) والتلال الخضراء فيما وراء النهر وجزيرة «اورليانز» خضراء تغطيها السماء الخضراء والمطر الغزير مازال يدق على أسقف «كويبك» الاردوازية الرمادية المتلألئة.

لكن المحاضر (الشوتوك) طلب غذائه وتشاجر مع زوجته وصنع مشهدا تاريخيا فى قاعة الطعام التاريخية فى قصر «ڤرونتناك» التاريخى.. حضر رئيس الخدم والمحاضر (الشوتوك) بشعره المجعد الكثيف مازال غاضبا بصوت إعتاد الصياح فى مخيمات الرحلات عن «الاكروبول» ذلك الذى يشبه مثيله فى أثينا الاغريق والبارثينون ذلك الذى يشبه مثيله فى أثينا الإغريق والنصر المجنح.. كان الصوت «الباريتون» الجهير أكثر مما يحتمله الصبى الصغير الذى ود أن يذهب بعيدا.. ليته لم يأت.. ليته يطوح بكل هذه الصحبة.

لكنها تمطر فى «كويبك» العريقة وهو يمضى وحيدا يسير فى الطريق.. والصوت «الباريتون» مازال يدوى.. توجد الفتيات الفاسقات فى مدينة كهذه.. لا يجب على الأولاد الخروج مع الفتيات الفاسقات.. الاكروبول.. والبل كانتو والبارثينون والثقافة وتماثيل الصبية الإغريق الجميلة والنصر المجنح.. التماثيل الجميلة..

لكنه أخيرا تخلص من «الصوت الباريتون» ومضى بالعربة لرؤية شلالات

«مونتمورنسى» الشهيرة فى الأغانى والحكايات وكنيسة ملأى بالعكازات تركها المرضى فى «سانت آن دى بوبريه»[٢١٦].

وكانت الطرقات الرمادية المطرة تزدحم بالفتيات.

چانى

فى العام الثانى للحرب الأوروبية.. باع مستر «كارول» نصيبه فى مؤسسة «دريفوس وكارول» إلى مستر «دريفوس» وعاد ليقيم فى بيته فى «بلتيمور» فقد كانت هناك فرصة لأن يرشحه مؤتمر الولاية للحزب الديمقراطى لمنصب الحاكم.

إفتقدت «چانى» كثيرا وجوده فى المكتب وراحت تتتبع كل التقارير عن الأحوال السياسية فى «ميرلاند» باهتمام كبير.. وعندما لم يفز مستر «كارول» بالترشيح شعرت بالأسف العميق.

صار المكتب يزدحم بالكثير والكثير من «الأجانب» وبدأ الحديث يأخذ طابعا واضحا مؤيدا للألمان إنها لا تحب أبدا هذا.. فرغم أن مستر «دريفوس» يبالغ فى احترامه وكرمه للموظفين.. إلا أن أخبار الغزو الوحشى لبلچيكا والفظائع الشنيعة التى تحدث هناك ظلت تثقل عليها..

إنها لا تود أبدا أن تعمل لصالح «الهون» لهذا بدأت تبحث عن عمل آخر..

كان جو العمل راكدا فى «واشنطن» ومن الحماقة أن تترك مستر «دريفوس» لكنها لم تستطع الاحتمال وانتقلت للعمل عند «سمدلى - ريتشاردز» سمسار عقارات فى شارع «كونيكتكت» بخسارة دولار فى الاسبوع عما كانت تتقاضاه من قبل.

كان مستر «ريتشاردز» رجلا بدينا يتحدث كثيرا عن طراز «الچنتلمان» وهو يحاول أن يغازلها.. استطاعت أن تفلت منه اسبوعين لكنه فى الاسبوع الثالث أخذ يفرط فى الشراب ولم يكف عن دس يده السمينة البضة فى جسمها، واقترض منها دولارا ذات يوم.. وفى نهاية الاسبوع قال أنه سيتأخر عن دفع أجرها يوما أو يومين.. لهذا امتنعت عن الذهاب وأصبحت عاطلة عن العمل.

كان شيئا مخيفا بالنسبة لها أن تتعطل عن العمل وهى تخشى العودة لتعيش مع أمها فى بيت يسكنه النزلاء الغرباء وأخواتها الصاخبات.. لهذا راحت تقرأ اعلانات الوظائف كل يوم فى جريدتى «ستار» و «بوست» وتُلبى كل ما تراه.. لكنها لم تجد من يستخدمها رغم أنها تذهب فى الصباح.. كأول شئ تفعله.. إلى العنوان المكتوب.. بل وذهبت لتضع إسمها

فى إحدى «وكالات التوظيف».. استقبلتها فى المكتب امرأة بدينة بأسنان صفراء وابتسامة وضيعة.. طلبت أن تدفع دولارين رسم تسجيل.. ثم أطلعتها على قائمة الانتظار للفتيات الائى يجدن الاختزال والكتابة على الآلة وهى تقول أن على الفتاة أن تتزوج.. فمحاولة كسب العيش بمفردها مسألة صعبة ولا تتفق مع الكرامة ولا يمكن أن تتم.

أصابها الهواء الفاسد ومشهد وجوه الفتيات الذابلة، وهن يجلسن على الادراج بالغثيان، واستجمعت شجاعتها لتتصل بآليس - التى مازالت تعمل عند مسز روبنسون - ولتخبرها بأنها لم تجد عملا بعد.. جلس شاب أحمر الوجه بجانبها وحاول أن يبدأ الحديث معها فاضطرت للابتعاد ومضت إلى مشرب الصودا لتشترى شيكولاته باللبن فأخذ «الساقى» يمازحها قليلا وإذ بها تنفجر فى البكاء..

همس الفتى وهو شاحب شحوب الأموات - آسف جدا يا آنسة.. لم أقصد أى إساءة.

كانت عيناها ما تزال محتقنتين عندما التقت بآليس خارجة من مبنى «ريجز» أصرت «آليس» أن تدفع ثمن الطعام كله فى براون تيبوت» الذى تكلف خمسة وثلاثون سنتا رغم أن چانى لم تتذوق منه شيئا.. وكانت «لآليس» طريقة فى التوبيخ تصيب چانى بالجنون.. وقالت إن الوقت لم يعد يسمح الآن بالعودة إلى مسز «روبنسون» التى لا تحتفظ لديها بالعمل للفتيات اللائى كن يعملن عندها.

عصر ذلك اليوم أحست چانى بالاحباط الشديد، يأست من البحث عن عمل فمضت إلى معهد (السمثونيان)(٢١٧) وأخذت تطوف فيه محاولة أن تسلى نفسها بعقود الخرز الهندية والزوارق الحربية البدائية والرموز الطوطمية لكن كل شئ أصابها بالارهاق الشديد فعادت إلى حجرتها وبكت بكاءا مريرا وهى تفكر فى «چو» و «چيرى برنهام» ولماذا لم تتلق منهما خطابات حتى الآن والجنود المساكين الذين يقبعون الآن فى الخنادق وزادها التفكير احساسا بالوحدة القاتلة لكن عندما حان وقت عودة «آليس» إلى البيت كانت قد نهضت وغسلت وجهها ووضعت عليه «البودرة والروج» وراحت تتجول بانتعاش فى الحجرة وأخذت تمزح مع «آليس» عن ركود العمل قائلة إنها إن لم تجد عملا فى «واشنطن» ستذهب إلى «بلتيمور» أو «نيويورك» أو شيكاغو للحصول عليه: لكن آليس أجابتها أن ذلك النوع من الحديث يصيبها بالتعاسة ودعتها للخروج لتناول سندوتشا من لحم الخنزير وكوبا من اللبن اقتصادا للنقود.

طوال ذلك الخريف حاولت چانى الحصول على عمل.. اعتادت أن تستيقظ كل صباح فيكون أول ما يمر بوعيها ذلك الشعور بالاكتئاب البغيض لأنه ليس لديها ما تفعله..

وتناولت غذاء «عيد الميلاد» مع والدتها وأخواتها.. قالت أنها تلقت وعدا بالعمل مقابل خمسة وعشرين دولارا فى الأسبوع بعد بداية العام الجديد كى تمنعهم من الاشفاق عليها لكنها لم تفلح فى إقناعهم.. وتلقت من «چو» هدية «الكريسماس» لفافة ممزقة الغلاف مرسلة بالبريد الجوى بها فستان مطرز.. حاولت أن تعثر فى اللفافة على خطاب لكنه لم يكن هناك شئ غير قطعة صغيرة من الورق كتبت على عجل بها تهانى العيد وعلى الطرد خاتم بريد «سانت نازار» (St. Nazaire) فى فرنسا وعليها أيضا خاتم الرقابة (فتح بواسطة الرقيب) Ouvert Par La Censure . شعرت بالحرب بالقرب منها وتمنت أن يكون «چو» هناك بعيدا عن الخطر.

عصر يوم قارص من أيام يناير وبينما كانت تستلقى على الفراش تقرأ «حكاية الزوجات العجائز» سمعت صوت مسز «بوجوت» صاحبة النزل تناديها.. خافت أن تطالبها بالايجار لانهما لم تدفعا هذا الشهر لكنها كانت «آليس» تطلبها بالتليفون.. أخبرتها أن تأتى فورا لأن هناك رجلا قد أتصل يطلب كاتبة آلة عدة أيام وليس هناك أحد من الفتيات وأنها فكرت أن «چانى» يمكنها الذهاب لترى إن كانت تقبل هذا العمل..

- ما هو العنوان؟ سوف أذهب فى الحال.

أعطتها «آليس» العنوان وهى تتمتم بعصبية عبر الطرف الآخر من الخط.

- أنا خائفة.. لو أن مسز «روبنسون» علمت بالأمر فسوف تغضب غضبا رهيبا.

أجابت چانى - لا داعى للقلق، سوف أوضح الأمر للرجل.

كان الرجل يقيم فى فندق «الكونتنتال» فى شارع «بنسلفانيا».. وكان جناحه يتكون من حجرة نوم وصالة استقبال تتبعثر بها صفحات الورق المكتوبة والكتيبات المغلفة وهو يضع نظارة بإطارات استمر يخلعها ويرتديها كما لو كان غير متأكد عما إذا كان يرى أفضل.. بها أو بدونها.. وفور أن خلعت قبعتها وأخرجت الأوراق والقلم من حقيبتها ابتدأ يملى عليها الحديث دون أن ينظر إليها.. كان يتشدق بالكلمات كما لو كان يخطب وهو يذرع الغرفة جيئة وذهاباً بساقيه الطويلتين النحيلتين.. كان مقالا بعنوان «للنشر فى الحال» لا يتضمن غير الحديث عن رأس المال والعمل ويوم العمل ثمان ساعات ورابطة مهندسى القاطرات أخذت تكتب بشعور ما من القلق.. لابد أن يكون زعيما عماليا.. هذا ما استنتجته. عندما أنتهى من «الإملاء» خرج من الغرفة على عجل وهو يرجوها أن تكتب المقال على الآلة بأسرع ما فى استطاعتها لأنه يعود بعد دقيقة واحدة.

كانت هناك آلة من نوع «رمنجتون» على المائدة لكنها أضطرت إلى تغيير الشريط

وأخذت تكتب بلهفة خوفا من أن يعود ولا يجدها قد انتهت من العمل..

ثم جلست فى الانتظار بعد أن وضعت المقال والنسخ الكربونية على المائدة بترتيب أنيق.. مضت ساعة ولم يعد.. انتابها القلق وراحت تسير فى الغرفة وتنظر إلى الكتيبات.. كانت كلها عن العمل والاقتصاد.. لم يثر اهتمامها.. تطلعت عبر النافذة ومدت عنقها لتحاول معرفة الوقت من ساعة برج البريد لكنها لم تستطع رؤية الساعة فأمسكت بالتليفون لتسأل إدارة الفندق عما إذا كان مستر «بارو» موجودا برجاء ابلاغه أن «المطبوعة» جاهزة. أجابت الإدارة أن الساعة الآن الخامسة وأن مستر «بارو» لم يأت بعد رغم أنه قد ترك كلمة بأنه سيأتى فى الحال..

وبينما كانت تضع «المستقبل» وقع خطاب من ورق معطر كان موضوعا على الرف.

عندما التقطته كانت قد تعبت من الملل واللامبالاة تارة ورسم الصليب تارة أخرى..

ولم يعد لديها ما تفعله فأخذت تتسلى بقراءته رغم شعورها بالخجل لكنها بمجرد أن بدأت القراءة لم تستطع أن تتوقف.

عزيزى ج. هـ.

بشرفى كرهت أن أفعل هذا يا صاحبى.. لكنى بحاجة ماسة للنقود.. يجب أن تأتى ومعك ألفين دولار نقدا (٢٠٠٠ دولار) وإلا إقسم أن أتوقف عن التصرف كسيدة مهذبة واضطر إلى كشف الغطاء.. أننى أكره هذا لكنى أعرف أن معك ما تدفعه وإلا ما كنت أبلوك بهذا.. أنا أقصد خير العمل هذه المرة.

الفتاة الصغيرة التى تعودت أن تحبها..

كوينى

تورد وجه «چانى».. أعادت الخطاب إلى مكانه تماما مثلما كان.. أليس الرجال كريهون.. دائما بعض الفضائح فى طى الكتمان..

ابتدأ الظلام يسود فى الخارج وكانت تشعر بالجوع والخوف عندما رن جرس التليفون.. كان مستر «بارو».. قال أنه يأسف لتركها فى الانتظار لكنه موجود فى فندق «شورهام» فى جناح مستر «مورهاوس» ويرجوها أن تحضر إلى هناك.. لا.. ليس من الضرورى احضار «المطبوعة» لأن لديها بعض الموضوعات التى سيمليها عليها هناك.. إنه عند ج. وارد مورهاوس.. من الضرورى أنها تعرف الاسم.. لكن چانى لم تكن تعرف.. إن فكرة أن تذهب لتكتب فى «شورهام» أثارتها تماما بعد هذا الخطاب وتلك الأشياء.. إنه نوع من الاثارة يشبه ما اعتادته عندما كانت تخرج مع «چيرى برنهام».. إرتدت معطفها وقبعتها

وأعادت ترتيب وجهها أمام المرآة فوق رف المدفأة ومضت فى تلك الليلة من ليالى يناير الباردة إلى ناصية شارعى «إف» و «فورتين» لتأخذ العربة.. تمنت لو أن لديها موقا(٢١٨) فإن الريح القارصة تلسع يديها التى يغطيهما «الجوانتى» الخفيف وتسلع ساقيها فرق رقبة الحذاء تماما.. ودت لو أنها كانت امرأة متزوجة ثرية تعيش فى «شيفى شيز» Chevy Chase وتقف فى انتظار «الليموزين» لتأتى وتحملها إلى المنزل.. إلى زوجها وأولادها ودفء المدفأة الموقدة.. تذكرت «چيرى برنهام» كان يمكن أن يتزوجها لو تناولت الأمور بطريقة صائبة و «چونى إدواردز» لقد رحل إلى نيويورك بعد أن رفضته وصنع ثروة كبيرة فى أحد محلات السمسرة أو «موريس باير» لكنه كان يهوديا.. إن هذا العام قد مضى دون أن تصاحب عاشقا واحدا.. إنها مجرد «عانس» على الرف.. هذا كل ما هنالك.

نزلت من العربة عند الزاوية التى تسبق «شورهام» . كان بهو الفندق دافئا يتجمع فيه أناس يرتدون الثياب الأنيقة ويتحدثون بأصوات متأنقة بينما تفوح رائحة الزهور فى الأصص الزجاجية.. أخبروها فى مكتب الاستقبال أن تذهب إلى الجناح رقم ثمانية فى الطابق الأول.

فتح لها الباب رجل بوجه أبيض مغضن ورأس بشعر أسود أملس ويرتدى بذلة سوداء محبوكة ويخطو بخطوات وئيدة متميزة.. قالت إنها كاتبة الآلة التى طلبها مستر «بارو» فأومأ لها إلى الغرفة التالية.. وقفت على الباب لعل احدا يلاحظ وجودها وهى تنظر إلى المدفأة الكبيرة فى نهاية الغرفة التى تتوهج بها كتلتان من الأخشاب.. وأمامها امتدت مائدة عريضة تراكمت عليها المجلات والصحف والنشرات المكتوبة بالآلة الكاتبة.. كما وضُع على أحد أطرافها طقم الشاى الفضى وعلى الطرف الآخر صينية صفت عليها أوانى الخمر ومضارب الكوكتيل والكئوس.. بدا كل شئ لامعا وفضيا ومصقولا.. الكراسى والموائد وأدوات الشاى وسلسلة الساعة والأسنان والشعر الحريرى الأملس الذى شاب قبل الأوان للرجل الذى يقف هناك وظهره للمدفأة.. كان أول ما خطر ببالها بمجرد أن رأته.. أنه لابد أن يكون رجلا رائعا بينما كان مستر بارو ورجل ضئيل اصلع يجلسان فى المقاعد الوثيرة على جانبى المدفأة ينصتان إليه باهتمام بالغ وهو يتحدث بصوت خفيض جاد.

- إنه أمر هام جدا بالنسبة لمستقبل هذا البلد.. استطيع ان اؤكد لكم أن كبار المديرين وشركات الاستثمار القوية فى الدوائر الصناعية والمالية يرقبون باهتمام بالغ نتائج هذه التطورات.. لا تعتقدون أننى أبالغ.. بل استطيع أن اؤكد بثقة تامة أن الرئيس نفسه... هنا وقعت عيناه على چانى - أعتقد أنها كاتبة الاختزال.. تقدمى يا آنسة...

أجابت چانی وهی تتقدم - ويليامز.. ويليامز هو الإسم..
كانت عيناه تومضان بوهج أزرق كوهج الكحول ويطرفان بصورة صبيانية.. هذا هو بالتأكيد ج. وارد مورهاوس الذى ينبغى أن تعرف إسمه..

- هل معك الورقة والقلم؟ هذا حسن.. أجلسى هنا على المائدة.. مورتون.. من الأفضل أن تحمل أدوات الشاى هذه..

حمل «مورتون» الأدوات بهدوء واختفى دون ضجيج وجلست چانى على طرف المائدة.. أخرجت مذكرتها وقلمها..

- أليس من الأفضل أن تخلعى قبعتك ومعطفك أو أنك تخشين عليهم الضياع عند خروجك؟..

إن فى لهجة هذا الرجل شئ ما يشعرها بالألفة.. شئ يختلف تماما عن تلك اللهجة التى يتحدث بها إلى الرجال.. آه.. لو استمرت تعمل من أجله.. ولكن على أية حال يكفيها من السعادة أنها قد أتت..

- والآن.. مستر بارو.. نحن نريد بيانا يهدئ من حالة القلق والاضطراب.. يجب علينا أن نجعل طرفى هذا الخلاف يفهمون قيمة.. التعاون.. إنها كلمة عظيمة تلك الكلمة.. التعاون.. أولاً سوف نسجل أفكارنا بصورة أولية.. وعليك أن تتفضل بإبداء ملاحظاتك من وجهة نظر التنظيمات العمالية.. وأنت.. مستر «چوناس» من وجهة النظر القانونية.. انتبهى مس ويليامز.

صادر من ج. وارد.. مورهاوس.. مستشار العلاقات العامة.. فندق شورهام.. واشنطن.. م.ك.. ١٥ يناير ١٩١٦..

ثم انهكمت چانى فى الكتابة وهى تحاول ان تلتقط معنى الكلمات التى تقال..

فى ذلك المساء عندما عادت إلى المنزل كانت «آليس» قد أوت إلى الفراش وتستعد للنوم.. لكن چانى أخذت تثرثر كالعقعق[١٢٩] عن مستر «بارو» والاضطرابات العمالية وج. وارد موهاوس وكيف يبدو أنيقا رائعا.. كما أنه لطيف أليف.. وله أفكار عظيمة عن التعاون والاندماج بين رأس المال والعمل وكيف أنه قد تحدث عن أفكار «الرئيس» كمن اعتاد الجلوس معه.. وعن أفكار اندرو كارنيچى وماذا تنوى شركات «روكفلر» أو مستر «شيك» Schick اوسناتور «لاڤوليت».. وكيف أن له عينان زرقاوتان جميلتان ذات نظرة طفولية وكم هو لطيف؟ وأدوات الشاى الفضية.. وأنه على ما يبدو مازال شابا رغم المشيب الذى وخط شعره قبل الأوان.. والمدفأة وخلاط الكوكتيل الفضى والكئوس الكريستال..

قاطعتها آليس وهى تتثاءب..

- چانى.. أراهن انك قد جننت بحبه فلم أسمعك أبدا تتحدثين عن رجل بهذه الطريقة.. تورد وجه چانى وأحست بالامتعاض.

- أوه.. آليس.. إنك سخيفة لا فائدة من الحديث إليك عن أى شئ..

ثم خلعت ملابسها واطفأت النور.. وعندما أوت إلى الفراش تذكرت أنها لم تتناول عشائها.. لكنها لم تشأ أن تقول شيئا سوف تعلق عليه «آليس» بكل تأكيد تعليقا سخيفا.

فى اليوم التالى أنهت العمل لمستر «بارو»، وطوال الصباح أخذت تلح عليها الرغبة فى أن تسأله عن مستر مورهاوس.. أين يعيش؟ هل هو متزوج أم لا؟ من أين أتى؟ لكنها فكرت مليا... أن السؤال عن هذا لا يفيد - عصر ذلك اليوم بعد أن تلقت أجرها وجدت نفسها تسير على امتداد شارع "H" فى مواجهة فندق شورهام.. حاولت أن تخدع نفسها بأنها تسير لمجرد أن تشاهد فترينات العرض لكنها لم تراه وإنما رأت عربة «الليموزين» الكبيرة السوداء اللامعة.. لم تستطع أن تتبين العلامات المكتوبة عليها دون أن تنحنى.. سوف يبدو الأمر مضحكا أن تنحنى هكذا.. لكنها انتهت إلى إن هذه هى عربته.

مضت تتجول فى الشارع تحت الشمس الساطعة.. سارت إلى الناحية المقابلة للفراغ الكبير بين المبانى حيث كانوا يهدمون بناية «أرلنجتون».. كان يوما مشمسا صافيا.. تجولت حول ميدان «لافييت» وهى تتطلع إلى تمثال «آندرو چاكسون»(٢٢٠) على الحصان المنتصب على قائمتيه الخلفيتين بين الأشجار العارية..

كانت هناك مجموعات من الأطفال والمربيات تجلس على المقاعد ورجل بلحية شهباء يتأبط حقيبه سوداء تحت ذراعه.. جلس على مقعد ثم نهض فجأة وهرول بخطوات واسعة.. ديبلوماسى أجنبى.. هذا ما طرأ بذهنها.. كم هو شئ رائع أن تعيش فى العاصمة حيث يوجد الدبلوماسيون الأجانب والرجال أمثال چ. وارد مورهاوس. عادت مرة أخرى تدور حول تمثال «آندرو چاكسون» المنتصب النبيل المفعم بالحيوية على الحصان الأصيل المتوثب تحت أشعة الشمس الخمرية عصر ذلك اليوم الشتوى. ثم قفلت عائدة إلى «شورهام» وهى تسير بسرعة كما لوكانت ستتأخر عن ميعاد.. سألت أحد الخدم أين توجد كاتبة الآلة فى الفندق فأرسلها إلى حجرة فى الطابق الثانى.. حيث جلست امرأة بعينين حادتين وفك عريض تكتب بينما إتجهت بأنظارها إلى القطاع الضيق من القاعة المكسوة بالسجاد الأخضر الذى يكشف عنه الباب الموارب. تساءلت چانى «أتعرفين أحدا يريد كاتبة إختزال؟» حملقت

المرأة بعيونها النفاذة وقالت

- حسنا.. أنت تعرفين أن المكان ليس «وكالة توظيف».

أجابت چانى وهى تشعر بكيانها ينهار فجأة:

- إعرف.. لكني فقط فكرت على سبيل الصدفة.. هل تسمحين بأن أجلس لحظة؟
استمرت المرأة بعيونها اللاذعة تحملق فى وجهها ثم صاحت وهى تبتسم ابتسامة صفراء

- والآن.. أين رأيتك من قبل؟ لا.. لا تذكرينى.. لقد كنت تعملين عند مسز روبنسون فى ذلك اليوم الذى أتيت فيه لأخذ عملها الزائد.. هناك.. أترين.. لقد تذكرتك تماما.

قالت چانى - وقد تذكرتك أنا أيضا.. فقط لقد تعبت من التجوال بحثا عن عمل.

تنهدت المرأة وهى تجيب - أتقولين لى؟ أنا خير من يعلم هذا.

- هل تعرفين أى عمل يمكننى الحصول عليه؟

- استمعى لى.. لقد طلبوا بالتليفون فتاة فى الجناح رقم ثمانية.. إنهم يستخدمونهم كمن.. كمن مسهم الجنون.. إنهم منهمكون فى حل «ورطة» أو شئ من هذا القبيل والآن يا عزيزتى.. أفعلى ما أقول أذهبى وأخلعى قبعتك كما لو كنت آتية من مكان ما وتولى الكتابة فهم لن يلقوك خارجا.. حتى إذا أتت الفتاة الأخرى إنهم يهلكونهم بسرعة العمل.

نهضت چانى ويدون أن تعى قبلت المرأة على حافة فكها وارتقت السلم بسرعة إلى الجناح «ثمانية».. تعرف عليها الرجل ذو الشعر الأملس - كاتبة الاختزال..

أجابت چانى بلهفة - نعم..

وفى دقيقة واحدة كانت قد أخرجت المذكرة والقلم وخلعت القبعة والمعطف وجلست على طرف المائدة «الماهوچنى» السوداء اللامعة أمام المدفأة الموقدة بالنيران المشتعلة.. كان ضوء اللهب ينعكس على الأوانى الفضية وأباريق الماء الساخن والشاى فتتوهج فى لمعان الأحذية السوداء التى طليت بعناية والعيون الزرقاء المتوقدة لـ ج. وارد مورهاوس. جلست تكتب ما يُملى عليها حتى إذا ما اقترب المساء دخل الرجل ذو الشعر الأملس قائلا

- إن الوقت قد حان لإرتداء ملابس العشاء يا سيدى..

زمجر ج. وارد مورهاوس غاضبا - ياللجحيم..

تقدم الرجل قليلا وهو يخطو على السجادة الوثيرة - عفوا كبيرا يا سيدى فإن الآنسة روزنتال قد سقطت وكسر وركها.. لقد أنزلقت على الجليد أمام مبنى الخزانة..

أجاب «وارد» وهو يبتسم - تستحق ما نالته.. أعذرينى مس ويليامز..

نظرت چانى إليه وهى تبدى تعاطفها وتفهمها له بإبتسامة واسعة..

- هل تم إجراء اللازم لها ؟

- لقد نقلها مستر «موليجان» إلى المستشفى..

- هذا حسن.. إنزل وأبعث لها باقة ورد.. إنتقى أجملها..

- نعم سيدى.. بقيمة خمسة دولارات يا سيدى..

- دولاران ونصف.. الحد الأقصى.. «مورتون».. ولا تنسى أن تضع عليها «بطاقتى» إختفى مورتون وأخذ چ. وارد مورهاوس يتمشى جيئة وذهابا أمام المدفأة بضع لحظات كما لو كان سيستمر فى «الإملاء».. بينما كان القلم يهتز فى يد «چانى» وطرفه على الأوراق.. ثم توقف چ. وارد مورهاوس عن السير ونظر إلى چانى.

- مس ويليامز.. أتعرفين أحدا.. أريد فتاة ذكية لطيفة تعمل ككاتبة وسكرتيرة.. فتاة استطيع أن أثق بها.. اللعنة على تلك المرأة التى كُسر وركها..

دار رأس چانى وهو تقول - حسنا.. إننى ابحث عن عمل مثل هذا لنفسى..

استمر چ وارد مورهاوس ينظر إليها وهو يحدق ببعض الريبة..

- مس ويليامز.. هل تمانعين فى إخبارى.. لماذا فقدت عملك الأخير؟

- كلا.. على الاطلاق.. لقد تركت «دريفوس وكارول».. ربما تعرفهم.. لأنى لم أحب ما يدور هنا:.. كان من الممكن أن يختلف الأمر لو ظل مستر كارول العجوز فى مكانه.. وعلى الرغم من أن مستر «دريفوس» كان عطوفا.. إلا أنى متأكدة..

- إنه عميل للحكومة الالمانية..

- نعم.. هذا ما أعينه.. لقد كرهت البقاء بعد أن سمعت بيان الرئيس.

- حسنا.. نحن هنا جميعا من أجل دعم «الحلفاء».. هكذا يكون الأمر سليما تماما..

وأعتقد إنك الفتاة التى أفضلها.. بالطبع لا استطيع التأكد الآن.. لكن.. لقد أتخذت كل قراراتى الصحيحة على عجل.. ما رأيك فى خمسة وعشرين دولارا اسبوعيا كبداية؟

- وهو كذلك.. مستر مورهاوس.. أنا واثقة أنه سيكون عملا ممتعا جدا..

- إذن .. احضرى غدا فى التاسعة.. وأرجوك أرسال هذه البرقيات عندما تخرجين..

مسز چ. وارد مورهاوس

جريت نيك .. لونج آيلند .. نيويورك
قد أضطر للذهاب إلى «مكسيكو سيتى» لاستجلاء الأمور
لا أستطيع الحضور للعشاء .. أرجو كل شئ على ما يرام ..
حبى للجميع .
وارد
مس اليانور ستودارد
٤٥ إى .. الشارع رقم (٨) .. نيويورك
اكتبى لى عما ترغبين فى أن أحضره لك من المكسيك .. مهما كان ج. و.
- مس ويليامز .. ألا يضايقك السفر ؟
- أنا لم أسافر من قبل .. لكن من المؤكد أننى سأحبه .
- قد اضطر لاصطحاب مجموعة عمل صغيرة معى .. مسألة بترولية .. دعينا نرى خلال يوم أو يومين ....
چيمس ڤرونزى ك و چ. وارد مورهاوس
١٠٠ الشارع الخامس نيويورك
إبعث بالمشورة حالا .. شورهام .. تطورات الموقف
أ، ب «بارو» حائر .. أصدر بيان عن وحدة المصالح
الإمريكية ضد هراء الاشتراكية الدخيلة . چ و م.
- شكرا هذا كل ما هنالك اليوم .. عندما تفرغين من الكتابة على الآلة الكاتبة وارسال البرقيات .. يمكنك الذهاب .
ثم إنصرف خارجا من الباب الخلفى وهو يحمل معطفه .
عندما فرغت چانى من كتابة المقالات وبينما كانت تغادر بهو الفندق لترسل البرقيات فى «الويسترن يونيون» وقعت عيناها عليه فى لحظة خاطفة وهو يرتدى بذلة المساء وقبعة رمادية من اللباد ويحمل على ذراعه المعطف ذو اللون الأصفر البرتقالى كان يهرع ناحية تاكسى دون أن يراها .
عادت إلى «النُزل» فى ساعة متأخرة .. وجنتاها متوردتان ولا تشعر بأدنى تعب .. كانت «آليس» تقرأ على حافة الفراش .. استقبلتها وهى تصبح .
أوه .. لقد بلغ بى القلق ...
لكن چانى أسرعت تحتضنها وانطلقت تقص عليها كيف وجدت عملا كسكرتيرة

خاصة لچ. وارد.. مورهاوس.. وإنها ستذهب إلى المكسيك..

أنفجرت آليس تبكى لكن «چانى» كانت من السعادة حيث أنها لم تتوقف لتلاحظ أو تنتبه إلى البكاء بل استمرت فى حديثها لتقص كل شئ.. حدث عصر هذا اليوم.. فى شورهام..

(ساحر الكهرباء)

ولد «إديسون» فى «ميلان» بولاية «أوهايو» سنة ألف وثمانمائة سبعة وأربعين.

كانت «ميلان» مجرد مدينة صغيرة تقع على نهر «هورون» وظلت لفترة الميناء الرئيسى لشحن الغلال لمخزون «الغرب» كله حيث امتدت الخطوط الحديدية كشرايين تلك التجارة.

رحلت عائلة «إديسون» إلى ميناء «هورون» فى «ميتشجان» لتنمو مع نمو البلاد.. كان أبوه مجرد صانع للأسقف الخشبية.. يقوم ببعض المضاربات الصغيرة.. يتاجر فى الحبوب والطعام والأخشاب.. أقام برجا خشبيا ارتفاعه مائة قدم للسياح ومحبى النزهة مقابل ربع دولار للفرد الذى يريد أن يعتلى البرج ليتطلع إلى بحيرة «هورون» و نهر «سانت كلير».. وهكذا استطاع «سام اديسون» أن يوطد اقدامه ويصير مواطنا محترما فى «بورت هورون».

ذهب «توماس إديسون» إلى المدرسة ثلاثة شهور فقط لأن «معلمته» رأت أنه لا يمتلك ما يكفى من الذكاء.. فتولت أمه تعليمه فى المنزل.. أعطته كل ما تعرفه.. قرأت معه ما كتبه كتاب القرن الثامن عشر.. چيبون[٢٢١] وهيوم[٢٢٢] ونيوتن[٢٢٣] وتركته يقيم معملا فى قبو البيت.. وكلما قرأ عن شئ مضى إلى القبو ليجربه بنفسه.

عندما بلغ «إديسون» الثانية عشرة احتاج للنقود لشراء الكتب والمواد الكيميائية.. حصل على ترخيص لبيع الصحف فى القطارات.. قطع الطريق يوميا من «ديترويت» إلى «بورت هورون» وفى «ديترويت» وجد مكتبة عامة قرأ كل ما بها.

جهز معملا فى القطار وكلما قرأ عن شئ مضى ليجربه بنفسه.. وأقام مطبعة صغيرة طبع عليها صحيفة دعاها «الهيرالد» عندما إندلعت الحرب الأهلية.. استطاع أن ينظم خدمة صحفية ينقل بها أخبار المعارك الكبرى ويحصل على بعض النقود.. حتى سقط منه عود فوسفور أحرق العربة وطُرد من القطارات.

لكنه فى ذلك الوقت كان قد حاز شهرة فائقة فى البلاد كمحرر شاب لأول صحيفة

تطبع فى قطار.. حتى «التايمز» اللندنية كتبت عنه.

تعلم العمل على «التليغراف» وحصل على وظيفة فى محطة ستراتفورد المركزية بكندا.. فى وردية الليل لكنه ترك ذات يوم قطار بضاعة يتعدى «التحويلة» واضطر للبحث عن عمل آخر.

(أثناء الحرب الأهلية كان يمكن لأى شخص على دراية بالتليغراف أن يجد عملا فى أى مكان).

وهكذا رحل إديسون يجوب أنحاء البلاد.. يتولى الأعمال ويهجرها.. يقرأ خلال تجواله كل الكتب التى تقع بين يديه وكلما قرأ عن تجربة علمية مضى ليجربها بنفسه وكلما اقترب من «ماكينة» حاول أن يعرف تركيبها.. وكلما تركوه بمفرده فى مكتب التليغراف حاول أن يفعل العجائب.. كان هذا غالبا ما يكلفه «وظيفته» ويضطر للبحث عن عمل آخر.

أصبح هو «عامل التليغراف» الجوال خلال الغرب الأوسط كله.. ديترويت.. سنسناتى.. إنديانابوليس.. لويز ڤيل.. نيوا ورليانز.. دائما مفلس.. دائما ملوثة ملابسه بالمواد الكيميائية ودائما يفعل العجائب «بالتليغراف».

وفى «بوسطون» عمل فى «الويسترن يونيون».

وفى «بوسطون» أنجز نموذجا لأول اختراعاته.. جهاز أتوماتيكى لعد الأصوات فى الكونجرس..

هكذا رحل إديسون إلى واشنطن بعد أن استدان.. وكان هذا كل ما خرج به..

واخترع تلغرافا كاتب[٢٢٤] وأجهزة إنذار ضد اللصوص وأحرق كل بشرة وجهه بحامض النيتريك..

وكانت «نيويورك» السوق الرائجة لكل الأسهم والأفكار والذهب والنقود..

(هذا الجزء كتبه هوراشيو ألجر)

عندما وصل إديسون إلى «نيويورك» كان فى قمة الإفلاس تثقله الديون فى «بوسطن» و «روشستر».. فى الوقت الذى كان فيه الذهب فى قمة رواجه و «چاى جولد» Jay Gould يحاول أن يحتكر سوق الذهب.. و «وول ستريت»[٢٢٥] يضج بالاندفاع المسعور.. ورجل يدعى «لو» Law قد صمم مؤشرا كهربائيا (اختراع كلاهان)ليسجل سعر الذهب فى مكاتب السماسرة.

مضى إديسون ليبحث عن عمل بلا نقود ولا مأوى يلجأ إليه.. يتسكع حول

المكتب الرئيسى.. يقطع الوقت مع «الفنيين» وعندما يتعطل جهاز الإرسال العام وسط يوم حافل بالمعاملات العصيبة الملتهبة ويفقد كل منهم وعيه.. يتقدم إديسون ليصلح الجهاز وهكذا تسلم عملا مقابل ثلاثمائة دولار فى الشهر. فى عام تسعة وستين.. عام الجمعة الأسود أسس شركة للهندسة الكهربائية بالاشتراك مع رجل يدعى «بوب».

ومن الآن فصاعدا سوف يعمل لحسابه الخاص..

صمم «التليغراف الكاتب» وباعه.. أقتنى ورشة ميكانيكية ومعملا وكلما فكر فى اختراع حاول أن ينفذه.. كون أربعين ألف دولار من «الشركة العالمية للتليغراف الكاتب» استأجر محلا فى «نيوارك» وانهمك فى صنع التليغراف الاتوماتيكى وأجهزة لإرسال برقيتين أو أربعة على نفس الخط.

وفى «نيوأرك» حاول مع «شولز» أن يصمم أول آلة كاتبة.. واخترع آلة النسخ (Mimeograph) والريوستات الكربونى [٢٢٦] والميكروتاسيمتر[٢٢٧] وصنع لأول مرة ورق البارافين.

استحوذ على فكره شيئا ما سماه بالقوة الأثيرية.. حاول جاهدا أن يفك أسرار تلك القوة الأثيرية لكن «ماركونى» هو الذى نجح فى استعمال الموجات الهرتزية وكان «الراديو» هو ذلك الاختراع الذى سيمزق الكون القديم ويقتل الإله الاقليدى العجوز[٢٢٨] لكن «إديسون» لم يكن أبدا ذلك الرجل الذى يبالى بالتصورات الفلسفية.

لقد عمل ليلا ونهارا غارقا فى الدواليب والأسلاك النحاسية وزجاجات المواد الكيميائية وكلما فكر فى اختراع حاول أن ينفذه.. لقد جعل الأشياء تعمل..

ولم يكن عالم رياضيات.. كان يقول استطيع أن استأجر عالم رياضيات لكن عالم الرياضيات لا يستطيع أن يستأجرنى.

وفى عام ألف وثمانمائة ستة وسبعين ذهب إلى «منلوبارك» Menlo Park حيث اخترع جهاز الأرسال الكربونى الذى جعل من «التليفون» مشروعا تجاريا.. والذى جعل فى الإمكان تصميم الميكرفون..

لقد عمل ليلا ونهارا لينتج..

الفونغراف..

والمصباح الكهربائى المتوهج..

ونُظم توليد وتوزيع وتنظيم وقياس التيار الكهربائى.. المقابس والمفاتيح الكهربائية والعازلات وفتحات الدخول (البرايز).. صمم إديسون أول أنظمة لاستعمال التيار

الكهربائى فى الاضاءة مستخدما التيار المستمر ولمبات بسيطة التركيب وقوس مركب.. تلك الأنظمة التى أقيمت فى لندن وباريس ونيويورك وصنبرى ببنسلفانيا.

نظام التوزيع ثلاثى الأسلاك..

فرازة الخام المغناطيسية..

خط السكك الحديدية الكهربائى..

لقد انهكهم بالعمل فى مكتب براءات الاختراع وهو يراكم براءات الاختراعات ومذكراتها التفسيرية.

ولكى يجد الفتيل للمصباح الكهربائى الذى سيصبح من أشهر المشروعات التجارية.. جرب كل أنواع الورق والملابس والخيوط والأصواف والألياف والسليولويد.. وخشب البقس وقشر جوز الهند والراتنخية والجوزية والغار ورقائق القيقب وخشب الورد وخشب الصوفان والفلين والكتان والخيزران وشعرة من لحية «اسكتلندى» أحمر الوجه.

وكلما وجد مادة أسرع يجرى عليها التجارب..

فى عام ألف وثمانمائة سبعة وثمانين أنتقل إلى المعامل الهائلة فى «وست اورانج» هناك اخترع كسارة الصخور والفلوروسكوب وافلام «البكرة» لكاميرات السينما والمركم القلوى وقمينة حرق الأسمنت البورتلندى والكينتوفون وهو أول جهاز للسينما الناطقة والمنزل ذو الأساس الخرسانى الذى يهيئ المسكن الصحى المثالى الرخيص للعمال فى عصر الكهرباء.

كان توماس أ. إديسون فى الثانية والثمانين من عمره يعمل ستة عشرة ساعة يوميا.

لم يشغل نفسه أبدا بالرياضيات أو النظام الاجتماعى أو التصورات الفلسفية العامة..

عمل فى توافق وانسجام مع «هنرى فورد» و «هارفى ڤيرستون» اللذان لا يهتمان أبدا بالرياضيات أو النظام الاجتماعى أو التصورات الفلسفية العامة..

لقد عمل ستة عشرة ساعة فى اليوم محاولا إيجاد بديل للمطاط وكلما قرأ عن شئ حاول أن يجربه وكلما وجد مادة أخذها إلى المعمل ليجرى عليها التجارب.

عين الكاميرا (٢٥)

كان صرير عجلات الترام - فى تلك الليالى الربيعية - ينطلق كالأنين مختلطا

بحشرجة القضبان المفككة عند كل إنحناءة فى دوران ميدان «هارڤارد» وذرات التراب تحوم حول وهج المصباح الكهربائى طول الليل - لا يمكنها أن تهدأ - حتى الفجر.

هل امتلكت الشجاعة يوما كى تحطم ذلك الناقوس الزجاجى؟

أربعة سنوات تحت القبة الجامعية.. خذ نفسا عميقا.. الآن.. بلطف.. كى تكون ولدا طيبا.. واحدا.. أثنين.. ثلاثة.. أربعة.. خمسة.. ستة.. يجب أن تحصل على أعلى الدرجات فى بعض «المواد» لكن لا يجب أن تصبح دودة كتب.. أهتم بالأدب لكن احتفظ بنفسك «جنتلمانا» بأن تبتعد عن صحبة اليهود والأشتراكيين.

وكل علاقة طيبة تقيمها ستفيدك فى حياتك فيما بعد.. قل «مرحبا» بود لكل شخص يعبر الفناء.

ينمو الفتور مع (الثقافة) مثل كوب شاى منسى ما بين محرقة البخور ومجلد «لأوسكار وايلد» بارد ليس له ذلك المذاق القوى لنبيذ «بوردو» وعصير الليمون مع موسيقى «البوب»(٢٢٩) فى القاعة السيمفونية..

أربعة سنوات لا تدرى هل استطعت أن تفعل كما أراد «ميكل أنجلو» أن يقول. ماركس إلى جميع.

الأساتذة «بسويفت»(٢٣٠) الصغير محطما كل الأقزام فى ساحة الرماية.. لكنك بعينين موجعتين قضيت ليلة ربيعية مسهدا تقرأ «التاريخ المأسوى لدكتور فاوست» وصرير عجلات الترام مختلطا بحشرجة القضبان المفككة عند كل انحناءة فى دوران ميدان «هارڤارد» مع صراخ القطارات التى تمرق عبر المستنقعات الملحية وصفارات البواخر التى تغادر المرفأ ودبيب النعاس وأصوات عمال المصانع يعزفون «المارش» مع فرقة الآلآت النحاسية الحمراء خلال طرقات لورانس - ما سشوستس.. كلها تصيبك بالجنون..

إن هذا أشبه بكرة «ماجد بُرج»(٢٣١) حيث يحتفظ الضغط الخارجى بالفراغ الداخلى.. لكنك لم تمتلك الشجاعة.. كى تقفز خارجا إلى الأبواب لتقول لهم جميعا أن يذهبوا ليلحقوا بـ...

«رامبو»(٢٣٢) المحلق..

نحو القمر

جريدة سينمائية (١٧)

وقع هجوم ببعض المناطيد(٢٣٣) المعادية قبل منتصف الليل.. سقطت القنابل بدون

تمييز تقريبا فوق مناطق ليس لها أى أهمية عسكرية.

عمال السكك الحديدية لن يتزحزوا خطوة

قال كابتن «كوينج» قبطان «الدويتشلاند» علينا أن نشق طريقنا فى ظروف غير مواتية بالمرة[٢٣٤].

– كانت الباخرة تسير بسرعة تسعين ميلا فى الساعة لتعبر جزر السولومون[٢٣٥] فى الثانية والنصف (٢,٣٠) وكل سفينة تمر تطلق صفاراتها للتحية..

أنت سبب اللى أنا فيه..

إن شالله تكون راضى..

أنت شدتنى للواطى.. الواطى.. الواطى..

لحد الروح ما عدش فيه روح..

تم شنق السير «روجر كيسمنت» فى سجن «بنتونفيل» فى التاسعة صباح اليوم.

غواصة المانية تعبر (الكاب) بدون عوائق.

إلتهم وجبة خفيفة من الألبان أو القهوة الممتازة مع فتيات يسبحن بالفساتين الشفافة على رصيف الملاهى. تسجيل خسائر ضخمة فى محصول الولايات المتحدة الايطاليون سعداء بالوثائق الخطيرة التى تركها النمساويون وهم ينسحبون على عجل السيول تكتسح الوادى أستاذ يقول أن «بيتهوفن» له مذاق «البفتيك» اللذيذ.

يحول خردة المدينة إلى منجم ذهب

القمر سوف يحجب زُحل عن الرؤية الليلة..

الأخوة يتقاتلون فى الظلام.

ماك

استولى الثوار على «چواريز» وأضطر «هُيرتا» إلى الفرار وازدحمت البواخر المتجهة إلى أوروبا بملاك الأرض والأثرياء الهاربون إلى باريس وأصبح «فنُستيانو كارانزا» رئيسا فى مدينة «مكسيكو» وتمكن «ماك» بمساعدة بعض الأشخاص من الحصول على تصريح لدخول العاصمة – بكت «انكارنسيون» عندما علمت بنبأ الرحيل وتجمع كل الفوضويين على المحطة لوداعه. كان «ماك» يريد أن ينضم إلى «زاباتا»[٢٣٦].

لقد التقط بعض الكلمات الاسبانية من «انكارنسيون» وفكرة مبهمة عن اتجاهات الثورة.

استغرقت رحلة القطار خمسة إيام وتوقف خمس مرات كى يتمكن عمال الصيانة من إصلاح الخط أمامه.. وأحيانا بالليل تمرق طلقات الرصاص عبر النوافذ وعندما اقترب من «كابالوس» أحاطت به مجموعة من الرجال يمتطون الجياد.. إعتلوا القطار وهم يلوحون بقبعاتهم العريضة وأخذوا يطلقون النار أثناء سيرهم حتى استيقظ الجنود فى كابينة الحراسة وراحوا يبادلونهم اطلاق الرصاص وانسحب الرجال وسط عاصفة من الغبار.. اختبأ المسافرون تحت المقاعد أو انبطحوا فى الممرات عندما بدأ اطلاق النيران وبعد أن انتهى الهجوم تصاعد صراخ امرأة عجوز وتبين أن أحد الأطفال أصيب فى رأسه.. مضت الأم الزنجية البدنية التى ترتدى الثياب المزركشة تتجول فى القطار جيئة وذهابا وهى تحمل الجسد الضئيل الدامى ملفوفا بوشاح تسأل عن وجود طبيب لكن أى فرد كان يستطيع أن يدرك أن الطفل قد مات.

شعر «ماك» بأن الرحلة لن تنتهى.. اشترى طعاما حريفا متبلا من بعض النسوة الهنود العجائز على المحطات وقليلا من «البُلكه»[٢٣٧] التى لم يستطع تذوقها وحاول أن يقطع الوقت بالحديث إلى رفاق السفر حتى عبروا «كويرتارو» وبدأ القطار يسرع هابطا المنحدرات الطويلة.. هب الهواء البارد المنعش وابتدأت قمم البراكين تظهر فى مواجهة السماء الزرقاء وراء حقول متشابكة لا نهاية لها من الأغاف الامريكى وفجأة مرق القطار مجلجلا بين أسوار الحدائق والأشجار الناحلة ثم توقف وتصاعد رنين الوصلات.. إنها مدينة «مكسيكو».

أحس «ماك» بالضياع وهو يقطع الطرقات الواسعة بين الحشود التى سادها الصمت أو تناثر بينها الهمس.. كان الرجال يرتدون جميعا الملابس البيضاء بينما ارتدت النساء الملابس السوداء أو الزرقاء الداكنة.. كانت الشوارع تسطع بها الشمس ويكسوها التراب لكنها هادئة.. المحلات مفتوحة وهناك تاكسيات وعربات تروللى وعربات ليموزين أنيقة.. لقد بدأ يشعر بالقلق فليس معه غير دولارين وتلك الفترة الطويلة التى قضاها فى القطار أنسته التفكير فيما ينوى أن يفعله عندما يصل إلى مقصده.. إنه يريد الآن ثيابا نظيفة وحماماً. أخذ يتجول حتى اضناه التعب.. رأى مكانا كتب عليه «البار الامريكى» فدخل وجلس على إحدى الموائد يريح ساقيه المتعبتين.. أتى الجرسون وسأله بالانجليزية عما يطلب.. لم يكن بإمكانه أن يفكر فى أى شئ آخر غير «الويسكى» جلس يشرب وهو يضع رأسه بين يديه.. كان هناك على البار مجموعة من الامريكيين وأثنين من المكسيكيين بقبعاتهم التنجالون وهم يلعبون «النرد» مقابل الشراب..

طلب «ماك» كأسا آخر من الويسكى.. رأى رجلا مكتنزا محتقن الوجه يرتدى قميصا كاكيا مهترئا يدور بقلق على البار.. بمجرد أن التقطت عيناه «ماك» جاء ليجلس على مائدته.

- أتسمح لى بالجلوس لحظة أيها الزميل.. أولاد الزنا هؤلاء مزعجون للغاية هنا... «سومبررو»... أين جلس الجرسون الملعون؟ أحضر كأس بيرة.. حسنا.. لقد رحلت المرأة العجوز والأولاد للخارج اليوم.. إلى أين تنوى الرحيل؟

أجاب ماك - لماذا؟ لقد حضرت لتوى.

- ما هذا الذى تقوله.. لا يوجد هنا مكان لرجل أبيض.. إن رجال العصابات سيحتلون المدينة فى أى يوم وسوف يكون الوضع فظيعا.. أقول لك.. لن يتركوا رجلا أبيض على قيد الحياة.. لسوف أنال بعضهم قبل أن ينالونى.. والله استطيع قتل خمسة وعشرين منهم.. لا أربعة وعشرين.. انتظر..

جذب مسدسه من جيبه الخلفى.. أفرغ الخزانة وأخذ يعد الرصاصات فى يده.. ثمانية..

أخذ يبحث فى جيوبه ويضع الطلقات على المائدة وهو يرصها بجانب بعضها.

- عشرون فقط.. لقد سرقنى إبن عاهرة..

أتى رجل طويل نحيل من عند البار.. وضع يده على كتف الرجل المحتقن..

- إيوستاس.. من الأفضل أن تخبئ هذا حتى نحتاجه.. أنت تعرف ما يجب عمله.. أليس كذلك؟

ثم استدار إلى ماك وتابع حديثه:

- بمجرد أن يبدأ اطلاق النار.. على جميع الامريكيين أن يتجمعوا فى مبنى السفارة وهناك سوف نقاتل إلى آخر رجل.

هتف أحدهم.. - هاى أيها الزعيم.. تعال خذ جولة أخرى فمضى الرجل الطويل عائدا إلى البار.

قال ماك - يبدو أن زملائك يتوقعون المتاعب.

- متاعب .. يا إلهى.. إنك لا تعرف هذه البلد.. هل أتيت لتوك؟

- وصلت من «چواريز» الآن فقط.

- لا يمكن أن يحدث هذا فالسكك الجديدية كلها مقطوعة عند «كويرتارو».

- لابد أنهم أصلحوها.. قل لى.. ما الذى يقولونه هنا عن «زاباتا».

- يا إلهى.. أنه أكثر أفراد عصابة الأوغاد تعطشا للدم.. لقد أمسكوا بزميل كان رئيس العمال فى مصنع السكر فى «موريلوس» Morelos وشووه على نار بطيئة واغتصبوا زوجته وبناته أمام عينيه.. يا إلهى.. أنت لا تعرف يا صاحب أى نوع من البلاد هذه.. هل تعرف ما ينبغى أن نفعله؟ هل تعرف ما كان ينبغى أن نفعله لو كان هناك رجل فى البيت الأبيض غير هذا المصُلح الجعجاع المبطون..

نحشد جيشا من مائة ألف رجل لننظف هذا المكان.. إنه بلد رائع ولكن.. إن أى واحد من هؤلاء العصاة الملاعين لا يستحق البارود والرصاصة التى تطلقها عليه.. أحرقهم كما تُحرق الحشرات.. هذا ما أراه.. إن كل أولاد العاهرات هؤلاء وأمهاتهم يخفون «زاباتا» تحت جلودهم.

- ما هو عملك الذى كنت تعمله؟

- أنا يا صاحب أنقب عن البترول.. ولى فى هذه البؤرة القذرة خمسة عشرة عاما وكنت على وشك الخروج.. كان يمكن أن أرحل اليوم على القطار المتجه إلى ڤيراكروز لولا أن لى بعض المستحقات التى يجب أن أسويها كما أريد أن أبيع أثاث المنزل... لا تستطيع أن تتنبأ متى سيقطعون الخط الحديدى.. وحينئذ لن نستطيع الخروج.. وسوف يتركنا الرئيس «ويلسون» لنقتل هنا مثل الفئران فى المصيدة.. لو أن الشعب الامريكى يدرك الظروف التى هنا..

يا إلهى.. سوف نصبح سخرية لكل الأمم الأخرى.. ما هو عملك يا صاحب؟

- مطبعجى.. عامل «لينوتيب».

- أتبحث عن عمل؟

أجاب «ماك» وهو يخرج من جيبه دولارا ليدفع ثمن الشراب.

- أظن هذا.. فلم يبق معى غير دولار واحد.

- لماذا لا تذهب للبحث فى جريدة «المكسيكان هيرالد» إنهم دائما يحتاجون إلى عمال مطبعة يعرفون الإنجليزية ولا يستطيعون إبقاء أى شخص هنا.. إنه لم يعد مكانا يصلح لرجل أبيض.. إنظر يا صاحب.. هذا الكأس على حسابى..

- حسنا وسوف نتناول كأسا آخر على حسابى أنا..

- إن النيران قد التهبت الآن وكل شئ سائر إلى الجحيم.. فلنشرب يا صاحب بقدر ما يمكننا ذلك.

فى ذلك المساء بعد أن تناول «ماك» بعض الطعام فى المطعم الأمريكى الصغير

مضى يتجول فى الحديقة العاتمة ليفيق من أثر الويسكى قبل أن يذهب إلى «الهيرالد مكسيكان» ليرى أن كان يمكنه أن يحصل على عمله.. إنه لا ينوى البقاء أكثر من إسبوعين حتى يتمكن من معرفة الأرض التى يقف عليها قبل أن يقرر الرحيل. كانت الأشجار الطويلة فى الحديقة والتماثيل البيضاء والنافورات والعشاق بالملابس الأنيقة وهم يتجولون فى ضوء الغسق وصليل العربات على الطريق الحجرى كان كل هذا يوحى بالهدوء.. وكان هناك صف طويل من النساء الهنديات يقفن بعيونهن المتحجرة يبعن الفواكه وثمار الجوز.. وعلى طول الرصيف تنتشر ألوان الحلوى الوردية والصفراء والخضراء على واجهة الأكشاك.. إن الرجل الذى تحدث إليه فى «البار» - هكذا قرر ماك - كان يريد التغرير به باعتباره وافد جديد..

حصل على العمل بسهولة فى «الهيرالدمكسكان» مقابل ثلاثين دولارا مكسيكيا فى الاسبوع لكن كل شخص فى «المطبعة» كان يتحدث حديث الرجل فى «البار» واصطحبه رجل امريكى من أصل بولندى يعمل كقارىء للبروفات. تلك الليلة إلى فندق صغير ليجد به سريرا.. واقرضه قطعتين نقديتين تكفيانه حتى يحصل على أجره.. وقال البولندى العجوز.

- يجب أن تحصل على أجرك مقدما بقدر ما يمكنك ذلك.. ففى أى يوم يمكن أن تحدث الثورة وحينئذ وداعا «للهيرالد مكسيكان».. هذا إذا لم يتدخل «ويلسون» بالسرعة الكافية..

أجاب ماك قائلا - هذا الأمر يطيب لى فأنا أريد رؤية الثورة الاشتراكية.. وضع البولندى العجوز أصبعه فوق أنفه وهز رأسه بطريقة غريبة ثم مضى. عندما استيقظ «ماك» فى الصباح رأى حجرته الصغيرة تسطع باللون الأصفر الفاقع.. كان الأثاث مطليا باللون الأزرق وعلى النافذة تنسدل الستائر الحمراء وفيما بين الستائر تنفذ أشعة الشمس باللون القرمزى الناصع من خلال المصاريع.. تسقط دافئة فوق أغطية الفراش.. سمع طائر كنارى يغنى فى مكان ما وتناهى إليه صوت دبيب المرأة التى تُعد كعك «التورتية»(٢٣٨).. نهض وفتح مصاريع النافذة.. تطلع إلى السماء الصافية فوق الأسقف القرميدية الحمراء ورأى الشوارع خالية تغمرها أشعة الشمس.. ملأ رئتيه بالهواء المنعش البارد وشعر بلسعات الشمس فوق وجهه وذراعيه ورقبته وهو مازال يقف فى مكانه.. لأبد أنه استيقظ مبكرا.. عاد إلى الفراش واستغرق فى النوم مرة أخرى..

عندما أمر «ويلسون» الامريكيين بمغادرة المكسيك بعد ذلك بعدة شهور كان

«ماك» قد استقر فى شقة صغيرة فى «بلازا ديل كارمن» مع فتاة تدعى «كونتشا» (Concha) وقطتين فارسيتين بيضاويتين.. كانت «كونتشا» تعمل كاتبة إختزال ومترجمة فى شركة امريكية.. ظلت ثلاث سنوات عشيقة لأحد رجال البترول وتجيد الحديث بالانجليزية وخلال الهرج الذى حدث بفرار «هُيرتا» فر الرجل بالقطار إلى «ڤيراكروز» تاركا كونتشا دون ملجأ لا تملك غير المرارة..

أولعت بماك منذ اللحظة التى رأته فيها ذاهبا إلى مكتب البريد.. وأخذت توفر له أسباب الراحة.. وكلما حدثها عن رغبته فى الذهاب للانضمام إلى «زاباتا» تجيبه ضاحكة أن «الفلاحين» ليسوا أكثر من أجلاف جهلة لا يصلحون بغير حكم السياط..

كانت أمها العجوز التى تلتف دائما بوشاح أسود يلف رأسها تأتى لتطبخ لهما.. وبدأ «ماك» يتذوق الطعام المكسيكى.. الديك الرومى بالصلصة السميكة البنية الداكنة.. والأنشيلاداس(٢٣٩) بالجبن.

والقطتان اللتان تسميان «بورڤيريو» و «فنستيانو» ترقدان تحت فراشهما.. وكونتشا تتصرف بمنتهى الاقتصاد وتوفر له نقوده بطريقة أفضل مما يستطيع هو.. لم تكن تشكو أبدا عندما يخرج ليهم فى أرجاء المدينة ثم يعود إلى المنزل متأخرا يشكو الصداع من احتساء «التكويبلا»(٢٤٠).

وهكذا بدلا من أن يحاول اعتلاء أحد القطارات المزدحمة إلى «ڤيراكروز».. أخذ «ماك» مدخراته القليلة واشترى أثاث مكتب كان أحد رجال الأعمال الأمريكيين المذعورين يحاول بيعه. مقابل أى شئ يستطيع الحصول عليه.. وكومه فى الفناء الخلفى للمنزل.

كانت تلك فكرة كونتشا فى المقام الأول وحينما كان يحاول أن يغيظها بالقول.. كيف يمكن أن نتخلص من هذا مرة أخرى لا تجيبه بغير إنحناءة من رأسها وهى تقول

- فقط انتظر قليلا.

كانت «كونتشا» تحب كثيرا صُحبة يوم الأحد عندما يأتى أصدقاء ماك ليتناولوا طعام الغذاء.. تنتظرهم بسرور بالغ وترسل أخاها الصغير «أنطونيو» يبحث لهم عن البيرة والكونياك.. ودائما تجهز بعض الفطائر فى المنزل لتقديمها إذا جاء أحد على غير موعد. كان هذا بالنسبة إلى ماك شيئاً رائعاً.. أكثر روعة من تلك الحياة التى عاشها مع «ميزى» فى «سان دييجو» وبدأ يتوقف اهتمامه بالذهاب والانضمام إلى «زاباتا».. وتبين أن «قارئ البروڤات» البولندى ويدعى «كورسكى» أحد المنفيين السياسيين الاشتراكيين ورجل واسع الاطلاع كان يجلس دائما بعد الظهر أمام نصف زجاجة من الكونياك وهو

يتحدث طول الوقت عن الشئون السياسية فى أوروبا وكيف أنه أمتنع عن المشاركة فى أى شئ منذ أنهيار الأحزاب الاشتراكية الأوربية فى بداية الحرب.. لقد أكتفى بموقف المتفرج.. وكانت له نظريته الخاصة بأن التمدين والطعام المتنوع هما سبب انهيار الجنس البشرى.

كان هناك أيضا «بن ستويل» يحاول أن ينقب عن البترول لحسابه ويتفق مع حكومة «كارانزا» فى التنقيب عن بعض الآبار طبقا للقانون.. ويعانى الافلاس معظم الوقت واعتاد أن يقترض من «ماك» بعض النقود.. لكنه كان دائما يتحدث عن الملايين ويقول عن نفسه أنه «تقدمى» فى السياسة ويعتقد أن «زاباتا» و «ڤيلا»[٢٤١] أناس شرفاء...

واعتاد دائما أن يأخذ وجهة نظر معارضة لأى حجة يقولها «كورسكى» ويلهب الرجل العجوز بالغضب وهو يبدى ميوله المناهضة للاشتراكية.

أراد «ماك» أن يجمع بعض النقود يرسلها إلى «ميزى» من أجل تعليم الأولاد.. كان يسعده بين الحين والآخر أن يبعث إلى «روز» صندوقا مليئا باللعب وأصبح يقضى مع «بن ستويل» وقتا طويلا يتحدثان عن فرص الكسب فى المكسيك..

وأضاف «بن ستويل» إلى الصُحبة إثنين من الشبان الراديكاليين كانا يستمتعان بالجلوس فترة بعد الظهر يتحدثان عن الاشتراكية والشراب وتعلم الانجليزية.

لم يكن «ماك» يشترك كثيرا فى الحديث لكنه أحيانا ينتابه الحنق ويأخذ فى سرد المبادئ المستقيمة لمنظمة عمال العالم "I.W.W." .. وتنهى كونتشا كل الأحاديث عندما تحضر العشاء وتهز رأسها قائلة.

- كل رجل فقير.. اشتراكى.. أليس كذلك؟.. لكنك عندما تصبح غنيا تصير على الفور رأسماليا.

ذات يوم من أيام الأحد خرج ماك وكونتشا بصحبة بعض الصحفيين المكسيكيين وبن ستويل ترافقه فتاته التى تدعى «أنجوستياس» وتعمل كفتاة كورس فى قاعة «ليريكو» Lirico استقلوا الترولل إلى «إكسوتشميلكو» ثم استأجروا قاربا به منضدة ومظلة وعليه رجل هندى يعمل كمرشد.. ساروا خلال القنوات التى تحف بها أشجار الحور وسط الأحواض المزهرة والحدائق الغناء.. شربوا «البولكة» وزجاجة من الويسكى كانت معهم .. واشتروا للفتيات باقة من الزنابق وأخذ أحد المكسيكيين يعزف على الجيتار ويغنى..

وعصر اليوم عاد الهندى بالقارب مرة أخرى إلى المرسى وأخذوا يتمشون أزواجا بين الخمائل.. أحس ماك فجأة بالحنين إلى الوطن وأخذ يحدث كونتشا عن أطفاله فى أمريكا

وعن «روز» بشكل خاص.. أنفجرت فى البكاء وراحت تقص عليه كيف أنها تحب الأطفال لكنها فى السابعة عشرة سقطت صريعة مرض خطير اعتقدوا أنها ستموت منه.. لكن ها هى الآن تعيش ولا تستطيع الانجاب وليس معها غير «بورفيريوا» و «فنسيتانو» قبلها ماك وهو يقول أنه يتعهد برعايتها.. ثم عادوا إلى محطة الترولل مثقلين بالزهور.. ترك ماك وبن الفتيات يذهبن إلى المنزل بمفردهن ثم مضوا إلى المقهى لتناول الشراب قال «بن» إنه قد مل كل هذه الأشياء ويود أن يحزم متاعه ليعود إلى الولايات المتحدة.. يتزوج ويؤسس له بيتا وعائلة..

- لقد بلغت الأربعين كما ترى.. يا يسوع.. إن الرجل لا يمكن أن يهيم على وجهه طول حياته..

أجاب ماك - حسنا.. أنا لست ببعيد عنها.

لم يتحدثا كثيرا لكن «بن» رافق ماك فى طريقه حتى مقر «الهيرالد مكسيكان» ثم مضى إلى «إيتوربيد» ليلتقى ببعض رجال البترول الذين يقيمون هناك وأخذ يلوح لماك بيده وهو يخطو فى الطريق ويصيح:

- حسنا.. إنها حياة عظيمة إذا لم يصيبك الضعف...

كان رجلا قصيرا متيناً مكتنز الرقبة يسير بساقين مقوستين.

بعد عدة أيام أتى «بن» إلى «بلازاديل كارمن» قبل أن يغادر ماك فراشه قائلا.

- ماك.. يجب أن تأت لتناول الطعام معى عند الظهر.. هناك شخص يدعى ج. هـ. بارو .. أريد أن نتجول معه قليلا فى المدينة... لعله يفيدنا بشئ.. ثم أننى أريد أن أعرف أى صنف من الرجال يكون على أية حال.

كان الرجل يكتب بعض المقالات عن الوضع فى المكسيك وقيل أن له بعض العلاقات مع A.F. of.L. (٢٤٢) وقد جلس على مائدة الغذاء يتساءل بفزع هل المياه صالحة للشرب؟ هل من الخطر التجول فى الطرقات بعد هبوط الظلام؟

أخذ «بن ستويل» يمازحه قليلا.. وهو يقص عليه قصة الجنرال وأصدقائه الذين اقتحموا أحد البارات وأخذوا يطلقون النار على الأرض ليبثوا الرعب فى قلوب الزبائن ثم استخدموا المكان بعد ذلك «ساحة للرماية».

أضاف ماك - حلبة رماية.. هذا ما يطلقونه على الكونجرس هنا..

قال «بارو» إنه سيذهب إلى اجتماع الاتحاد الوطنى للعمال(٢٤٣) بعد ظهر اليوم وأنه يرغب أن يصحبوه إلى هناك ليترجموا له. لم يكن لديهم مانع فقد كان اليوم يوم عطلة لماك..

- وهو كذلك.

أضاف الرجل أن لديه تعليمات لمحاولة إقامة اتصالات بالعناصر العمالية القوية المعتدلة بهدف ضمهم إلى «اتحاد المنظمات العمالية لعموم امريكا»(٢٤٤) وسوف يأتى «چومبرز» بنفسه لو تم إرساء شئ.. ثم أخذ يتحدث عن نفسه.. لقد عمل موظفا فى شركة بواخر ثم محصلا فى «بولمان» ثم أصبح فى مكتب «رابطة مهندسى السكك الحديدية» لكنه الآن يعمل لمصلحة A.F. of L. وأنه يود أن يضيف للعمال الامريكيين أفكارا كثيرة عن فن الحياة.. لقد حضر اجتماعات المؤتمر الثانى للدولية فى أمستر دام وأحسى أن العمال الأوربيين قد أتقنوا فهم فن الحياة وعندما سأله «ماك» لماذا بحق الجحيم لم تستطع «الدولية الثانية» أن تفعل شيئا لوقف الحرب العالمية أجاب أن الوقت لم ينضج بعد ثم أخذ يتحدث عن فظائع الألمان.

قال «بن» - إن الفظائع الألمانية لعب أطفال بالنسبة لما يحدث كل يوم فى المكسيك فأخذ «بارو» يتساءل هل حقا ما يشاع بأن المكسيكيين لا أخلاقيين..

كان مفعول البيرة التى شربوها على الغذاء قويا.. أصبحوا يتحدثون على راحتهم.. أراد بارو أن يعرف هل من الخطر أن يخرج مع الفتيات هنا نظرا لإرتفاع نسبة الاصابة بالزهرى. أجابه «ماك» نعم لكنه يستطيع هو «وبن» أن يأخذاه إلى بعض الأماكن النظيفة إذا رغب فى ذلك.. أجاب «بارو» متلعثما وهو يكتم ضحكة عصيبة ويبدو عليه الاضطراب «إنه سوف يرغب فى هذا سريعا فإن على الرجل أن يرى الأشياء من جميع جوانبها عندما تكون وظيفته البحث والتقصى.. دق «بن ستويل» المائدة بقبضة يده قائلا إن «ماك» هو الرجل الذى يمكن أن يريه كل خبايا المكسيك.

ثم مضوا إلى المؤتمر الذى إزدحم بالرجال بأرديتهم الزرقاء وبشرتهم الداكنة ويبدو عليهم النحول.. لم يتمكنوا فى البداية من الدخول بسبب الحشد المزدحم عند المدخل وفى الممرات وعلى أبواب القاعة لكن «ماك» وجد موظفا يعرفه حصل لهم على مقاعد بإحدى المقصورات كانت القاعة خانقة وهناك فرقة تعزف وأناشيد وخطب طويلة جدا.. قال «بارو» أن الاستماع إلى اللغة الأجنبية يصيبه بالنعاس وأنه يقترح أن يتجول فى المدينة وأنه قد سمع أن حى الدعارة هو... إنه حقا مهتم بمعرفة الأحوال..

خارج القاعة التقوا «بهنريك سلفادور» صحفى على معرفة بـ «بن» ومعه عربة وسائق.. قال ضاحكا وهو يصافحهم إن العربة عربة رئيس البوليس صديقه.. وهل يرغبون فى الركوب حتى سان أنچيل San Angel ؟

عبروا الطريق الطويل الذى يمر «بتشابلتبيك» قصر (إليزيه) المكسيك.. هكذا سماه «سلفادور» وبالقرب من «تاكوبايا» Tacubaya أشار «سلفادور» إلى البقعة التى وقعت بها الاشتباكات بين جيش «كارانزا» وانصار «زاباتا» فى الاسبوع الماضى.. والزاوية التى قتل فيها أحد التجار الأثرياء بأيدى رجال العصابات..

أخذ «ج. هـ. بارو» يلح فى السؤال هل الوضع آمنا لكى يتوغلوا بعيدا هكذا داخل البلد؟

أجاب «سلفادور» - أنا صحفى وصديق لكل إنسان.

خارج «سان أنجيل» احتسوا بعض الشراب وفى طريق عودتهم للمدينة مروا بحى الدعارة. بدا ج. هـ. بارو هادئا تماما وهو يتابع بعينين غائمتين الأكواخ الصغيرة المضاءة.. بداخل كل منها فراش وبعض الزهور الورقية وصليب يظهر من وراء الباب المفتوح الذى تنسدل عليه ستارة حمراء أو زرقاء والفتيات الهنديات ببشرتهن الداكنة يبدين هادئات بقمصانهن القصيرة يقفن خارج الأبواب أو يجلسن على العتبة.

قال «بن ستويل» - ها أنت ترى أن الأمر غاية فى البساطة.. لكن أنصحك بالأ تتجول هنا دون حرص.. سوف يرينا سلفادور ملهى طيب بعد العشاء.. لابد أنه يعرف وكرا فهو صديق رئيس البوليس الذى يتعامل مع الكثيرين منهم.

لكن «بارو» أصر أن يدخل أحد الأكواخ وهكذا خرجوا من السيارة ليتحدثوا مع إحدى الفتيات وأرسل سلفادور السائق ليحضر زجاجتين من البيرة.

استقبلتهم الفتاة بأدب بالغ.. حاول «بارو» أن يجعل «ماك» يوجه لها بعض الأسئلة لكن «ماك» رفض أن يوجه لها أى سؤال وترك تلك المهمة لسلفادور..

وضع ج. هـ. بارو يده على كتفها العارى محاولا أن يخلع القميص وهو يسألها كم تريد لقاء أن يراها عارية تماماً.. لم تفهم الفتاة ما يريد.. جذبت نفسها بعيدا وأخذت تصرخ وتقذفه بكلمات السباب.. لم يترجم سلفادور ما قالته بينما همس بن بصوت خفيض لماك.

- دعنا نُخرج إبن الزنا هذا من هنا قبل أن يحدث شجار أو أى شئ.

وإنطلقوا إلى بار صغير حيث لا يباع شئ غير «التكويبا» من براميل صغيرة لامعة.. ليشربوا «التكويبا» قبل تناول الطعام.. أخذ «سلفادور» يوضح لج. هـ. بارو كيف يشربها.. أولا يضع الملح بين الإبهام والسبابة ويتجرع كأس التكويبا الصغيرة ثم يلعق الملح ويبلع بعض الصلصة المتبلة بالفلفل لينتهى كل شئ.. لكن بارو لم يفلح فى

النهاية.. تجرعها بطريقة خاطئة وغص بها.

وعلى العشاء كانت الخمر قد لعبت تماما برؤوسهم.. ظل ج. هـ. بارو يصيح بأن المكسيكيين يفهمون حقا فن الحياة.. ووجدها سلفادور على هواه فأنطلق يتحدث عن العبقرية الهندية والعبقرية اللاتينية وكيف أن ماك وبن هما الشخصان الامريكيان الوحيدان اللذان استطاع ان يستمر فى صداقتهما.. وأصر ألا يدفعوا ثمن الطعام فهو على حساب صديقه رئيس البوليس ثم انطلقوا إلى إحدى الصالات بجانب المسرح حيث قيل أن هناك فتيات فرنسيات.. لكن الفرنسيات لم يكن هناك.. وجدوا ثلاثة رجال عجائز يعزفون على التشيللو والكمان والفلوت.. أمرهم «سلفادور» أن يعزفوا «الآدليدا» وأخذوا يغنونها جميعا ثم «الكوكارتشا» ورأوا رجلا عجوزا يرتدى القبعة ذات الحافة المستديرة العريضة ويلمع ورائه جراب مسدسه الضخم.. ازدرد شرابه بسرعة بمجرد دخولهم ثم غادر الصالة وهمس سلفادور لماك..إنه الجنرال «چونزالز» وقد خرج كى لا يراه أحد يشرب مع الآمريكان.

إنفرد «بن» و«بارو» على مائدة بأحد الأركان وأخذا يتحدثان وقد تقارب رأساهما.. عن أعمال البترول.. قال «بارو» أن أحد «المحققين» من قبل شركات بترولية معينة سوف يأتى وقد يصل إلى فندق «ريجز» Regis فى أية لحظة.. أجاب «بن» إنه يريد أن يقابله.. وضع «بارو» ذراعه حول كتف «بن» قائلا أنه متأكد من أنه الشخص المناسب الذى يريد ذلك المحقق مقابلته ليحصل على معرفة واقعية بالأحوال.

فى تلك الأثناء كان ماك وسلفادور يرقصان الرقصة الكوبية مع بعض الفتيات.. نهض «بارو» على قدميه وهو يترنح قائلا إنه لن ينتظر الفرنسيات.. لماذا لا يذهبون إلى المكان الذى أتوا منه ليتذوقوا «اللحم الزنجى» لكن سلفادور أصر على اصطحابهم إلى بيت «رمديوز» بالقرب من السفارة الامريكية قائلا بفرنسية ركيكة.

– إن به بعض الجميلات. Ouelque Cosa de chic

كان بيتا كبيرا بسلالم رخامية وثريات من الكريستال وسُجف شفافة والمرايا تتناثر فى كل مكان.. قال وهو يقدمهم إلى «المدام».

– إنهم بعض الضيوف الواجب اكرامهم.. Personne que les henerales vieng aqui كانت امرأة سوداء العينين ذات شعر أشيب تلتفح بوشاح أسود وتبدو أقرب ما تكون إلى هيئة الراهبة. لم تكن هناك غير فتاة واحدة خالية وهكذا تركوها «لبارو» بعد أن اتفقوا على الثمن وتركوه..

قال «بن» وهو يتنفس الصعداء بمجرد خروجه.

- أفُ.. ياله من خلاص..

كان الهواء باردا والسماء مرصعة بالنجوم.

طلب «سلفادور» من الرجال العجائز الثلاث أن يركبوا فى مؤخرة العربة مع آلاتهم قائلا أنه يشعر بالرومانسية ويريد أن يغنى تحت نافذة محبوبته.. وانطلقوا فى اتجاه «جوادلوب» Guadalupe بسرعة كالمجانين على الطريق العريض الممهد.. والآلآت تدوى بأقصى طاقتها وعلى أنغامها البهيجة أخذ ماك والسائق وبن وسلفادور والرجال العجائز الثلاث يغنون (الآدليدا).

توقفوا فى «جوادلوب» تحت بعض أشجار الدلب أمام جدار منزل ذو نوافذ واسعة تغطيها القضبان الشبكية واخذوا يغنون «المحبوب الجميل»، و «الآدليدا» و «كواترو ميلباس»(٢٤٥) وغنى بن وماك «فقط لا تدع الدمع الغائم.. الغائم فى عينيها» وكانوا على وشك غناء «أوه.. لا تدفنى فى البرارى الموحشة» حين أطلت فتاة من النافذة وأخذت تتحدث بالاسبانية بصوت هامس فترة طويلة مع سلفادور وأخيرا قال «سلفادور» أنها تقول يجب أن نرحل بعيدا.. وأن نكف عن عمل فضيحة.. يالها من ساحرة» Elle dit que nous make escandalo and must go away. Trés chic" وفى ذلك الوقت جاءت فرقة من الجنود وكانت على وشك اعتقالهم جميعا عندما وصل الضابط وتعرف على العربة وعلى «سلفادور» وأخذهم ليتناولوا الشراب فى البيت الذى يأوى فيه.

عندما وصلوا فى النهاية إلى بيت ماك كانوا جميعا ثمالى يترنحون من الخمر..

جهزت كونتشا التى أصبح وجهها شاحبا من طول الانتظار فراشا اضافيا لبن فى غرفة الطعام وبينما كانوا يستعدون للنوم صاح «بن».

- كونتشا.. يا للسماء.. أنت أجمل فتاة.. عندما أجمع ثروتى سأشترى لك أجمل قرطين من الماس فى الولاية الفيدرالية..

وكان آخر ما شاهدوه من «سلفادور» وقفته المنتصبة فى مقدمة العربة التى مضت تعبر المنعطف وهو يقود العجائز الثلاث الذين يعزفون «الآدليدا» بالحركات الجادة كما لو كان قائد اوركسترا.

عاد «بن ستويل» قبل اعياد «الكريسماس» من رحلته إلى «تاموليباس» Ta- maulipas وهو يشعر بالغبطة.. كانت الأشياء تبدو على ما يرام بالنسبة له.. وكان قد أتم تسوية مع الحاكم المحلى بالقرب من «تامبيكو» لإدارة حقل بترول على أساس النصف

بالنصف وبواسطة «سلفادور» استطاع مصادقة عدد من أعْضاء مجلس وزراء حكومة «كارانزا» ويأمل أن يجنى الكثير من وراء الحصول على بعض الصفقات واقامة العلاقات مع الشركات الكبيرة صاحبة الحق فى الولايات. وأصبحت النقود تجرى فى يده وحصل على حجرة فى «ريجز» وذات يوم ذهب إلى «ماك» فى المطبعة وطلب منه الخروج معه دقيقة واحدة فى الممشى:

- ماك.. إنتبه.. لقد جئت بعرض لك.. هل تعرف مكتبة «ورثنجتون» العجوز؟. حسنا لقد سكرت الليلة الماضية وأشتريتها بألفى بيزوس.. أنه يجمع حاجياته ليشد الرحال إلى الوطن.. فى داهية..

- بئس ما فعلت.

- حسنا.. أنا مسرور لإزاحته عن الطريق.

- لماذا إيها العاهر الكبير.. إنك تسعى وراء «ليزا».

- حسنا.. إنها أيضا أكثر سعادة لإزاحته عن الطريق.

- إنها حلوة بكل تأكيد.

- عندى الكثير من الأخبار سأقولها لك فيما بعد.. هل ستجرى الأمور فى «المكسيكان هيرالد» على ما يرام.. ربما.. لكنى جئت بعرض لك.. يشهد المسيح أننى مدين لك بالكثير.. هل تعرف أثاث المكتب الذى تركته عندك منذ دفعتك كونتشا لشرائه فى ذلك الوقت؟

أحنى ماك رأسه.

- حسنا.. سوف اخذه منك وتكون شريكا بالنصف فى المكتبة.. لسوف افتتح مكتبا وأنت تعرف العمل فى مجال بيع الكتب.. لقد أخبرتنى بذلك.. أرباح العام الأول ستكون كلها لك وبعد ذلك سنقتسمها سويا.. أنظر؟ إنك بالتأكيد ستديرها كما يجب مثلما كان ذلك العجوز المغفل «ورثنجتون» مع الاحتفاظ «بليزا» ضمن الصفقة. هل توافق؟

- يا الهى.. أعتقد أنى سأنتهى بالموافقة.. رغم العودة لمتاعب بيع الكتب اليومية.

وهكذا وجد «ماك» نفسه يدير محل بيع الكتب فى شارع الاستقلال مع مخزون من الأوراق والأدوات الكتابية وبعض كاتبات الآلة.

شعر بالسعادة وهو يحس لأول مرة فى حياته أنه قد صار رئيس نفسه.. كانت

كونتشا هى الأخرى إبنة بائع كتب وتمارس العمل بإبتهاج.. ترتب الكتب وتتحدث إلى الزبائن وهكذا لم يكن لدى ماك ما يفعله غير الجلوس والقراءة أو الحديث مع اصدقائه.. عندما أتى «الكريسماس» أقام «بن» و «ليزا»، وهى فتاة طويلة اسبانية قيل أنها كانت راقصة فى «مالقه»(٢٤٦) لها بشره بيضاء ناعمة كزهرة الكاميليا وشعر فاحم كالأبنوس، كل صنوف الحفلات فى شقتهم المزودة بالحمام والمطبخ الامريكى التى استأجرها «بن» ناحية (تشابلبتيك) وفى اليوم الذى أقام فيه «اتحاد الناشرين» مأدبته السنوية أتى «بن» إلى المكتبة وهو مبتهج.. أنه يريد أن يحضر «ماك» «وكونتشا» بعد العشاء.. وألا يمكن للكونتشا أن تحُضر معها اثنتان من الصديقات.. فتاتان لطيفتان تتصرفان بلباقة وليس من العسير ارضائهم كما تعرف.. لأنه سيقيم حفلة لج. هـ. بارو الذى عاد من «ڤيراكروز» بصحبة رجل اتصال كبير من نيويورك يدبر أمرا لا يعرف «بن» ما هو على وجه التحديد وقد التقى «بكارانزا» ليلة أمس وعلى المأدبة كان كل إنسان يتودد له..

- ماك.. كان ينبغى أن تحضر تلك المأدبة.. لقد استقلوا عربة أتوبيس والمائدة الطويلة تتوسطها مع أوركسترا وساروا حتى «سان أنچيل» ثم عادوا وأخذوا يتجولون فى أنحاء المدينة.

أجاب ماك - لقد رأيتهم وهم ينطلقون.. كان الأمر بالنسبة لى أشبه بجنازة.

- يالله.. لقد كانت نزهة جميلة رغم أن «سلفادور» والجميع كانوا هناك وهذا الشخص «مورهاوس» يبدو أنه شخصية مهمة فى نيويورك.. يالله.. لقد بدا كما لو كان لا يدرى بالضبط ما يفعله.. أيجلس أم يقف.. كما لو كان يتوقع أن قنبلة ستنفجر تحت مقعده فى أية لحظة.. لو جئت للجد.. كان فى صالح المكسيك أن تنفجر هناك قنبلة فقد كان كل لصوص المدينة يجتمعون هناك.

لم يمض حفل «بن» بالصورة التى توقعها.. لم تجذب الفتيات اهتمام ج. وارد مورهاوس كما كان يأمل بل احضر سكرتيرته الشقراء معه.. بدت متعبة منهكة وبدا على كلاهما الخوف.. تناولوا الطعام على الطريقة المكسيكية مع الشمبانيا وكمية هائلة من الكونياك واديرت بعض الاسطوانات على «الفكترولا» «لڤيكتور هربرت» و «إيرفنج برلين» وجاءت فرقة متجولة صغيرة جذبها الزحام فعزفت بعض الألحان المكسيكية على الطريق خارج المنزل.. وبعد الطعام تصاعدت الضجة فى الداخل فجذب «بن» و «مورهاوس» مقعدين إلى الشرفة واستغرقا فى حديث طويل عن الوضع البترولى وهما يدخنان السيجار.. أوضح ج. وارد مورهاوس أنه قد أتى فى مهمة غير رسمية البتة.. أنت

تفهم.. لمجرد إقامة اتصالات وتحديد طبيعة الموقف وما السبب بالضبط وراء معارضة «كارانزا» العنيدة للمستثمرين الامريكيين.. إن كبار رجال الأعمال الذين يتصل بهم فى الولايات يرغبون فقط فى موقف عادل وأنه يشعر أن وجهت نظرهم يمكن أن تدرس بعناية من خلال مكتب اعلامى بواسطة التعاون الأخوى مع الصحفيين المكسيكيين..

مضى «بن» إلى قاعة الطعام وأحضر «هنريك سلفادور» و «ماك».. اشتركوا جميعا فى الحديث عن الأوضاع.. قال ج. وارد مورهاوس أنه يتحدث من واقع خبرته كصحفى قديم وانه يفهم بدقة موقف الصحافة ومن المحتمل أن الصحافة لا تختلف كثيرا فى مدينة «مكسيكو» عنها فى «شيكاغو» أو «بتسبرج».. إن كل ما يريده الصحفيون أن يعطوا كل زاوية جديدة للموقف اهميتها المناسبة بروح الانصاف والتعاون الودى لكنه يشعر أن الصحافة المكسيكية قد ضللتها معلومات خاطئة عن أهداف رجال الأعمال الامريكيين فى المكسيك كما أن الصحافة الامريكية ضللتها معلومات خاطئة عن أهداف السياسة المكسيكية وأنه لو اراد مستر «هنريك» الاتصال به فى «ريجز» فإنه سيكون سعيدا بالحديث معه بالتفصيل ومع أى واحد منكم أيها السادة ويفرض أنه لم يكن موجودا هناك بسبب المواعيد الكثيرة المرتبط بها والأيام القليلة جدا التى سيقضيها فى العاصمة المكسيكية فإن سكرتيرته «مس ويليامز» سوف يسعدها أن تمدهم بالمعلومات التى يرغبون فيها مع بعض المذكرات الموثوق بها والتى أعدت بعناية عن اتجاهات الشركات الامريكية الكبيرة التى استقاها من اتصاله المتين بها.

وبعد أن أنهى حديثه نهض معتذرا بأن لديه برقيات فى انتظاره «بريجز» وصحبه «سلفادور» مع سكرتيرته «مس ويليامز» حتى باب الفندق فى عربة رئيس البوليس قال ماك مخاطبا «بن» بعد أن غادر ج . وارد مورهاوس المنزل.

- يالله.. إنه ابن حرام.. ناعم.

رد «بن» - ماك.. إن هذا «الحبوب» محشو بالملايين ويشرفى أود أن أقيم تلك العلاقات التى يتحدث عنها.. يالهفتى.. قد أفعلها ولكن.. يجب أن تأخذ حذرك من عمك «ددلى»[٢٤٧]. ماك.. لن أسعى إلا وراء الأشخاص المهمين منذ الآن.

بعد هذا لم يعد الحفل على هذه الدرجة من التهذيب.. أحضر «بن» كميات أخرى من الكونياك وابتدأ الرجال يأخذون الفتيات إلى المخادع وإلى الأروقة وحتى إلى حجرة المؤن والمطبخ وأنسجم «بارو» مع فتاة شقراء تدعى «ناديا» نصف الجليزية.. أخذ يحدثها طول السهرة عن فن الحياة وبعد أن ذهب الجميع.. وجدهم «بن» وقد اغلقوا عليهم باب

مخدعه الخاص.

بدأ ماك يحب حياة «بائع الكتب».. يستيقظ من نومه عندما يحب ويتمشى فى الطرقات التى تسطع بها الشمس.. يمر بالكاتدرائية وواجهة القصر الوطنى حتى يصل إلى شارع «الاستقلال» حيث تكون الأرصفة قد رشت بالماء ونسيم الصباح يهب معبقا برائحة الزهور والقهوة المحمصة.. وعندما يصل يكون «انطونيو» شقيق كونتشا الصغير قد فتح المحل وانهمك فى أعمال التنظيف.. يجلس «ماك» فى المؤخرة يقرأ أو يتجول فى أرجاء المكتبة يثرثر مع الزبائن بالانجليزية والاسبانية لم يكن يبيع الكثير من الكتب لكنه كان يأتى بكل الصحف والمجلات الامريكية والاوربية التى كانت تباع بسرعة.. خاصة «جريدة البوليس» "police gazette" و «الحياة الباريسية» "La Vie Parisienne" وفتح حسابا فى البنك وأخذ يخطط لافتتاح بعض مكاتب الآلة الكاتبة وظل «سلفادور» يردد بأنه سيحصل له على عقد لتوريد الأدوات الكتابية إلى بعض الإدارات الحكومية وسيجعل منه رجلا غنيا.

ذات صباح لاحظ «ماك» حشدا كبيرا يملأ الميدان أمام واجهة القصر الوطنى.. عرج إلى إحدى الحانات وطلب كأسا من البيرة.. قال الجرسون أن جيوش كارانزا قد فقدت «توريون» Torréon وأن «زاباتا» و «ڤيللا» يطبقان على المقاطعة الفيدرالية الموالية للحكومه.. عندما وصل إلى المحل كانت الأنباء قد انتشرت بأن حكومة «كارانزا» قد فرت وأن الثوار سوف يصلون إلى المدينة قبل حلول الظلام. ابتدأ أصحاب المحلات يغلقون ابواب محالهم.. وجاءت كونتشا مع أمها وهى تبكى قائلة أن الوضع سوف يكون أسوأ من ذلك الاسبوع الرهيب الذى أعقب سقوط «ماديرو» وأن الثوار قد أقسموا أن يحرقوا ويغتصبوا المدينة وجاء «أنطونيو» راكضا ليقول أن انصار «زاباتا» يقذفون «تاكويا» بالقنابل.. استقل «ماك» عربة تاكسى وهرع إلى «مجلس النواب» ليرى إن كان أحدا من اصدقائه هناك.. كانت الأبواب مفتوحة على مصراعيها والأوراق تتناثر فى الأروقة وعلى السلالم وليس هناك أحد فى الدار غير هندى عجوز وزوجته يتمشيان وقد تشابكت أيديهما ينظران بوقار إلى الأسقف المذهبة واللوحات والموائد التى غطاها القماش الأخضر الوثير.. كان العجوز يحمل قبعته كما لو كان يسير فى كنيسة.

طلب «ماك» من سائق العربة الذهاب إلى الصحيفة التى يعمل بها «سلفادور» لكن البواب أخبره وهو يغمز بعينيه أن «سلفادور» قد رحل إلى «ڤيراكروز» مع رئيس البوليس.

حينئذ مضى إلى مبنى السفارة الامريكية لكنه لم يستطع أن يخرج بكلمة من أى إنسان كانت كل حجرات الانتظار غاصة بالامريكيين الذين هرعوا من المزارع ومناطق الامتيازات وهم يسبون الرئيس «ويلسون» ويتبادلون الحكايات المهولة عن الثوار فيزداد فزعهم. وفى القنصلية التقى بأحد الشوام(٢٤٨) الذى عرض عليه أن يشترى المكتبة فأجابه ماك على الفور - لا .. لن أفعل. وكر عائدا إلى شارع الاستقلال.

عندما وصل إلى المحل كان باعة الصحف يجرون فى الشارع وهم يصيحون «تحيا الثورة المنتصرة» بينما كانت امارات الهلع تبدو على «كونتشا» وأمها وهما تصران أن يأخذوا القطار ألى «ڤيراكروز» وإلا فإنهم سيقتلون جميعا. إن الثوار قد نهبوا الأديرة وقتلوا الكهنة والراهبات ركعت المرأة العجوز على ركبتيها فى أحد الأركان وبدأت تناجى العذراء.

صاح ماك - أوه.. اللعنة.. لنبع المحل ونعود إلى «امريكا» كونتشا هل تريدين الذهاب إلى الولايات؟

أحنت «كونتشا» رأسها بقوة وبدأت تبتسم من خلال الدموع..

- لكن ماذا نفعل وحق الشيطان فى امك وأنطونيو.

أجابت «كونتشا» أن لها أختا متزوجة فى «فيراكروز» ونستطيع أن نتركهم هناك لو استطعنا فقط أن نصل إلى «ڤيراكروز».

هرع ماك والعرق يتصبب منه إلى القنصلية مرة أخرى ليلتقى بالرجل الشامى.. لم يتوصل معه فى البداية إلى اتفاق على الثمن وكان يشعر باليأس لأن البنوك جميعها قد أغلقت وليست هناك طريقة أخرى للحصول على نقود.

قال الشامى أنه من لبنان ومواطن امريكى ومسيحى وأنه سوف يقرضه مائة دولار لو أعطاه «ماك» ايصالا يستحق السداد خلال ستين يوما يرهن فيه حصة من المكتبة تساوى مائتى دولار.. إنه مواطن أمريكى ومسيحى ويخاطر بحياته كى ينقذ زوجة ماك وأطفاله.

كان ماك مرتبكا لدرجة أنه لم يلاحظ إلا فى آخر لحظة أن الشامى قد دفع له مائة دولار مكسيكى وأن الايصال ينص على الدفع بالدولار الامريكى.. أخذ الشامى يدعو الله أن يحميهم جميعا قائلا إنها مجرد غلطة ومضى «ماك» عائدا بمائتى «بيزوس» ذهبا.

كانت كونتشا قد أعدت كل شئ واغلقت المحل ووقفت فى الساحة الخارجية تحمل بعض الصرر وقد وضعت القطتين فى سلة وأنطونيو وأمها يقفان بجانبها وكل منهما يلتفع

ببطانية عندما ذهبوا إلى المحطة وجدوها مكدسة بالناس والحقائب ولم يتمكنوا من دخول الأبواب فمضى «ماك» إلى فناء القطارات حيث وجد رجلا يعرفه يدعى «ماكجراث» يعمل فى السكك الحديدية.. قال «ماكجراث» إنه يستطيع مساعدتهم فى الركوب فقط عليهم أن يسرعوا وعندما وضعهم فى عربة من الدرجة الثانية تقف فى الفناء قال إنه سيشترى التذاكر لهم لكنها قد تكون بثمن مضاعف.. كان العرق يتصبب من تحت قبعة ماك عندما تمكن أخيرا من أن يجلس المرأتين ويجد لسلة القطط والصرر وأنطونيو مكانا خفياً..

كان القطار مزدحما رغم أنه لم يتحرك إلى رصيف المحطة بعد وانقضت عدة ساعات ثم تحرك القطار وعلى الرصيف وقف صف طويل من الجنود يعلو وجوههم التراب وهم يحاولون وقف الجموع التى اندفعت نحو القطار.. كانت المقاعد كلها قد احتلت والممرات قد تكدست بالقسوس والراهبات وأناس يرتدون الثياب الانيقة يتشبثون بالحواجز لم يكن لدى ماك الكثير ليقوله وهو يجلس بجانب «كونتشا» فى الجو الملتهب لعربة القطار الذى يتحرك ببطء.. أخذت «كونتشا» تتنهد كثيرا وأمها تتنهد أيضا.

– آه. آه.. ياإلهى. وهم يرثون حالتهم المنكسرة ويذرفون العبرات.. والقطار يتوقف فى كثير من الأحيان بأمر دوريات من الجنود الذين يحرسون الطريق.. وعلى كلا الجانبين تظهر عربات الشحن المحملة بالجنود لكن لا أحد يدرى مع من يقفون.. أخذ ماك يتطلع إلى المساحات المتراصة اللانهائية من حقول الأغاف الامريكى وبعض الكنائس المهدمة وراح يراقب قمم البراكين الضخمة التى يكسوها الجليد.. «بوبو كابتتل» و «اكستوى واتل» وهما يبدلان أمكانهما فى الأفق.. وبدأ يظهر المخروط ذو اللون البنى الذهبى لبركان خامد واخذ يدور ببطء أمام القطار وأخيرا ظهرت القمة البيضاء «لأوريثابا» على البعد وهى ترتفع وترتفع نحو السماء الصافية.

وعندما عبروا «وامنتلا» بدأوا يسيرون فى جو ملبد بالغيوم وبدأت تبدو تعقعة القضبان وصليل العجلات عند كل منعطف للقطار الذى بدأ يهبط المنحدرات العميقة للوادى الضبابى الذى تعصف به الريح وتحيط به الأحراش الندية وبدأوا يشعرون بالراحة وعند كل انعطافة من القطار يصير الهواء أدفأ وأكثر إنعاشا صارت النوافذ كلها مفتوحة وأخذت تظهر أشجار الليمون والبرتقال وعلى المحطات تدخل النسوة لتبيع البيرة والبولكه والدجاج والتورتيه.

فى «أوريثابا» عادت الشمس تشرق من جديد وتوقف القطار فترة طويلة.. جلس ماك فى مطعم المحطة بمفرده يشرب البيرة وبينما كان المسافرون الآخرون يشعرون بالابتهاج

ويتبادلون الحديث والضحكات كان ماك يشعر بالتعاسة.. وعندما دق الجرس لم يرغب فى العودة إلى كونتشا وأمها بتنهيداتهم الحزينة واصابعهم المتشحمة وأجنحتهم المنكسرة الذليلة فقفز إلى عربة أخرى.

كان الليل قد بدأ يرخى سدوله والجو يمتلئ بعبق الأزهار والأرض الدافئة.. ولم يصلوا إلى ڤيراكروز إلا فى وقت متأخر من اليوم التالى.. كانت المدينة تزدحم بالأعلام والرايات الكبيرة الحمراء تمتد من جدار إلى جدار على امتداد الشوارع التى اصطبغت بلون البرتقال والليمون والموز.. كانت سعف النخيل تتماوج مع هبات الريح التى تأتى من البحر واللافتات كتب عليها «يحيا أوبريجون»[٢٤٩] «تحيا الثورة المنتصرة» «يحيا حزب العمال» وفى الميدان الرئيسى كانت فرقة موسيقية تعزف والناس يرقصون بينما حلقت بعض الغربان الفزعة تنعق بين الأشجار الكثيفة التى أخذت شكل المظلات...

ترك ماك كونتشا وصررها والمرأة العجوز وانطونيو على أحد المقاعد ومضى إلى مكتب خطوط «وارد» ليرتب أمر العودة إلى الولايات.. كان الجميع هناك يتحدثون عن حرب الغواصات وعن دخول امريكا الحرب العظمى وعن فظائع الألمان.. لم يجد «ماك» مكانا خاليا على ظهر مركب لمدة أسبوع وتبين أن ما معه من المال لا يكفى لاثنين من المسافرين فى الدرجة الأخيرة فأشترى لنفسه تذكرة واحدة فى الدرجة الرخيصة وقد بدأ يدرك الآن أنه قد جعل من نفسه غبيا إحمق بما فيه الكفاية وعليه أن يقرر الذهاب بدون «كونتشا».

وعندما عاد إلى حيث كانت تجلس وجدها قد أشترت بعض شطائر التفاح بالقشدة ومانجو بينما مضت العجوز وأنطونيو باللفائف للبحث عن منزل «الشقيقة».

وأنسلت القطتان البيضاويتان من السلة وقبعتا على المقعد بجوارها. أخذت تتطلع إلى ماك بابتسامة خاطفة واثقة بعينيها السوداويتين وقالت أن «بورڤيريوا» و«فنستيانو» تشعران بالسعادة لأنهما اشتمتا رائحة سمك. مد لها يده ليساعدها على النهوض ولم يستطع أن يخبرها فى تلك اللحظة أنه قد قرر العودة إلى الولايات بدونها.. وأتى «انطونيو» مهرولا قائلا أنهم قد وجدوا «العمة» وأنها سوف تأويهم وأن كل إنسان فى «ڤيراكروز» مع الثورة.

وبينما كانوا يعبرون الميدان الرئيسى مرة أخرى قالت كونتشا أنها تشعر بالعطش وتريد شرابا فأخذوا يدورون بأعينهم بحثا عن مائدة خالية خارج إحدى المقاهى وإذ بهم يرون «سلفادور» يقفز على قدميه وينهض ليحتضن ماك صائحا - يحيا اوبريجون.

وهكذا شربوا نخبا على الطريقة الامريكية. وقال «سلفادور» بأن «كارانزا» قد قتل على الجبال بإيدى ضباطه وأن جيشا موحدا تحت قيادة «أوبريجون» يزحف إلى مدينة «مكسيكو» وقد إرتدى زى «البيون» القطنى الأبيض ووضع قبعة «البيون» العريضة المستديرة على رؤوس انصاره من «هنود الياكى»(٢٥٠) وأنه لم تعد هناك فوضى، ومبادئ «ماديرو» و «چواريز»(٢٥١) سوف تدعم وعصر جديد فى سبيله للبزوغ. إحتسوا عدة أنخاب، ولم يقل ماك أى شئ عن عودته إلى امريكا وسأل سلفادور أين صديقه رئيس البوليس فأجاب بأنه لم يسمع عنه شيئا. وفجأة سأل ماك كونتشا ماذا تفعل لو فرض وعاد إلى أمريكا بدونها فقالت أنه يمزح وأضافت أنها أحبت «ڤيراكروز» وسوف تحب الحياة فيها.. وصاح «سلفادور» إن الأيام العظيمة للمكسيك قد أتت وأنه ينوى العودة فى اليوم التالى.

فى تلك الليلة تناولوا جميعا طعام العشاء فى منزل شقيقة «كونتشا» وكان ماك هو الذى أعد الكونياك وشربوا نخب «العمال» والنقابات العمالية و «حزب العمال» و«الثورة الاشتراكية» و«الفلاحين».

وفى صباح اليوم التالى استيقظ ماك مبكرا وهو يشعر بالصداع.. تسلل خارجا من المنزل بمفرده.. أخذ يتجول فى الميناء على امتداد حاجز الأمواج وابتدأ يفكر أنه من الحماقة أن يتخلى عن «مكتبته» بهذه الطريقة.. عاد إلى مكتب خطوط «وارد» وأعاد تذكرته وأعاد له الموظف ماله.. ثم قفل عائدا إلى منزل شقيقة كونتشا فى الوقت المناسب ليتناول معهم طعام الافطار من الشيكولاته والفطائر.

بروتيوس(٢٥٢)

كان «شتاينمتز» أحدباً..

إبن مطبعجى أحدب.

ولد فى «برسلاو»(٢٥٣) عام ألف وثمانمائة خمسة وستين وتخرج فى السابعة عشرة بمرتبة الشرف من مدرسة «برسلاو» الثانوية والتحق بجامعة «برسلاو» لدراسة الرياضيات.

كانت الرياضيات بالنسبة لشتاينمتز كتمرينات العضلات ونزهة طويلة على التلال وقبلة فتاة حبيبة وسهرة طويلة تشرب فيها البيرة مع الأصدقاء..

وفوق ظهره المحدودب أحس بوطأة ثقل المجتمع.. نفس الوطأة التى يشعر بها العمال فوق ظهورهم المستقيمة وبنفس الوطأة التى يعانيها الطلبة الفقراء.. فألتحق عضوا فى

«النادى الاشتراكى» وصار محررا لصحيفة اسماها «صوت الشعب».

كان «بسمارك»[٢٥٤] متربعا فى برلين مثل «مثقلة الأوراق الضخمة» كى يحفظ النظام الاقطاعى الالمانى الجديد وكى يحتفظ بالامبراطورية لأسياده «آل هوهنزُلرن»[٢٥٥].

وأضطر «شتاينمتز» للهرب إلى «زيورخ» خوفا من الاعتقال وفى «زيورخ» أدهشت عبقريته الرياضية كل الأساتذة فى معهد «البوليتكنيك». لكن «أوروبا» فى الثمانينات لم تكن مكانا لطالب ألمانى مفلس بظهر أحدب ورأس كبير يزدحم برموز «التفاضل والتكامل» ولا تشغله غير «الكهرباء» التى ليست أكثر من «رياضيات» تخلق القوة..

واشتراكى فى النهاية..

فأبحر إلى امريكا مع صديق دانمركى كأحد ركاب «الدرجة الأخيرة» على ظهر مركب قديم يعمل على الخطوط الفرنسية يدعى (شمبانيا).

عاش فى «بروكلين» فى البداية.. يذهب يوميا إلى «يونكرز» Yonkers حيث وجد عملا مقابل اثنى عشر دولارا فى الاسبوع عند «رودولف أيخماير» وهو منفى ألمانى منذ عام ثمانية وأربعين.. مخترع وكهربائى ويملك مصنعا لتركيب آلات صنع القبعات والمولدات الكهربائية.

فى يونكرز اكتشف نظرية «التحليل التوافقى الثالث»[٢٥٦] وقانون «التخلف المغناطيسى»[٢٥٧] الذى يجمع فى صيغة رياضية العلاقات العديدة بين حرارة المعدن والكثافة والتردد عندما تتبادل الأقطاب داخل ملف مغناطيسى تحت تأثير تيار متردد.

إنه قانون «شتاينمتز» للتخلف المغناطيسى الذى جعل من الممكن صناعة كل هذه «المحولات» التى تربض داخل صناديقها الصغيرة وعلى أسطح المنازل وخطوط الضغط العالى التى تعبر فوقها فى كل مكان فالعلاقات الرياضية لقانون «شتاينمتز» هى النمط الذى تسير عليه «المحولات» فى كل مكان.

فى عام ألف وثمانمائة اثنين وتسعين عندما بيعت شركة «أيخماير» إلى الشركة التى ستحمل إسم «چنرال الكتريك» كان على «شتاينمتز» أن يقضى حياته كقطعة من ذلك الجهاز الذى ينتمى إلى «چنرال الكتريك».

كان المعمل فى البداية فى «لين» Lynn ثم انتقل ومعه الأحدب الضئيل إلى «شنكتادى» Shenectady المدينة الكهربائية.

وكانت «چنرال الكتريك» تكرمه وتلبى طلباته.. تركته «اشتراكيا».. تركته

يحتفظ بالدفيئات الزجاجية المضاءة بمصابيح الزئبق يربى بها الصبار.. تركته يقتنى التماسيح ويمرح مع الديوك والعظايا ليسلى نفسه بينما جهاز الدعاية يطنب فى وصف الساحر الدكتور الذى اكتشف الرموز التى فتحت أبواب كهف «على بابا».

خط «شتاينمتز» القانون بلا ثمن وفى الصباح التالى ارتفعت آلاف من «محطات القوى» الجديدة وأخذت «المولدات» تعزف نغم الدولارات وصمت «المحولات» يتحول كله إلى دولارات.. وجهاز الدعاية يصب آلاف القصص الناعمة فى آذان الامريكيين نهار كل «أحد» حتى أصبح «شتاينمتز» الساحر الصغير.. فتى الصالونات.. الذى روض الرعد فى معمله وجعل القطارات تجرى فى موعدها واللحم يظل طازجا فى الثلاجات والمصابيح تشع فى «الردهات» والمنارات العظيمة والأضواء الكاشفة والأضواء الدوارة التى ترشد الطائرات فى الليل إلى شيكاغو ونيويورك وسانت لويس ولوس أنجلوس.

وتركوه ليكون اشتراكيا يؤمن بأن المجتمع الإنسانى يمكن أن يتحسن بالطريقة التى يتحسن بها «الدينامو» وتركوه مؤيدا للألمان وتركوه يكتب خطابا إلى «لينين» يعرض فيه خدماته لأن علماء الرياضيات مقصرون حين يضعون القوانين التى يمكن أن تقام على أساسها محطات القوى والمصانع ونظم مترو الانفاق وتنظم الضوء والحرارة والهواء وأشعة الشمس لكنها لا تمس العلاقات الانسانية التى تؤثر على مالكى الأسهم والنقود وأجور المديرين.

كان «شتاينمتز» ساحرا مشهورا تحدث إلى «إديسون» وهو يدق بطريقة مورس على ركبة أديسون.

لأن أديسون بلغ به الصمم مبلغه..

ومضى إلى الغرب..

يلقى خطبا لم يفهمها أحد..

وتحدث مع «بريان» عن الله فى أحد القطارات..

وأحاط به الصحفيون من كل جانب عندما التقى «بأينشتين» وجها لوجه..

لكنهم لم يستطيعوا التقاط الحديث..

وكان «شتاينمتز» من أثمن القطع التى أمتلكها جهاز «جنرال الكتريك» حتى أضناه التعب ومات.

چانى

كانت الرحلة إلى المكسيك والعربة الخاصة التى وضعتها الحكومة المكسيكية تحت

تصرف ج. وارد مورهاوس ليعود بها إلى الشمال جميلة حقا رغم بعض الأرهاق والجو العاصف المترب أثناء عبور الصحراء.. اشترت چانى بعض الأشياء الرائعة الجمال وزهيدة الثمن مجوهرات من الفيروز والعقيق القرنفلى اللون لتهديها إلى آليس وأمها وأختيها وبينما كانوا يقطعون الطريق فى العربة الخاصة كان ج . وارد لا يكف عن شغلها فى الكتابة. وكانت هناك مجموعة كبيرة من الرجال يجلسون فى غرفة التدخين أو رصيف المشاهدات يشربون ويدخنون السيجار ويضحكون للقصص البذيئة.. كان ذلك الرجل «بارو» الذى أدت له بعض الأعمال فى «واشنطن» واحدا منهم.. ودائما ينتهز الفرصة للحديث إليها.. لم تكن تحب تلك الطريقة التى يثبت بها عينيه عليها لكنه مازال شخصا مثيرا للاهتمام.. يختلف تماما عما تصورته من أنه يبدو كزعيم عمالى.. كان مما يسليها أن تكون على علم «بكوينى» وهى تتصور الدهشة التى سوف تعلو وجهه لو أخبرته بذلك.. كانت تمزح معه كثيرا واعتقدت أنه ربما يكون واقعا فى غرامها ولكن أى نوع من الرجال يمكنه أن يتصرف هكذا مع أى إمرأة.

لم تعد هناك عربة خاصة بعد «لاريدو» Laredo ولم تعد الرحلة على تلك الدرجة من الراحة.. وهكذا اتجهوا مباشرة إلى نيويورك..

واحتلت فراشا سفليا فى إحدى عربات القطار بمعزل عن ج. وارد وأصدقائه بينما احتل الفراش العلوى شاب بدا جذابا للغاية يدعى «بلك سوندرز» من «بانهندل» Panhandle بولاية «تكساس» يتحدث بلكنة مضحكة كان قد نبذ رعى الأبقار وعمل فى أحد حقول البترول بأوكلا هوما وأدخر بعض النقود وهو الآن فى طريقه لزيارة «واشنطن».. ابتهج كثيرا عندما اخبرته إنها من «واشنطن» وراحت تحدثه عن كل ما ينبغى أن يراه.. الكابيتول والبيت الأبيض ونصب «لنكولن» التذكارى وتمثال واشنطن وملجأ قدامى الجنود.. و «ماونت ڤيرنون»(٢٥٨) وقالت إنه يجب أن يحرص على الذهاب إلى الشلالات الكبرى وقصت عليه رحلة التجديف وكيف أن عاصفة رعدية مخيفة بالقرب من قنطرة كابين جون Cabin John's bridge قد صادفتها..

تناولا عدة وجبات معا فى عربة الطعام وقال أنها فتاة ممتازة تبعث على الراحة عند الحديث إليها وكانت له فتاة فى «تولسا» Tulsa بأوكلا هوما لكنه ينوى الذهاب للعمل فى «فنزويلا» فى أحد حقول البترول «بماركيبو» Marcaibo لأن تلك الفتاة قد هجرته لتتزوج من مزارع غنى قذر اكتشف البترول فى مرعى الأبقار الذى يملكه.

أخذ ج. هـ. بارو يغيظها بذلك الصديق الأنيق الذى التقطته فقالت إن عليه أن

يحاسب نفسه عن تلك السيدة ذات الشعر الأحمر الذى صاحبها فى «سانت لويس» أخذا يضحكان معا وشعرت بمنتهى «الشقاوة» وأن چ. هـ. بارو بعد كل شئ ليس على هذه الدرجة من السوء وعندما غادر «باك» القطار فى «واشنطن» أعطاها لقطة فوتغرافية له بجانب برج بئر بترول قائلا إنه سوف يكتب لها كل يوم وسوف يأتى إلى «نيويورك» ليراها إذا سمحت بذلك.. لكنها لم تسمع عنه أبدا بعد ذلك.

واستراحت أيضا إلى «مورتون» الخادم الخاص اللندنى الأصل فقد كان دائما يخاطبها بأدب بالغ ويأتى كل صباح ليخبرها كيف يبدو چ. وارد اليوم «إنه مكتئب تماما هذا الصباح» «إنه أخذ يصفر وهو يحلق ذقنه» «هل صحته على ما يرام؟ «بكل تأكيد».

عندما وصلوا إلى محطة «بنسلفانيا» بـ «نيويورك» كان عليها أن تبقى مع «مورتون» حتى تتحقق من أن صندوق الملفات قد أرسل إلى المكتب ١٠٠ الشارع الخامس.. وليس إلى «لونج آيلندا» حيث يقطن چ. وارد. وودعته فى «البيرس آرو»[٢٥٩] Pierce Ar-row بعد أن قطعت مشوارا طويلا من «جريت نيك» لتحصل على الأمتعة. ثم مضت إلى المكتب بمفردها فى عربة تاكسى بصحبة آلتها الكاتبة وأوراقها وملفاتها..

إنتابها الخوف والتوتر وهى تتطلع إلى البيوت الشاهقة البيضاء وصهاريج المياه المستديرة التى تناطح السحاب.. والدخان الكثيف الملتف والأرصفة التى تعج بالناس.. وكل أنواع التاكسيات والشاحنات وكل هذا الصخب والاندفاع المجنون..

أين يمكن أن تجد غرفة للاقامة؟.. كيف ستجد الأصدقاء؟ وأين ستأكل؟!

بدا أمرا مفزعا أن تمضى وحيدة فى مدينة كبيرة كهذه المدينة وأخذت تعجب كيف واتتها الجرأة لتأتى.. إنها يجب أن تحصل على عمل «لآليس» كى يمكنهما استئجار شقة معا ولكن أين ستقضى هذه الليلة؟

عندما وصلت إلى المكتب بدا كل شئ طبيعيا يبعث على الاطمئنان.. الأثاث الأنيق المصقول يشع باللمعان.. وكاتبات الآلة يسرعن الخطوات والحركة والضجيج أكثر مما كانت فى مكتب «دريفوس وكارول» لكن كل الوجوه هنا عليها سيماء يهودية.. أنها تخشى أن يناصبونها العداء ولا تتمكن من الاستمرار فى العمل.

قادتها فتاة تدعى «جلاديز كومبتون» إلى مكتبها قائلة إنه كان مكتب «مس روزنتال» وكان يقع فى الممشى الصغير وملاصق تماما لمكتب چ. وارد الخاص وفى مواجهة مكتب مستر «روبنز» كانت «جلاديز» كومبتون» فتاة يهودية وكاتبة الاختزال الخاصة لمستر «روبنز» وقالت كم كانت مجنونة «مس روزنتال» إنهم جميعا فى المكتب قد أسفوا

للحادث الذى أصابها.. احست چانى كما لو كانت تخطو إلى غرفة شخص ميت وأن عليها أن تتمالك أعصابها.. حملقت بها «جلاديز كوميتون» بعيون بنية يبدو عليها الامتعاض ويظهر عليها حول خفيف عندما تحدق فى أى شئ وقالت أنها تتمنى أن تألف العمل لأنه فى بعض الأحيان يكون ببساطة قاتلا ثم غادرتها.

عندما أتت ساعة الانصراف فى الخامسة خرج چ. وارد من مكتبه الخاص.. شعرت چانى بالفرح وهى تراه يقف بجانبها قائلا إنه قد تحدث مع مس «كومبتون» وطلب منها العناية بچانى قليلا فى البداية.. إنه يعرف كم هو شاق على فتاة شابة أن تشق طريقها فى مدينة كبيرة حتى تجد المكان المناسب لمعيشتها وكل هذه الأشياء.. لكن مس «كومبتون» فتاة لطيفة وسوف تساعدها وكل شئ سيمضى على ما يرام.. ثم ابتسم لها بعيونه الزرقاء واعطاها رزمة من المذكرات قائلا إنه يريدها أن تحضر غدا إلى المكتب مبكرا إن لم يغضبها هذا بعد إن تكون قد أعدتهم له ليكونوا على مكتبه فى التاسعة.. إنه لم يكن ليطلب منها عملا كهذا لكن كل كاتبات الآلة على درجة كبيرة من الغباء وكل شئ شملته الفوضى أثناء غيابه..

لم تشعر چانى بغير السعادة لأن تفعل ما يقوله.. بعثت ابتسامته الدفء فى جسدها..

غادرت المكتب بصحبة «جلاديز كومبتون» قالت «چلاديز» بما أنها لا تعرف المدينة يكون من الأفضل أن تأتى للمنزل معها.. إنها تقيم فى «فلات بوش» مع أبيها وأمها.. وبالطبع قد يكون المكان غير ملائم لما اعتادته مس ويليامز.. لكن لديهم غرفة خالية يمكن أن تقيم بها حتى تجد سبيلها..إنه على الأقل مكان نظيف غير كثير من الأماكن الأخرى..

مضوا إلى المحطة ليحصلوا على حقيبتها.. أحست چانى بالارتياح لأنها لم تضطر لشق طريقها بمفردها وسط هذا الزحام.. مضو ا إلى أحد الأنفاق ليركبوا القطار السريع الذى كان مزدحما حتى الأبواب.. لم تكن چانى تعتقد أنها تستطيع احتمال هذا.. أن تقف ملتصقة بكل هؤلاء الناس.. إنها لا يمكنها ابدا الوصول هكذا.. كانت القطارات تصنع ضجة هائلة أثناء مرورها بالنفق لدرجة أنها لم تستطع سماع ما تقوله الفتاة الأخرى وأخيرا وجدت نفسها تخرج إلى شارع واسع على جانبيه اصطفت المبانى من طابق واحد أو طابقين ومحلات البقالة والخضروات والفواكه.. قالت حلاديز كوميتون.

– مس ويليامز.. نحن نأكل «الكوشير»[٢٦٠] إرضا ء لرغبة العجائز.. أرجو ألا

تهتمى بهذا.. فأنا وأيضا «بنى» - «بنى» أخى - ليس لدينا أى تعصبات.

لم تكن چانى تعرف ما هو «الكوشير» لكنها ردت بالطبع إنها لا تهتم بهذا وأخذت تحدث الفتاة الأخرى كم هو ظريف ذلك الطعام المكسيكى المتبل بالفلفل لدرجة أنك لا يمكنك تذوقه.

عندما وصلوا إلى المنزل بدأت «جلاديز كومبتون» تنطق الكلمات بصورة أقل وضوحا.. وتبدى الكثير من الود والكياسة.. كان أبوها رجلا عجوزا ضئيلا يضع العوينات على طرف أنفه وأمها امرأة بدينة تشبه الكمثرى ترتدى الشعر المستعار.. كانوا يتكلمون فيما بينهم «باليدية»[٢٦١].. وتصرف كل منهم بقدر ما يستطيع لتشعر «چانى» بالراحة.. أعطوها غرفة مريحة وقالوا أنهم سيتقاضون عشرة دورلارات فى الاسبوع مقابل الاقامة والطعام طالما ارادت البقاء وعندما ترغب فى الرحيل يمكنها أن ترحل دون أن يغضب أحد.

كان المنزل يقع فى صف طويل من المنازل المتشابهة.. مطلى باللون الأصفر ويصلح لعائلتين وكان جيد التدفئة كما كان الفراش مريحا.. وكان الرجل العجوز صانع ساعات عمل فى الشارع الخامس فى محل «جواهرجى» وكانوا يحملون فى مواطنهم الأصلى اسم «كومبشتشسكى» Kompshchski لكنهم قالوا أن أحدا فى نيويورك لا يستطيع نطقه وأراد العجوز أن يغير الاسم إلى «ڤريدمان» لكن زوجته رأت أن «كومبتون» أكثر وقعا وكانوا يتناولون عشاءا طيبا من أكواب الشاى وحساءا بقطع الزلابية والكافيار الأحمر والسمك وبدأت چانى تشعر بأنه أمر لطيف حقا أن تتعرف على مثل هؤلاء الناس.

كان الصبى «بنى»[٢٦٢] مازال فى المدرسة الثانوية.. يبدو عليه القلق وهو يجلس بعويناته الثقيلة ورأسه تتدلى فوق الطبق وعندما يتكلم أحد يبدى إعتراضه لما يقال بطريقة فجة خشنة وتقول «چلاديز» إنه مما يغفر له أنه متقدم فى دراسته وينوى دراسة القانون. عندما زالت تدريجيا ابتدأت چانى تحب آل كومبتون خاصة مستر كومبتون العجوز الذى كان ودوداً يتعامل مع كل ما يحدث بروح الدعابة الرقيقة المغلفة بالحزن.

أصبح العمل فى المكتب مثيرا.. وصار ج. وارد يعتمد عليها فى كثير من الأشياء وشعرت أن هذا العام من الأعوام السعيدة بالنسبة لها.. لم يكن ينغص عليها شئ سوى ثلاثة أرباع الساعة التى تقطعها فى مترو الانفاق كل صباح حتى تصل إلى ميدان «الاتحاد» تحاول أن تشغل نفسها بقراءة الصحف وتحاول أن تظل بمنأى عن زحام الأجسام.. ودت لو تتمكن من الذهاب إلى المكتب فى أتم يقظتها وزينتها.. ثوبها محتفظا بأناقته

وشعرها بتسريحته.. لكن الرحلة الطويلة التى تتأرجح فيها على امتداد الطريق تصيبها بالارهاق ولا تبعث فيها غير شعورا واحدا أنها تود أن تغير ملابسها وتأخذ حماما آخر لكنها أحبت السير فى الشارع الرابع عشر مع اشراقة الصباح المبكر الذى تشع فيه الشمس ثم بالشارع الخامس.. حتى تصل إلى المكتب.. وكانت هى وچلاديز أول من يصل.. تضع الزهور فوق مكتبها وأحيانا تدخل لتضع زوجا من الزهور فى الفازة الفضية على مكتب چ. وارد العريض من الخشب الماهوجنى.. ثم تبدأ فى فرز الخطابات.. تضع خطاباته الشخصية فى كومة انيقة وتقرأ الخطابات الأخرى.. تنظر إلى دفتر المواعيد ثم تعد قائمة دقيقة بالمواعيد والمقابلات والنشرات التى يجب أن تتم.. والمقالات المعدة للصحف.. وتضع القائمة تحت متقلة الأوراق النحاسية من شبه جزيرة ميتشجان بعد أن تطبع علامة "W" الأنيقة أمام النقاط التى تستطيع إتمامها دون الرجوع إليه.

وفى الوقت المناسب تعود إلى مكتبها تصحح النشرات التى خرجت إليها من مكتب مستر «روبنز» فى اليوم السابق وعندما يقترب ميعاد وصول چ. وارد.. تبدأ فى الاحساس بشعور من الوخز الغريب يشمل كل جسمها.. وتقول لنفسها هذا شئ لا معنى له.. لكنه فى كل مرة تسمع صوت فتح الباب الخارجى تتطلع باهتمام وتوجس.. وقد تعانى من القلق.. لعله اصيب فى حادث وهو يقود سيارته من «جريت نيك».. وعندما تيأس من حضوره تراه يمرق بسرعة إلى مكتبه موزعا ابتسامات خاطفة لمن حوله وتهدأ مخاوفها بعد أن تسمع صوت باب مكتبه الزجاجى المعتم.. وهو يغلق من خلفه.. وتهتم دائما بملاحظة لون بذلته التى يرتديها.. الداكن أم الفاتح. ولون رباط عنقه وعما إذا كان قد قص شعره حديثا أم لا.. ذات يوم لاحظت ساق بنطلون بذلته الزرقاء وقد لطخته بقعة من الوحل فلم تستطع أن تمنع نفسها طوال الصباح من التفكير كيف يمكن أن تجد ذريعة تستطيع أن تذهب بها إليه لتنبهه إلى ذلك. ونادرا عندما كان ينظر إليها نظرة مباشرة وهو يمرق بعينه الزرقاء المتلألئة أو يتوقف ليسألها سؤالا كانت تغمرها السعادة.

كان العمل فى المكتب يستحوذ كل اهتمامها.. لقد وضعها فى قلب الأشياء مثلما كانت تشعر وهى تتحدث مع «چيرى برنهام» فى الماضى بمكتب «دريفوس وكارول» .. كانت هناك تقارير عن «منتجات أونونداجا للأملاح» "onondaga Salt Products" ونشرات عن أملاح إزالة عسر الماء والكيماويات وفريق الموظفين للبيسبول والكافيتريا ومعاشات العجائز وشركة «ماريجولد للنحاس» Marigold Copper والنزاعات الهدامة بين عمال المناجم وأغلبهم من الأجانب الذين يجب ترويضهم لاعتناق المبادئ الامريكية

ومجلس إدارة شركة الموالح الذى ينظم حملة تجارية لتعليم المستثمرين الصغار فى «الشمال» المزايا القيمة الراسخة لصناعة الفواكه فى فلوريدا.. والشعار الذى ينبغى أن يعمم «ضع كأسا من بيرة «التمساح» على كل مائدة إفطار» لحساب تعاونية منتجى «الأفوكاته»(٣٦٣)

كانت تلك الجمعية التعاونية تبعث أحيانا بعينة كهدية وهكذا كان جميع من بالمكتب يعودون إلى البيت ببيرة «التمساح» ما عدا مستر «روبنز» الذى لا يأخذ نصيبه لأن تلك البيرة على حد قوله لها مذاق الصابون.. وأضخم التقارير التى تعد الآن كانت عن حملة شركة «ساوث ويسترن» للبترول لمحاربة الدعاية الماكرة المضادة لأمريكا التى تشنها شركات البترول البريطانية فى المكسيك ومعارضة «الجماعة المؤيدة للتدخل» فى مجلس الشيوخ التى تدعمها شركات «هيرست» فى واشنطن.

سافرت «چانى» فى يونيه لحضور حفل زفاف اختها «إلين».. كان شيئا مضحكا أن تعود إلى واشنطن مرة أخرى.. لقد ظلت مدة طويلة فى القطار تشتاق إلى رؤية «آليس» لكنها عندما التقت بها لم يكن هناك الكثير لتقوله.. كما شعرت بالغربة فى بيت أمها وكانت «إلين» ستتزوج طالب حقوق فى جامعة «چورج تون» أحد نزلاء المنزل.. بعد حفل الزفاف امتلأ البيت بالطلاب والفتيات الصغيرات وهم يضحكون ويتبادلون النكات وبدت على مسز «ويليامز» و«ڤرانسى» علامات السعادة بكل هذا.. لكن چانى لم تشعر بالسرور إلا عندما حان الوقت للذهاب إلى المحطة كى تستقل قطار العودة إلى نيويورك عندما ودعت «آليس» لم تتفوه بكلمة عن دعوتها إلى نيويورك ليتساجرأ غرفة معا. جلست فى الدرجة الممتازة بهوائها الخانق تتطلع إلى المدن والحقول واللافتات تجتر تعاستها وعندما عادت إلى المكتب صباح اليوم التالى شعرت أنها تعود إلى منزلها..

كانت «نيويورك» تموج بالهياج.. واغراق «لوزيتانيا» Lusitania جعل كل إنسان يشعر بأن دخول امريكا الحرب هو فقط مسألة وقت لا يتعدى بضعة شهور..

كانت الاعلام تزين الشارع الخامس.. أخذت چانى تفكر فى «الحرب» وتلقت خطابا من «چو» أرسله من «سكتلندا» يخبرها فيه بأنهم ضُربوا بالطوربيدات وهم على ظهر الباخرة «ماركيزة» Marchioness وقضوا عشر ساعات فى قارب صغير وسط عاصفة ثلجية خارج مضيق ينتلاند(٢٦٤) والتيار يدفعهم إلى عرض البحر.. لكنهم تمكنوا من الوصول إلى البر وأنه بحالة طيبة وقد حصل طقم البحارة على مكافآت.. وقد استطاع على أية حال أن يجمع ثروة..

فور أن أتمت قراءة الخطاب مضت لرؤية ج. وارد لتطلعه على برقية وصلت لتوها من «كلورادو».. حدثته عن أخيها الذى ضُرب بالطوربيد.. ظهر عليه الاهتمام الشديد وأخذ يتكلم عن انه يعتبر وطنيا يعمل لانقاذ الحضارة وعن القيمة التاريخية لكاتدرائية «ريمز(٢٦٥) واضاف أنه مستعد شخصيا ليؤدى واجبه عندما يحين الوقت وأنه يعتقد أن دخول امريكا الحرب هو فقط مسألة شهور.

كانت امرأة بادية الاناقة تتردد كثيرا على مكتب ج. وارد ..تنظر چانى إلى بشرتها الجميلة وثيابها الأنيقة التى تدل على ذوق دون بذخ وأظافرها المطلية بعناية واقدامها الرقيقة.. وأتى يوم.. كان الباب فيه مواربا استطاعت أن تستمع إليها وهى تتحدث إلى ج. وارد بكثير من الألفة..

«عزيزى ج. و. إن هذا المكتب بشع.. إنه يشبه الطريقة التى اعتادوا أن يصمموا بها مكاتبهم فى أوائل الثمانينات» كان يستمع إليها وهو يضحك..

«حسنا اليانور لماذا لا تعيدى تصميم الديكور بشرط أن لا يتعارض هذا مع العمل.. أنا لا استطيع الانتقال فى تلك الفترة بالذات التى يتزايد فيها ضغط الأعمال الهامة». شعرت چانى بالسخط.. إن المكتب جميل بالصورة التى هو عليها،، ومتميز تماما.. إن الجميع يقولون هذا.. فمن تكون هذه المرأة التى تحشو تلك الأفكار فى رأس ج. وارد. لكنها فى اليوم التالى كان عليها أن تجهز شيكا بمبلغ مائتين وخمسين دولارا لحساب «ستودارد وهتشنز.. مصممو ديكورات» وهى تحاول أن تقنع نفسها بأن هذا الأمر ليس من شأنها.

بدأت مس «ستودارد» تظهر فى المكتب على الدوام وكان عملها يتم بالليل.. وكل صباح عندما تصل «چانى» تجد شيئا ما قد تغير.. اصطبغ كل شئ باللونين الأبيض والأسود بينما كانت الستائر وكساء المفروشات بلون ارجوانى داكن سخيف.. لم يرق كل هذا لچانى لكن «جلاديز» أبدت سرورها فهذا هو الفن الحديث وكم يبدو رائعا. رفض مستر «روبنز» أن يمس أحد وكره الخاص وكثيرا ما احتد مع ج. وارد لكنه فى النهاية استطاع أن يفرض رأيه بل وسرت الشائعات بأن ج. وارد اضطر لزيادة راتبه كى يمنعه من الذهاب إلى وكالة أخرى.

فى عيد العمال انتقلت چانى للاقامة فى مكان جديد رغم شعورها بالأسف لمغادرة بيت «كومبتون».. كانت قد ألتقت بامرأة فى منتصف العمر تدعى «إليزا تنجلى» تعمل فى مكتب محامى فى نفس الطابق الذى يقع فيه مكتب ج. وارد.. من «بلتيمور»

وحاصلة هى نفسها على «إجازة المحاماة» وقالت چانى لنفسها إنها امرأة على دراية بالعالم.. كانت تقيم وشقيقها التوأم الذى يعمل محاسبا قانونيا قانونيا بأحد الطوابق فى منزل يقع بالشارع الغربى الثالث والعشرين فى حى تشيلسى» Chelsea وعرضت على «چانى» أن تأتى للإقامة معهما.. كان هذا يعنى أن تتخلص من مترو الانفاق كما أن مشوار الصباح الذى ستقطعه للوصول إلى الشارع الخامس سوف يمنحها الانتعاش ولقد شعرت فى تلك اللحظة التى التقت فيها «بإليزا تنجلى» فى المطعم الذى يقع بالطابق السفلى بالجاذبية نحوها.

سارت الأحوال فى بيت الأخوين «تنجلى» بيسر وسهولة.. أحست «چانى» أنها فى بيتها.. أحيانا فى المساء يتناولون الشراب معا.. وقد يقضون وقتا طويلا على مائدة العشاء وكانت «إليزا» طباخة ماهرة ثم يلعبون دورين من لعبة «البريدچ» قبل أن يذهبوا إلى الفراش. أما ليلة السبت فكانوا دائما يذهبون إلى المسرح ويحضر لهم «إيدى تنجلى» التذاكر بأسعار مخفضة.. كما اشتركوا فى «مختصر الأدب» Literary Digest ومجلة القرن Century وجريدة ربات البيوت Ladies' home Journal وفى أيام الأحد يأكلون الدجاج المشوى أو البط ويقرأون قسم المجلات فى صحيفة «النيويورك تايمز».

كان للأخوين «تنجلى» العديد من الأصدقاء الطيبين كما أحبوا «چانى» وأشركوها فى كل شئ وبدأت تشعر أنها تعيش بالطريقة التى ودت أن تعيش بها.. رزاد من جو الإثارة أيضا فى هذا الشتاء تلك الشائعات التى بدأت تتوالى كل يوم عن الحرب.. وقد علقوا خريطة كبيرة لأوربا فى غرفة الطعام ووضعوا عليها أعلاما صغيرة عند مواقع الحلفاء.. لقد كانوا بالقلب والروح مع الحلفاء.. واسماء مثل «الفردان»(٢٦٦)أو «شيمين ديه دام»(٢٦٧) تجعل القشعريرة تسرى فى أوصالهم.

كانت «إليزا» تراودها الرغبة فى الترحال وأخذت تطلب من چانى المرة تلو المرة أن تخبرها بكل دقيقة من دقائق رحلتها إلى المكسيك.. بدأتا تخططان معا للقيام برحلة إلى الخارج عقب إنتهاء الحرب بل وبدأت «چانى» تدخر نقودها من أجل ذلك وعندما كتبت «آليس» إنها ربما تنهى أعمالها فى واشنطن وتشد الرحال إلى نيويورك ردت چانى أنه من الصعوبة بمكان أن تحصل فتاة على عمل فى نيويورك فى هذا الوقت بالذات وعلى هذا يجب التخلى عن تلك الفكرة.

طوال ذلك الخريف بدا وجه چ. وارد أبيض شاحب واعتاد الحضور إلى المكتب بعد ظهر يوم الأحد.. كانت چانى هى الوحيدة التى غمرتها السعادة وهى تهرع بعد الغذاء إلى

هناك لتساعده في العمل.. يتناقشان في أحداث الاسبوع.. يملى عليها العديد من الخطابات الخاصة وهو يقول لها أنها كنزه الثمين ثم يتركها لتكتب على الآلة وهى تطير من الفرح.

لكن هذا لم ينقذها من القلق.. فالتقارير الجديدة تأتى طول الوقت لتبين أن المؤسسة ليست على ما يرام ماليا وزاد الأمر سوءا أن چ. وارد دخل فى بعض المضاربات الخاسرة فى وول ستريت وكان عليه أن يمر ببعض الأوقات العصيبة وهو يتداول معها وتبدو عليه اللهفة لشراء حصة مسز ستابل العجوز.. كما حدثها عن «الكمبيالات» التى مازالت فى حوزة زوجته وهو يخشى أن تتصرف بطريقة طائشة.. كانت چانى ترى أن زوجته إمرأة نكدة مشاكسة تحاول أن تستخدم نقود أمها لامتلاكه لكنها لم تتحدث ابداً عن تلك الخصوصيات امام الاخوين «تنجلى» وهى تفيض فى الحديث عن العمل.. وهما يوافقانها أن هذا العمل مثير للاهتمام حقا بينما راحت تنتظر بلهفة حلول الكريسماس لأن چ. وارد لمح لها بأنه سيمنحها علاوة.

بعد ظهر يوم مطير من أيام الأحد كانت تكتب على الآلة خطابا سريا إلى القاضى «بلانيت» يتضمن تقريرا من وكالة المخابرات عن نشاطات المحرضين بين عمال المناجم فى «كلورادو» وكان چ. وارد يقطع الطريق أمام مكتبه جيئة وذهابا بوجه مقطب وحاجبين مقوسين كأنما ينظر إلى بوز حذائه اللامع عندما دق جرس باب المكتب الخارجى.. قال چ. وارد وهو يتكلم بطريقة عصبية غريبة.

- عجبى.. من يكون هذا؟

- ربما مستر روبنز وقد نسى مفتاحه.

ومضت چانى لترى.. وبمجرد أن فتحت الباب مرقت مسز مورهاوس من أمامها وهى ترتدى معطفا مبتلا وتحمل المظلة بينما بدا وجهها شاحب ومنخاريها يرتعشان أغلقت «چانى» الباب برفق وعادت إلى مكتبها.. جلست وقد إنتابها القلق أمسكت بالقلم ترسم به دوائر على طرف ورقة ولم تستطع أن تمنع نفسها من الاستماع لما يدور فى مكتب چ. وارد الخاص فقد صفقت مسز مورهاوس الباب من ورائها وراحت تصرخ بأعلى صوتها:

- وارد.. لا استطيع احتمال هذا.. لن اتحمله بعد ذلك دقيقة واحدة.

بدأ قلب «چانى» يدق بعنف وسمعت چ . وارد وهو يتكلم بصوت خفيض محاولا جلب استرضائها لكن صوت مسز مورهاوس ارتفع مرة أخرى.

- لا يمكن أن تعاملنى هكذا.. أنا لست طفلة لكى تعاملنى هكذا.. أقولها لك

أنت تستغل ظروفى بينما صحتى لا تساعدنى على احتمال هذا. أجاب ج. وارد:

- چيرترود.. أنظرى الآن.. بشرفى كچنتلمان ليس هناك أى شئ.. إنك ترقدين فى الفراش وتتخيلين أشياء لا وجود لها ولا يجب عليك التمادى.. أنا رجل مشغول جدا وعندى معاملات هامة تستحق كل اهتمامى..

أخذت چانى تردد لنفسها.. إنها بالطبع امرأة لا تطاق.

- وارد.. لو لم تلتق بى وأنت تعرف هذا.. كنت ستظل فى «بتسبرج» موظفا عند «منتجات بسمر».. قد تستخف بى ولكن لا تستخف بنقود أبى.. على أية حال لقد قررت.. أقولها لك.. قررت أن أطلب الطلاق.

- ولكن چيرترود.. ليست هناك امرأة فى حياتى..

- وماذا عن تلك المرأة التى تُشاهد بصحبتها طول الوقت.. ما أسمها؟ ستودارد ها أنت ترى أننى أعلم أكثر مما تظن.. لست من نوع المرأة التى يمكن أن تصنع منها اضحوكة.. أتسمع.

تحول صوت مسز «مورهاوس» إلى صراخ مزعج ثم بدأت تتهاوى.. سمعت چانى صوت شهقاتها بينما أتى صوت وارد محاولا أن يلاطفها:

- والآن چيرترود.. لقد شغلت نفسك كثيرا حول لا شئ.. إليانور ستودارد وأنا لنا بعض علاقات العمل.. إنها امرأة لامعة وجد مثيرة.. من الناحية الفكرية.. أتفهمين؟ أحيانا نتناول الغذاء سويا وعادة فى صحبة الأصدقاء.. هذا كل ما هنالك على الاطلاق. ثم إنخفض صوته.. تحول إلى همس لم تستطع چانى أن تسمع منه شيئا.. لم تكن تدرى ماذا تفعل.. ينبغى لها أن تغادر المكتب.. وكانت على وشك النهوض عندما أتى صوت مسز مورهاوس منفجرا بصوت هستيرى مرة أخرى.

- أوه.. إنك بارد كالسمك.. إنك مجرد سمكة.. لقد كنت سأعجب بك أكثر لو أن الأمر حقيقة.. لو قلت إنها كانت على علاقة بك.. لكن لم أعد أهتم.. فقط لن يمكنك بعد الآن استخدامى كوسيلة لاستغلال مال أبى.

ثم فتح باب المكتب الخاص وخرجت مسز مورهاوس.. رمقت چانى بنظرة مريرة كما لو كانت تشك فى علاقتها بچ. وارد أيضا قبل أن ترحل.

عادت چانى تجلس على مكتبها وهى تحاول أن تتظاهر باللامبالاة بينما كانت خطوات چ وارد الثقيلة وهو يذهب ويجئ تتناهى إلى أذنيها.. حتى سمعته يناديها بصوت ضعيف واه - مس ويليامز.

نهضت وذهبت إلى المكتب الخاص بيدها المفكرة والقلم.. بدأ ج وارد يملى عليها وكأن شيئا لم يحدث لكنه فى منتصف الخطاب إلى رئيس شركة آنسونيا للكربيدات صاح فجأة وهو يركل سلة المهملات ركلة قذفت بها إلى الحائط:

– أوه.. ياللجحيم.. عذرا مس ويليامز.. أنا متعب جدا.. مس ويليامز.. أنا واثق إنك لن تشى بهذا لأى مخلوق.. إنت تفهمين إن زوجتى ليست متمالكة لنفسها.. إنها مريضة.. الطفل الأخير.. إن هذه الأشياء تحدث أحيانا للنساء.. أنت تعرفين.

تطلعت چانى إليه والدموع تكاد تنبثق من عينيها.

– أوه.. مستر مورهاوس.. كيف تظن اننى لا أفهم.. إن هذا مميت بالنسبة لك.. بينما أنت فى عمل كبير وهام جدا.

لم تستطع أن تقول أكثر من هذا.. لم تستطع شفتاها أن تنطق بالمزيد بينما أخذ ج. وارد يتمتم – مس ويليامز.. أنا.. أق.. أق.. أقدر هذا.. ثم انحنى ليلتقط سلة المهملات.. قفزت چانى لتساعده فى التقاط الأوراق المكرمشة وباقى النفايات التى تبعثرت على الأرض.

قال وارد وقد أحتقن وجهه من أثر الانحناء

«هموم ثقيلة.. المرأة التى لا تقدر المسئولية يمكن أن تصنع أفدح الأخطار.. أتفهمين»؟.

أخذت چانى تحنى رأسها لكل كلمة ينطق بها.

«حسنا.. أين كنا.. لنفرغ من هذه الخطابات ونخرج من هنا».

وضعا سلة المهملات تحت المكتب وابتدأ مرة أخرى يملى عليها خطاباته.

على امتداد الطريق للمنزل فى «شيلس» وهى تحاول أن تجد طريقها وسط الأوحال وبرك المياه التى تجمعت فى الشوارع لم يكن يشغل بال «چانى» غير شئ واحد.. كيف يمكن أن يفهم ج. وارد أن كل انسان فى المكتب سيقف بجانبه مهما حدث.

عندما وصلت إلى الشقة قالت «اليزا تنجلى» إن رجلا قد أتصل بها تليفونيا..

– إنه يبدو من النوع (غير المصقول) الفظ إلى حد ما.. لم يذكر اسمه قال فقط.. أخبريها أن «چو» قد أتصل وأنه سيتصل مرة أخرى.

أحست چانى بعيون «إليزا».. تنظر إليها متسائلة.

– إنه أخى «چو».. أعتقد ذلك.. إنه.. إنه فى الاسطول التجارى.

وأتى بعض أصدقاء الأخوين «تنجلى».. نصبوا مائدتين للعب البريدچ وكانوا

يستمتعون بالسهرة الجميلة عندما دق جرس التليفون.. كان چو.. شعرت چاني بوجهها يتورد وهي تتحدث إليه.. إنها تريد أن تراه وفي نفس الوقت لا تستطيع أن تطلب منه الحضور. والآخرون يصيحون بها أن تأتي لتلعب دورها واستمعت له يقول إنه قد وصل لتوه ويحمل لها بعض الهدايا وانه قد ذهب إلى «ڤلاتبوش» لكن «اليهود الألمان» أخبروه إنها تقيم الآن في «شيلسي» . إنه ينتظرها على ناصية الشارع الثامن أمام محل السجائر..

كان الآخرون مازالوا يصيحون بها أن تأتي لتلعب.. وجدت نفسها تجيب عليه.. أنها مشغولة جدا في بعض الأعمال.. هل يمكنه مقابلتها غدا في الخامسة أمام مبنى المكتب الذي تعمل فيه وقبل إن تنهي مكالمتها سألته مرة أخرى كيف حاله.. أجابها: بخير.. لكن رنين صوته كان قد خبا.

عندما عادت إلى المائدة اخذوا يمزحون معها عن ذلك «العشيق».. ضحكت وأحمر وجهها وفي أعماقها لم تستطع أن تتخلص من الشعور بالخسة لأنها لم تطلب منه الحضور.

في مساء اليوم التالي كانت الأرض يغطيها الجليد.. عندما خرجت من المصعد المزدحم في تمام الخامسة متجهة إلى باب الخروج تطلعت إلى البهو بلهفة لكن «چو» لم يكن هناك... وبينما كانت تلقي على «جلاديز» تحية المساء لمحته من خلال الباب يقف بالخارج وهو يضع يديه في جيوب سترة البحارة الزرقاء بينما تناثرت ندفا من الثلج فوق وجهه الذي بدا محتقنا مسفوعا علته الغضون.

- مرحبا چو..
- مرحبا چاني.
- متى وصلت؟
- منذ يومين..
- كيف الأحوال؟ هل تتمتع بصحة طيبة؟
- لقد أضناني الارهاق اليوم وكدت أتعفن الليلة الماضية..
- چو.. أنا آسفة عما حدث الليلة الماضية.. لقد كان هناك أناس كثيرون وأردت أن التقي بك على انفراد كي نستطيع الحديث..

قبع چو بصوت كصوت الخنزير.

- وهو كذلك.. كل شئ على ما يرام.. مرحى.. إنك رائعة الجمال.. لو رآني أحدهم معك لظنوا أني التقيت بصديقة باهرة الجمال بالفعل..

لم تستطع چانى أن تشعر بالارتياح.. كان چو يخطو بحذائه الثقيل المتآكل بينما بقع من الوحل تلطخ ساق سرواله وهو يتأبط تحت ذراعه لفافة من ورق الجرائد..

- دعينا نذهب لنأكل فى مكان ما.. يا إلهى.. آسف لعدم قدرتى على إرتداء ملابس أفضل فقد فقدنا كل امتعتنا عندما ضُربنا بالطوربيد..

- هل ضربت بالطوربيد مرة ثانية.

ضحك چو وهو يجيب

- بالفعل.. على مقربة من «كيس ريس».. يالها من حياة حافلة.. حسنا.. هذه هى الضربة رقم اثنين.. لقد احضرت لك «شالا».. كنت سأتحسر لو لم أفعل.. ياإلهى.. أين سنأكل.. نعم.. فى مطعم «لاتشو»..

- الشارع الرابع عشر.. أليس كذلك؟

- لا.. إن لديهم غرفة للسيدات.. چانى.. لا تظنى إنى يمكن أن أصحبك إلى بؤرة ليست على ما يرام.. وفوق الفوق..

وبينما كانوا يعبرون ميدان «الاتحاد» صاح شاب أعجف رث الهيئة يرتدى سترة حمراء..

- هاى چو..

تخلف چو بضع لحظات.. أخذ يتحدث مع الشاب ورأساهما متقاربان ثم دس «چو» ورقة مالية فى يده وهو يصيح - إلى اللقاء.. تكس.

وهرع ليلحق «بچانى» التى تقدمت فى السير ومازالت تشعر ببعض الضيق. إنها لا تحب الشارع الرابع عشر بعد هبوط الظلام.

- چو.. من هذا؟

- قد يكون أحد العمال البحارة أو غيرهم.. إلتقيت به فى «نيوأورليانز» وأدعوه «تكس» لأنى لا أعرف اسمه.. إنه على ما يبدو يعانى الفاقة.

- وهل ذهبت إلى «نيواورليانز»؟

أحنى چو رأسه هو يجيب

- لقد أفرغنا هناك حمولة من «المولاس» من على ظهر السفينة «هنرى ب هيجينبو ثام.. ونسميها «بيجينبوتام»(٢٦٨).. حسنا. أنها ترقد الآن بالفعل فى القاع.. قاع المحيط.

عندما دخلوا إلى المطعم.. نظر إليهم رئيس الخدم نظرة فاحصة وأجلسهم على مائدة

فى أحد أركان الحجرة الداخيلية الصغيرة.. أمر «چو» بطعام فخم وبعض البيرة لكن «چانى» لم تكن تحب البيرة فأضطر أن يشاركها الشراب أيضا.. وبعد أن قصت عليه چانى كل الأخبار عن العائلة وكيف أنها تحب عملها وتنتظر علاوة فى الكريسماس كما أنها سعيدة جدا بأقامتها مع الأخوين «تنجلى» اللذين ترتاح إليهما.. لم يعد هناك الكثير لكى يقال.. كان چو قد اشترى تذاكر «لسباق الخيل Hippodrome لكنه لازال أمامهم الكثير من الوقت قبل أن يبدأ العرض وهكذا جلسا صامتين يرشفان القهوة بينما أخذ «چو» ينفث دخان السيجار وأخيرا قطعت چانى صمتها قائلة أنه لمن المخجل أن يصل الحال إلى تلك الدرجة من الوضاعة وكم يعانى الجنود المساكين الأمرين الآن فى الخنادق.. إنها تعتقد أن «الهون» ليسوا أكثر من برابرة. ثم أخذت تتحدث عن «اللويزتانيا» وكم كانت سخيفة فكرة «فورد» عن السلام.

ضحك «چو» ضحكة حادة ساخرة بطريقته التى اعتاد أن يضحك بها الآن قائلا وهو ينهض ليحصل على سيجار جديد..

- الرحمة للبحارة المساكين الذين يمضون ليلة كهذه فى عرض البحر.

أخذت «چانى» تفكر كم يبدو منظره مخجلا بقفاه الحليق.. لقد أحمر عنقه وظهرت عليه التجاعيد.. أية حياة شاقة يعانيها الآن؟.. وعندما عاد بادرته بالسؤال لماذا لا يحصل على عمل آخر؟

- تقصدين العمل فى أحواض السفن.. إنهم يجمعون ثروة من العمل هناك.. لكن.. يا للجحيم.. لقد خُلقت للتجوال.. كله يزيد الخبرة كما قال واحد بعد أن فقد كل شئ..

- لا أقصد ذلك.. إن هناك الكثير من الناس لا يملكون نصف ذكائك يقومون بأعمال نظيفة مريحة فى مكتبى ولهم مستقبل يتطلعون إليه..

أجاب چو ضاحكا - إن كل مستقبلى تخلف ورائى.. ربما أذهب إلى «بيرث آمبوى»

لأحصل على عمل فى مصنع للذخيرة لكن أفضل أن أقتل وأنا حر.

اكملت چانى حديثها عن الحرب.. كم تود أن تشارك فيها لانقاذ الحضارة «وبلچيكا» الصغيرة المسكينة العاجزة.. ضرب چو المائدة بقبضة يده الثقيلة الحمراء قائلا:

- چانى.. إن هذا الأمر لا يفهمه قومك.. إن هذه الحرب الملعونة من البداية إلى النهاية حرب لصوص ونصابين.. لماذا لا يضربون بالطوربيدات البواخر التى تعمل على

الخطوط الفرنسية؟

لأن الفرنسيين رتبوا الأمر مع الألمان.. إذا ترك الألمان بواخرهم وشأنها فإنهم لن يوجهوا قنابلهم إلى المصانع الألمانية على مؤخرة الجبهة.. إن أفضل شئ نفعله أن نتنحى بعيدا.. نبيعهم الذخائر ونتركهم يقتلون بعضهم. فليذهبوا للجحيم مادام هؤلاء الأشخاص يكومون الثروات فى تولوز وبوردو ومارسيليا بينما إخوتهم يتقاتلون ويقتلون على الجبهات.. ونفس الشئ يقال عن الانجليز.. إقسم لك چانى.. إن هذه الحرب حرب خداع ونصب مثل كل شئ ملعون آخر..

صاحت چانى وقد بدأت فى البكاء - حسنا.. إنك لست بحاجة لتسب وتقسم طول الوقت..

رد «جو» بانكسار - آسف أيها الأخت.. لكنى مجرد صعلوك.. هذا كل ما هنالك ولست مناسبا لصحبة فتاة أنيقة الثياب مثلك..

قالت چانى وهى تجفف دموعها - لا.. لا أقصد ذلك..

- مرحى.. لقد نسيت أن أريك الشال.

وفك لفافة الورق وأخرج شالين اسبانيين فردهما على المائدة.. أحدهما من المخرم الأسود والآخر من الحرير الأخضر المطرز بأزهار كبيرة..

صاحت چانى - أوه چو.. لا ينبغى أن تعطينى الأثنين.. خذ واحدا لفتاتك.

- صنوف الفتيات اللاتى أعرفهن لا تناسبهن مثل هذه الأشياء.. لقد اشتريتهم لأجلك.

أعجبت «چانى» بالشالين ورأت إنها يمكن أن تهدى واحدا «لإليزا تنجلى». وذهبا إلى حلبة السباق لكنهما لم يستمتعا بوقت طيب.. لم تحب چانى أمثال هذه العروض وظل «چو» نائما طول الوقت وعندما خرجا من الساحة كان الجو قارص البرودة وحبيبات الجليد تتدافع بعنف على امتداد الشارع السادس وتكاد تحجب الرؤية.. صحبها «چو» حتى باب المنزل فى تاكسى ثم إلقى عليها تحية الوداع بصورة مبتورة جافة.

- وداعا چانى..

توقفت دقيقة على درجة السلم ومفتاح الشقة فى يدها.. أخذت ترقبه وهو ينطلق غربا فى اتجاه الشارع العاشر والميناء يدس رأسه فى ياقة سترة البحار حتى غاب عن الانظار..

طوال ذلك الشتاء كانت الاعلام ترفرف كل يوم فى الشارع الخامس. وچانى تتابع

الصحف بلهفة على مائدة الافطار وفى المكتب لا ينقطع الحديث عن الجواسيس الألمان والغواصات والفظائع والدعايات وأتت ذات صباح بعثة حربية فرنسية بناء على دعوة ج. وارد تتكون من مجموعة من الضباط بوجوه شاحبة وبزات انيقة يرتدون الجاكتات الزرقاء والبنطلونات الحمراء والنياشين وأصغرهم يسير على عكازين.. كانوا جميعا قد أصيبوا فى الجبهة بجروح بالغة وعندما ذهبوا كاد أن يدب الشجار بين جانى وجلاديز فقد قالت «جلاديز» إن الضباط هم مجموعة من المتسكعين الكسالى وأنها تفضل أن ترى بعثة من الجنود «الانفار».. استولى الفكر على جانى.

ألا ينبغى أن تخبر ج. وارد عن تلك الميول المؤيدة للألمان.. أليس هذا هو واجبها الوطنى إن آل كومبتون ربما يكونون جواسيس.. ألا يعيشون تحت اسم مستعار.. و«بنى» إنها تعلم جيدا أنه اشتراكى وربما أسوأ من ذلك.. لابد لها أن تحتفظ بعيونها فى تمام اليقظة.

فى نفس هذا اليوم أتى ج . هـ. بارو ووجدت جانى نفسها فى المكتب الخاص معهم طول الوقت.. تحدثوا عن الرئيس «ويلسون» والحياد والبورصة والتأخير فى تسليم المذكرة الخاصة «باللويزيتانيا».. وكان ج. هـ. بارو قد أجرى مقابلة مع الرئيس باعتباره عضوا فى لجنة الوساطة بين السكك الحديدية والنقابات التى تهدد بالاضطراب.. وشعرت جانى أنه يستحق الأعجاب أكثر مما شعرت وهم فى العربة الخاصة من المكسيك.. وهكذا عندما ألتقى بها فى الصالة بينما كان يهم بمغادرة المكتب غمرتها السعادة عندما توقف ليتحدث إليها.. وقبلت دعوته لتناول الغذاء وهى تشعر بمنتهى «الشقاوة».

خلال الأيام التى قضاها ج. بارو فى نيويورك.. كان فى صحبة جانى.. اصطحبها لتناول الغذاء وإلى المسارح.. قضت معه أوقاتا طيبة وعندما كان يحاول أن يتمادى فى صداقته وهم يعودون إلى المنزل داخل التاكسى تهدده بقصة «كوينى» لكنه لم يستطع أن يعرف كيف توصلت لهذا الموضوع وبدأ يقص عليها القصة كاملة.. إن هذه المرأة ظلت تطارده لابتزاز النقود لكنه الآن قد طلق زوجته ولم يعد هناك شئ تستطيع أن تفعله..

وبعد أن أخذ من جانى القسم ألا تخبر أحد أخذ يشرح لها الحكاية.. إنه رغم التشريعات القانونية كان متزوجا من امرأتين فى نفس الوقت وتلك «الكوينى» واحدة منهما.. لكنه الآن قد طلقهما معا ولا يوجد شئ على وجه الأرض تستطيع «كوينى» أن تفعله.. لكن الصحف تستهويها «القاذورات» خاصة أنها تريد أن تمسك بشئ على رجل ليبرالى مثله كرس حياته من أجل قضية العمال.. ثم إنطلق يتحدث عن فن الحياة التى لا

تعرفه امرأة مثل كوينى .. وشعرت چانى بالأسف لأجله لكنه عندما عرض عليها الزواج منه قالت ضاحكة إنها لا يمكن تجيبه إلا بعد أن تأخذ رأى مستشار قانونى .

سرد عليها كل تفاصيل حياته .. كيف قضى حياته كغلام فقير وتلك الأعمال التى زاولها .. كعامل محطة وعامل على ظهر قطار بضاعة وكمسارى وتلك الحماسة التى تدفعه للعمل من أجل النقابة .. إن المقالات التى ينشرها لفضح الأحوال فى السكك الحديدية صنعت له أسما وغمرته بالنقود التى جعلت أصدقاءه القدامى يعتقدون أنه باع نفسه لكن هذا .. ولتحكمين بنفسك .. ليس حقيقياً.

عندما عادت چانى إلى المنزل أخبرت الأخوين «تنجلى» بعرض الزواج لكنها حرصت على عدم الإشارة إلى «كوينى» أو تعدد الزوجات ، ضحكوا جميعا وأخذوا يمزحون معها ، وغمر چانى الشعور بالسعادة أن يأتيها هذا العرض من مثل هذا الرجل الهام .. لماذا يقع دائما هؤلاء الرجال المهمون فى غرامها .. أنها تقرر بعد .. هل تريد الزواج من چ. هـ. بارو أم لا؟

فى اليوم التالى بحثت عن أسمه فى المكتب فى «دليل» من يكون؟ وجدته هناك چورچ هنرى بارو .. وكيل دعاية وشعرت أنها لا تستطيع أن تحبه .

فى ذلك اليوم ظهر چ. وارد مرهقا جدا ويبدو عليه الاعياء .. غمر چانى الشعور بالحزن ونسيت تماما كل ما يتعلق بـ چ. هـ. بارو وعندما دعيت لحضور جلسة خاصة عقدها چ. وارد مع مستر «روينز» ومحامى أيرلندى يدعى «أوجرادى» قالو لها هل تمانع فى أستئجار صندوق أمانات فى البنك لتحتفظ فيه ببعض السندات وأن تفتح حسابا خاصا بها فى « بانكرز تروست» .. أنهم ينشئون شركة جديدة وهناك أسبابا تتعلق بالعمل تجعل هذا أمرا ضروريا لا سبيل سواه وسوف يمتلك مستر « روينز » و «چ. وارد » أكثر من نصف عدد الأسهم فى الشركة الجديدة لكنهم سيعملون بها على أساس الأجر . بدا على مستر «روينز» الارهاق وقد أفرط قليلا فى الشراب واستمر يشعل السجائر وينساها على طرف المكتب وهو يردد القول .

- چ. و. ها أنت ترى جيدا أن أى شئ تفعله سأوافق عليه ..

إوضح چ. وارد لچانى أنها ستكون مديرة الشركة الجديدة لكنها بالطبع لن تكون مسئولة شخصيا بأية حال وأتضح أن مسز ستابل العجوز قد أقامت الدعوى على چ.وارد لاسترداد مبلغ كبير من المال وأن زوجته رفعت دعوى الطلاق فى « ينسلفانيا » وانها ترفض

أن يذهب حتى لرؤية أطفاله.. وأنه يقيم الآن فى «ماك آلبين» Mc Alpins صاح مستر «روبنز» يبدى تعاطفه وهو ينهض مزمجرا مداعبا چ. وارد بضربة على ظهره..

- لقد فقدت چيرترود عقلها وقد صبت الزيت على النيران.. حسنا أنا ذاهب لتناول الطعام فالرجل يجب أن يأكل ويشرب حتى لو كان على شفا الافلاس.

قطب چ. وارد حاجبيه ولم يقل شيئا ورأت چانى أن ذوق الرجل قد انعدم كى يتحدث هكذا وبأعلى صوته أيضاً.

فى المساء عندما عادت إلى المنزل أخبرت الأخوين «تنجلى» بأنها سوف تصبح مديرة للشركة الجديدة فعبروا عن اعتقادهم بأنه أمر باهر أن تتقدم بمثل هذه السرعة.. إنها يجب أن تطالب بعلاوة حتى لو كان العمل يمر بحالة من الكساد.. ابتسمت چانى وهى تقول - كل شئ فى وقته المناسب.

كانت قد توقفت فى طريق عودتها بمكتب التليغراف فى الشارع الثالث والعشرين لتبرق لچ. هـ. بارو الذى سافر إلى واشنطن لتقول له - «لنكتفى بالصداقة» إحضر «إيدى تنجلى» زجاجة من «الشيرى» على العشاء وتناول مع «إليزا» نخب المديرة الجديدة.. إحمر وجه چانى حمرة قانية من فرط السعادة.. ثم أخذوا بعد ذلك يلعبون «البريدچ» على سبيل التسلية.

عين الكاميرا (٢٦)

كانت الحديقة تزدحم بالجماهير وفى الخارج أحاطت الشرطة بميدان «ماديسون» وهى تأمر كل شخص بالابتعاد وفرقة القنابل وقفت على أتم استعداد..

لم نستطع الحصول على مكان وهكذا اعتلينا السلالم لأعلى القاعة.. تطلعنا خلال الهواء البارد إلى الرؤوس التى تجمعت كالحصى.. وعلى منصة الخطابة المرتفعة رأينا الأشكال الصغيرة السوداء ورجلا يخطب.. كلما نطق بكلمة الحرب تعالى هسيس الاستهجان.. وكلما قال «روسيا» إرتفع التصفيق تأييدا للثورة.. لم أعرف من الذى يتحدث.. قال واحد إنه «ماكس إيستمان» وقال آخر: لا.. إنه شخص غيره.. لكننا صفقنا وهتفنا للثورة وأطلقنا الهسيس ضد مورجان والحرب الرأسمالية.. بينما وقف مخبر سرى يدقق فى وجوهنا كأنما يحاول أن يتذكرها.

ثم ذهبنا للاستماع إلى «إيما جولدمان» فى صالة «برونكس» لكننا وجدنا الاجتماع قد منع والطرقات إليه تكدست بالجماهير والعربات المتفلة تشق طريقها وسط الجموع وقالوا

أن العربات المقفلة ملأى بالجنود والمدافع الرشاشة وعربات «فورد» الصغيرة التابعة لإدارة البوليس تزودت بالكشافات.. هاجموا الحشد بالفورد والكشافات وكل إنسان تحدث عن الرشاشات الثورة الحرية المدنية حرية التعبير.. وكلما حاول أحد أن يعترض طريق الجنود إنهالوا عليه بالضرب ودفعوه إلى عربة الدورية.. كانت وجوه الجنود يبدو عليها الرعب وقالوا إنهم سيستدعون فرقة اطلاق النيران لتفريق الجموع.. لكن كل إنسان صاح: هذا إنتهاك للقانون.. هل نسيتم واشنطن[٢٦٩] وجيفرسون[٢٧٠] وباترك هنرى؟.

بعد ذلك ذهبنا إلى «بريفورت».. كان الجو ألطف كثيرا وكل شخص وأى شخص كان هناك وهناك رأينا «إيما جولدمان» تأكل الفرانكفورت[٢٧١] وحساء «الكروت»[٢٧٢] وكل واحد تطلع إلى «إيما جولدمان» وإلى الآخرين.. وكل إنسان كان مع السلام ومع الجمهورية الديمقراطية التعاونية ومع الثورة الروسية تحدثنا عن الاعلام الحمراء والمتاريس والمواقع المناسبة لنصب المدافع....... احتسينا عدة كئوس وأكلنا الخبز المحمص مع الجبن.. دفعنا الحساب وعدنا للمنزل.. فتحنا الباب وارتدينا «البيچاما» ومضينا إلى الفراش.. كان الفراش مريحا.

جريدة سينمائية (١٨)

وداعا «بيكاديللى»..

وداعا ميدان «ليشيستر»..

إنه طريق طويل طويل إلى «تيبرارى»

إمرأة تضبط زوجها متلبسا مع فتاة فى فندق

«لهذا الواجب قد نذرنا أنفسنا..

وثرواتنا وكل ما نملك..

وكل ما نمتلك.. مع فخرنا واعتزازنا بهؤلاء الذين يعرفون..

إن الوقت قد حان لتتقدم أمريكا وقد نالت شرف أن تنفق.. دمها وقوتها من أجل تلك المبادئ التى منحتها..

الحياة والسعادة والسلام الذى تعتز به..

فليساعدها الرب كى تقوم بواجبها ولا شئ سواه»..

إنه طريق طويل إلى «تيبرارى».

طريق ذهاب طويل..

طريق طويل إلى «تيبراري».

وصاحبه الوجه الجميل

فليحذر الخونة

أربعة رجال فى «إيفانستون» يدفعون غرامة لقتلهم الطيور

ويلسون سيفرض مشروع معاهدة(٢٧٣)

المضاربون بالسلع الغذائية يرفعون أسعار المعلبات حركة بلا بركة الولايات المتحدة فى الحرب القوانين تقضى بالعقاب إذا ما تجاهل الرجال الروح الوطنية..

«چوڤر»(٢٧٤) يطلب جنود الآن.

قضية «مونى Mooney » تثير المشاعر

وداعا بيكاديللى.. وداعا ميدان ليشستر..

لعلى قريبا أراك..

طريق طويل إلى «تيبرارى»..

لكن قلبى مازال هناك..

المجلس التشريعى يرفض السماح بتعبئة جيش..

السفارة الامريكية تلقت تحذيرا اليوم بهجوم سوف تشنه جماعة اشتراكية متطرفة بقيادة «نيكولاى لينين» أحد المنفيين الذى عاد من سويسرا حديثا عن طريق المانيا.

رايات «الحلفاء» ترفرف بإخاء على مقبرة واشنطن..

اليانور ستودارد

كانت الأمور بالنسبة لإليانور ذلك الشتاء تمضى أكثر ما تكون إثارة.. تخرج بصحبة ج. وارد فى أغلب الأحيان لمشاهدة عروض الأوبرا الفرنسية وكل حفلات الافتتاح أو إلى مطعم فرنسى صغير يقع فى الحى الشرقى فى الشارع السادس والخمسين حيث يتناولان فاتحات الشهية ثم يذهبان لمشاهدة اللوحات الفرنسية فى المعارض التى تملأ شارع «ماديسون» وابتدأ ج . وارد يهتم بالفن بينما أحبت اليانور صحبته لأنه يملك فى رأيها تلك الطريقة الرومانسية فى التعامل مع الأشياء واعتاد أن يكرر لها القول إنها وحيه وإلهامه..دائما تواتيه الأفكار الجيدة وهو يتحدث إليها.. ثم يأخذان فى السخرية من هؤلاء السفهاء الذين يرون أن الرجل والمرأة لا يمكن أن يعقدا معا صداقة أفلاطونية وكثيرا ما يتبادلان خطابات صغيرة مكتوبة بالفرنسية تصل بينهما كل يوم. كانت إليانور

تعتقد أنه لمن المخجل أن تكون لچ. وارد تلك الزوجة البلهاء والعاجزة أيضا.. لكنها تؤمن أن الأطفال فى غاية الجمال ومن الظريف حقا أنهم يمتلكون لون عيون والدهم الزرقاء الحالمة.

إنها الآن تمتلك معرضا تديره بمفردها تساعدها اثنتان من الفتيات تتعلمن الصنعة ولديها الكثير من الأعمال وتضع أسمها فقط على واجهة المكتب الذى يقع فى شارع «ماديسون» عند تفرعه من الميدان فى المربع الأول للبيوت.. لم تعد «إيفلين هتشنز» تشاركها فى شئ فقد تقاعد دكتور «هتشنز» وانتقلت العائلة بأكملها إلى «سانتافى» وأحيانا ترسل لها «إيفلين» صندوقا يحتوى تحفا هندية أو آنية فخارية أو رسوم الألوان المائية التى يرسمها الأطفال الهنود فى المدارس.. وتجد «إاليانور» أن كل هذه الأشياء تباع بسرعة.

وفى فترة بعد الظهر قد تستقل تاكسى تصعد إلى برج «متروبوليتان لايف» أو المبنى الحديدى تنظر إلى الأضواء تسطع فى سماء «منهاتن» الفولاذية وهى تفكر فى الكريستال والزهور الصناعية والنقوش المذهبة بلون الانديجو والستائر ذات اللون المخملى، وعندما تعود تجد الخادمة قد أعدت الشاى وغالبا ما يكون هناك أصدقاء فى انتظارها ودائما هناك باقات من زهور الزنابق البيضاء بلون الكريم.واصص نبات «الفريزيا».. تتحدث قليلا قبل أن تنسحب لتجهز نفسها لتناول الغذاء.. وعندما يتصل بها چ. و.تليفونيا يعتذر عن الحضور تشعر بالكآبة الشديدة فإذا كان هناك أحد الأصدقاء الذين أتوا لتناول الشاى مازال حاضرا تطلب منه البقاء ليشاركها فيما يوجد بالبيت من طعام.

كانت رؤية «العلم» الفرنسى أو سماع إحدى الفرق تعزف لحن «البترارى» تبث فى أعماقها الشجون.. ذهبت ذات مساء بصحبة چ. وارد لمشاهدة مسرحية «الجاكت الأصفر» Yellow Jacket للمرة الثالثة وقد ارتدت معطفا جديدا من الفراء اشترته دون أن تدرى كيف ستدفع ثمنه مع تلك «الفواتير» التى تراكمت على مكتبها والمنزل الذى تعيد تصميمه فى «سوتون بلاس» Sutton place دون أن تسدد ثمنه.. أرادت أن تسأل چ. و. عن الألف دولار التى قال أنه سيستثمرها لحسابها.. ألم تأت بالعائد بعد؟ وكانا يتحدثان عن الغارات الجوية والغاز السام[٢٧٥] وتأثير اخبار الحرب على الحركة التجارية بالمدينة وأبطال «مونز» وعذراء أورليانز[٢٧٦].. قالت إنها تؤمن بقوى ما وراء الطبيعة بينما كان چ. و. ويلمح بشئ ما عن الحظ العاثر.. بدا وجهه شاحبا ومهموما وهما يسيران على الطريق وبينما كانا يعبران ميدان «التايمز» خلال زحام الساعة الثامنة وضوء

«الكشافات الجوية» التى تومض وتنطفئ والرجال فى تشكيلات ثلاثية يجرون التمرينات على مناورة «ريجلى» ابتدأ عازف «أورغن» فجأة يعزف نشيد «المارسيليبز».. كان ذلك أروع ما يكون.. إنفجرت فى البكاء.. إمسك ج. وارد ذراعها بقوة من خلال معطف «الفراء» ومنح عازف الأورغن دورلاراً وأخذا يتحدثان عن التضحية والاخلاص للمثل العليا وعندما دخلت إلى المسرح أسرعت «اليانور» إلى غرفة السيدات لترى هل أحمرت عيناها لكنها عندما نظرت إلى المرآة لم يكن هناك أثر للاحتقان غير لمعة التأثر العميق وهكذا اصلحت زينة وجهها وعادت إلى «البهو» حيث كان ج. وارد يقف فى انتظارها والتذاكر فى يده وأخذت تتابع العرض وعيونها الرمادية مازالت تلمع وتغص بالدموع.

وأتى مساء آخر ظهر فيه ج. و. مهموما حقا وبينما كان يصحبها للبيت بعد أن شاهدا «مانون» Manon فى دار الأوبرا أخذ يوضح لها كيف أن امرأته لا تفهم طبيعة العلاقة بينهما وبدأت تفتعل المشاجرات وتهدده بالطلاق.. أحست اليانور بكرامتها تجرح وثارت من السخط.. لابد أن لتلك المرأة طبيعة فظة تمنعها من أن تفهم أن العلاقة بينهما أنقى من الثلج.. أجاب ج. وارد إنها لكذلك وأنه يشعر بالقلق.. إن معظم رأسماله الذى يستثمره فى «الوكالة» مال حماته وأنها تستطيع إفلاسه لو أرادت وهذا أسوأ من الطلاق بكثير.. حينئذ شعرت اليانور ببرودة ثلجية وهى تقول أنها تفضل إن تخرج كلية من حياته على أن تتسبب فى خراب بيته.. إنه مازال مدينا لأطفاله الظرفاء.. لكن ج. و. أجاب إنها روحه وإلهامه ولابد أن يحتفظ بها فى حياته.

عندما عادا إلى الشارع الثامن أخذا يتمشيان جيئة وذهابا فى صالة الاستقبال البيضاء اللامعة فى بيت «اليانور» وسط رائحة ازهار الزنبق النفاذة وهما يفكران فيما ينبغى أن يتم.. دخنا الكثير من السجائر لكنهما لم يتوصلا إلى قرار..

وقال ج. وارد وهو يتنهد مودعا - لعلها الآن تستأجر مخبرين يرقبوننى فى هذه اللحظة ثم خرج وعلامات الانزعاج تملأ وجهه.

أخذت اليانور تتمشى أمام المرآة العريضة ذات الطراز الفينيسى المعلقة بين النوافذ وهى لا تدرى ماذا تفعل.. إن عمل الديكور يأتى بالكاد بتكاليفه وعليها أن تفى بقسط الدين للمنزل فى «سوتون بلاس» وايجار الشقة الذى لم يُدفع منذ شهرين وثمن معطف الفراء.. لقد كانت تعتمد على مبلغ الألف دولار قيمة الأسهم التى قال ج. و إنها ستكون لها لو ظفر بالربح الهائل الذى كان يتوقعه من وراء اسهم البترول الفنزويلية. لابد أن خطأ ما قد حدث يمنعه من الحديث عن ذلك.

عندما أوت «اليانور» إلى الفراش لم تستطع النوم.. أرقها الشعور بالتعاسة والخوف إنها ستضطر إلى العودة لتكدح فى محلات الأزياء وسوف تفقد أبهتها واصدقاءها والأسوأ من ذلك أن تتخلى عن ج. و. أخذت تطوف بفكرها خادمتها الملونة «أوجستين» وقصص غرامها الفاشلة التى دائما تتحدث عنها.. ربما كان خطئها من البداية أنها أرادت أن يكون كل شئ كاملا وجميلا.. لم تكن تبكى لكنها رقدت طول الليل تنظر بعيون مسهدة حسيرة.. تحملق فى زهور السقف المنقوشة التى تظهر فى بصيص الضوء الذى يأتى من الطريق متسللا عبر الستائر الحريرية بلونها الأرجوانى الشاحب.

مضى يومان وبينما كانت فى مكتبها تفحص بعض الكراسى الأسبانية القديمة كان أحد متعهدى الاثاثات يحاول بيعها.. أتت برقية تقول (تطورات غير ملائمة).. يجب أن أراك.. لا داعى للتليفون.. تعالى لتناول الشاى فى الخامسة.. فندق الإمير چورج) لم يكن هناك توقيع.. طلبت من الرجل أن يترك الكراسى وعندما إنصرفت وقفت فترة طويلة تنظر إلى آنية بها زهور الزعفران الأرجوانية بمدقات التأنيث الصفراء موضوعة على المكتب وهى تفكر هل يكون من المناسب أن تذهب إلى «جريت نيك» لتتحدث مع «چيرترود مورهاوس».. ثم استدعت مس «لى» التى كانت تعمل فى الحجرة المجاورة لشغل بعض الستائر.. طلبت منها أن تعتنى بالمكتب إلى أن تتصل بها تليفونيا بعد الظهر واستقلت «تاكسى» ومضت إلى محطة بنسلفانيا.

كان يوما من أيام الربيع المبكر والناس يسيرون فى الشارع بالمعاطف المفتوحة.. وتبدو السماء صافية مع بعض السحب المتفرقة مثل غزل الصقلاب المندوف.. وانبعثت رائحة لحاء البتولا وسط روائح الفرو والمعاطف والعوادم والأجسام المتدثرة بالثياب.. جلست «اليانور» فى المقعد الخلفى متصلبة وقد أنشبت أظافرها الحادة فى راحة يدها ذات القفاز الرمادى.. شعرت بالكراهية لتلك الأيام الخادعة التى يلبس فيها الشتاء ثوب الربيع.. إنها تدفع بالتجاعيد إلى وجهها وتجعل كل الأشياء تنهار داخلها.. يبدو أنه لم تعد هناك أرضا صلبة تستطيع أن تقف عليها.. لسوف تذهب وتتحدث إلى «چيرترود مورهاوس» حديث إمرأة إلى امرأة.. إن الفضيحة يمكن أن تحطم كل شئ.. وتستطيع اقناعها فى لحظات بأنه لا يوجد شئ بينها وبين ج. و.. إن الفضيحة سوف تدمر كل شئ وسوف تفقد عملاتها وتفلس ولن يكون هناك بديل غير أن تعود إلى «بولمان» لتعيش مع خالتها وزوجها.

دفعت أجر التاكسى وهبطت السلالم إلى رصيف قطارات «لونج آيلند».. كانت ركبتاها ترتعشان وهى تشعر بالارهاق والاحباط بينما أخذت تشق طريقها وسط الزحام

إلى مكتب الاستعلامات.. إنها لن تستطيع الحصول على قطار «جريت نيك» قبل الثانية، ١٣ دقيقة وقفت فى صف طويل لتقطع التذكرة.. داس رجل فوق قدمها والطابور يتحرك ببطء قاتل أمام نافذة التذاكر.. وعندما وصلت إلى هناك توقفت بضع ثوان لتتذكر المكان الذى ستذهب إليه.. تطلع الرجل إليها عبر النافذة بعيون ضجرة متبرمة.. كان يرتدى عوينات خضراء وتبدو شفتاه بلون أحمر فاقع لا يتناسب مع لون وجهه الشاحب إنتاب المسافرون خلفها الضيق وحاول رجل يرتدى معطفا من التويد ويحمل حقيبة سفر ثقيلة أن يتخطاها.. لكنها تذكرت أخيرا.. «جريت نيك» ذهابا وأيابا.. وبعد أن ابتاعت التذكرة طرأ عليها الخاطر بأنها لا تملك الوقت الكافى لتذهب وتعود فى الخامسة.. وضعت التذكرة فى كيس نقودها الحريرى الأخضر الذى زينته الزخارف وبدأت تفكر فى الانتحار.. إنها يمكن أن تأخذ قطار الانفاق إلى قلب المدينة.. وتستقل المصعد إلى قمة ناطحة «وولورث» Woolworth لتلقى بنفسها.. لكنها مضت إلى موقف التاكسى بدلا من ذلك.. كانت أشعة الشمس الخمرية تتسلل من بين صفوف الأشجار الرمادية بينما دخان العادم الأزرق يتصاعد ويتكاثف مثل الحرير المبلل.. ركبت تاكسى وطلبت من السائق أن يأخذها فى جولة حول حديقة «السنترال بارك».. كانت بعض الأغصان قد بدأت تكتسب اللون الأحمر وأشجار الزان الطويلة بدأت تتفتح لكن العشب لم يزل أسمر والثلج القذر يتراكم فى الميازيب والريح الثلجية المرجفة تهب عبر الجداول.. لم يكف سائق التاكسى عن الحديث إليها ولم تستطع أن تعيره انتباها.. اصابها الارهاق من الردود والعشوائية التى تجيبه بها فطلبت منه أن ينزلها أمام «متحف المتروبوليتان للفن» وبينما كانت تدفع الحساب مرق بائع جرائد يصيح بأعلى صوته .. «ملحق.. ملحق».. إبتاعت إليانور صحيفة بخمسة سنتات وإبتاع السائق أخرى وسمعته يقول - سوف أكون إبن....

لكنها هرعت وأسرعت الخطوات خوفا من أن يستمر فى الحديث إليها..

عندما صارت تحت الضوء الفضى الهادئ داخل المتحف.. فتحت الصحيفة.. فاحت منها رائحة حبر الطباعة.. الزنخ.. لم يكن الحبر قد جف بعد ولوث قفازها.

إعلان الحرب(٢٧٧)

«لم يبق على الأمر سوى ساعات الآن.. المراقبون فى واشنطن يعلنون «المذكرة الالمانية غير مقنعة بالمرة».

تركت الصحيفة على نضد ومضت لتشاهد أعمال «رودان»(٢٧٨) ثم انتقلت إلى الجناح الصينى حتى حان الوقت الذى يجب أن تذهب فيه إلى الشارع الخامس.. استقلت

الاوتوبيس - فقد أنفقت كثيرا على التاكسيات - وشعرت بروحها تنتعش وطوال الطريق لم يكن يشغل بالها غير التفكير في «عصر البرونز»(٢٧٩).. وعندما أبصرت ج. و. تحت الضوء الوردي المختنق في بهو الفندق مضت نحوه بخطوات نشطة.. كان يجلس وقد وضع يده تحت فكه وعيناه الزرقاوتين تتوهجان.. بدا أكثر شبابا مما كان في المرة الأخيرة التي رأته فيها.. وفور أن رآها نهض صائحا:

- حسنا..... أتيت أخيرا.. لقد أبرقت لتوى إلى «واشنطن» لأقدم خدماتي إلى الحكومة... يسرني أن أرى كيف ينهون الآن إضراب عمال السكك الحديدية.

قالت إليانور - إنه أمر رائع ومخيف.. إنني أرتعش مثل ورقة.. ذهبوا إلى مائدة صغيرة في أحد الأركان وراء بعض السجف الثقيلة ليتناولوا الشاي.. وما كادوا يجلسون حتى بدأت الأوركسترا تعزف «الراية المرصعة بالنجوم»(٢٨٠).. فأضطروا للنهوض.. كان بهو الفندق يمتلأ بالضجيج والعجيج والناس تهرول وهي تحمل أحدث طبعات الصحف وهم يضحكون ويتصايحون والذين لا معرفة بينهم على الاطلاق أخذوا يتبادلون الجرائد ويتحدثون بألفة عن الحرب ويشعل كل منهم سجائر الآخرين.. قالت «إليانور» وهي تمسك بقطعة من التوست بالقرفة. بين أصابعها المدببة..

- ج. و. لقد تملكتني فكرة.. سوف أذهب وأتحدث إلى زوجتك حديث إمرأة إلى امرأة أخرى وسوف تفهم الوضع بصورة أفضل.. لقد تعارفنا سويا وكانت في منتهى الود عندما كنت أعمل في ديكور المنزل.

قال «وارد» - لقد قدمت خدماتي إلى «واشنطن».. لابد أن تكون برقية في انتظاري الآن بالمكتب ولابد أن «چيرترود» ستري في هذا أبسط واجباتها..

قالت «إليانور» - ج. و. أريد الذهاب وأشعر أنه يجب أن أذهب..

- إلى أين؟

- إلى فرنسا..

- لا تتسرعي في عمل شئ.

- لا.. ولكنني أشعر بالواجب.. يمكن أن أكون ممرضة ماهرة.. لست خائفة من أي شئ.. يجب أن تعلم هذا.

أخذت الأوركسترا تعزف «الراية المرصعة بالنجوم» مرة أخرى.. أنشدت إليانور بعض المقاطع بنبرات حادة ثاقبة.. وكانوا من التوتر لدرجة أنهم لم يستريحوا للجلوس أكثر من ذلك.. ذهبوا إلى مكتب ج. و. بالتاكسي.. كان المكتب في هياج شديد وقد نصبت

مس «ويليامز» سارية العلم على النافذة الوسطى وكانت على وشك أن ترفع العلم..

مضت «إليانور» إليها وتصافحتا بحرارة والريح الباردة تتلاعب بالأوراق على المكتب تطايرت أوراق الآلة الكاتبة وتبعثرت فى أرجاء الغرفة لكن لم يهتم أحد بذلك.

وعلى طريق الشارع الخامس ظهرت فرقة تعزف وهى تقترب.. «هايل.. هايل.. لم.. شمل الصحبة إتلم»(٢٨١).

كانت النوافذ كلها قد أضيئت بالأنوار وأخذت الرايات تلتف حول الساريات وقد صفعتها الريح الباردة بينما أنحنى الموظفون والكاتبات على النوافذ وهم يهللون وينثرون الأوراق التى انزلقت تتلاطم وسط الريح الدوارة القارصة.

صاح واحد - إنه الفوج السابع..

فأجابوه جميعا بالتصفيق والهتاف.. والفرقة تعزف بحماس تحت النافذة بينما يتناهى إلى أسماعهم وقع أقدام الجنود.. توقفت حركة المرور وأخذت العربات تطلق أبواقها والركاب على أسطح الاوتوبيسات يلوحون بأعلام صغيرة..

إنحنت مس «ويليامز» وطبعت قبلة على خد «إليانور» بينما كان ج. و. يقف متطلعا فوق رؤوسهم وابتسامة الفخر تملأ وجهه.. وبعد أن ذهبت الفرقة وعادت حركة المرور أغلقوا النافذة.. عادت مس ويليامز تدور لتلتقط الورق المبعثر.. وتلقى ج. و. البرقية من واشنطن بقبول خدماته فى لجنة الاعلام العامة التى يشكلها مستر «ويلسون» لتحيط به.. فقرر أن يرحل فى الصباح وأتصل تليفونيا بـ «جربت نيك» وسأل «چيرترود» هل يمكنه الحضور لتناول العشاء ومعه صديق.. فأجابت «چيرترود» يجب عليه ذلك وليتها تتمكن من البقاء يقظة حتى تراهم.. كانت أخبار الحرب قد الهبت حواسها لكنها أضافت إن التفكير فى كل هذا البؤس وتلك المذابح يصيبها بآلام رهيبة فى مؤخرة رأسها.

إلتفت «وارد» مخاطبا إليانور

- عندى حدس أنى لو صحبتك إلى العشاء عند چيرترود فكل شئ سيكون على ما يرام.. أنا نادرا ما أخطأ فى حدسى..

قالت إليانور - أوه.. أعرف أنها ستفهم..

وبينما كانوا يغادرون المكتب إلتقوا بمستر «روبنز» فى الصالة فلم يرفع قبعته ولم يأخذ السيجار من فمه ويدا مخمورا وهو يصيح.

- وارد.. ما هذا بحق الجحيم.. هل نحن فى الحرب أم لا ؟

أجاب ج. و. - إن لم نكن فسوف نكون قبل بزوغ الصباح.

صاح مستر «روبنز» - إنها العن خيانة فى التاريخ.. أنحن قد انتخبنا «ويلسون» بدلا من ذلك العجوز ذو اللحية الزغباء إلا ليحمينا من تلك المصيبة الملعونة..

قال ج. و. - روبنز.. أنا لا أتفق معك.. أعتقد أن من واجبنا أن ننقذ... لكن مستر «روبنز» اختفى خارج باب المكتب مخلفا ورائه رائحة قوية من الويسكى.

قالت إليانور - كان يمكن أن أصغى إليه.. لكنه خارج عن طوره.

وأنطلقوا فى «السهم الخاطف إلى «جريت نيك».. كان الجو باردا يبعث على الرعشة وضوء الشفق الأحمر يعلو فى الأفق وبينما كانوا يعبرون قنطرة «كوينزبورو» Queensboro إندفعت الريح الباردة من الخلف وبدا كما لو كانوا يطيرون فوق الأضواء وتجمعات المساكن ومسطح جزيرة «بلاكويل» القرمزى والبواخر والمداخن الطويلة ومحطات توليد القوى بأضوائها الزرقاء.. إنطلق «وارد» يتحدث عن «إديث كاڤيل» والغارات الجوية والاعلام والكشافات وعجيج الجيوش المتقدمة و «چان دارك».. سحبت إليانور ياقة معطف الفرو لتغطى ذقنها وراحت تفكر ماذا تقول لچيرترود مورهاوس.

عندما دخلت البيت شعرت ببعض الرهبة من الموقف.. توقفت فى الصالة لتعيد ترتيب وجهها بمرآة اليد التى تضعها فى حقيبتها.. كانت «جيرترود مورهاوس» تجلس على مقعد طويل أمام نيران المدفأة الموقدة.. تجولت اليانور ببصرها فى الغرفة وهى تشعر بالسرور.. لكم تبدو جميلة.. أصبح وجه چيرترود شاحبا بمجرد أن رأتها بينما إندفعت إليانور تقول - لقد أردت الحديث إليك..

أمسكت چيرترود مورهاوس بيدها دون أن تنهض.

- مس ستودارد.. أعذرينى.. لا أستطيع النهوض فأنا متوعكة تماما منذ سماع تلك الأخبار الفظيعة.

قالت «إليانور» إن الحضارة تتطلب التضحية منا جميعا.

قالت «چيرترود» - بالطبع.. كان فظيعا ما فعله «الهون» لقد قطعوا أيدى الأطفال البلچيك وما شابه ذلك من فظائع.

قالت اليانور - مسز مورهاوس.. لقد أردت الحديث إليك عن سوء الفهم المشئوم لعلاقتى مع زوجك.. هل تعتقدين إننى من ذلك النوع من النساء الذى يأتى لمواجهتك لو كانت هناك صحة لتلك الشائعات الفظيعة.. إن علاقتنا نقية كالثلج.

- أرجوك.. لا داعى للحديث عن هذا.. مس ستودارد.. أنا أصدقك.

عندما دخل ج. و. كانتا تجلسان على جانبى المدفأة تتحدثان عن العملية الجراحية

التى أجرتها «چيرترود».. قفزت «إليانور» على قدميها وهى تقول

-أوه.. اعتقد إنه عمل رائع منك.. ج. و.

سلك ج. ؤ. حنجرته.. نظر بين الواحدة والأخرى وقال:

- إنه أقلّ من واجبى..

تساءلت چيرترود - ما هذا؟

- لقد قدمت خدماتى إلى الحكومة لأخدم فى أى مجال يرونه مناسبا لزمن الحرب..

قالت چيرترود بنظرة زائغة - ليس فى الجبهة؟

- سوف أذهب إلى واشنطن غدا وبالطبع سوف أخدم دون مقابل.

قالت چيرترود - وارد.. هذا نبل منك..

فمضى بخطوات بطيئة حتى وقف بجانب مقعدها ثم أنحنى وقبلها على جبهتها وهو يقول

- يا عزيزتى.. يجب علينا جميعا أن نقدم التضحيات وأنا واثق بك وبأمك..

أحمرت وجنة چيرترود ونهضت على قدمها.

- وارد.. بالطبع.. بالطبع.. لقد كان هذا سوء فهم سخيف.. كنت حمقاء ملعونة يملؤنى الشك.. لكنك لا يجب أن تذهب إلى الجبهة.. سوف أتحدث مع أمى حول ذلك.

ثم مضت إليه ووضعت يديها على كتفيه بينما وقفت إليانور وظهرها للحائط تتطلع إليهما.. كان يرتدى سترة السهرة السوداء المحبوكة.. تباين لون قميص چيرترود السلمونى مع اللون الأسود.. وتحت ضوء «الثريا» الكريستال ضرب لون شعره الخفيف إلى اللون الرمادى الفاتح فى مواجهة لون الجدران العاجية الرمادية بينما اكتسى وجهه بالظلال وبدا حزينًا جدا.. تساءلت «إليانور» فى أعماقها كيف يمكن أن يعرف الصغار قيمة هذا الرجل.. كم تبدو الحجرة جميلة؟.. مثل عرض مسرحى. مثل لوحات «ويسلر».. مثل ساره برنارد.. قالت وقد غصت عيناها بالدموع.

- سوف التحق بالصليب الأحمر.. لا يمكننى الانتظار حتى أصل إلى فرنسا.

جريدة سينمائية (١٩)

الولايات المتحدة فى الحرب
صيحة التأييد الشامل لجميع الأمة

إلى هناك..

إلى هناك..

فى الاجتماع السنوى لحملة أسهم «شركة تصنيع الأسلحة النارية والقذائف» .. أعلن عن فائض أرباح قدره ٢,٥٠٠,٠٠٠ دولار وزيادة رأس المال الحالى بينما وصلت الفوائد السنوية إلى ٢٥٩٪.

دهشة البريطانيين الممزوجة بالفرح

اليانكى قادمون

نحن آتون ح - ح - ح - حالا

خطة تشريعية لمنع الملونين من دخول مناطق البيض

عدة ملايين تدفع فى الجولف فى شيكاغو المحرضون الهنود فى فزع على امتداد البلاد آرمور يهيب بالولايات المتحدة لتنقذ العالم من المجاعة.

إهانة «العلم» جريمة تستحق العقاب

نواب العمال الذين يقتدون بالأعمال الروسية ويرفعون مشروعا للسلام المهين.. فلتسمع لندن..

البلايين للحلفاء

ولن نعود للوطن..

حتى ينتهى.. ينتهى الأمر هناك.

عين الكاميرا (٢٧)

كان يوجد على الباخرة «أسبانيا» Espagne القسوس والراهبات فوق مياه الاطلنطى بأمواجه الزجاجية الخضراء العاصفة.. كانت الكوى كلها مغطاة وأضواء السطح تم حجبها ولا تستطيع أن تشعل عود ثقاب على ظهر الباخرة.

لكن البحارة والخدم كانوا شجعانا جدا.. قالوا أن الألمان لا يمكن أن يغرقوا مركبا تابعا للشركة العمومية "Compagnie Générale" على أية حال بسبب القسوس والراهبات والجيزويت(٢٨٢) و«لجنة الحدادين» التى وعدت ألا يقصف «حوض برى» بالقنابل حيث توجد أفران الصهر العملاقة كما أن رأسمال الشركة يملكه أمير من «البوربون» مع الجيزويت والقسوس والراهبات.

على أية حال.. كان الجميع فى غاية الشجاعة ما عدا كولونيل ومسز «نولتون» من الصليب الأحمر الأمريكى الذين ارتدوا بذلات ضد الماء وضد البرد وضد الغواصات وجلسوا

كالأسكيمو على ظهر الباخرة بالبذلات المنفوخة التى لا تظهر غير وجوههم وداخل جيوبهم عدة الاسعافات الأولية بينما وضعوا فى «الحزام» صندوقا مقاوما للماء حشوه بقطع الشيكولاته باللبن والبسكويت وأقراص اللبن المملت.

عندما تتجول فى الصباح على ظهر الباخرة قد تجد مستر «نولتون» يتشاحن مع مسز «نولتون» أو مسز «نولتون» تشتبك مع مستر «نولتون».. وأبناء «روزفلت» الشجعان فى خوذات الجيش الأمريكى الجديدة الصلبة ذات الحواف يضعون النياشين التى يستحقها أمهر الرماة على قماشهم «الكاكى» ويتحدثون طول اليوم.. يجب علينا أن نتدخل.. يجب علينا أن نتدخل..

كما لو كانت الحرب حمام سباحة.

وكان «ساقى البار» رجلا شجاعا والخدم رجالا شجعاناً.. لحقتهم جميعا الجروح لكنهم فى قمة السعادة لأنهم خدم السفينة وليسوا جنودا فى الخنادق.

ومذاق «الفطائر» بالغ الروعة..

وأخيرا ظهرت الأرض فى الأفق وأتخذت الباخرة المسار المتعرج.. جلسنا صامتين فى البار ثم ظهر مصب «الچيروند»(٢٨٣). وأخذ زورق طوربيد فرنسى يحوم حول الباخرة فى ضوء الفجر اللؤلؤى الهادئ وتبعت البواخر زورق إرشاد صغير كى تتجنب حقول الألغام كانت الشمس قد بدأت ترتفع حمراء قانية فوق أرض الكروم الحمراء.. وكان «الچيروند» يزدحم بالشاحنات والطائرات التى تلمع فى الشمس والسفن الحربية.

اصطبغت مياه «الجارون» باللون الأحمر فى ذلك الجو الخريفى وبراميل النبيذ الجديد مع صناديق القنابل تزدحم على امتداد أرصفة الميناء فى مواجهة البيوت الرمادية وصوارى المركب الشراعية التى تجمعت بالقرب من القنطرة الحديدية الكبيرة الحمراء.

وفى فندق «الشقيقات السبعة» كانت وجوه الجميع يبدو عليها الحزن لكن العمل يمضى بهمة ونشاط بسبب الحرب وهم يتوقعون فى كل دقيقة أن تأتى إليهم الحكومة من باريس(٢٨٤).

فى الشمال كانوا يموتون فى الأوحال والخنادق لكن العمل فى «بوردو» على ما يرام.. إلتف منتجو النبيذ ووكلاء الملاحة وصانعوا الذخيرة حول الديوك المحمرة(٢٨٥) وأكلوا «الأورتلان»(٢٨٦) وعش الغراب والتروفل(٢٨٧).

بينما كانت هناك لافتة معلقة تقول

إحترس

فآذان العدو تستمع إليك[228].

شفق بلون النبيذ الأحمر. ساحات الميادين المفروشة بالحصى الأصفر تحيطها براميل النبيذ.. رائحة الشيكولاته تفوح من الحديقة بتماثيلها الرمادية وأسماء الشوارع.. شارع «الآمال المفقودة».. شارع «روح القوانين» شارع «الخطوات المنسية» ورائحة أوراق الشجر المحترقة وبيوت «البوربون» الرمادية أخذت تذبل فى الشفق النبيذى الأحمر..

فى فندق «الشقيقات السبعة» عندما أويت إلى الفراش فى ساعة متأخرة من الليل.. أيقظنى فجأة عميل للمخابرات السرية.. فتش الحقيبة ونظر إلى «جواز السفر»

– مسيو.. إنها مجرد زيارة عابرة.

«بوب» المكافح

ولد «لافوليت» فى ضواحى «بريمروز».. عمل فى مزرعة بمقاطعة «دين» بولاية «ويسكونسن» حتى بلغ التاسعة عشرة.

وفى جامعة «ويسكونسن» جاهد كى يشق طريقه..

أراد أن يكون «ممثلا.. درس فن الألقاء «وروبرت إنجرسول»[289] و «شكسبير» «وبيرك»[290].

(من الذى يمكنه أن يوضح تأثير «شكسبير» على القرن الأخير.. مارك أنطونى[291] فوق جثمان قيصر.. «عطيل» إلى مجلس شيوخ البندقية.. و «بولونيوس»[292].. فى كل مكان «بولونيوس»؟).

عائدا إلى المنزل فى العربة «البوچى[293] بعد حفل التخرج.. كأنما كان «بوث»[294] و «ويلكز»[295] يخطان «أوراق يونيه» و «دانيل وبستر»[296] و«إنجرسول» يتحديان «الله» مع وقار الزى الجامعى الهائل وثقة لا يتطرق إليها الشك كأنما التماثيل قد انطلقت تتحدث بعظمتها عبر القرون على ساحة «الكابيتول»[297].

لقد كان نجم المبارزات الخطابية فى فرقته..

وفاز بمباراة بين ولايتين عن خطبة ألقاها حول شخصية «إياجو»[298]. وذهب للعمل فى مكتب «محاماة» ورشح نفسه لانتخابات المقاطعة.. نظم له زملاء الدراسة الدعاية.. قضوا الإمسيات يتجولون يجمعون له الأصوات.. حتى اكتسح منافسيه وفاز بالانتخاب.

لقد كان هذا تمرد الشباب على جهاز الحزب الجمهورى فى الولاية..

وانتابت الدهشة الرئيس «كيز» الحاكم السابق «لماديسون»(٢٩٩) والذى سيطر على المقاطعة عندما وجد نفسه ببساطة خارج كرسيه.

منح هذا «للاڤوليت» مرتبا يستطيع أن يتزوج به.. وكان فى الخامسة والعشرين.

بعدها بأربع سنوات رشح نفسه «للكونجرس» وأعطته الجامعة تأييدها مرة أخرى.. لقد كان مرشح طلابها الشباب وعندما تم انتخابه صار أصغر ممثل فى هذا المجلس.

وتعرف على كل شخصيات «واشنطن» بواسطة «ڤيليتوس سوير» ملك تجارة الأخشاب فى «ويسكونسن» الذى اعتاد أن يجمع ويبيع السياسيين بنفس الطريقة التى يجمع ويبيع بها أكوام الحطب.

لقد كان ينتمى إلى الحزب الجمهورى وحصل على تأييده بالدرجة التى ظنوا معها إنهم يملكونه.. فلا أحد يستطيع أن يظل شريفا فى «واشنطن».

فى ذلك الشتاء.. قدم «بوث» مسرحية لشكسبير فى «بلتيمور» لأنه لم يكن أبدا يذهب إلى «واشنطن» تحاشيا لذكرى أخيه المريرة.. كان «بوب لا ڤوليت» وزوجته يذهبان لحضور كل العروض.

وفى بهو فندق «بلانكتون» فى «ميلووكى»(٣٠٠) أثناء أحد معارض الولاية حاول الزعيم «سوير» ملك الأخشاب أن يرشوه ليؤثر على شقيق زوجته القاضى الذى يفصل فى الدعوى المقامة ضد أمين صندوق الحزب الجمهورى فى الولاية.. لكن «بوب لاڤولين» غادر الفندق فى ثورة عارمة ومنذ ذلك الحين أشعلها حربا بلا هوادة ضد جهاز الحزب الجمهورى فى «ويسكونسن» حتى أنتخب حاكما للولاية واستطاع أن يدمر ذلك الجهاز.

تلك كانت حرب السنوات العشر التى صارت فيها «ويسكونسن» ولاية مثالية والتى استطاع فيها الناخبون - الألمان المحبون للنظام والفنلنديون والاسكندنافيون المغرمون بآرائهم - أن يتعلموا كيف يستخدمون قوتهم الجديدة ليوجهوا الانتخابات الأولية وانتخابات الإعادة وحق المطالبة بالاقالة.

وفرض «لاڤوليت» الضرائب على السكك الحديدية..

قال «چون ك. باين» لمجموعة من السياسيين فى صالة «إيبيت هاوس» فى واشنطن «إن لاڤوليت رجل أحمق لو أعتقد أنه يستطيع أن يفرض الجباية على شركة لها خمسة آلاف ميل من الخطوط الحديدية المتصلة.. سوف يجد نفسه مخطئا وسوف نهتم به عندما يحين الأوان».

لكنه عندما حان الوقت أتى مزراعو «ويسكونسن» والمحامون والأطباء ورجال

الأعمال الشبان الذين تخرجوا لتوهم ليهتموا به..

وينتخبوه «حاكما» ثلاث مرات

ثم إلى «الكونجرس» الامريكى.

حيث قضى حياته.. يلقى الخطب الطويلة المدعمة بالاحصائيات وهو يناضل من أجل حكومة ديمقراطية.. من أجل إتحاد تعاونى للمزراعين ورجال الأعمال الصغار.. لقد حارب بمفرده وظهره للحائط الفساد والشركات الكبيرة والسيطرة المالية والتروستات واتحادات الاتحادات وبلادة مجتمع و«اشنطن» المتعفن.

لقد كان واحدا ضمن مجموعة قليلة من الرجال ذوى العزيمة الذين لا يعبرون عن رأى غير رأيهم.

الذى وقف ضد مشروع «وودرو ويلسون» بشأن السفن الحربية الذى جعل الحرب مع «ألمانيا» أمرا محتما.

لقد أطلقوا عليه لقب «العجان»[٣٠١] لكنه كان واحدا من ستة رجال امتلكوا الشجاعة وحاولوا أن يكبحوا جماح قوة هوجاء مجنونة بأيديهم العارية.

وخرجت الصحف وهى تصب لقرائها الكراهية نحو «لاڤوليت».

وفى «الينوى» أحرقوا دمية تمثله..

وفى «ويلنج» لم يمكنوه من الكلام.

لكنه فى سنة ١٩٢٤ رشح نفسه لمنصب الرئاسة وبدون نقود ولا جهاز سياسى استطاع أن يحصل على أربعة ملايين ونصف مليون من أصوات الناخبين.

ثم سقط مريضا.. قهره العمل المتواصل.. غُص بالهواء الراكد لغرف اللجان والمجالس التشريعية..

ورائحة السياسيين القذرة..

ومات..

الخطيب المفوه من «كابيتول» الجمهورية المفقودة..

لسوف نتذكر..

كيف وقف راسخا فى مارس ١٩١٧ عندما كان «وودرو ويلسون» يتقلد السلطة للمرة الثانية ولمدة ثلاثة أيام استطاع أن يصيب بالشلل ذلك الجهاز الرهيب.. لقد حاولوا منعه من الكلام وصب عليه المستمعون نظرات الكراهية وتحولت قاعة «مجلس الشيوخ» إلى حفلة إعدام بدون محاكمة..

رجل قصير مكتنز بوجه معروق.. يرتكز بساق واحدة على المشى وهو يطوى ذراعيه ويلوك السيجار فى زاوية فمه..

ويضع على الدرج خطابا لم ينتهى بعد..

رجل للإرادة.. لا يعبر عن رأى غير رأيه.

تشارلى أندرسون

كانت أم تشارلى أندرسون تدير نُزلا لعمال السكك الحديدية بالقرب من محطة «الباسفيك» الشمالية فى «ڤارجو» بنورث داكوتا.

كان النُزل عبارة عن منزل خشبى يعلوه سقف جملونى وتحيط به الشرفات مطليا باللون الأصفر الفاقع وتزينه بعض النقوش البنية.. أما فى الخلفية فهناك دائما الغسيل الذى يتدلى من الحبال المرتخية التى تمتد من عمود بالقرب من باب المطبخ إلى صف من «عشش الفراخ» الخربة.

كانت مسز «أندرسون» إمرأة شهباء الشعر هادئة الكلام ترتدى العوينات.. يخشاها النزلاء ويحتفظون بشكواهم عن الفراش أو الطعام أو البيض الفاسد إلى «ليزى جرين» التى جاءت من شمال أيرلندا وتتولى شئون المنزل من خدمة وطبخ وغير ذلك.

وهى تتهادى فى مشيتها بعودها الفارع ومئزرها.

وعندما يأتى الرجال وهم يترنحون من الخمر كانت «ليزى» وقد التفت بمعطف رجالى رث حول ثياب نومها هى التى تخرج لتأمرهم أن يغلقوا أفواههم وعندما حاول «كباح» ذات ليلة أن يعاكسها بالقول لم يتلق غير ضربة فى فكه القته طريحاً أمام المدخل.

لقد كانت «ليزى» هى التى أعتنت بتنظيف «تشارلى» عندما كان صغيرا وهى التى ساعدته فى الذهاب إلى المدرسة عندما حان الوقت وهى التى كانت تدلك ركبتيه بالعطاس عندما تتقرحان وتضع رغوة الصابون على التسلخات التى تصيبه من الرطوبة كما كانت ترتق ثيابه.

وكانت مسز أندرسون قد وضعت ثلاثة أطفال.. شبوا وكبروا ورحلوا عن المنزل قبل أن يولد تشارلى.. لهذا لم تلق بالا إليه.. ومستر «أندرسون» قد رحل أيضا عن المنزل فى الوقت الذى ولد فيه.. لقد أضطر للذهاب إلى الغرب بسبب صدره المريض الذى لم يعد يحتمل الشتاء القارص.. هذا ما كانت تردده مسز «أندرسون».

كان دور مسز «أندرسون» ينحصر فى حساب الزبائن وتعليب الفراولة والبازلاء

والخوخ والفاصوليا والطماطم والكمثرى والبرقوق وعصير التفاح.. كل فى موسمه.. وإجبار «تشارلى» أن يقرأ من «الانجيل» كل ليلة.. والاهتمام البالغ بطقوس الكنيسة.. شب «تشارلى» طفلا قصيرا مكتنزا له شعر أبيض ناعم مهوش وعينان رماديتان.. ويحظى بتدليل الزبائن ويحب كل الأشياء ماعدا يوم الأحد عندما يضطر للذهاب إلى الكنيسة مرتين وإلى «مدرسة الأحد» ثم تأخذه أمه بعد الغذاء مباشرة لتقرأ له الأجزاء المفضلة لديها من انجيل «متى» أو سفر «أستير» أو «راعوث» وتسأله فى «الاصحاحات» التى قررتها له خلال الاسبوع.

يتم «الدرس» على المائدة ذات المفرش الأحمر بالقرب من النافذة التى صفت عليها مسز «اندرسون» أصص «الصبار» و«اليهودى التائه» و «البيجونيا» و «السرخس» صيفا وشتاءا. يشعر «تشارلى» بالخدر فى ساقيه والغذاء الضخم الذى تناوله يصيبه بالخمول لكنه يخاف خوفاً مرعبا أن يرتكب خطيئة ضد «الروح القدس» التى أشارت إليها أمه إذا لم يكن يقظا فى الكنيسة أو «مدرسة الأحد» أو عندما تقرأ له الكتاب المقدس.

فى «الشتاء» يخيم السكون على المطبخ.. لا يسُمع غير طنين الموقد الضعيف وخطوات «ليزى» الثقيلة وتنهيداتها المتبرمة وهى ترص الأطباق المغسولة فى «الخوان»..

أما فى الصيف.. فالأمر بالنسبة له لا يطاق.. لقد قال له الصبية إنهم سيذهبون للسباحة فى «النهر الأحمر» أو الصيد أو لعب «الاستغماية» فى فناء الأخشاب أو مستودع الفحم خلف جراج القاطرات.. والذباب المتساقط فى المصيدة الورقية يطن بحدة محاولا الخروج.. بينما يتناهى إلى سمعه هدير قاطرة تحول عربات بضاعة أو قطار «وينبج» المباشر يصفر على المحطة مع قرع الجرس.. يشعر باللزوجة والأكال حول ياقته المثبتة يثبت نظرة على ساعة الحائط الخزفية بتكاتها العالية ويشعر بالوقت يمر ببطء قاتل.. يحول نظره عازما ألا يعاود النظر إلا بعد خمسة عشرة دقيقة لكنه عندما ينظر مرة أخرى لايجد من مرور الوقت غير خمسة دقائق.. يشعر باليأس.. لعله من الأفضل أن يرتكب خطيئة.. يهجر كل هذه الأشياء مرة وإلى الأبد.. ينطلق هاربا يتسكع على قدميه كما يفعل «دولفى أو لزن» لكنه لا يمتلك الشجاعة.

عندما حان وقت التحاقه بالمدرسة الثانوية.. بدأ يجد أشياء مسلية فى الكتاب المقدس.. أشياء مثل تلك التى يتحدث عنها الصبية بعد أن ينال منهم التعب وهم يعبثون بالضفادع وسط الاعشاب الكثيفة خلف السياج.

أشياء كقصة «أونان»(٣٠٢) و «اللاوى» ومخطيته(٣٠٣) ونشيد الأنشاد لسليمان.

كان يستمع بقراءة هذه الأشياء ويشعر بقلبه يدق مثلما يحدث وهو يستمع إلى الأحاديث المتناثرة بين عمال السكك الحديدية داخل النُزل ولقد عرف ماذا تعنى كلمة «الصياد» وما الذى يحدث عندما تذهب النساء بعيدا للنزهة على شاطئ النهر.. كل هذا يثير خياله لكنه يحرص عندما يتحدث إلى أمه أن يخفى معرفته بكل هذه الأشياء..

كان «جيم» شقيق «تشارلى» قد تزوج إبنة مالك لأحد اسطبلات الخيل فى «مينيا بوليس» وفى فصل الربيع الذى كان «تشارلى» يستعد فيه للانتقال من الفرقة الثامنة أتوا لزيارة مسز «أندرسون».. أخذ «چيم» يدخن السيجار علانية فى المنزل ويمازح أمه ولم تعد هناك أحاديث عن قراءة الكتاب المقدس فى تلك الفترة.. وصحبه «چيم للصيد ذات يوم من أيام الأحد حتى وصلوا إلى منطقة «شيين» Sheyenne وقال له أنه لو حضر إلى «توين سيتيز» Twin Cities عندما يفرغ من دراسته فسوف يدبر له عملا فى «الجاراچ» الذى ينوى أقامته كملحق للأسطبل الذى يملكه والد زوجته. بدا الأمر مدعاة للدهشة بين رفاق المدرسة وهو يخبرهم أنه قد وجد عملا فى المدينة فى اجازة الصيف وكان بدوره سعيدا أن ينطلق بعيدا لاسيما وقد عادت أخته «استير» إلى المنزل بعد أن قضت فصلا دراسيا لدراسة «التمريض» وأخذت تضايقه على الدوام كونه يتحدث كالسوقة ولا يحتفظ بملابسه نظيفة ويلتهم الكثير من الفطائر.

فى ذلك الصباح الذى مضى فيه بمفرده إلى «مورهيد» يحمل حقيبة سفر أعارتها له «أستير» ليأخذ القطار إلى «توين سيتيز» كاد يطير من الفرح.. وفى المحطة حاول أن يشترى علبة سجائر لكن بائع الصحف سخر منه قائلا إنه مازال صغيرا وعندما بدأ رحلته كان الطقس ينبئ عن يوم ربيعى معتدل لكنه يميل للحرارة.. رأى العرق يتصبب على جوانب الخيول القوية التى تجر صفا طويلا من العربات المحملة بالطحين وهى تعبر القنطرة وبينما كان ينتظر فى المحطة أصبح الهواء راكدا وهبط ضباب كثيف مشبع بالبخار.. سطعت الشمس الحمراء القانية على الجدران العريضة لمخازن الغلال على امتداد الطريق وسمع رجلا يقول للآخر - يخيل لى أنه سيهب اعصار. عندما صعد إلى القطار أطل من النافذة يرقب السحب الرعدية الإرجوانية التى أخذت تتجمع فى الشمال الغربى خلف حقول القمح الخضراء اللامعة التى امتدت إلى حيث تعانق السحب. تمنى بحرارة أن يهب اعصار فإنه لم يشاهد اعصارا من قبل لكنه عندما بدأ الرعد يفرقع كالسياط شعر بالخوف ووجوده بالقطار أمام المفتش والمسافرين الآخرين جعله يتماسك ويشعر ببعض الطمأنينة.. لم يكن هناك أعصار بل وابل من المطر الرعدى واكتست حقول القمح بلون الزنك وهى تصافح

الفيض المنهمر بصوت كالهسيس.

أشرقت الشمس بعد ذلك وفتح «تشارلى» النافذة.. عاد كل شئ يعبق برائحة الربيع وعادت الطيور تصدح فوق أشجار البتولا والتنوب الداكنة التى تحيط بالبحيرات الصغيرة المتلألئة.

كان «جيم» فى انتظاره على محطة «يونيون ديبو» فى شاحنة من طراز «فورد».. وتوقفا على رصيف عربات البضاعة وكان على «تشارلى» أن يساعد فى نقل الصناديق الكثيرة الثقيلة التى احتوت على قطع الغيار وشُحنت من «ديترويت» بعد أن كُتب عليها «جاراج ڤوجل».. حاول «تشارلى» أن يبدو كما لو كان قد قضى كل حياته فى مدينة كبيرة لكن رنين عربات «الترولى» واصطكاك حوافر خيول عربات الشحن بالأحجار التى يتولد عنها الشرر ومرأى الفتيات الجميلات الشقراوات وصالات شرب البيرة الألمانية الواسعة والهدير الذى ينبعث من الورش والمعامل.. كل هذا أدار رأسه.

بدا «جيم» طويلا رفيعا وهو يرتدى «الآوڤرول» ويتحدث بلهجة جديدة مقتضبة.. وبعد أن امتلأت الشاحنة وبينما كانوا يشقون طريقهم ببطء خلال حركة المرور المزدحمة قال «جيم».

- يجب أن تأخذ حذرك يا غلام أثناء وجودك بالبيت فالرجل العجوز والد «هيدويج» عجوز ألمانى ليس من السهل إرضائه مثل كل العجائز الألمان.

أجاب «تشارلى» - بكل تأكيد.

لكن شعورا من القلق بدأ ينتابه وهو يفكر كيف يمكن أن تمضى به الحياة فى «مينيا بوليس» وهو يتمنى لو أن ابتسامة «جيم» كانت أكثر مرحا.

كان «ڤوجل» العجوز رجلا مكتنزا أحمر الوجه بشعر رمادى أهوش وكرش ضخم.. يغرم بالفطائر والبيرة و «اليخنة» الغنية بالصلصة وكانت زوجة «جيم» هى ابنته الوحيدة وقد ماتت زوجته لكنه يحتفظ بامرأة ألمانية فى أواسط العمر - يدعوها الجميع بالعمة هارتمان - لتدير له المنزل وقد أخذت طول الوقت تتابع الرجال والمكنسة فى يدها تساعدها الآنسة «هيدويج» التى أطلت من عيونها الزرقاء نظرات متذمرة لأنها فى انتظار أن تضع طفلها هذا الخريف.. وكان المكان نظيفا بالغ النظافة لدرجة أن المرء يستطيع أن يأكل بيضة مقلية على الأرض فى أى بقعة يختارها.. كما أنهم لا يسمحون بفتح النوافذ خشية من تسرب التراب.

كان المنزل يطل مباشرة على الشارع أما الأسطبل فيقع فى الساحة الخلفية وله

مدخله الخاص الذى يؤدى إليه مباشرة والذى يؤدى أيضا إلى محل «السروجى» العجوز الذى تحول إلى «الجاراج».. وبينما كان «چيم» و «تشارلى» يزيلان اللوحة التى بالواجهة ليضعوا عليها اللوحة الجديدة التى خط عليها بخطوط حمراء وبيضاء جذابة «جاراج ڤوجل» تمتم «جيم» من بين أسنانه.

- ياللنغل العجوز.. لقد قال أنه سيطلق عليه إسم «ڤوجل وأندرسون». ولكن.. يا للجحيم.

كان كل شئ يفوح برائحة الأسطبلات وثمة رجل ملون يقود حصانا أعجف وقد وضع عليه إحدى الحشايا.

ظل «تشارلى» طول الصيف يغسل العربات ويجفف الدواليب ويصلح الفرامل وهو يرتدى «الأوڤرول» الملوث بالشحم ويبدو قذرا مشحما وعليه أن يكون بالجاراج فى تمام السابعة ولا ينصرف إلا متأخرا فى المساء عندما يكون التعب قد نال منه ولم يعد يقوى على فعل شئ غير أن يتهاوى فى المضجع الذى رتبوه له فوق الجاراج مباشرة و «چيم» يمنحه دولارا كل اسبوع كمصروف جيب موضحا إنه بهذا فى غاية الكرم فالعمل لمصلحة «تشارلى» ويكفيه أن يتعلم الصنعة وعندما تحل ليلة السبت يكون دوره هو الأخير كى يدخل إلى «الحمام» فلا يجد شيئا غير الماء الفاتر وعليه أن يعانى كثيرا ليستطيع تنظيف نفسه.

كان «ڤوجل» العجوز اشتراكيا لا يذهب إلى الكنيسة.. يقضى أيام الأحد يحتسى البيرة مع أصدقائه.. وعلى مائدة الغذاء فى ذلك اليوم يتحدث الجميع بالألمانية بينما يجلس «جيم» و«تشارلى» على المائدة عابسين لا ينبسون بكلمة لكن «ڤوجل» العجوز يلح عليهم بكئوس البيرة وهو يصطنع النكات التى تستجيب لها «هيدويج» والعمة «هارتمان» بضحكات صاخبة، وعندما ينتهى الغذاء يشعر تشارلى برأسه تدور من البيرة التى كان مذاقها بالنسبة له بالغ المرارة لكنه يصر أن يحتسيها وقد يأخذ «ڤوجل» العجوز فى اغاظته بأن يعزم عليه بتدخين سيجار ثم يطالبه بعدئذ بالخروج لمشاهدة المدينة.

يخرج وهو يشعر بالتخمة وقليل من الدوار.. يستقل العربة إلى «سانت بول» ليرى مبنى البرلمان الجديد أو إلى بحيرة «هاريت» أو حديقة «آيلند بارك» الكبيرة ليركب قطار الملاهى أو يتجول حول «باركواى» حتى يشعر بثقل اقدامه.. لم يكن قد تعرف فى البداية على أصدقاء فى مثل عمره لهذا كان يسلى نفسه بالقراءة.. يشترى كل اعداد «الميكانيكا للجميع» Popular Mechanics والمجلة العلمية الامريكية -Scientific Ameri

Wide Wold magazine «العالم الواسع» ومجلة Adverture «المغامرة» و cam
وبدأ يخطط لبناء مركب شراعى حسب ارشادات المجلة العلمية ليذهب فى رحلة عبر «المسيسبى» إلى الخليج وسوف يعيش على اصطياد البط وصيد السمك وأخذ بالفعل يدخر بعض الدولارات ليشترى بندقية صيد.

هكذا مضت الحياة على ما يرام فى منزل «ڤوجل» العجوز.. لم يعد يضطر لقراءة الانجيل أو الذهاب إلى الكنيسة وأحب أن يقضى وقته وهو يحاول أصلاح المحركات واستطاع أن يقود الشاحنة «الفورد» ثم تعرف بعد فترة على «باك» و «سلم چونز» وهما اثنان من الأخوة يقاربانه فى العمر ويعيشان أسفل مربع البيوت.. كان بالنسبة لهم شخصا يستحق الاهتمام لأنه يعمل فى «جاراج» وكان «باك» يبيع الجرائد وله طريقته الخاصة فى دخول عروض «الصور المتحركة» عن طريق أبواب الخروج وعلى دراية بكل الأماكن الملائمة لمشاهدة ألعاب الكرة.

بعد أن تعرف «تشارلى» على الأخوين «چونز» كان يهرع للقائهم بمجرد أنتهائه من غذاء «الأحد».. يقضون الوقت وهم ينصبون الشراك فى طريق شاحنات الحبوب ويتعلقون بمؤخرة العربات ويعاكسون رجال الشرطة.. ويتسلقون روافع الأخشاب ويذهبون للسباحة ويصعدون المنحدرات. يعود «تشارلى» وقد تصبب عرقا وامتلأت بذلته الجديدة بالأوساخ بينما تستقبله «هيدويج» باللوم لأنه تأخر عن العشاء وعندما كان «ڤوجل» العجوز يرى الأخوين «چونز» يتسكعان حول الجاراج يطردهما لكنه عندما يكون غائبا هو و «جيم» يأتى «جاص» ذلك الملون الذى يعمل فى الإسطبل ورائحة الجياد تفوح منه.. يأتى ليقص عليهم الحكايات عن سباق الخيول والنسوة الساقطات واحتساء الويسكى فى حانات «لويزفيل» والطريقة الصحيحة لتأخذ «الفتاة» أول مرة وكيف أنه وفتاته المحبوبة قد ظلا يفعلانها طول الليل دون أن يتوقفا دقيقة واحدة.

فى «عيد العمال» اصطحب «ڤوجل» العجوز «چيم» وابنته والعمة «هارتمان» للنزهة فى «السَرْية»(٣٠٤) التى يقودها زوج من الخيول الكستنائية الجميلة التى تُركت لديه ليبيعها بينما تركوا «تشارلى» بمفرده فى «الجاراج» ليعتنى به إذا ما أتى أحد ليشترى بعض الزيت أو البنزين.. أتى «باك» و «سلم» وتحدثوا جميعا كيف أنه فى عيد العمال لا يمكنهم بحق الجحيم أن يذهبوا إلى أى مكان.. كانت هناك مباراتان تقامان على التعاقب فى «جراوندڤير» وحولها العديد من مباريات الكرة الأخرى.. وبدأت المتاعب حين أخذ «تشارلى» يشرح «لباك» كيف يقود الشاحنة وقبل أن يعى ما يفعله اقترح أن

يأخذهم فى جولة حول مربع المساكن وبعد أن انتهوا من الجولة وجد نفسه يسرع ويغلق الجاراج وينطلق بهم صوب «مينيهاها».

قائلا لنفسه إنه سيسير بحرص وسيعود قبل ساعات من عودة الجماعة.. لكنه بطريقة ما وجد نفسه ينزلق على الطريق الاسفلت ويتسلى بمطاردة عربة نزهة صغيرة برزت فجأة من طريق جانبى وهى تمتلأ بالفتيات الصغيرات وبينما كانوا يعودون أدراجهم وهم يشربون «السرسبارلا»[٣٠٥] وفى غاية الانبساط. صاح «باك» فجأة بأن شرطيا يطاردهم بدراجته البخارية.. إنطلق «تشارلى» محاولا الافلات من الشرطى ثم وجد نفسه ينحرف بزاوية حادة ويتوقف.. فقد ارتطم بعمود تلغراف.

ولى «باك» و «سلم» الأدبار بأقصى ما يستطيعان وظل تشارلى بمفرده ليواجه الشرطى..

كان رجلا سويديا أخذ يرغى ويزبد ويسب ويلعن وهو يقسم أن يأخذه إلى السجن لقيادته العربة بدون ترخيص لكن «تشارلى» وجد تصريح أخيه تحت المقعد .. وقال أن أخاه قد طلب منه أن يعود بالعربة إلى الجاراج بعد تسليم شحنة من التفاح فى «مينهاها» فتركه الشرطى وهو يقول أن عليه أن يكون حريصا فى المرة القادمة.

سارت العربة غير أن أحد «الرفارف» قد تهشم كما اهتزت عجلة القيادة.. ورغم بطئه الشديد كان «الرادياتير» يغلى عندما وصل إلى المنزل. وأمام المنزل كانت «السَرْية» تقف و«جاص» يمسك بأعنة الجياد والعائلة كلها وعلى وشك أن تغادرها.

لم يكن هناك ما يمكن أن يقوله فأول ما شاهدوه الرفرف المحطم.. إنطلقوا جميعا نحوه كانت العمة «هارتمان» أكثرهم صراخا بينما إمتقع وجه «فوجل» العجوز وصار أرجوانيا سبوه بالالمانية وجذبته «هيدويج» من ياقته وصفعته على وجهه وقالوا جميعا إن على «چيم» أن يجلده. شعر «تشارلى» بالمرارة وانطلق يصيح بأن أحدا لا يستطيع أن يجلده وقال «چيم» بأنه يرى من الأفضل أن يعود إلى «ڤارجو» على أى حال. صعد تشارلى وأعد حقيبته وخرج فى ذلك المساء دون أن يودع أحدا يحمل فى إحدى يديه الحقيبة وفى اليد الأخرى خمسة أعداد قديمة من مجلة «ارجوزى»[٣٠٦] ومعه من المال ما يكفى لوصوله إلى «بارنزفيل» وبعد ذلك عليه أن يلعب لعبة «الاستخفاء» مع الكمسارى حتى يصل إلى «مورهيد». عندما عاد إلى المنزل استقبلته أمه بالترحاب قائلة أنه ولد طيب أن يعود ليقضى معها بعض الوقت قبل أن تفتح المدرسة أبوابها ثم أخذت تحدثه عن ضرورة «تثبيت عماده».. لم يقل «تشارلى» شيئا عن الشاحنة واعتزم فيما بينه وبين

نفسه أن لا يذهب «للتثبيت» فى أى كنيسه ملعونة.. تناول إفطاره الضخم الذى أعدته «ليزى» وصعد إلى حجرته ليستلقى فى الفراش وهو يفكر هل يكون قراره بعدم «التثبيت» خطيئة ضد الروح المقدس.. لكن الفكرة لم تعد تفزعه.. لقد جلس فى القطار طول الليل وعليه أن يستغرق فى النوم.

أمضى «تشارلى» سنتين فى المدرسة رغم أنفه يجنى بين الحين والآخر بعض النقود من العمل فى جاراج «مورهيد» فى الامسيات لكنه لم يعد يطيق المنزل بعد عودته من «توين سيتيز».. لم تكن أمه تسمح له بالعمل يوم الأحد وأخذت تعنفه بسبب «التثبيت» بينما كانت أخته «استير» تغيظه بسبب كل شئ أما «ليزى» فلا زالت تعامله كما لو كان طفلا صغيرا وتدعوه «بالدلوعة» أمام النزلاء والدراسة قد أصابته بالملل..

وهكذا لم يكد يأتى الربيع وكان قد بلغ السابعة عشرة بعد حفل التخرج حتى مضى إلى «مينا بوليس» يبحث عن عمل لحسابه هذه المرة.. كان ما معه من النقود يكفى بضعة أيام لهذا كان أول ما خطر بباله أن يذهب إلى «بيج ايلند بارك» ليركب قطار الملاهى ويجرب حظه فى «التنشين» ويمارس السباحة ويصطاد الفتيات.. لقد مل من تلك المدن الريفية مثل «ڤارجو» و«مورهيد» التى لا يحدث بها جديد.

كان الظلام قد هبط عندما وصل إلى البحيرة وعندما اقترب القارب البخارى من المرفأ كان يستطيع أن يسمع فرقة «الچاز» تعزف خلف الأشجار.. تختلط الأنغام مع قعقعة عجلات القطار والصيحات التى تنطلق كلما هبطت عربة من العربات إلى منحدر ورأى مقصورة الرقص والمصابيح الملونة بين الأشجار بينما انتشرت رائحة العطور والفشار والحلوى والبارود الذى ينبعث من قاعة التنشين.. كان «المنادون» يصيحون أمام الأكشاك ولم يكن هناك زحام فقد كان الوقت مساء يوم الاثنين.. دار تشارلى حول قطار الملاهى مرتين ثم اعتزم أن يتحدث مع العامل الذى يديره عما إذا كانت هناك فرصة للحصول على عمل.

أجابه الشاب إن عليه أن يظل ملتصقا بالمكان فسوف يأتى المدير «سفنسون» فى الحادية عشرة موعد الاغلاق وإنه يعتقد إنه بحاجة إلى شخص ما.

كان الفتى يدعى «إيد والتر» الذى أضاف أن العمل ليس مجزيا لكن «سفنسون» رجل «دوغرى» وترك تشارلى يأخذ دورتين مجانا ليعرف كيف يعمل القطار وأعطاه زجاجة من الكريم بالصودا قائلا أن المهم الا يفقد المرء اتزانه.. كان هذا هو عامه الثانى الذى يقضيه فى الملاهى ويبدو رزينا رغم ملامح وجهه الذى يشبه وجه الثعلب.

كاد قلب «تشارلى» يثب بين ضلوعه عندما رأى رجلا ضخما بوجه أجوف وشعر رملى خشن يأتى ليجمع الدخل عند كشك التذاكر.. إنه «سفنسون» الذى رمقه بنظرة فاحصة من رأسه لقدمه وقال أنه سيجربه اسبوعا وليتذكر إن هذه حديقة ملاهى هادئة للعائلات ولن يتسامح مع أى هراء وعليه أن يأتى صباح الغد فى العاشرة.

ألقى تشارلى بالتحية لأيد والتر - إلى اللقاء وهرع ليلحق بآخر قارب وآخر عربة يمكن أن يعود بها إلى المدينة.. وعندما نزل من العربة كان الوقت متأخرا للحصول على حقيبته من «أمانات المحطة» ولم يرغب فى انفاق النقود لإستئجار حجرة أو الذهاب إلى «چيم» فأستلقى على مقعد أمام «قاعة المدينة» (سيتى هول). وهو يشعر بالسعادة لأنه يستمتع فى تلك الليلة الدافئة بالرقاد على مقعد مثل صعلوك.. ظلت أضواء المصابيح تتراقص فى عينيه وبدأ ينتابه القلق خوفا من حضور شرطى ما.. سوف يكون أمرا بغيضا أن يقبض عليه بتهمة التشرد ويفقد عمله فى الحديقة.

عندما استيقظ فى الصباح الباكر والكون مازال يلتف بغلالة شاحبة من الضوء كانت اسنانه تصطك والمصابيح تشع لونا احمرا ورديا فى مواجهة السماء الصفراء الباهتة.. بدت المحلات ومبانى الشركات الضخمة بنوافذها الخالية ميتة مهجورة تبعث على السخرية وكان عليه أن يجرى بأقصى سرعته على الممشى كى ينشط الدم فى عروقه مرة أخرى.

ووجد «كشكا» تناول منه كعكة وقدحا من القهوة مقابل خمسة سنتات ثم مضى إلى بحيرة «مينيتونكا» Minnetonka فى أول «اتوبيس»..

كان يوما من أيام الصيف الساطعة التى تهب فيه الريح الشمالية الخفيفة.. بدت البحيرة زرقاء عميقة الغور وجذوع البتولا ناصعة البياض والأوراق الصغيرة أخذت تتراقص فى الريح بلونها الأصفر المخضر تظللها السماء الزرقاء الداكنة..

إن هذا لأجمل مكان رآه.. هكذا شعر «تشارلى» وهو يقف على المرفأ ثملا بأشعة الشمس ينتظر القارب الذى يحمله إلى الجزيرة وعندما وصل إلى هناك بعد أن طال انتظاره وجد الحديقة مازالت مغلقة ومصاريع الاكشاك مازالت معلقة والعربات الساكنة بألوانها الزرقاء والحمراء تبدو كالمهجورة فى ضوء الصباح.. أخذ «تشارلى» يتجول بعض الوقت لكن عيناه بدأتا تؤلمانه وشعر بالتعب ينتشر فى قدميه والحقيبة تثقل فى يده..

استلقى تحت ظل جدار كوخ على حشائش الصنوبر فى الشمس الدافئة وغرق فى النوم والحقيبة بجانبه.

عندما استيقظ منتفضا كانت ساعته «الانجرسول» تشير إلى الحادية عشرة.. غمره

شعور من اليأس البارد.. إنه لكسول حقا إذ يفقد عمله بسبب هذا التأخير لكنه عندما ذهب كان «سفنسون» يجلس هناك فى كشك التذاكر بجوار قطار الملاهى وهو يرتدى قبعته القش فوق مؤخرة رأسه ولم يشر بشئ عن التأخير.. طلب منه فقط أن يخلع معطفه ليساعد «ماكدونالد» فى تشحيم الموتور.

ظل تشارلى يعمل على قطار الملاهى طوال الصيف حتى أغلقت الحديقة فى سبتمبر.. وهو يعيش فى معسكر صغير فى «اكسلسيور» Excelsior بصحبة «إيدوالتر» وإيطالى يدعى «سبانلو» يملك امتياز بيع الحلوى فى الحديقة، وفى المعسكر المجاور يعيش «سفنسون» مع بناته الستة بعد أن ماتت زوجته. أكبرهن (انا) تبلغ الثلاثين من عمرها وتعمل على الخزانة فى حديقة الملاهى تليها أثنتان تعملان «جرسونات» فى فندق «خليج تونكا» أما الأخريات ففى المدرسة الثانوية ولا تعملن.

كانت بنات «سفنسون» جميعهن طوال شقراوات على قسط من الجمال وقع «تشارلى» فى غرام أصغرهن «إميزكا» التى كانت تقاربه فى العمر.. أما فتاة «إيد» فكانت «زونا»..

اعتاد الأربعة أن يذهبوا للتجديف بعد أن تغلق الحديقة أبوابها لاسيما فى الأمسيات الحارة المقمرة وكانت لديهم عوامة ومنصة «غطس» وقد يذهبون جميعا للسباحة واكتفى تشارلى بارتداء لباس البحر.فانلة بأعلى مع زوج من السراويل الكاكى طول الصيف حتى صار ممتلئا بحروق الشمس..

لم يعتادوا الشراب لكنهم فقط كانوا يدخنون بعض السجائر ويستمعون للفونغراف ويتبادلون القبلات ويتعانقون فى قاع قارب التجديف وعندما يعودون إلى المعسكر يكون «سبانلو» فى الفراش.. يحاولون مضايقته فيدسون بعض الخنافس تحت الأغطية.. فيتقلب ويتلوى وهو يسب ويلعن.

كانت «إميزكا» خبيرة بفن الألأعيب.. جن تشارلى بحبها ولعلها كانت تبادله الحب.. علمته القبلة الفرنسية وهى تداعب شعره وتتمسح به كالقطة لكنها لا تسمح له أن يذهب أبعد من ذلك رغم أن هذا لا يرضى هواه على أية حال.

مضى الأربعة ذات ليلة إلى الخارج.. أو قدوا نارا تحت شجرة «صنوبر» خلف المعسكر وأخذوا يحمصون «الخباز» وقد التفوا حول النيران يسردون قصص «الاشباح» واستطاع «إيد» أن يصنع فراشا من الأغصان وكان معهم بطانيات.. ناموا جميعا على نفس البطانيات وهم يتداعبون ويعاركون بعضهم البعض حتى غلبهم النوم.

لكن «تشارلى» وجد نفسه لبعض الوقت يرقد بين الفتاتين وقد التصقتا به ولم يستطع النوم إلا بعد أن سكن هياجه رغم خوفه أن تلاحظ البنات شيئا.

وتعلم الرقص ولعب البوكر وعندما أتى عيد العمال(٣٠٧) لم يكن قد أدخر شيئا من النقود لكنه كان يشعر بأنه قضى صيفا ممتعا.

بعد أن أغلقت الحديقة أبوابها استأجر هو و «إيد» حجرة فى «سانت بول» وحصل على عمل كمساعد ميكانيكى فى ورش «الباسفيك الشمالية» وأدخر مبلغا لا بأس به.. تعلم كيف يدير المخرطة الكهربائية والتحق بالمدرسة الليلية ليعد نفسه لدراسة الهندسة المدنية فى المعهد العالى للفنون الميكانيكية أما «إيد» فلم يكن موفقا فى الحصول على الوظائف ولم يبدو قادرا إلا على التقاط بعض النقود بين الحين والآخر من العمل فى إحدى صالات «البولنج» وفى أيام الأحد غالبا ما يتناولان الطعام مع عائلة «سفنسون» وكان مستر «سفنسون» يدير دارا صغيرة للسينما الصامتة يطلق عليه اسم «لايف إريكسون» فى الشارع الرابع لكن الأمور لم تكن على ما يرام.. ولقد وقر فى ذهنه إنهما بمثابة خطيبين لأبنتيه لهذا كان حضورهما يقابل بالترحاب.

كان «تشارلى» يخرج مع «إميزكا» ليلة السبت.. ينفق الكثير على شراء الحلوى ويذهب بها إلى عروض «الفودفيل» وإلى المطعم الصينى حيث يستطيعان الرقص بعد تناول الطعام.. وفى الكريسماس اعطاها خاتمه المنقوش فأعتبرت ذلك بمثابة خطبة لها.. وعندما.. يعودان إلى بيت «سفنسون» يجلسان فى الردهة على الأريكة يتبادلان العناق والقبلات وكان يبدو أنها تستمتع بإثارة ولعه فتهرع لترتيب شعرها أو لتضع بعض المساحيق على وجهها وتمضى وقتا طويلا وقد يسمع وقع أقدامها على السلم وهى تتضاحك مع أخواتها.. ينهض ويسير فى الردهة جيئة وذهابا فى الضوء الشاحب المهتز وهو يشعر بالعصبية والقلق لكنه لا يعرف ما العمل؟ إنه لا يريد الزواج فسوف يمنعه من التجوال واستكمال دراساته الهندسية ثم أنه لا يستطيع أن يفعل مثلما يفعل زملاؤه العزاب الآخرون فهم يذهبون إلى بيوت الدعارة أو يلتقطون العاهرات من الشارع لكنه يخشى التقاط المرض ثم إنه لا يملك وقتا بجانب المدرسة الليليه ومشاغله وأخيرا إنه لا يريد غير «إميزكا».

وبعد أن يتبادلان القبلة الأخيرة الملتهبة وهو يشعر بلسانها داخل فمه وخيا شيمه قد امتلأت بشعرها يعود إلى المنزل ومذاقها لازال فى فمه وأذناه تدويان.. يسيطر عليه الشعور بالضعف والأعياء حتى إذا رقد فى الفراش لا يستطيع النوم.. يتقلب طول الليل

وهو يفكر إنه فى طريقة إلى الجنون بينما إيد يزمجر فى الناحية الأخرى وهو يطلب منه بحق المسيح أن يظل ساكنا.

فى «فبراير» أصيب تشارلى بالتهاب الحلق.. قال له الطبيب الذى ذهب لاستشارته إنه مصاب بالدفتريا وأرسله إلى المستشفى وظل يصارع الموت عدة أيام بعد أن أعطوه المصل وعندما تحسنت صحته أتى «إيد» و «اميزكا» لزيارته، جلسا على حافة الفراش أن يبعثا السرور فى نفسه، وكان «إيد» فى كامل ملابسه وقال إنه وجد وظيفة جديدة وفى طريقه للثراء لكنه لم يخبره بشئ أكثر من ذلك..

إعتقد «تشارلى» إن «إيد» و «اميزكا» يتجولان معا كشئ طبيعى نتيجة مرضه ولم يفكر كثيرا فى هذا الأمر.

كان يرقد على السرير المجاور رجل نحيل رمادى الشعر يدعى «ميكلسون» يمر بدوره بفترة النقاهة من الدفتريا.. لقد كان يعمل ذلك الشتاء فى متجر للخردوات ويمر بظروف عصيبة تعود إلى «عامين» مضيا حيث كان يمتلك مزرعة فى «أيوا» لزراعة الحبوب لكن المواسم السيئة تتالت وجرت معها الخراب.. حبس البنك الرهن لأنه لم يستطع سداد دينه واستولى على المزرعة وعرض عليه أن يعمل بها كأجير.. لكنه أعلن أنه لا يقبل أن يعمل أجيرا عند أحد وإلا فلتحل عليه اللعنة ثم جمع ما تبقى له وأتى إلى المدينة.

كان قد بلغ الخمسين من عمره.. له زوجة وثلاثة أطفال عليه أن يعولهم لكنه صمم أن يبدأ من القاع ومن المتحمسين لبوب لافوليت وعقيدته أن أصحاب بنوك «وول ستريت» يتآمرون للسيطرة على الحكومة ليديروا البلاد بإملاق المزارعين.. كان لا يكف عن الحديث طوال اليوم بصوته الرفيع المبحوح حتى تأتى الممرضة وتأمره بالسكوت.. كان يتحدث عن عصبة اللاحزبيين وحزب العامل والفلاح ومصير الغرب الشمالى الكبير والحاجة لكى يتحد العمال والفلاحون معا لينتخبوا الرجال الشرفاء أمثال «بوب لا فوليت»..

كان «تشارلى» قد التحق بالفرع المحلى لاتحاد «المنظمات الأمريكية للعمال» A.F.of.L ذلك الخريف وجعله حديث «ميكلسون» اللاهث الذى تقطعه الكحة والصفير يشعر بالرغبة والحاجة للاهتمام بالسياسة.. قرر أن يقرأ الصحف بعناية ليعرف ماذا يحدث فى هذا العالم.. إلى ما ستنتهى تلك الحرب.. وتلك الأشياء التى لا تستطيع أن تتنبأ بوقوعها.

عندما أتت زوجة ميكلسون وأطفاله للزيارة أخذ الرجل يقدمهم إلى تشارلى وهو يقول إن مجاورته لذلك الرفيق الشاب اللامع قد جعلت من مرضه سعادة.. غمر «تشارلى» احساسا عارما بالتعاسة وهو يرى الوجوه الشاحبة التى يبدو عليها الشقاء وسوء التغذية بجانب الملابس المهلهلة التى يرتدونها فى هذا الجو القارص الذى تقترب فيه الحرارة من الصفر وعندما غادر المستشفى قبل أن يغادرها «ميكلسون» كان آخر ما سمعه وهو ينحنى ليصافح اليد الجافة العجفاء قول «ميكلسون».

– يجب يافتى أن تقرأ «هنرى چورج» أتسمع؟ إنه يعرف ما هو الداء فى هذا البلد.. اللعنة إن لم يكن يعرف.

أحس «تشارلى» بالسعادة وهو يخطو على قدميه فى الشارع المغطى بالجليد فى الريح الثلجية الجافة.. وقد تخلص من رائحة اليود والمرضى.. لقد نسى كل شئ عن هذا كان أول ما فعله أن مضى إلى بيت «سفنسون». إستقبلته «إميزكا» وهى تسأله بلهفة هل يعرف أين يكون «إيد والتر»؟ أجاب إنه لم يذهب إلى المنزل بعد ولا يعرف رأى علامات القلق على وجهها وشعر بالدهشة.. سألها.

– ألا تعرف «زونا».

– لا.. إن «لزونا» رفيق جديد هو كل ما يشغلها.

وابتسمت وربتت على يده وأخذت تداعبه.. جلسا على الأريكة.. أحضرت بعضا من الحلوى التى صنعتها.. تعانقت أيديهما وراحا يتبادلان.. القبلات الحارة وغمرت تشارلى السعادة.. عندما جاءت «آنا» أخذت تقول كم يبدو نحيفا.. إن عليهم أن يطعموه جيدا وهكذا ظل حتى العشاء.. قال مستر «سفنسون» ينبغى له أن يأتى ليتناول العشاء معهم كل ليلة حتى يستطيع أن يقف على قدميه مرة أخرى.. ثم أخذوا بعد العشاء يلعبون «الكوبة»(٣٠٨) فى الصالة الامامية وامضوا وقتا ممتعا..

عندما عاد «تشارلى» إلى المسكن.. إلتقت به صاحبة المنزل فى الصالة وأخبرته أن صديقه قد ذهب دون أن يدفع «الايجار» وأن عليه أن يدفع الآن وفورا وإلا فلن تسمح له أن يمضى إلى حجرته فأخذ يحاجيها بأنه قد خرج لتوه من المستشفى حتى سمحت له أخيرا أن يقضى اسبوعا آخر.. كانت امرأة ضخمة لها نظرات لينة وخدود مجعدة وترتدى مئزرا قطنيا رخيصا بلون أصفر مليئا بالجيوب الصغيرة.

عندما صعد «تشارلى» إلى حجرة نومه حيث قضى الشتاء كله ينام مع «إيد» إنتابه الشعور بالتعاسة والوحدة وهو يكاد يتجمد من البرد.. دس نفسه بين الأغطية

المثلجة.. رقد وهو يرتعش يطغى عليه الشعور بالضعف والبؤس حتى أوشك على البكاء وأخذ يعجب لماذا غادره «إيد» بحق الجحيم هكذا دون أن يترك كلمة ولماذا نظرت إليه «اميزكا» تلك النظرة البلهاء عندما قال لها إنه لا يعرف مكانه.

فى اليوم التالى ذهب إلى الورشة واستعاد عمله رغم أنه كان من الضعف بحيث بدا على غير ما يرام.. نظر إليه المدير نظرة شفوقة وصرح له أن يعمل عملاخفيفا بضعة أيام لكنه لن يدفع شيئا عن المدة التى قضاها مريضا فهو ليس موظفا قديما ولم يحصل على شهادة من طبيب الشركة.

فى المساء ذهب إلى صالة «البولنج» حيث إعتاد «إيد» أن يعمل .. استقبله صاحب الصالة قائلا إن «إيد» قد رحل إلى شيكاغو بسبب بعض الغش فى لعب اليانصيب.

وأضاف الرجل - لو سألتنى لقلت إنه أمر طيب أن تتخلص منه.. إن هذا الصعلوك قد فعل كل ما يمكن أن يفعله لص.

فى مساء الأحد التالى ذهب «تشارلى» إلى بيت «ڤوجل».. كان قد تلقى خطابا من «جيم» يخبره أن أمه كتبت إليه من «ڤارجو» تشكو قلقها عليه ومن الأفضل أن يأتى لزيارته.. وكان أول ما فعله عندما رأى «جيم» أن قال إن تحطيمه للفورد كان عملا صبيانيا طائشا أحمق.. وتصالحا على هذا وقال «چيم» إن أحدا لن يذكر هذا الموضوع ومن الأفضل أن يبقى ليتناول الطعام معهم.. كانت الوجبة جيدة والبيرة جيدة وطفل «چيم» يبدو ضئيلا وجذابا إنه لشئ مضحك عندما يفكر أنه قد صار الآن عما.. حتى «هيدويج» لم تبدو نكدة كعادتها وقد بدأ «الجاراچ» يدر مالا طيبا و«ڤوجل» العجوز على وشك أن يتخلى عن الأسطبل ويتقاعد وعندما ذكر «تشارلى» إنه يدرس فى مدرسة ليلية أخذ «ڤوجل» العجوز يمنحه مزيدا من الاهتمام.. تحدث أحدهم بشئ عن «لاڤوليت» فقال «تشارلى» إنه رجل عظيم.

أجابه «ڤوجل» العجوز ورغوة البيرة تعلق على شاربه.

- وما الفائدة أن تكون رجلا عظيما مادمت على ضلال.

ثم تناول جرعة أخرى من القارورة ونظر إلى «تشارلى» بعينين زرقاوتين لامعتين وتابع حديثه - لكن لنعتبرها مجرد بداية.. نحن لم نصنع منك «اشتراكيا» بعد. تورد وجه «تشارلى» وأجاب - حسنا.. أما هذه فلا أعرف عنها شيئا.

ووضعت العمة هارتمان أمامه كومة أخرى من الأرانبية(٣٠٩) والمكرونة وأخذت تهرس

البطاطس فى طبقه.

وفى إحدى امسيات مارس الباردة صحب «إميزكا» لمشاهدة «مولد أمة» ملأتهم صور المعارك وصوت الموسيقى ونفير الأبواق بالرهبة وأغرورقت عيونهم بالدموع عندما تقابل «الشابان» فى ميدان المعركة ومات كل منهما على ذراع الآخر فى ميدان المعركة وعندما بدأت «الكوكلوكس كلان»(٣١٠) تكتسح الشاشة كانت ساق «تشارلى» تلتصق بساق «إميزيكا» وشعر بيدها تتشنج على ركبته واصابعها تنغرس فى لحمه.. قال تشارلى وهما يخرجان إنه يفكر فى الذهاب إلى كندا ليتطوع ويذهب لرؤية تلك الحرب العظمى.. أجابت «إميزكا» إنه لا يجب أن يكون سخيفا ثم نظرت إليه نظرة مضحكة جدا وسألته هل هو من أنصار الانجليز. أجاب إن هذا لايهمه فإن أصحاب البنوك هم وحدهم المستفيدون الوحيدون من تلك الحرب بصرف النظر عن الرابح فصاحت - إنه شئ فظيع.. دعنا لا نتحدث عن هذا الأمر مرة أخرى.

عندما عادا إلى المنزل كان مستر «سفنسون» يجلس فى الردهة يقرأ الصحيفة.. نهض لاستقبال «تشارلى» وعلى وجهه نظرة عابسة قلقة.. كان على وشك أن يقول شيئا عندما هزت «إميزكا» رأسها فهز كتفيه بلا مبالاة ومضى خارجا تساءل «تشارلى» ما الذى يزعج العجوز؟ فأحتضنته «اميزكا» بذراعيها وألقت رأسها على كتفه وانفجرت فى البكاء.. ظل يسألها - ما الذى حدث يا قطتى؟ ما الذى حدث ياقطتى؟. لكنها استمرت تبكى وتبكى حتى شعر بدموعها تنساب على خده وعنقه فصاح - بحق المسيح.. كفى عن هذا.. إنك تفسدين «الياقة» فتهاوت على الأريكة وهى تجاهد لتمنع نفسها من البكاء.. جلس بجوارها وأخذ يربت على يدها وفجأة نهضت ووقفت فى منتصف الحجرة.. حاول أن يحيطها بذراعه ويلاطفها لكنها جذبت نفسها بعيدا وصاحت فى صوت مخنوق معذب.

- دعنى أخبرك شيئا.. أعتقد أنى أحمل طفلا.

- لكنك مجنونة.. نحن لم نفعل أبدا..

- ربما شخص آخر غيرك.. أوه.. يا إلهى.. سوف اقتل نفسى.

أمسك «تشارلى» بذراعها وأجلسها على الأريكة.

- والآن.. حاولى أن تهدئى وأخبرينى عن حقيقة المشكلة..

قالت «اميزكا» وهى تضحك ضحكة هستيرية..

- لكم أرغب أن تضربنى.. لا تتردد.. انهض واضربنى بقبضتك..

شعر «تشارلى» بداخله ينهار وهو يقول

- قولى ما المشكلة.. يا إلهى.. إنه لا يمكن أن يكون «إيد»

نظرت إليه بعيون مذعورة وانكمش وجهها كوجه امرأة عجوز

- لا.. لا.. هاك حقيقة الأمر.. لقد انقضى شهر على العادة.. وأنا لا أعرف فى هذه الأمور وهكذا سألت «آنا» فقالت إننى حامل بكل تأكيد وينبغى علينا أن نتزوج سريعا وهى التى أخبرت أبى.. تلك الخائنة القذرة ولم استطع أن أقول لهم إنه أحد غيرك.. إنهم يعتقدون أنه أنت وقال أبى الأمر ليس سيئا فالشباب يفعلون هكذا هذه الأيام والكثير من هذا.. وقال إنه يجب أن نتزوج وفكرت إن الأمر يمكن أن يمر ولا تعرف أبدا.. ولكنى يافتى يجب أن اصارحك..

قال «تشارلى» - أوه - يا إلهى. ونظر إلى المظلة الوردية المزركشة فوق المصباح الموضوع على المائدة.. وإلى غطاء المائدة ذو الحواش وإلى حذائه وإلى الأزهار المنقوشة على السجادة..

- ولكن من هو..؟

- تشارلى.. لقد حدث الأمر عندما كنت فى المستشفى.. شربنا كثيرا من البيرة وأخذنى إلى فندق.. أعتقد إنى مجرد «ساقطة».. هذا كل شئ.. كان ينفق النقود بلا حساب وذهبنا فى تاكسى وأظن أنى كنت مجنونة.. لا.. أنا امرأة ساقطة مرة ثانية.. وثالثة.. تشارلى.. لقد كنت أخرج معه كل ليلة عندما كنت فى المستشفى.

- إنه «إيد»..

أومأت برأسها ثم خبأت وجهها وعادت إلى البكاء..

- إبن العاهرة القذر..

أخذ «تشارلى» يصيح بينما انكمشت هى فوق الأريكة ويديها فوق وجهها.

- لقد هرب إلى شيكاغو.. إنه لص بالفعل.

أحس بالحاجة إلى أن يخرج إلى الهواء.. التقط معطفه وقبعته وبدأ فى ارتدائهم حينئذ نهضت وألقت بنفسها عليه.. احتضنته بيدها حول رقبته.

- تشارلى.. بشرفى.. لقد أحببتك أنت دائما.. لقد اقنعت نفسى إنه أنت.. صدقنى..

وقبلته على فمه لكنه أزاحها بعيدا وهو يشعر بالضعف والأرهاق.. مرقت بخاطره صورة الشوارع الثلجية التى تنتظره فى طريق العودة وحجرته الموحشة الباردة.. وفكر..

ما أهمية الذى حدث بحق الجحيم؟ إنه لا يغير شيئا..

خلع قبعته ومعطفه مرة أخرى.. فأنهالت عليه تقبله وأغلقت الباب بالمفتاح.. وأخذا يتبادلان الحب على الأريكة وتركته يفعل كل ما يريد.. ثم نهضت بعد فترة وأضاءت النور وأصلحت ثيابها وذهبت لترتب شعرها امام المرآة بينما أعاد هو تثبيت رباط عنقه ومرت بيدها على شعره تحاول تهذيبه بقدر ما تستطيع أصابعها ثم فتحت الباب بحرص شديد وذهبت لتنادى الوالد.

تورد وجهها وعادت له نضارته وأتى مستر «سفنسون» و «آنا» وشقيقاتها الأخريات من المطبخ.. صاحت أميزكا.

- أبى..سوف نتزوج أنا وتشارلى الشهر القادم..

قال الجميع «التهانى» وقبلت الفتيات «تشارلى» وفتح مستر «سفنسون» زجاجة ويسكى وشربوا «الأنخاب» وعاد «تشارلى» إلى حجرته يشعر شعور الكلب المجلود.

كان هناك فى الورشة زميل يدعى «هندريكس» يبدو على درجة كبيرة من «الخبرة» ظهر اليوم التالى سأله «تشارلى» إن كان يعرف شيئا تستطيع الفتاة أن تتناوله.. أجاب «هندريكس» إن لديه «روتشة» لبعض الحبوب وفى اليوم الذى يليه أحضرها معه قائلا لا ينبغى أن تخبر الصيدلى بشئ عن أغراضك.

كان اليوم يوم تقاضى الأجور.. أتى هندريكس إلى حجرة تشارلى تلك الليلة بعد أن نظف نفسه وسأله هل حصل بسهولة على الحبوب.. كان تشارلى قد جهز اللفافة فى جيبه واعتزم أن لا يذهب إلى المدرسة الليلة ليأخذها إلى «إميزكا». لكنه ذهب مع «هندريكس» أولا ليتناولا شرابا عند الناصية.. لم يكن يحب أن يتناول الويسكى صرفا وقال هندريكس إنه يفضله مخلوطا بجعة الزنجبيل.. بدا مذاقه رائعا واجتاح تشارلى شعورا بالتعاسة والمرارة وكره أن يرى اميزكا.. وهكذا تناولا المزيد من الشراب ثم انطلقا ليلعبان «البولنج».. هزمه تشارلى بأربعة من خمسة وقال هندريكس إن السهرة من الآن على حسابه. كان «هندريكس» شابا عريض الاكتاف له وجه أحمر مغطى بالنمش وأنف معقوف.. بدأ يروى الحكايات عن النوادر التى حدثت مع «الزوجات» ومغامراته التى تعود إلى زمن طويل.. لقد جرب كل شئ.. من البشرة البيضاء والسوداء.. الناعمة والخشنة.. عاهرات نيواورليانز والفتيات الصينيات فى سياتل بولاية واشنطن والهنديات بدمائهن الحارة فى «بوت» بمونتانا والفرنسيات واليهوديات الألمان فى «كولون» وامرأة من الكاريبى تجاوزت التسعين فى «بورتُ أوف سبان» وأضاف إن «توين سيتيز» ما هى إلا

زريبة وما ينبغى على الفتى أن يفعله أن يذهب ليحصل على عمل فى حقول البترول فى «تامبيكو» أو فى «أوكلاهوما» حيث يستطيع أن يجمع ثروة ويعيش كرجل أبيض.

قال «تشارلى» أن بوده أن يرحل من «سانت بول» فورا لولا أنه يريد إنهاء دراسته فى المدرسة الليلية.. أجابه «هندريكس» إنه احمق ملعون لأن التعليم لا يقوت أحدا فى أى مكان.. إن ما يريده أن يستمتع بوقته مادام محتفظا بصحته وبعد ذلك إلى الجحيم بكل شئ فقال «تشارلى» إنه على وشك أن يركل كل شئ على أية حال إلى الجحيم.

تجولا بعدة حانات.. إبتدأ «تشارلى» الذى لم يتعود إلا على إحتساء البيرة يشعر بالدوار لكنه كان امرا ممتعا أن يتسكع مع هندريكس من بار إلى بار.

غنى هندريكس «أمى ست محترمة» وفى مكان أخر غنى «ابن العاهرة ملك انجلترا» فنهض رجل عجوز أحمر الوجه يدخن السيجار وعزمهم على بضعة كئوس ثم حاولوا أن يدخلوا قاعة الرقص لكن الفتى الذى يقف على الباب قال إنهم سكارى وألقى بهم خارجا.. بدا كل شئ مسليا جدا كالجحيم.. مضوا إلى حجرة خلفية يعرفها «هندريكس» وكانت هناك فتاتين يعرفهما «هندريكس» وأتفق «هندريكس» على عشرة دولارات لكل واحدة ليلة بطولها.. احتسوا كأسا أخر قبل أن يذهبوا إلى مكان الفتاتين.. و أخذ «هندريكس» فى الغناء..

«فى يوم أثنين طبالة قاعدين ياكلوا فى اللوكاندة..
وقت العشا بيهزروا وآخر أونطه..
ولما جت البنت الحلوة الجرسونة شايلة صينية العشا.
أبتدوا يكلموها بذوق والفة وفرفشة..
قالوا كلام ماحد فيهم أختشا»..

- إنه سكتش ساخن.. قالت واحدة لزميلتها لكن الأخرى كانت قد لعبت برأسها الخمر وأخذت تنهنه فى البكاء عندما وضع هندريكس وتشارلى رأسيهما معا وأخذا يغنيان.

«أمى ست محترمة.. كانت ليدى.. زيك تمام لو تسمح لى..
جايز لك أخت الآن عايزه الحماية.
وأنا جيت هنا ألاقى أخويا ما لوش سوايا
وما كنت تقدر على إهانتى يا محترم..
لو بس «چاك» جالك معايا..».

أخذت الفتاة تبكى والأخرى تهز لها رأسها. وهى تقول

- جففى دمعك يا عزيزتى.. إنك ثملة..

وكان كل شئ مسليا كالجحيم.

فى الأسابيع القليلة التالية لم يفارق «تشارلى» الشعور بالقلق والتعاسة.. أصابت «الحبوب» اميزكا بالهزال الشديد لكنهم تمكنوا فى النهاية من تحقيق الهدف.

لم يعد «تشارلى» يذهب كثيرا إلى هناك رغم أنهم مازالوا يتساءلون عن موعد إتمام الزواج ومستر سفنسون يعامله على أنه زوج ابنته وبدأت اميزكا تؤنبه على الافراط فى الشراب والتسكع مع «هندريكس» وانقطع عن المدرسة الليلية وهو يترقب فرصة عمل تأخذه بعيدا إلى مكان آخر.. لا يهمه أين يكون هذا المكان. حتى أتى يوم كسر فيه المخرطة وطرده صاحب العمل. عندما أخبر اميزكا عن هذا قالت بمرارة إنه قد حان الوقت الذى يكف فيه عن التسكع والصعلكة ليعطيها قليلا من الاهتمام فأجاب إن هذا هو الوقت الملائم ليتخلص من كل هذا..

التقط قبعته ومعطفه ومضى خارجا وبينما كان يغذ السير على الطريق ودلو أنه تذكر أن يطلب منها استعادة خاتمه المنقوش لكنه لم يرغب أن يعود ثانية.

فى ذلك «الأحد» ذهب ليتناول الطعام فى بيت «ڤوجل» العجوز لكنه لم يخبر أحدا إنه فقد عمله.. كان يوما من أيام الربيع الحارة وقد أرهقه التجوال الذى فعله طوال الصباح كما كانت رأسه على وشك أن تنفجر بعد ليلة قضاها يعب فيها الشراب مع هندريكس..

أخذ يتطلع إلى الزعفران والزنابق التى تمتلأ بها الحدائق والبراعم المتفتحة داخل افنية البيوت وهو حائر ماذا يفعل بنفسه.. لقد مضى اسبوع على آخر أجر تلقاه ولم يعد يذهب إلى المدرسة ولم يحصل على أية فتاة إنه على وشك أن يلقى بكل شئ إلى الجحيم ويلتحق بالميليشيا ليذهب إلى الحدود المكسيكية ورأسه مازالت تدق وثقلت قدماه.. أخذ يجر رجليه وسط الحر اللافح ويرقب الرجال والنساء بالملابس الانيقة يمرقون امامه بالليموزين والسيارات الفارهة.. مرق صبى بجانبه بدراجته البخارية.. ودلو كان معه نقود ليشترى دراجة بخارية ويذهب فى رحلة إلى مكان ما.. لقد حاول فى الليلة السابقة أن يستحث هندريكس كى يرافقه إلى الجنوب لكنه قال إنه التقط امرأة دافئة يذهب إلى عشها كل ليلة وينوى البقاء فيه.

قال تشارلى سحقا لكل هذا.. إنه يريد أن يرى بلدا آخر.

وبينما كانا يتجهان صوب الجاراج قال «چيم» فجأة

- تشارلى .. ما الذى تعانى منه؟ أجاب بنظرة منكسرة - لاشئ

وبدأ يساعده فى تنظيف «كاربوتير» شاحنة كان «چيم» يتولى إصلاحها. كان سائق الشاحنة شابا صغيرا بشعر أسود قصير ووجه لفحته الشمس ونظرته توحى بالاعجاب.. يستعد ليحمل شحنة من المعدات إلى «ميلووكى» صباح الغد قائلا إنه يبحث عن شخص يذهب معه..

قال تشارلى - هل تأخذنى معك؟

ظهرت الدهشة على وجه السائق بينما قال «چيم»:

- ڤريد.. إنه أخى الصغير.. وهو شخص مناسب.. لكن ماذا عن عملك؟

أجاب «تشارلى» وقد اصطبغ وجهه.

- لقد استقلت.

قال السائق - حسنا.. تعال معى لترى «الريس».. لو وافق.. أنا موافق.

رحلا فى الصباح التالى قبل بزوغ النهار.. أحس «تشارلى» بالألم أن يتسلل هكذا هاربا من صاحبة «النزل» لكنه ترك مذكرة على المائدة بأنه سيرسل لها النقود بمجرد حصوله على عمل.. كم هو أمر طيب أن يغادر المدينة..

ظهرت الطواحين ومخازن الحبوب مغلفة بضوء الصباح الرمادى البارد.. وكان الطريق يسير بحذاء النهر ومنحدرات التلال.. أخذت الشاحنة تهدر وهى تخوض البرك والأخاديد الموحلة وكان الجو قارصا رغم بعض الدفء الذى تبعثه الشمس عندما تظهر من خلف السحب وكان عليه هو وڤريد أن يرفعا أصواتهما وهما يتبادلان الحكايات ويلوكان الأخبار عن هذا الشئ أو ذاك حتى وصلا إلى «لاكروس» ليقضيان الليلة.. دخلا إلى حانوت صغير على قارعة الطريق فى الوقت المناسب قبل أن يغلق أبوابه.. تناولا شرائح الهامبورجر وأحس تشارلى إنه أعجب الجرسونة التى تدعى «هيلين» من «أوماها» فى نحو الثلاثين ولها نظراتها المتعبة التى ظن معها إنها من ذلك النوع السهل.. فأخذ يتسكع حول المكان حتى أغلقت الأبواب.. سار معها على طريق النهر.. كانت الريح دافئة تعبق برائحة الخشب المنعشة.. ومن خلف ندف السحاب يظهر قمر هلالى.. جلسا على الحشائش خلف كومة من الأخشاب التى قطعت حديثا وتركت لتجف وسط الظلام.. تركت رأسها تسقط على كتفه وراحت تناديه «بالولد الحبوب».

عندما عاد كان «ڤريد» نائما فى الشاحنه ملتفا ببطانية من الخيش.. استلقى «تشارلى» فى الناحية الأخرى من الشاحنة والتف بمعطفه.. لم يكن النوم على الصناديق

المعبئة سهلا لكنه كان متعبا.. شعر بوجهه تلفحه الريح وسرعان ما سقط فى النوم وقبل أن يبزغ النهار كانا يعاودان الانطلاق.. تساءل «ڤريد» قبل أى شئ آخر - هل نلتها يافتى؟

ضحك تشارلى وهو يومأ برأسه.. شعر بالراحة.. إنه محظوظ أن يغادر «توين سيتيز» واميزكا وابن العاهرة رئيسه فى العمل.. العالم كله ينبسط الآن أمامه كالخريطة والشاحنة «الماك» تشق طريقها خلاله.. فى انتظاره المدن وفى كل مكان يمكن له أن يلتقط الأعمال ويجمع النقود ويجد الفتيات الجميلات ليقلن له «الولد الحبوب».

لكنه لم يمكث طويلا فى «ميلووكى».. لم يجد عملا فى أى جاراج ولهذا قبل العمل فى مطعم صغير ليغسل الأطباق.. كان عملا قذرا يصيبه بالتعاسة وهو ينفق فيه كل وقته.. واعتزم الرحيل بمجرد أن يأخذ أجرة الأسبوع الأول.. وكى يدخر نقوده اكتفى بالنوم فى احدى الشاحنات فى جاراج يعمل فيه صديق «لچيم».

كان أحد العمال فى المطعم يدعى «مونت ديفيز» ينتمى إلى «الوبلى» واستطاع أن يقنع الجميع بالاشتراك فى الاضراب الذى قررته «المنظمة» فى المدينة للمطالبة بحرية التعبير.. وهكذا قضى تشارلى الإسبوع دون أن يحصل على سنت واحد وعندما عاد «ڤريد» بحمولة أخرى على شاحنته «الماك» كان قد قضى يوما وليلة دون طعام.. صحبه «ڤريد» إلى المطعم.. تناولا الطعام وشربا قليلا من البيرة بعد ذلك ووجدا أنفسهما يدخلان فى مناقشة حامية عن الاضراب. قال ڤريد إن هذه الاثارة ليست سوى حماقة لعينة.. وإن الشرطة تفعل خيرا لو أعتقلت كل واحد من هؤلاء المحرضين وزجته فى السجون.. قال «تشارلى» إن «الشغيلة» يجب أن يقفوا معا كى يحصلوا على ظروف لائقة للعيش وإن الوقت لابد آت عندما تنطلق ثورة كبيرة مثل الثورة الامريكية لكنها أعظم.. بعدها لن يكون هناك رؤساء.. سوف يدير العمال مصانعهم بأنفسهم.. صاح ڤريد إنه يتحدث كأجنبى لعين ويجب عليه أن يخجل من نفسه.. إن على الرجل الأبيض أن يؤمن بالحرية الشخصية عندما لا يجد عائدا مجزيا فى عمل يستطيع ببساطة أن يجد عملا آخر.

وأفترقا متخاصمين لكن «ڤريد» كان شابا طيب القلب. أقرضه خمسة دولارات تعينه على الذهاب إلى شيكاغو.

فى اليوم التالى كان على سطح الباخرة.. مازالت هناك قطع صفراء من الجليد العطن تطفو على سطح البحيرة البارد الكابى الذى تظهر عليه الرغاوى المتناثرة ولم يكن

«تشارلى» قد خرج إلى مسطح للمياه الواسعة من قبل.. شعر بالدوار لكنه كان سعيدا وهو يشاهد المداخن وتجمعات المبانى تبزغ من بين دخان المصانع وتبرق عندما تسقط عليها أشعة الشمس وحواجز الأمواج ومحركات الباخرة الضخمة التى تمخر عباب المياه.. الزرقاء ثم يهبط إلى المرفأ وقد ظهر كل شئ جديدا لعينيه.. يسير مندمجا بالزحام وتيار الاتوبيسات والعربات الصفراء والخضراء التى تصطف على الجسر المتحرك فى شارع ميتشجان ويشق طريقه عبر الريح المزمجرة متطلعا إلى واجهات المحلات المضيئة والفتيات الجميلات بملابسهن التى تتطاير مع الريح.

كان «جيم» قد أخبره أن يذهب لرؤية صديق له يعمل فى محطة خدمة «فورد» فى شارع «بلو آيلند».. قطع الطريق الطويل إلى هناك وعندما وصل كان الفتى قد غادر المكان لكن المدير كان هناك وقال لتشارلى إن بوسعه الحصول على عمل لو حضر صباح اليوم التالى.. لم يكن يعرف مكانا يذهب إليه وخجل أن يبوح للرجل بأنه مفلس تماما فترك حقيبته فى «الجاراج» ومضى يتسكع طول الليل.. يغفو بضع لحظات على أحد مقاعد الحديقة لكنه سرعان ما يستيقظ وقد كاد جسمه يتجمد والصقيع ينخر عظامه.. يضطر للجرى حتى يدفأ نفسه ويخيل إليه إن الليلة لن تنتهى.

فى الصباح لم يكن معه بنسا أحمر يمكن أن يتناول به فنجان من القهوة وهكذا أخذ يسير جيئة وذهابا قرابة الساعة حتى حضر أحدهم ليفتح المحطة.

قضى فى العمل بمركز خدمة «الفورد» بضعة أسابيع حتى التقى ذات يوم أحد بمونت ديفيز فى شارع «نورث كلارك» وصحبه إلى اجتماع «الويلى» أمام واجهة مكتبة «نيوبرى» لكن البوليس اقتحم المكان ولم يستطع تشارلى أن يهرب بالسرعة اللازمة وقبل أن يعرف ماذا يحدث انهالت عليه ضربات العصا وشعر بالإغماء.

وحمل إلى عربة البوليس.

أمضى الليلة فى زنزانة مع اثنين من الرجال الملتحين كانوا على درجة بينة من السكر وبدا أنهم لا يستطيعون نطق جملة إنجليزية واحدة وفى اليوم التالى تم استجوابه وعندما أخبرهم إنه يعمل كميكانيكى اتصل أحد المخبرين بمحطة الخدمة ليتحقق من صدق كلامه قبل إن يطلق رئيس البوليس سراحه لكنه عندما ذهب إلى «الجاراج» قال له المدير إنه لا يريد أحدا من أنصار «مش عايز اشتغل» فى هذا المكان أعطاه أجره وطلب منه الذهاب.

اضطر أن يرهن حقيبته وبذلته الجيدة.. لم يحمل معه سوى لفافة بها بعض الجوارب

وقميصين ومضى ليرى «مونت ديفيز» ليخبره إنه سيذهب إلى «سانت لويس» ليجرب حظه. قال «مونت» إن هناك نضالا من أجل حرية التعبير فى «إيفا نزڤيل» -Evans-ville ويظن أنه سيأتى معه ليرى ماذا يحدث.. استقلا القطار إلى «چوليت» Joliet وعندما مرا أمام السجن قال «مونت» إن منظر السجن يصيبه دائما بالغثيان ويمنحه إحساسا بالتشاؤم واكتسى وجهه بالكآبة الشديدة وهو يضيف أنه يتوقع أن ينالوا منه قريبا.. لكن سوف يكون هناك آخرون.. كان «مونت ديڤيز» شابا شاحب الوجه من «مسكاتين» Muscatine بولاية «أيوا» له أنف طويل معقوف ويتلعثم فى الكلام.. ظل طول حياته يبيع الصحف أو يعمل فى مصنع «للأزرار» ولم يكن يفكر فى شئ غير I.W.W (منظمة عمال العالم الصناعيين) والثورة وأخذ يوبخ «تشارلى» بمرارة لأنهم أطبقوا عليه والطريقة التى سخر بها من هروب «الويلى» بتلك السرعة عندما اقتحمت الشرطة المكان قائلا إن عليه أن يتمسك بالوعى الطبقى ويأخذ الأمور مأخذا جديا.

وعند حدود مدينة «چوليت» اعتلوا شاحنة مضت بهم إلى «بيوريا» Peoria حيث إنفصل كل منهما عن الآخر فقد وجد «تشارلى» سائق شاحنة كان قد تعرف عليه فى شيكاغو.. عرض عليه أن يحمله معه إلى «سانت لويس».

فى «سانت لويس» لم تكن الأمور على ما يرام.. وقع فى شجار مع مدمن مخدرات محتال التقى به صدفة فى «ماركت ستريت» وحاول أن يبلفه.. لكنه بمجرد أن سمع أحد الأشخاص يخبره بأن هناك الكثير من الأعمال فى «لويزڤيل» Louisville بدأ يشق طريقه نحو «الشرق» وعندما وصل إلى «نيو ألبنى» New Albany كان الجو ملتهبا كشواظ الجحيم.. لم يفلح فى ايقاف عربة لالتقاطه وقدمه قد تورمت وامتلأت بالقروح.. وقف على الكوبرى يتطلع إلى التيار البنى الهادئ المتدفق لنهر «أوهايو» وهو يشعر إنه لن يستطيع أن يتقدم أكثر من هذا.. إنتابته الكراهية لهذا التجوال بحثا عن عمل.. كان النهر فى لون الزنجبيل.. أعاد إليه ذكرى رائحة فطائر الزنجبيل التى اعتادت «ليز جرين» أن تعدها له فى مطبخ أمه.. إنه لأحمق حقا أن يتسكع هكذا متشردا ومن الأفضل له أن يعود إلى المنزل ليستلقى على العشب.. إن هذا ما يجب أن يفعله..

فى تلك اللحظة مرت شاحنة فورد متهالكة وهى تمشى على إطار فارغ..

صاح تشارلى - هاى.. لقد فرغت العجلة.

ضغط السائق على الفرامل فجأة وظهر برأسه المدور وهو يرتدى سويتر أحمر.

- ما بالك بحق الجحيم؟

- يا إلهى.. أردت فقط أن تنتبه.

- آه.. منتبه لكل شئ يافتى.. طول اليوم لا تملك شيئا غير المتاعب.. هل تريد توصيلة؟

أجاب «تشارلى» - بكل تأكيد.

- والآن.. لن نستطيع أن نركن على الكوبرى بأى حال.. نفس الشئ الملعون طول اليوم.. آه.. لقد استيقظت مبكرا صباح أمس وخرجت لنقل حمولة دخان لهذا المغفل.. لم ينسى الزنجى الملعون حتى مفتاح المستودع.. آه.. أقسم.. لو كان معى بندقية لأرديته قتيلا..

توقف عند نهاية الكوبرى وساعده «تشارلى» على تغيير الإطار ثم نهض الرجل قائلا وهو ينفض التراب عن ملابسه.

- من أين أنت يافتى؟

أجاب تشارلى - من هناك.. من الشمال الغربى..

- أظن أنك سويدى.. إليس كذلك؟

ضحك تشارلى قائلا - لا.. أنا ميكانيكى جاراج وأبحث عن عمل.

- أوه.. إذن لنذهب إلى العجوز «ويجنز» إنه الرئيس.. وسنرى ما يمكن أن يفعله.

قضى «تشارلى» الصيف فى «لويزڤيل» يعمل فى «ورش ويجنز للاصلاح والصيانة» أخذ يتجول بصحبة إيطالى يدعى «جراسى» جاء هاربا من الخدمة العسكرية ويواظب على قراءة الصحف كل يوم وأخشى ما يخشاه أن تدخل الولايات المتحدة الحرب قائلا إنه حينئذ سيهرب إلى المكسيك.. كان «فوضويا» من ذلك النوع الهادئ الذى ينفق الأمسيات فى الغناء لنفسه بصوت خفيض وهو يعزف على «الأكورديون» جالسا على درجات السلم فى النزل الذى يقيم فيه.. وأخذ يحكى «لتشارلى» عن مصانع «ڤيات» الضخمة فى «تورينو» حيث كان يعمل وأخذ يعلمه كيف يأكل «الاسباجيتى» ويشرب النبيذ الأحمر ويعزف «إمرح وإبتهج» على الأكورديون كان طموحه الأكبر أن يصبح طيارا.

إلتقط «تشارلى» فتاة يهودية تعمل فرازة فى مستودع دخان تدعى «سارة كوهين» لكنها تفضل أن يدعوها «بيل» (الحلوة) Belle .. أحبها كثيرا لكنه كان حريصا أن يجعلها تفهم إنه ليس من ذلك النوع الذى يبحث عن زواج.. أجابته إنها

«راديكالية» تؤمن «بالحب الحر» لكن هذا لم يريحه أيضا.. كان يصحبها إلى عروض السينما والمسرح والتجول فى حديقة «تشيروكى» Cherokee park واشترى لها بروشا من الجمشت عندما قالت له إن ذلك هو حجرها المفضل الذى يناسب يوم مولدها. عندما كان يختلى بنفسه يشعر بكثير من الانزعاج.. إنه هنا يمارس نفس العمل يوما بعد يوم.. ليست لديه فرصة ليجمع النقود أو يكمل الدراسة أو يشاهد البلاد حتى إذ حل الشتاء كان القلق قد استبد به.. وكان قد تمكن من إنقاذ عربة ڤورد قديمة مكشوفة كانوا على وشك إلقائها كخردة فتمكن من إصلاحها ببعض قطع الغيار المهملة.

تحدث إلى «جراسى» أن يذهبا معا إلى «نيواورليانز» لقد تمكنا من إدخار القليل من النقود ولسوف يذهبان إلى هناك ويحصلان على عمل ويمكثان حتى يشاهدا «المارد يجرا»(١٣١).

كان اليوم الأول الذى شعر فيه بالسعادة منذ غادر «سانت بول» يوما من أيام يناير التى تناثرت فيه ندف الجليد.. أخذا يشقان طريقهما خارج «لويزفيل» والعربة ذات الأربعة سلندرات تنطلق بأقصى طاقتها صوب الجنوب وكومة من الإطارات القديمة المستعملة ترقد على مؤخرتها.. مرا بناشفيل Nashville وبرمنجهام Birmingham وموبيل Mobile لكن الطرق كانت على درجة رهيبة من السوء واضطرا لإصلاح العربة كلما تقدما خطوة على الطريق وكادا أن يتجمدا حتى الموت أثناء عاصفة ثلجية بالقرب من «چنترزڤيل» Guntersville واضطرا للرقاد يومان وعندما وصلا إلى «خليج سانت لويس» وبدآ ينطلقان على الطريق الموازى للشاطئ تحت السماء الزرقاء والشمس الدافئة وهما يتطلعان إلى أشجار النخيل والموز و «جراسى» يتدفق فى الحديث عن «ڤيزوف» و «نابولى» الساحرة وفتاته التى فى «تورينو» ولن يراها ثانية بسبب تلك الحرب الرأسمالية القذرة كانت النقود قد تبخرت وكل ما تبقى معهما ورقة بخمسة دولارات وحفنة جازولين فى خزان العربة عندما وصلا إلى «نيواورليانز» لكن «تشارلى» بضربة حظ استطاع أن يبيع العربة بخمسة وعشرين دولارا لحانوتى من الملونين.

واستأجرا غرفة فى منزل بجانب الميناء مقابل ثلاثة دولارات فى الاسبوع.. كانت صاحبة النزل امرأة صفراء الوجه من «بنما» وخارج حجرتهما ببغاء فى الشرفة.. وعندما خرجا إلى الطريق غمرتهما الشمس بضيائها وغمرت «جراسى» السعادة وظل يردد

- هذا شبيه بإيطاليا.. هذا شبيه بإيطاليا.

أخذا يدوران يحاولان البحث عن عمل لكن لم يبدو أن فى استطاعتهما الحصول

على شئ غير أن «الماردیجرا» فى الاسبوع المقبل.

سارا فى طريق «القناة» الذى إزدحم بالملونين والصينيين والجميلات فى أزيائهن الملونة الزاهية وهواة حلبات السباق والرجال العجائز الطوال فى أزياء «شاطئ النخيل» (بالم بيتش).

توقفا لتناول كأس من البيرة فى أحد البارات التى تطل على الشارع وقد اصطفت الموائد على الرصيف وقد جلس عليها كل أصناف الرجال يدخنون السيجار ويشربون وعندما خرجا اشترى «جراسى» صحيفة المساء.. شحب لونه وهو يشير إلى المانشيت الرئيسى «الحرب مع ألمانيا أصبحت وشيكة».

- لو دخلت أمريكا الحرب مع ألمانيا فإن الشرطة سوف تعتقل كل الايطاليين لترحيلهم إلى إيطاليا للقتال.. اخبرنى من الذى يعمل فى مكتب القنصل.. قل لى.. إنظر أنا لن أذهب للاشتراك فى حرب رأسمالية.

حاول «تشارلى« أن يهدئه لكن تعبيرا من القلق ظهر على وجه «جراس» وحالما هبط الظلام ترك «تشارلى» قائلا إنه سيعود إلى النُزل ليأوى إلى الفراش.

مضى «تشارلى» يتجول فى الطرقات وحيدا وقد امتلأ الجو بالرائحة الدافئة للمولاس يأتى من مصانع تكرير السكر مختلطا بالعبير الذى يهب من الحدائق ورائحة الثوم والفلفل والسمن المقدوح التى تنبعث من المطابخ.. بدت النسوة كما لو كن قد انتشرن فى كل مكان.. فى البارات وزوايا الشوارع وخلف مصاريع النوافذ والأبواب نصف المغلقة أطلت وجوههن كأنما تدعو المارة.. لكنه لا يملك فى جيبه سوى عشرين دولارا.. يخشى من السطو عليها.. اكتفى بالسير حتى نال منه التعب. عاد إلى الغرفة حيث وجد «جراسى» مستغرقا فى النوم ووجهه يختفى تحت الغطاء. عندما استيقظ فى ساعة متأخرة كان الببغاء يصيح بصوته الحاد وراء النافذة فى الشرفة الخارجية وأشعة الشمس الساخنة تملأ الغرفة و «جراسى» قد غادر المكان.

إرتدى «تشارلى» ملابسه وبينما كان يمشط شعره عاد جراسى يبدو عليه الانفعال.. لقد حصل على عمل كمساعد ميكانيكى على سفينة شحن متجهة إلى أمريكا الجنوبية.

- عندما أصل إلى «بيونس أيرس» سوف أغادر الباخرة وحينئذ لا خوف من الحرب.. أما إذا دخلت الأرجنتين الحرب فوداعا مرة أخرى.

قَبّلَ تشارلى فى فمه وأصر أن يعطيه «الأكورديون».. إنحدرت الدموع من عينيه

وهو يهرع ليلحق بالسفينة التى سترحل عند الظهيرة..

ظل «تشارلى» يقطع المدينة محاولا الحصول على عمل فى «جاراج» أو «ورشة ميكانيكية» كانت الطرقات الواسعة تمتلئ بالتراب وتحيط بها المنازل المسيجة الواطئة التى تتباعد فيما بينها.. أحس بالتعب واللزوجة والتراب وكل الذين سألهم أجابوه بلطف لكن لا أحد منهم يعرف مكانا يستطيع الحصول فيه على عمل.. على أية حال.. لقد قرر أن يمكث حتى يشهد «الماردیجرا» ثم يتجه نحو الشمال مرة أخرى.

أخبره بعض الرجال أن يذهب إلى «فلوريدا» أو برمنجهام بالآباما أو حتى إلى «ممفيس» أو «ليتل روك».. اتفق الجميع إن الفرصة الوحيدة للعمل هى أن يبحر على سفينة وإلا فلن يجد عملا فى المدينة.

مضت الأيام بطيئة تسطع فيها الشمس فى الجو المشبع برائحة المولاس.. أنفق الكثير من الوقت وهو يقرأ فى «المكتبة العامة» أو يتمدد على رصيف الميناء يرقب الزنوج الذين يفرغون البواخر.. قطع الكثير من الوقت يفكر فى مصيره وما الذى يمكن أن يفعله بنفسه وعندما يأتى الليل لم يكن ينام بسهولة لأنه لم يفعل شيئا فى نهاره يصيبه بالتعب.

ذات ليلة سمع صوت «الجيتار» ينبعث من «حانة» فى شارع «تشارتزز» تسمى «أورچينال تريبولى».. دخل وجلس على مائدة وطلب بعض الشراب.. كان الجرسون رجلا صينيا وكان هناك فى نهاية الصالة المظلمة أزواجا يرقصون بنوع من العناق المحموم لو استطاع أن يحصل على فتاة بأقل من خمسة دولارات فلن يمانع..

وقبل أن يمضى وقت طويل وجد نفسه يدعو إلى مائدته فتاة تدعى «ليز» لتشاركه الطعام والشراب فجلست وهى تقول إنها لم تجد شيئا تأكله طول اليوم..

سألها عن «الماردیجرا».. أجابت إنه مجرد وقت وضائع لأن الشرطة تضيق فيه الخناق وتحاصر كل الأماكن.

- إنهم يطاردون كل عاهرات الميناء فى الليلة السابقة ويرحلونهم جميعا عبر النهر..

- وما الذى يفعلونه بهم؟

- يأخذونهم إلى «ممفيس» وهناك يطلقون سراحهم.. هل هناك سجن فى الولاية يتسع لكل بغايا المدينة؟

ضحكا سويا وتناولا كأسا آخر من الشراب ثم نهضا للرقص وأخذ «تشارلى»

يحتضنها بقوة.. كانت فتاة هزيلة لها نهدان صغيران بارزان وأرداف ثقيلة..

بعد أن أمضيا بعض الوقت في الرقص.. همس تشارلي

- أوه يا صغيرتي.. إنك تحسنين الأداء..

- أليس عملي أن أمنح الأولاد وقتا طيبا.

أعجبته النظرة التي ترمقه بها.

- كم الثمن الذي تحصلين عليه؟

- خمسة دولارات..

- يا إلهي.. أنا لست مليونير.. ثم ألم أدعوك للطعام..

- حسنا.. أجعلها ثلاثة يا قمع السكر..

تناول كأسا آخر ولاحظ «تشارلي» إنها تكتفي من حين لآخر ببعض «الليمونادة».

- ألا تشربين شيئا آخر؟

- يا عزيزي.. أنت لا تستطيع أن تشرب في تلك المهنة.. أول شئ يجب أن تعرفه أنني أود أن أتخلص منها..

في تلك اللحظة.. أتى شاب فحل ثمل يرتدي فانلة قذرة.. يبدو أنه وقاد باخرة.. وأمسك بيد «ليز» ليجبرها على الرقص معه.. أحاطت ذراعه القوية الضخمة الموسومة بالوشم الأزرق والأحمر بخصرها ولاحظ «تشارلي» أنه يداوم على دس يده الكثة وهو يراقصها محاولا نزع ثوبها بينما كانت تصيح.

- كف عن هذا يابن العاهرة..

تملك «تشارلي» الغضب فهب واقفا وجذب الفتى الضخم بعيدا عنها فأستدار الفتى وطوح بقبضته لكن «تشارلي» تفادى الضربة ثم وثب وسط الصالة وهو يرفع قبضتيه.. عندما بدأ الفتى - الذي كان مخمورا جدا - يناوله لكمة أخرى وضع «تشارلي» قدميه ليعرقله فهوى على الأرض على وجهه وأطاح بمائدة وزنجي ضئيل ذو شارب أسود يجلس عليها وفي ثوان نهض الزنجي وأستل مديته.. ركض الصينيون وهم يهرون كمجموعة من طيور النورس الحمقاء وأتى صاحب الحانة «الاسباني» بمئزره من خلف البار وهو يصيح - أخرجوا من هنا جميعا.. أخرجوا جميعا.

وثب الزنجي بمديته المشرعة نحو «تشارلي» لكن «ليز» دفعته جانبا وقبل أن يدرك تشارلي شيئا وجد نفسه يسير ورائها عبر المراحيض النتنه إلى الممر الذي يفضي إلى الباب الخلفي ومنه إلى الشارع وهي تمسك بيديه وتهمس في أذنه.

- من الأفضل ألا تدخل فى عراك مع عاهر ملعون..

أراد «تشارلى» أن يعود ليأتى بقبعته ومعطفه لكن «ليز» لم تدعه يذهب.

- سوف أحضرهم لك فى الصباح.

سار معها على الطريق وهو يقول

- أنت فتاة طيبة.. تعجبينى..

- ألا تستطيع أن تدفع عشرة دولارات وتأخذنى طول الليل.

- يا إلهى.. أنا مفلس..

- حسنا.. سوف أقذف بك خارجا لأبحث عن زبون آخر.. ليس هناك غير فتى واحد فى هذا العالم يأخذ هذا بدون مقابل.. وهذا الفتى ليس أنت.

أمضى معها وقتا ممتعا.. جلست على حافة الفراش تتحدث متوردة الوجه وجميلة وهى تنظر نظراتها المنكسرة فى قميصها الوردى الشفاف.. عرضت عليه صورة فوتغرافية لحبيبها الذى يعمل مهندس ثان على ناقلة بترول..

- أليس أنيقا.. أنا لا اصطاد زبائن عندما يكون فى المدينة.. إنه قوى.. يستطيع أن يكسر الجوزة على زنده..

ثم جذبت ذراعه وأشارت إلى المكان الذى يستطيع عليه حبيبها أن يكسر الجوزة..

وسألها «تشارلى» - من أين أنت؟

- وماذا يهمك؟

- من الشمال؟ يبدو ذلك من لهجتك..

- طبعا.. أنا من «ايوا» لكن لا أفكر فى العودة إلى هناك.. إنها جحيم من الحياة.. أوه.. لا تنسى أنى مجرد امرأة للمتعة.. لقد تصورت يوما أنى امرأة رفيعة.. سيدة بيت.. واستيقظ ذات صباح لأجد نفسى مجرد عاهرة ملعونة..

- هل ذهبت مرة إلى «نيويورك»؟

هزت رأسها ثم قالت بعد فترة من التفكير.

- إنها ليست حياة سيئة جدا لو ابتعدت عن الشراب والقوادين..

- اعتقد أنى سأذهب إلى «نيويورك» بعد أن ينتهى «المارديجرا».. لن أصبح شيئا فى مدينة الأثرياء العاطلين هذه..

- لا يكون «المارديجرا» شيئا لو كنت مفلسا..

- حسنا.. لقد جئت لأراه.. وسوف أظل لأراه..

تركها عند الفجر.. نزلت معه لتودعه.. قبلها وهو يقول إنه سيعطيها العشرة دولارات لو أحضرت له القبعة والمعطف فقالت له أن يأتى إلى مكانها فى المساء حوالى السادسة وألا يذهب إلى حانة «تريبولى» لأن ذلك «الوقاد» شرس وسوف يرقد فى انتظاره.

كانت الشوارع التى تصطف عليها البيوت القديمة ذات الزخارف الجصية والشرفات الحديدية المخرمة غارقة فى الضباب الأزرق وبضع نساء «خلاسيات» يتجولن فى الأفنية بالايشاربات المزركشة والرجال الملونون العجائز يعرضون بضاعتهم من الفاكهة والخضروات الطازجة.

عندما عاد إلى غرفته كانت المرأة البنمية فى الشرفة الخارجية تمسك بأصبع موز وتنادى بصوت محشرج واهن - بولى تعال.. بولى تعال.

كان الببغاء يجلس على حافة السقف ينظر إليها بعينه الزجاجية ويطلق صيحات ناعمة.. قالت المرأة البنمية بإبتسامة دامعة.

- إنه هنا طول الليل.. بولى لا يريد العودة.

تسلق تشارلى مصراع النافذة.. حاول أن يقبض على الببغاء لكن الببغاء زاغ منه جانبا إلى أقصى حافة السقف وتساقطت قطع القرميد فوق رأسه.

قالت المرأة البنمية بأسى - إنه لن يأتى.

رمقها «تشارلى» بنظرة غاضبة ودخل حجرته.. استلقى على الفراش واستغرق فى النوم. فى يوم «الماردیجرا» أخذ «تشارلى» يتجول فى المدينة حتى كلت قدماه..

كان الزحام فى كل مكان.. الأضواء.. عربات الزينة.. الاستعراضات.. الفرق الموسيقية الفتيات فى الملابس التنكرية.. التقط الكثير من الفتيات لكنهم بمجرد أن يعرفن أنه مفلس يغادرونه على الفور. كان ينفق النقود بحرص بقدر ما يستطيع وعندما يشعر بالجوع يميل إلى أحد البارات.. يشرب كأسا من البيرة والكمية التى يحتاجها من الطعام..

فى اليوم التالى «للماردیجرا» بدأ الزحام يخف وخرج «تشارلى» ليتجول وهو يشعر بالجوع والتعاسة.. لم تعد معه نقود حتى لاحتساء قدح البيرة.. ورائحة المولاس و«الأفسنتين» التى تتصاعد من بارات الحى الفرنسى أصابته بالغثيان.. لم يدر ما الذى يمكن أن يفعله.. إنه لم يعد يملك الروح ليبدأ الطواف والسفر متطفلا على السيارات مرة أخرى.. ذهب إلى «الويسترن يونيون».. حاول أن يرسل برقية «لجيم» مدفوعة الأجر

لدى المستلم.. لكن الموظف قال إنهم لا يقبلون برقيات لطلب النقود بهذا الشكل.

وطردته المرأة البنمية عندما عجز عن دفع أجرة الأسبوع الثانى مقدما.. فعاد يمشى فى شارع «إيسبلاناد» وهو يتأبط لفافة ملابسه الملفوفة بورق الجرائد ويحمل بذراعه الأخرى «اكورديون» جراسي.

أخذ يسير فى الطريق حتى نال منه التعب فجلس فى حديقة فى الشمس وراح يفكر لم يعد أمامه بديل.. إما أن يقذف بنفسه فى النهر أو يتطوع فى الجيش.. فجأة جذب «الأكورديون» انتباهه.. إنه يساوى مبلغا كبيرا.. دس لفافة الملابس تحت كومة من الألواح الخشبية ومضى يبحث عن كل محلات الرهونات التى يمكن أن يعثر عليها.. لم يجد أحدا يدفع أكثر من خمسة عشر دولارا..

عندما انتهى من المرور على كل محلات الرهن أو محلات الآلآت الموسيقية التى يعرفها كان الظلام قد هبط وأغلقت المحلات أبوابها..

مضى يترنح على الطريق متعبا مريضا هده الجوع.. توقف عند تقاطع شارعى «القنال» و «رامبارت».. كان الغناء ينبعث من إحدى الصالات وطرأ خاطر أن يذهب ليعزف «إمرح وإبتهج» على الأكوردين.. قد يحصل بهذا على كأس من البيرة وعشاء مجانى.

لم يكد يبدأ فى العزف المهلهل الذى بدأ فيه بمشقة حتى هم عامل البار أن يقفز إليه ليطرده كأحد المتسولين.. لكن رجلا طويلا كان يجلس مبسوطا على مائدة.. أومأ إليه..

- تعالى يا أخى.. أجلس..

كان رجلا ضخما بأنف معقوف ووجنات عريضة بارزة..

- اجلس يا أخى..

انسحب العامل خلف البار.. بينما أكمل الرجل:

- أخى.. مش ممكن تلعب كده.. الأكوردين مش أكثر من أرنب.. أنا مش أكتر من فلوريدى واطى من مدينة «أوكاتشوبى» لكن لو مكنتش أقدر ألعب أحسن من كده..

قاطعه «تشارلى» ضاحكا - أعرف أنا لا أجيد العزف عليه.

جذب الفلوريدى حزمة نقود من جيبه صائحا.

- أخى.. هل تعرف ما يجب أن تفعله.. بعنى هذا الملعون.. أنا مش أكثر من فلوريدى حقير ولكن .. يا يسوع المسيح..

إنطلقت صيحات أصدقائه تطالبه أن يعيد النقود إلى جيبه.

– هاء.. دوك.. أفق لنفسك.. لا يلزمك هذا الملعون.

ضرب «دوك» المائدة بذراعه وأطاح بثلاثة أكواب هوت إلى الأرض وهو يصيح – أيتها «النسور الامريكية» تحدثى فيما يخصك.. كم تريد يا أخى ثمنا للأكوردين جاء العامل على صوت إرتطام الأقداح ووقف متوعدا لكن «دوك» صاح

– «بن» كل شئ تمام.. كله على عمك «هنرى».. دعنا نشرب جولة أخرى من ذلك الويسكى الطيب.. كم تريد يا أخ ثمنا للأكوردين..

قال «تشارلى» وهو يفكر بسرعة – خمسون دولارا.

ناوله «دوك» خمسة عشرات.. إبتلع تشارلى كأسه ووضع «الأكورديون» على المائدة وهرول خارجا.. كان خائفا أن يبطئ بجانب «الفلوريدى» الذى يمكن أن يفيق ويحاول استعادة نقوده.. ثم إنه يريد قبل كل شئ إن يأكل.

فى اليوم التالى كان على ظهر الباخرة «مومومس» فى الدرجة الأخيرة متجها إلى نيويورك كان النهر مرتفعا عن المدينة فوقف فى المؤخرة يتطلع إلى المنظر الغريب للأسقف والطرقات وعربات الترولى فى «نيو اورليانز».. لم يتنفس الصعداء إلا بعد أن بدأت الباخرة تبتعد عن الميناء.. واستطاع بمساعدة خادم ملون على ظهر السفينة أن يدبر له فراشا.

وبينما كان يضع لفافته تحت الوسادة وجد نفسه يحملق فى السرير الذى تحته.. كان «دوك» يستلقى غارقا فى النوم بكامل ملابسه.. بذلته الرمادية الكالحة وقبعته القش وسيجاره المطفأ مازال ملتصقا بزاوية فمه والأكورديون يرقد بجانبه.

عندما كانوا يمرون بمصب النهر وريح البحر تصفع وجوههم وأمواج الخليج تهدر تحت أقدامهم ظهر «دوك» على سطح الباخرة يسير مترنحا وفور أن وقع بصره على «تشارلى» مضى إليه وهو يفرد يده الضخمة.

– حسنا.. فلأكن أبن عاهرة إن لم تكن عازف الموسيقى.. إنه «اكوردين» طيب يافتى لقد ظننت إنك تخدعنى لمجرد أنى ريفى ساذج.. لكن فلأكن إبن عاهرة لو أنه لم يساوى هذا المبلغ أتأخذ كأسا معى؟

مضوا ليجلسوا على سرير «دوك» الذى فتح زجاجة من «البكاردى» وراحوا يعبون الشراب.. أخذ «تشارلى» يحكى كيف كان مفلساً لدرجة أنه لولا الخمسين دولار لظل حتى الآن جالسا على رصيف الميناء.. وعلق «دوك» بقوله أنه لولا الخمسين دولارا لكان

الآن فى الدرجة الأولى.

قال «دوك» إنه ذاهب إلى «نيويورك» ليتطوع فى فصائل الاسعاف التطوعية ريبحر إلى «فرنسا» وهل يمكن أن تسنح لك الفرصة كل يوم كى ترى حربا عظمى مثل هذه.. إنه يود أن يشترك فيها قبل أن يفرغ كل شئ.. رغم أنه لم يهضم بعد فكرة أن يذهب ليطلق الرصاص على مجموعة من البيض ليس بينه وبينهم عداء.. إن الوضع كان يمكن أن يختلف لو أن «الهون» كانوا زنوجا..

قال «تشارلى» إنه ذاهب إلى «نيويورك» لأنه يعتقد أن هناك فرصة أفضل للدراسة فى مدينة كبيرة كهذه وكيف كان يعمل ميكانيكى سيارات ويود أن يصبح م.م (٣١٢) لأنه لا يوجد مستقبل لعامل يفتقر إلى الدراسة..

رد «دوك» بأن هذا كله مجرد «هراء».. إن ما ينبغى أن يفعله فتى مثله أن يذهب ويسجل نفسه كميكانيكى فى وحدات الاسعاف وسوف يحصل على خمسين دولارا كل شهر وربما أكثر وأن هناك الكثير من الأموال والنساء فى الجانب الآخر من العالم وإنه يبغى أن يذهب ليرى تلك الحرب الملعونة قبل أن ينتهى كل شئ.

كان إسم «دوك» ويليام هـ. روجرز ينحدر من «ميتشجان» وكان أبوه منتجا للجريب ڤروت فى «ڤروست بروڤ» وكان قد حصل لتوه على ثمن محصولين طيبين من الخضروات من تربة «إڤرجلادز» الغنية ويريد أن يذهب ليرى «المدموزيلات» قبل أن ينتهى كل شئ.

عندما هبط الظلام كانت الخمر قد لعبت برأسيهما وهما يجلسان فى مؤخرة الباخرة وقد إنضم إليهما رجل يرتدى الثياب الرثة وقبعة اللباد المستديرة مقدما نفسه بأنه «إستونى»(٣١٣) من البلطيق.

نهض الاستونى و «دوك» و«تشارلى» بعد العشاء ليقفوا على السطح فوق القنطر الصغيرة المؤدية للمبيت.

كانت الريح قد خفت حدتها والأمواج قد هدأت وظهرت السماء صافية تلمع فيه النجوم..

قال دوك - يا إلهى.. هناك شئ غريب فى هذه الباخرة..قبل أن نهبط للعشاء كا «الدب الأكبر» فى الشمال والآن لقد استدار إلى الجنوب الغربى.

أجاب «الاستونى» - إن هذا ما يجب أن تتوقعه فى المجتمع الرأسمالى..

كان قد أعد خطبة حماسية يلقيها عليهم بعد أن رأى تشارلى يحمل بطاقة حمرا

«دوك» لا يؤمن بغير اطلاق النار على الزنوج فأنطلق يشرح كيف أن الثورة قد هبت في روسيا(١٣٤) وكيف أن القيصر اضطر للتنازل عن العرش.. إن هذه هي البداية لإعادة بعث الانسانية تأتي من الشرق.. إن «الاستونيين» سوف يحصلون على استقلالهم وسوف تلحق اوروبا بهم سريعا لتصبح الولايات المتحدة الاوربية الاشتراكية في ظل العلم الأحمر.

كان «دوك» مازال يثرثر مع «تشارلي» - «تشارلي» ما الذي قلته لك.. إن هذه الهيصة المثيرة سوف تنتهي بسرعة وما ينبغي أن تفعله أن تأتي معي لنشاهد الحرب وهي حقيقة أمامنا.

صاح «تشارلي» إنه على حق بينما استمر «دوك» في الحديث..

- سوف أصحبك معي يافتي.. كل ما ستفعله أن تبرز رخصة القيادة وتخبرهم بأنك طالب جامعي.

قال «الاستوني» غاضبا إن هذا ليس واجب العامل الذي يملك وعيا طبقيا وينبغي له أن يرفض القتال في هذه الحرب.

قال «دوك»: إيستي أيها العجوز.. نحن لن نذهب للقتال.. كل ما سنفعله أن نحمل الأولاد بعيدا قبل إن يجهزوا عليهم.. إنظر.. سوف أكون ابن عاهرة أحمق لو أن هذه الهيصة لم تنتهي قبل إن نصل إلى هناك.. «تشارلي» ألست معي؟

راحوا يتناقشون مرة أخرى أين كان الدب الأكبر.. إصر «دوك» إنه انتقل إلى الجنوب وعندما أوشكوا أن ينهوا الجولة الثانية من الشراب كان «دوك» يصيح لا يجب على البيض أن يتقاتلوا فيما بينهم.. عليهم فقط قتل الزنوج وابتدأ يدور في الباخرة بحثا عن الخادم الملون الملعون كي يقتله ويثبت كلامه.

بينما أخذ «الاستوني» ينشد «المارسيليز» وراح «تشارلي» يقص لكل من يقابله إنه يريد أن يشترك في هذه الحرب العظمى قبل أن ينتهي كل شئ.

وقبل أن ينام الجميع كان على «الاستوني» و «يتشارلي» أن يقضيا وقتا طويلا بجانب «دوك» كي يلزموه الفراش وهو يقفز بين الحين والآخر هائجا إنه يريد قتل أثنين من الزنوج.

عندما وصلوا إلى «نيويورك» وسط عاصفة ثلجية.. نظر «دوك» إلى تمثال الحرية قائلا إنها تبدو مرتدية قميص نوم أبيض.. تلفت «الاستوني» حوله وأخذ يدندن نشيد «المارسيليز» ويقول إن المدن الامريكية ليست على هذه الدرجة من الفن لأنهم لا يتوجون المنازل بتلك الأسقف الجملونية التي تنتشر في بلاد البلطيق الأوربية.

هبطوا إلى الرصيف ومضى «تشارلى» بصحبة «دوك» إلى فندق «برود واى سنترال» لم يكن «تشارلى» قد نزل فى فندق كبير كهذا من قبل وأراد أن يذهب للبحث عن غرفة رخيصة لكن «دوك» أصر أن يأتى معه قائلا إن ما معه من المال يكفيهما معا ولا فائدة لادخار النقود فكل شئ سوف ينتهى قريبا.

كانت نيويورك تعج بالضجيج.. أبواق العربات وهدير الماكينات وصياح باعة الصحف - ملحق.. ملحق أعطى «دوك» لتشارلى بذلة جديدة وأخذه ليسجل اسمه فى فرق «اسعاف الميدان» كان مكتب التطوع يحتل مكانا فاخرا أنيقا فى مكتب محامى بمبنى ضخم مهيب فى حى المال والبنوك.. أخذ الرجل «الچنتلمان» الأنيق الذى بسجل الأسماء يتحدث كيف أنهم يتطوعون «كچنتلمانات» وكيف أنهم يتصرفون تصرف الچنتلمان وكيف إنهم جديرون بالدفاع عن قضية الحلفاء تحت الراية الامريكية وعن الحضارة التى يقاتل من أجلها جنود فرنسا الشجعان منذ سنوات فى الخنادق.. وعندما علم أن «تشارلى» ميكانيكى سجل اسمه دون أن ينتظر مراجعة مدير المدرسة الثانوية وراعى الكنيسة اللوثرية فى ڤارجو اللذان سجلهما كضامنين للبيانات وأخيرا طلب منهم الذهاب للكشف الطبى والتحصين ضد التيفود على أن يعودوا فى صباح اليوم التالى لمعرفة موعد الابحار. وبينما كانا يخرجان من المصعد كان هناك جمع من الناس يقفون على أرضية البهو المرمرية اللامعة وهم ينحنون على الجرائد.. لقد أعلنت أمريكا الحرب ضد ألمانيا.

فى تلك الليلة كتب «تشارلى» خطابا لأمه يخبرها بذهابه إلى الحرب ويرجوها أن ترسل خمسين دولارا ثم خرج هو و «ودك» للفرجة على المدينة.

كانت الاعلام ترفرف فى كل مكان على واجهات المبانى.. وحتى ميدان «التايمز» لم تكن هناك غير تجمعات الشركات التجارية والبنوك وراء تجمعات الشركات التجارية والبنوك وفى كل مكان إنهمك الناس فى قراءة الصحف، وفى الشارع الرابع عشر سمعوا قرع الطبول وفرقة تتقدم.. وقفوا على الناصية ليشاهدوا أى الفرق تكون.. لم تكن سوى «جيش الخلاص»[٣١٥].

عندما وصلوا إلى ميدان «ماديسون» كانت ساعة العشاء قد حانت وبدت الشوارع مهجورة وأخذت السماء تمطر رذاذا خفيفا بينما هجعت الاعلام المنتشرة فى «برودواى» والشارع الخامس ساكنة حول صواريها..

مضوا إلى مطعم «هوفبراو» لتناول الطعام.. رأى «تشارلى» إن ذلك مكلف جدا

لكن «دوك» قال أن العشاء على حسابه.. أمام واجهة المطعم أعتلى رجل سلم نقال ليثبت المصابيح حول لوحة كهربائية للعلم الأمريكى بينما ازدانت صالة المطعم بالأعلام من الداخل وفرقة موسيقية تعزف (الراية المرصعة بالنجوم) كل لحظة فيضطر الجالسون للنهوض.. أخذ «دوك» يدمدم..

- ماذا يظنون.. هل هو تمرين قيام.. جلوس؟

لم تكن هناك غير جماعة واحدة التفت حول مائدة مستديرة فى الركن ولم تكن تنهض عند عزف الفرقة.. جلس افرادها فى هدوء يأكلون ويتحدثون كأن شيئا لا يحدث.. بدأت الانظار تتجه إليهم وتنطلق التعليقات.

- أراهن أنهم الماني.. «هون» جواسيس.. أنصار السلام..

جلس ضابط جيش على مائدة مع فتاته ووجهه يصطبغ بالدم كلما وجه نظراته إليهم.. أخيرا تقدم الجرسون الألمانى العجوز.. مضى إليهم وهمس بشىء.

إنطلق صوت من المائدة المستديرة..

- فلتحل علينا اللعنة إن فعلنا ذلك..

نهض الضابط متجها إليهم وهو يتحدث عما يجب أن يكون عليه الاحترام نحو النشيد الوطنى لكنه عاد وقد إزداد احتقان وجهه.. جلس وهو يدمدم.

- جبناء.. مؤيدون للألمان..

كان رجلا ضئيلا بساقين مقوسين حشرهما بلفافات الساق الحريرية الناعمة.. ولم يكد يجلس حتى هب واقفا إذ عادت الفرقة تعزف.

- سيريل.. لماذا لا تستدعى لهم البوليس؟.

تساءلت الفتاة الى تصاحبه.. لكنه فى تلك اللحظات أخذ جميع من بالمطعم يلتفون حول المائدة.. جذب «دوك» مقعد «تشارلى» قائلا

- إنتبه.. سيحلو الموقف

إنتزع رجل ضخم يتحدث بلهجة أهل «تكساس» رجلا من مقعده

- إما أن تنهض أو تخرج..

صاح أحد الرجال الجالسون حول المائدة المستديرة..

- أيها الناس.. أنتم لا تملكون الحق فى التحرش بنا.. إنكم تبدون موافقتكم على الحرب بالنهوض ونحن نبدى عدم الموافقة بـ..

صاحت امرأة ضخمة ترتدى قبعة حمراء تزينها ريشة وتجلس على المائدة

- اسكت.. لا تتكلم معهم.
فى تلك اللحظة انتهت الفرقة من العزف.. إنطلق الجميع يصفقون بحماس ويصيحون
- أعد.. أعد مرة أخرى.. هذا حسن..
كان الخدم يهرولون فى القاعة بعصبية بينما وقف صاحب المطعم فى المنتصف يهرش رأسه الصلعاء.. إتجه الضابط إلى قائد الفرقة قائلا.
- أرجوك.. اعزف نشيدنا الوطنى مرة أخرى.
ثم عاد إلى موضعه بخطوات متعجرفة بينما اندفع الرجال الآخرون ليهاجموا المائدة المستديرة.. اشتبك «دوك» ورجل ذو لكنة انجليزية وأخذا يتدافعان والرجل يصيح
- تعال للخارج إن أردت الشجار
إستعد «دوك» للنزال وهو يصرخ.
- اتركوهم لى يا رجال.. سوف أصحبهم للخارج.. اثنين فى الجولة الواحدة.
إضطربت المائدة وبدأ الحشد يتجه نحو الباب.. التقطت المرأة ذات القبعة الحمراء طبقا من ميونيز الكركند[٣١٦] وأخذت ترش وجوههم لتعرقلهم عن السير..
وفى تلك اللحظة حضر ثلاثة من رجال الشرطة ليعتقلوا الملاعين أنصار السلام..
توقف الجميع يمسحون «الميونيز» من الملابس وعادت الفرقة تعزف «الراية المرصعة بالنجوم».. إنطلق الجمع يحاول الإنشاد معها لكن لم يُضَفْ إلى الجو تأثير فلم يكن هناك أحد يعرف الكلمات.
ذهب «دوك»« و «تشارلى» بعد هذا إلى أحد البارات ليشربا الويسكى وأراد «دوك» أن يذهب لرؤية استعراض راقص فأخذ يستفسر من صاحب البار.. سمعه رجل بدين قمئ يضع شارة العلم الامريكى على صدر معطفه فقال إن أفضل الاستعراضات فى نيويورك تلك التى تقام على مسرح «منسكى» فى شارع «إيست هوستون» وعندما قال «دوك» أنهما ذاهبان لرؤية تلك الحرب العاهرة أصر الرجل على تحيتهم ببعض الكئوس وقرر أن يصحبهم إلى المسرح بنفسه.. كان يدعى «سيجال» وأخذ يحدثهم أنه كان اشتراكيا حتى حدث حادث إغراق «اللويزيتانيا» وإنه الآن يؤمن بأنهم لابد أن يذلوا الألمان ويحطموا «برلين». كان يرتدى معطف وبذلة العمل لكنه كان سعيدا كما لو كان يرتدى بزة عسكرية.. صاح وهو يدق بيده على صدره - نريد أن تصنع الحرب منا رجالا.
استقلوا التاكسى لكنهم عندما وصلوا إلى مسرح المنوعات لم يجدوا مقعدا خاليا.

قال دوك - فلنكف عن الطواف باللجحيم.. أريد امرأة.

توقف مستر «سيجال» وفكر قليلا ورأسه تنحدر على كتفه ثم قال

- إذن فلنذهب إلى «الهنغارى الصغير».

شعر «تشارلى» بالاكتئاب.. لقد ظن إنه سيقضى وقتا ممتعا فى نيويورك.. ود لو كان الآن فى فراشه..

فى حانة «الهنغارى الصغير» كان هناك الكثير من الألمانيات واليهوديات والروسيات.. بينما صفت زجاجات النبيذ منكفئة على أعناقها فى تجمعات مضحكة ووضعت على حامل وسط كل مائدة.. قال مستر «سيجال» إن السهرة من الآن ستكون على حسابه..

عزفت الفرقة موسيقى أجنبية وشرب «دوك» حتى ثمل وقد جلسوا على مائدة تلاصقت مع غيرها من الموائد.. مضى «تشارلى» يشمشم.. طلب من فتاة أن تراقصه لكنها رفضت لسبب ما.. فوجد نفسه يتجاذب اطراف الحديث مع زبون آخر.. شاب شاحب الوجه يجلس على البار كان قد عاد لتوه من اجتماع لأنصار السلام فى حديقة ميدان ماديسون أخذ «تشارلى» ينصت باهتمام إلى الشاب وهو يقول سوف تحدث ثورة فى نيويورك لو حاولوا فرض التجنيد الاجبارى على البلاد.. كان إسمه «بنى كومبتون».. طالب يدرس القانون فى جامعة «نيويورك».. ذهب «تشارلى» ليجلس معه على مائدة مع زميل آخر من «مينيسوتا» يعمل مراسلا صحفيا فى صحيفة «النداء» راح «تشارلى» يسأل عن فرص التحاقه بمعهد الهندسة.. إنه يفكر بالعدول عن ذلك العرض بالتطوع.. لكنهم قالوا لا توجد فرصة كبيرة ما لم تكن تملك مالا تبدأ به.. واضاف ذلك الرجل من «مينيسوتا» بأن «نيويورك» ليست هى المدينة التى تصلح للفقير.

قال «تشارلى» - يا للجحيم.. أعتقد لا مفر من الذهاب إلى الحرب..

أجاب «بنى كومبتون» - من واجب الراديكالى الحقيقى أن يذهب إلى السجن أولا وعلى أية حال سوف تهب الثورة.. إن الطبقة العاملة لن تتحمل طويلا.

قال الرجل من «مينيسوتا» بصوت متعب- لو أردت أن تجمع بعض المال يمكنك الذهاب إلى «بايون» Bayonne لتحصل على عمل فى مصنع للذخائر.

قال «بنى كومبتون» - الشخص الذى يفعل هذا خائن لطبقته.

قال «تشارلى» - إن العامل فى موقف لا يحسد عليه.. اللعنة.. لا أريد أن أقضى حياتى أصلح العربات مقابل خمسة وسبعين دولارا فى الشهر.

- ألم يقل يوچين ف. دبز أريد أن أرتفع مع الجموع لا عليها.

قال الرجل من «مينيسوتا» - ورغم هذا.. بنى .. ألا تعمل ليلا.. ونهارا لتدرس وتصبح محاميا لتبتعد عن الطبقة العاملة.

- أفعل هذا لخدمة النضال.. أريد أن أكون أداة فعالة.. يجب أن نحارب الرأسماليين بأسلحتهم.

- إننى أتساءل أحيانا ما الذى يمكن أن أفعله لو صادروا «النداء».

- إنهم لن يجرأوا على المصادرة.

- بل بكل تأكيد.. سيفعلونها.. لقد دخلنا الحرب لنحمى قروض «مورجان» وسوف ينتهزون هذه الفرصة ليقضوا على المعارضة فى الداخل.. هذا مؤكد مثلما أدعى «چونسون».

- بالمناسبة.. لقد حصلت على بعض المعلومات الأكيدة.. فأختى كما تعلم تعمل على الآلة عند چ. وارد مورهاوس.. مستشار العلاقات العامة.. إنه يتولى الدعاية لبيت مورجان وروكفلر.. حسنا.. لقد اخبرتنى إنه كان يعمل طول هذا العام مع بعثة فرنسية سرية.. إن المستثمرين الكبار يخشون خشية الموت من حدوث ثورة فى فرنسا.. لقد أعطوه عشرة آلاف دولار مقابل خدماته لتنظيم حملة ضخمة مؤيدة للحرب فى العديد من الصحف والمجلات.. ويقولون إن هذا بلد حر.

قال الرجل من «مينيسوتا» وهو يصب لنفسه ما تبقى من زجاجة النبيذ.

- أنا لا يدهشنى أى شئ.. إن أى واحد منا يمكن أن يكون فى هذه اللحظة عميل للحكومة أو جاسوس.

أخذ الثلاثة يحدقون فى وجوه بعضهم وشعر «تشارلى» بالقشعريرة تلهب أوصاله..

- هذا ما أحاول أن أخبرك به.. إن أختى تعلم الكثير بحكم عملها فى هذا المكتب أنها مؤامرة من جانب الاحتكارات الكبيرة.. مورجان والآخرين.. إنهم يتغلبون على العمال بإرسالهم إلى الحرب وبمجرد أن تصبح مجندا لا تستطيع أن تفتح فمك لا عن الحرية المدنية ولا عن «وثيقة الحقوق» فسوف يعدمونك بدون محاكمة.

قال الرجل من مينيسوتا.

- هذا انتهاك صارخ.. إن الناس فى الشمال الغربى لن يتحملوا هذا.. احكم بنفسك لقد كنت هناك مؤخرا بعد أن رجعت أنا.. إن «لافوليت» يعبر عن رأى الناس هناك..

أليس كذلك؟

قال «تشارلى» - بكل تأكيد.

- حسنا.. ماذا حدث بحق الجحيم؟

أجاب «تشارلى» وهو ينهض ليشق طريقه بين الموائد المتلاصقة بحثا عن «دوك»

- هذا أمر عويص بالنسبة لى..

كان «دوك» مخمورا قد شرب حتى الثمالة.. خاف «تشارلى» أن تنتهى الأمسية ببعثرة النقود فأصر على الخروج.. ودعهم مستر «سيجال» وهو يرجوهم أن يقتلوا الكثير من الألمان لأجل خاطره.. مضوا يسيرون غربا على امتداد شارع «هوستون» واللافتات المضيئة تلقى بأضوائها على الرصيف فتصطبغ وجوه الحشد المزدحم وسط الظلام والمطر بالظلال الحمراء.

وأمام مقهى «الكوزموبوليتان» فى نهاية الشارع العريض الذى إزدحم بالناس التى خرجت لتوها من المسرح رأوا رجلا يقف على أحد صناديق الصابون.. إلتف حوله الحشد المنطلق بينما شق «دوك» و «تشارلى» طريقهما ليتبينا جلية الأمر وتناهى إلى أسماعهما شذرات من حديث الرجل الذى وقف يصيح بصوت خشن أجش يشبه النباح.

- منذ بضعة أيام كنت فى معهد كوبر استمع إلى «يوچين ڤيكتور دبز» فماذا كان يقول؟.. عجبا لهذه المدنية وتلك الديمقراطية التى طلب فيها الرؤساء منكم أيها العمال أن تضحوا بالحياة ليستمتعوا هم بها.. ما الذى يعنيه هذا بالنسبة لكم غير عبودية الأجير.. ما....

إنطلقت أصوات من بين الحشد.

- اسكت أيها الحيوان إن كنت لا تحب هذا أرجع من حيث أتيت..

- أحرية العمل لكى يصبح الرؤساء أثرياء؟؟ حرية أن تموتوا جوعا عندما تطردون من أعمالكم؟؟.

تلقى «دوك» و «تشارلى» ضربة عنيفة من الخلف.. إنزلق الرجل من فوق الصندوق وأختفى وأمتلأت نهاية الطريق بالحشد المدجج.. وبينما كان «دوك» يجادل رجلا ضخما يرتدى «الأوڤرول» أتى شرطى بينهما وهو يرفع هراوته.. إستدار «دوك» محاولا أن يصفع الشرطى لكن «تشارلى» أمسك بيده وجذبه بعيدا.

- دوك.. وحق المسيح .. نحن لسنا فى الحرب بعد..

قال «دوك» بوجهه المحتقن - لم تعجبنى نظراته..

خلف حشود الشرطة وقفت عربتان للبوليس وقد سلطت الأضواء الكاشفة على الجموع الأذرع الرؤوس.. القبعات.. الاكتاف المتدافعة.. الهراوات التى ترتفع وتهوى وهى تبرز سوداء داكنة فى مواجهة ضوء الكشافات الأبيض الكاسح..

جذب «تشارلى» «دوك» أمام واجهة المقهى الزجاجية وهو يهمس فى أذنه.

- لا نريد أن نؤخذ إلى السجن وتفوتنا الباخرة.

قال «دوك» - وما الفائدة.. سوف ينتهى كل شئ قبل إن نصل إلى هناك.

صاح أحدهم - اليوم يهرب العمال من أمام الشرطة لكنه قريبا سوف تهرب الشرطة من أمام العمال.

بدأ صوت آخر ينشد «المارسيليز» وبدأت الأصوات تتجمع وتعلو..

التصق كتفى «دوك» و «تشارلى» أمام النافذة الزجاجية.. كان المقهى من خلفهم يمتلأ بالوجوه التى تسبح فى دخان السجائر الأزرق الكثيف كالأسماك فى أحواض الزينة..

وفجأة تحطمت النافذة هب الحاضرون فى المقهى على أقدامهم.. وصاح صوت

- احترسوا من القوزاق(٣١٧).

كان كوردون جنود الشرطة يتقدم عبر الطريق والأرض الخالية من خلفهم بدأت تتسع وعلى الجانب الآخر من شارع «هوستون» كان الجنود الخيالة مازالوا يأتون بينما توقفت فى المساحة المحاصرة عربة نقل الجنود وهم يشحنون فيها الرجال والنساء.

تسلل «دوك» و«تشارلى» من وراء رجل بوليس يهرول بفرسه على الرصيف وهو يصدر صليلاً عظيما ويطلق الرصاص على أحد الأركان.. خرجا إلى الشارع الذى اصطفت حوله الحوانيت والملاهى الخالية المظلمة واتجها غربا إلى الفندق..

قال «تشارلى» - يا إلهى.. كدت تؤدى بنا إلى السجن هذه المرة.. لقد نويت الآن الذهاب إلى فرنسا بل إنى أود الذهاب.

بعد اسبوع واحد كانوا على ظهر الباخرة «شيكاغو» التابعة للخطوط الفرنسية وهى تشق طريقها عبر البوغاز وعلى وجوههم إرهاق حفلة الوداع بينما رائحة الباخرة تصيبهم بالغثيان وصوت موسيقى فرقة الجاز التى اصطفت على رصيف الميناء يدوى داخل رؤوسهم.

كان يوما ملبدا بالغيوم والسحب المنخفضة تغطى وجه السماء كأنما توشك أن تنهمر ثلوجا.. وكان البحارة من الفرنسيين والخدم من الفرنسيين.. تناولوا النبيذ مع أول وجبة

يأكلونها وقد التف حول المائدة الفتية الآخرون الذين تطوعوا فى وحدات الأسعاف.

مضى «دوك» بعد العشاء إلى القمرة لينام بينما خرج «تشارلى» يتجول فى الباخرة واضعا يديه فى جيوبه.. لا يدرى ماذا سيفعل بنفسه.. فى المؤخرة كانوا يرفعون الغطاء عن بنادق عيار ٧٥مم.. وأسفل الباخرة كان يمتلئ بالبراميل وصناديق العبوات وتعثرت خطواته فى أحد الكابلات الضخمة المنزوية التى تمتد إلى مقدمة السفينة.. وفى المقدمة عند الدفة وقف بحار فرنسى ضئيل يميل وجهه إلى اللون الأحمر ويضع ذؤابة حمراء على قبعته يقف فى نوبة الحراسة.

كان البحر يمتد صافيا كمرآة تلوثها بعض البقع القذرة المتماوجة من الأعشاب والنفايات بينما طيور النورس تهبط على سطح المياه أو تجلس على قطعة من الأخشاب الطافية وبين الحين والآخر يفرد نورس جناحيه بإسترخاء ويطير مطلقا الصياح.

والباخرة تشق سطح الماء الزجاجى الأخضر بدفتها العريضة القاطعة.

حاول «تشارلى» أن يتحدث مع الحارس.. أومأ برأسه قائلا

- الشرق.. فرنسا..

لكن الحارس لم يعره إلتفاتا..

أشار «تشارلى» بأصبعه إلى الناحية الأخرى بإتجاه الغرب المغلف بالضباب.

- بلدى «ڤارجو».. «نورث داكوتا»

اكتفى الحارس بهز رأسه ووضع أصابعه على شفتيه

قال تشارلى

- فرنسا لازالت بعيدة فى الشرق.. الحرب.. الغواصات

وضع الحارس يده على فمه.. أخيرا أدرك «تشارلى» إنه ممنوع من الحديث إليه.

***

الهوامش

(١) German Zuchter Verein اتحاد زراعة الراين الالمانى.

(٢) Mafeking مدينة فى جنوب افريقيا حيث دارت إحدى معارك حرب البوير (١٨٩٩ - ١٩٠٣).

(٣) وليم ماكنلى: الرئيس الخامس والعشرون للولايات المتحدة فى الفترة من ١٨٩٧ - ١٩٠١ اغتيل فى عام ١٩٠١م.

(٤) بنيامين هاريسون : رئيس الولايات المتحدة فى الفترة من (١٨٨٩ - ١٨٩٣).

(٥) Luzon Mindanao, Samar مجموعة من جزر الفيلبيين التى أصبحت مستعمرة امريكية منذ ١٨٩٦ بعد تنازل اسبانيا عنها واستمرت إلى ما بعد الحرب العالمية الثانية.

(٦) يستمد دوس باسوس «عين الكاميرا» الأولى من أحداث طفولية عندما كان فى اوربا مع أمه وتعرضوا لغضب الجماهير المؤيدة «للبوير» لكنه يعكس أيضا بصورة درامية خطوات امريكا الأولى المتوثبة نحو العالم الخارجى.

(٧) Hoch Amerika بالالمانية لتحيا امريكا.

(٨) Vive L' Amerique بالفرنسية لتحيا امريكا.

(٩) Bloem Fontein , Kruger (بلمفونتين)، L'ady smith (ليد يسميث) مدن فى جنوب إفريقيا حيث دارت حرب البوير.

(١٠) Queen Victoria ملكة انجلترا تولت العرش فى الفترة من ١٨٣٧ إلى ١٩٠١م وفى فترة حكمها كان الجنود الانجليز ينتشرون فى أرجاء الامبراطورية التى لا تغيب عنها الشمس وعند مطلع القرن العشرين كانت الحروب مازالت تشتعل هنا وهناك وبخاصة فى جنوب افريقيا (حرب البوير) التى دارت بين الفلاحين المستوطنين البيض فى جنوب افريقيا وبين الانجليز.. بدأت حرب البوير الثانية فى اكتوبر ١٨٩٩ وحقق البوير انتصارات سريعة حيث دفعوا القوات البريطانية الى الاجتماع فى مدن ليد يسميث وكبرلى ومبفكنج قبل أن تصل التعزيزات البريطانية عام ١٩٠٠ وتحول مسار الحرب لصالح لانجلترا.

(١١) Bohunks

(١٢) Polaks

(١٣) Murphys

(١٤) O'Haras

(١٥) O' Flangans

(١٦) أوليمبيا عاصمة ولاية واشنطن.

(١٧) ابولينارس Apollinaris مياه معدنية تستخدم كمنعش ماركة لشراب الويسكى.

(١٨) Havre de Grace

(١٩) Sus quehanna نهر امريكى صغير يصب فى خليج شسبياك.

(٢٠) Creek كريك اسم يطلق على الهندى الامريكى من عدة قبائل وبالذات المشهوجيان Mush hogean التى تقطن الآن أوكلاهوما.. أو على الهندى الامريكى الذى ينتمى الى «عصبة الكريك» التى تكونت من المشهوجيان فى جورجيا والآباما. أو الذى ينتمى إلى «أمة الكريك» وقد تكونت من عدة تحالفات بين الهنود الحمر.

(٢١) Looking backward : رواية خيالية لإدوارد بللامى.

(٢٢) Punch شراب مسكر مؤلف من كحول وعصير ليمون وتوابل وشاى وماء .

(٢٣) Mornon طائفة دينية اميريكة انشأها جوزيف سميث عام ١٨٣٠ اباحت تعدد الزوجات. (٢٤) . greaser

(٢٥) greaser مكسيكى خارج عن السلطة.

(٢٦) Pullman مدينة امريكية.

(٢٧) يقصد الرئيس الامريكى وودرو ويلسون وهو الرئيس الامريكى ٢٨ للولايات المتحدة فى الفترة من (١٩١٣ - ١٩٢١).

(٢٨) Fenians : جمعية سرية ثورية ايرلندية ١٨٦٣ - ١٨٧٠ كونت فروعا لها فى استراليا وكندا وامريكا .

(٢٩) يقصد الرئيس الامريكى تيودور روزفلت وهو الرئيس رقم ٢٦ فى الفترة من ١٩٠١ - ١٩٠٩ .

(٣٠) Trusts .

(٣١) الأبيات من مسرحية شكسبير «عطيل».

(٣٢) Boccacio شاعر وروائى ايطالى من أشهر اعماله ديكاميرون (١٣١٣ - ١٣٧٥).

(٣٣) Kansas مدينة كنساس فى ولاية ميسورى وهناك ولاية امريكية بهذا الاسم عاصمتها توبيكا.

(٣٤) أميل زولا: الروائى الفرنسى المعروف (١٨٤٠ - ١٩٠٢).

(٣٥) إشارة إلى اغتيال وليم ماكنلى عام ١٩٠١.

(٣٦) Wabash نهر امريكى صغير يمر بولاية أوهايو.

(٣٧) إشارة إلى معركة «بورت آرثر» وقد بدأت مقدماتها فى فبراير ١٩٠٤ بمهاجمة زوارق الطوربيد اليابانية للاسطول الروسى فى «بورت آرثر».

(٣٨) معركة «بورت آرثر» بدأت بمعركة بحرية بين الاسطولين اليابانى والروسى فى فبراير ١٩٠٤ وتم حصار اليابانيين «لبورت آرثر» التى كانت تعتبر المنياء الرئيسى للاسطول الروسى حتى تم استسلام الروس فى يناير ١٩٠٥ وأسر ٢٤,٠٠٠ رجل بالاضافة إلى ما تبقى من الاسطول وكانت هذه الهزيمة أحد العوامل فى ثورة ١٩٠٥ فى روسيا.

(٣٩) الأحد الدامى فى موسكو: فى يناير ١٩٠٤ توجهت مظاهرة سلمية غالبيتها من النساء بقيادة

قس مشبوه إلى قصر الشتاء لمطالبة القيصر بالخبز وقد قابلها الحرس القيصرى بفتح النيران وتم قتل عدد كبير من المتظاهرين.

(٤٠) تيدى: اسم التدليل للرئيس الامريكى تيودور روزفلت.

(٤١) Rough Rider زى الجنود الامريكيين أثناء الحروب الاسبانية.

(٤٢) نيكولاس الثانى (١٨٦٨ - ١٩١٨) قيصر روسيا تولى العرش ١٨٩٤ وأطاحت به ثورة ١٩١٧.

(٤٣) Fenians حركة سياسية وعقائدية تكونت عام ١٨٦١ لتحرير ايرلندا من سيطرة انجلترا ثم تحولت إلى جمعيات سرية انتشرت فى أنحاء العالم خاصة امريكا.

(٤٤) سان فرنسسكو.

(٤٥) البارجوريا: شراب من خليط الأفيون والكافور .

(٤٦) Canadian Pacific Construction .

(٤٧) إشارة إلى إعلان تيودر روزفلت الرئيس الامريكى عام ١٩٠٥ سياسة «العصا الغليظة» تجاه بلدان امريكا اللاتينية مما يجعلها توابع للولايات المتحدة بدون مناقشة. وقد جاءت هذه السياسة ردا على محاولة «هندوراس» حرمان شركات الموز الامريكية من امتيازتها.

(٤٨) Figure eight صورة من الصور الحركية للإنزلاق.

(٤٩) Cheyenne عضو قبيلة من الهنود الحمر (قبيلة الجونكويان Algonquians) هاجرت من مينيسوتا إلى منابع نهر بلات.

(٥٠) البونى فرس صغير أو حصان سباق.

(٥١) المعروف أن الكونغو كان نصفها واقعا تحت سيطرة الاستعمار البلچيكى والنصف الآخر تحت سيطرة الاستعمار الفرنسى.

(٥٢) غاريبالدى رائد القومية الايطالية (١٨٠٧ - ١٨٨٢).

(٥٣) Millenary : طائفة دينية مسيحية تؤمن بالعصر الألفى السعيد الذى يملك فيه المسيح على الأرض.

(٥٤) زلزال سان فرنسسكو الشهير عام ١٩٠٦.

(٥٥) Industrial Workers of the World .

(٥٦) فتاة الموضة فى أواخر القرن التاسع عشر كما وصفها تشارلز دانا جبسون.

(٥٧) Western Federatian of Miners .

(٥٨) Telluride عنصر يكثر فى المناجم .

(٥٩) Coeur D' Allenes بحيرة امريكية أو قبيلة هندية تقطن حولها.

(٦٠) A.E.F. أى القوات الامريكية المحمولة أو قوات الانقاذ وقد تعنى أيضا التحالف الامريكى الانجلو فرنسى.

(٦١) Page تطلق على العضو المراقب فى الكونجرس أو الهيئة التشريعية وتعنى أيضا خادم المراسلة.
(٦٢) I.W.W إنقلبت إلى IWon't Work Outfit .
(٦٣) American Federatian of Labour منظمة تعمل لصالح أصحاب الأعمال سيأتى الحديث عنها فيما بعد.
(٦٤) Wobbly وتعنى حرفيا المهتز أو المرتعش هى المرادف العامى الذى اطلق على عضو منظمة عمال العالم الصناعيين I. W.W .
(٦٥) Evangelist مبشر بروتسنانتى. .
(٦٦) ما معناه لكل غاية وسيلة. .
(٦٧) Presbyterian church أحدى الطوائف المسيحية فى أمريكا.
(٦٨) Molly Maguires عضو جماعة سياسية فى بنسلفانيا كانت تنادى بحقوق عمال المناجم.
(٦٩) Communion طقس كنسى اشارة إلى العشاء الربانى وهو العشاء الأخير للسيد المسيح .
(٧٠) Vaudeville عرض مسرحى هزلى يشتمل عادة على رقص وغناء أو عرض منوعات.
(٧١) Missionstyle متعلق بطراز اصطنع فى مبانى الارساليات الاسبانية الأولى فى جنوب غربى الولايات المتحدة الامريكية.
(٧٢) Peon : فى امريكا اللاتينية يعنى أحد أفراد الطبقة الكادحة أو أحد الأجراء الذين يعملون استيفاءا لدين وغالبا احرار الأرض.
(٧٣) Cientificos الملاك.. أصحاب الأراض أو رجال السلطة.
(٧٤) فرنسسكو ماديرو: رجل دولة مكسيكى ورئيس فى الفترة من ١٩١١ - ١٩١٣ تولى السلطة عقب اسقاط بورفيرتو دياز فى الحزب الأهلية المكسيكية لكنه اغتيل بعد ذلك.
(٧٥) Gringo بالاسبانية فى امريكا اللاتينية تطلق على الرجل الامريكى أو الرجل أو المرأة الانجليزية.
(٧٦) Carmagnole اغنية شعبية اشتهرت أثناء الثورة الفرنسية وهناك أيضا رقصة بهذا الاسم.
(٧٧) Jura اقليم فرنسى وهناك أيضا سلسلة من الجبال تعرف بهذا الأسم على الحدود الفرنسية - السويسرية .
(٧٨) Loup Garou .
(٧٩) Inside of the Cup - Battle of the strong -
Winning of Barbara Worth.
(٨٠) Tale of Two Citis لتشارلز ديكنز.
(٨١) Craps لعبة قمار تلعب بنردين.
(٨٢) Methodists احدى الطوائف المسيحية فى أمريكا وانجلترا خاصة.
(٨٣) The Man without country .

(٨٤) Old Glory تشير إلى العلم الامريكى.

(٨٥) Metho dism كنيسة الميثوديين أنشأها جون ويزلى فى القرن الثامن عشر كحركة اصلاحية للكنيسة الانجيلية.

(٨٦) Horn رأس هورن ويقع مقابل أقصى نقطة جنوب قارة أمريكا الجنوبية بين المحيط الاطلنطى والمحيط الهادى. فيما وراء مضيق ماچلان.

(٨٧) مدن بلجيكية .

(٨٨) Madeira يقصد جزر «ماديرا» البرتغالية فى المحيط الاطلنطى.

(٨٩) Garden of Allah رواية للكاتب الانجليزى روبرت هتشنز وتدور أحداثها فى اقليم الصحارى الكبرى بشمال افريقيا.

(٩٠) Antietam من معارك الحرب الأهلية الامريكية.

(٩١) Fra Diavolo .

(٩٢) Toddy شراب مسكر مُحلى يتكون من السكر والليمون والجاودار (الشعير) .

(٩٣) Bitters شراب مُسكر كالجعة المرة. .

(٩٤) نهر السين فى فرنسا .

(٩٥) نهر ساسكتشوان فى كندا .

(٩٦) منطقة نهر بلات الامريكى وتشمل ولايات نبراسكا ويومنج وجزء من ولاية كلورادو وميسورى.

(٩٧) gold Standard بالمفهوم الاقتصادى أى تقييم أى شئ بالذهب .

(٩٨) Pacifism معارضة العنف ورفض اللجوء إليه فى حل النزاعات .

(٩٩) Prohibition.

(١٠٠) Fundementalism .

(١٠١) Tanagers طيور امريكية صغيرة.

(١٠٢) Kingfis hers طائر يعيش قرب الأنهار ويقتات بالأسماك.

(١٠٣) ٤ يوليو عيد الاستقلال الامريكى (ذكرى اعلان وثيقة الاستقلال عن بريطانيا ١٧٧٦م) .

(١٠٤) الحرب الاسبانية: بين الولايات المتحدة واسبانيا عام ١٨٩٨ حول كوبا وفيها استطاعت الولايات المتحدة أن تحرم اسبانيا من آخر مستعمراتها.. وقد اشترك فى هذه الحرب تيودور روزفلت الرئيس الامريكى فيما بعد.

(١٠٥) Rough riders الجنود الامريكيين الذين اشتركوا فى الحرب بين الولايات المتحدة واسبانيا.

(١٠٦) Pownee indians هو تحالف بين الهنود فى السهول الامريكية الشمالية الذين كانوا يعيشون حول وادى نهر بلات فى نبراسكا والآن فى اوكلا هوما الشمالية .

(١٠٧) Maine و Oregon - سفن امريكية اشتركت فى الحرب الاسبانية.

(١٠٨) Boer War وهى الحرب التى نشبت فى عهد الملكة فيكتوريا بين البوير أى المستوطنين من

أصل أبيض خاصة الهولندى وبين الانجليز في جنوب افريقيا (حرب البوير الأولي ١٨٨٠ - ١٨٨١) والمقصود هنا الحرب الثانية ١٨٩٩ - ١٩٠٣ .

(١٠٩) Bungalow منزل خشبي من طابق واحد - غالبا على الشواطىء .

(١١٠) Faun أحد آلهة الحقول والقطعان عند الرومان . . كان غالبا يمثل بجسم إنسان بذيل ماعز قصير وقرون بارزة .

(١١١) Corset مشد للخصر والردفين .

(١١٢) Valenciennes ضرب من المخرمات .

(١١٣) By gorry التعبير العامى لفرط الاعجاب أو التعجب .

(١١٤) Mark Twain الكاتب الامريكى المعروف بسخريته .

(١١٥) Majolica ضرب من الخزف الايطالي فى عصر النهضة وربما رقصة .

(١١٦) Comet مذنب أو نجم ذو ذيل / مذنب هالي من المذنبات الكونية ويظهر كل ٧٦ عام . . آخر مرة ١٩٠٩ .

(١١٧) Confimation طقس كنسى تختص به الكنيسة الغربية .

(١١٨) العماد أو المعمودية طقس كنسى فى الكنائس المسيحية لا يصبح المرء بدونه مسيحيا .

(١١٩) Congregational

(١٢٠) Episcopolian

(١٢١) Marijuana الماريجوانا أو الحشيش . والأغنية بأكلمها باللغة الاسبانية .

(١٢٢) (Mumbo Jumb ` Jijibhoy) اسماء آلهة هندية وبالطبع هناك بعض التعديلات اللفظية التى لا تخل با لمنى وتحتفظ بالغنائية المطلوبة .

(١٢٣) Gold smith أوليفر جولد سميث من الرومانسيين الانجليز (١٧٢٨ - ١٧٧٤) .

(١٢٤) Doctor Johnson صامويل جونسون من مشاهير الأدباء الانجليز (١٧٠٩ - ١٧٨٤) .

(١٢٥) Keats الشاعر الانجليزى المعروف(١٧٩٥ - ١٨٢١).

(١٢٦) Tennyson الكاتب الانجليزى له بعض الأشعار والمسرحيات (١٨٠٩ - ١٨٩٢).

(١٢٧) Henry the Eigth تولى عرش انجلترا حوالي ٣٨ سنة (١٥٠٩ - ١٥٤٧) أشتهر بكثرة زيجاته وصراعه مع كنيسة روما واعدام معارضيه وبعض زوجاته ولشكسبير مسرحيته المعروفة (هنرى الثامن) .

(١٢٨) Mary . Queen of scots مارى سيتوارت وضعتها الملكة اليزابيث ابنه هنرى الثامن فى السجن عامة ١٥٦٨ وقضت به تسعة عشر عاما وأخيرا أعدمتها عام ١٥٨٧ .

(١٢٩) Stuarts تولوا عرش انجلترا من ١٦٠٣ - ١٧١٤ م - بدأت تلك الاسرة الملكية بتولى جيمس السادس ابن الملكة مارى ستيورات من زوجها لورد «دارنلى» العرش البريطانى بإسم جيمس

الأول بعد وفاة الملكة اليزابيث . وانتهت تلك الأسرة بوفاة الملكة «آن» ١٧١٤ واستيلاء الملك چورج الأول على العرش مؤسسا أسرة جديدة امتدت حتى عام ١٩١٤ .

(١٣٠) Lycidas الاسم الشعرى الذى نعت به «ميلتون» في إحدى مراثيه صديقه المتوفي الملك ادوارد . . وميلتون هو الشاعر الانجليزيالمعروف (١٦٠٨ - ١٦٧٤) .

(١٣١) Adonais مرثية للشاعر الانجليزى «شيلى» التى نعي فيها صديقه الشاعر «كيتس» ولعها تشير إلى المقارنة بين موت «كيتس» المبكر وموت أدونيس Adonis إله الحب والجمال .

(١٣٢) Rossetti رسام انجليزى من أعضاء رابطة محبى راڤائيل (١٨٢٨ - ١٨٨٢) .

(١٣٣) Burne - jones رسام انجليزى (١٨٣٣ - ١٨٩٨) .

(١٣٤) Pre - Raphaelism مذهب فنى تكون فى القرن الثامن عشر فى انجلترا . .

(١٣٥) Ruskin چون راسكين مؤلف انجليزى وناقد فنى - ولد فى لندن (١٨١٩ - ١٩٠٠) .

(١٣٦) Romola إحدى روايت چورج اليوت صدرت عام (١٨٦٣) .

(١٣٧) George Eliot الكاتبة والروائية والشاعرة الانجليزية الأصل . . أسمها الحقيقى مارى آن ايفانز ولدت فى ورويكشير عام ١٨١٩ وماتت عام ١٨٨٠ م .

(١٣٨) Whistler فنان ورسام امريكى (١٨٣٤ - ١٩٠٣) .

(١٣٩) Manet إدوارد مانيه فنان فرنسى . . رائد من رواد الانطباعية (١٨٣٢ - ١٨٨٣) .

(١٤٠) Fantin Latour تيودور فانتين لاتور : رسام فرنسى (١٨٣٦ - ١٩٠٤) .

(١٤١) Corot رسام فرنسى من هواة المناظر الطبيعية الخلوية (١٧٩٦ - ١٨٧٥) .

(١٤٢) Millet چون ميليه رسام إنجليزى يتميز بالبورتريه والوحات التاريخية (١٨٢٩ - ١٨٩٦).

(١٤٣) Angelus صلاة تؤدى فى الكنيسة الكاثوليكية أحياء لذكرى تجسد المسيح .

(١٤٤) Unitarian عضو طائفة مسيحية ترفض الايمان بعقيدة الإله المثلث الأقانيم وتؤمن بالإله ذو الأقنوم الواحد .

(١٤٥) Alpaca صوف حيوان ثدييى يشبه الخروف يوجد فى جنوب امريكا .

(١٤٦) Vae Victis باللاتينية ويل لمن يغلب على أمره .

(١٤٧) C'est la pure Vérité

(١٤٨)Cubism من الحركات الحديثة فى الفن تمثل فيه الأشياء بمكعبات وأشكال هندسية .

(١٤٩) Futurism من الحركات الحديثة في الفن والموسيقي والأدب . . نشأت في إيطاليا حوالي ١٩١٠ وتميزت بالدعوة إلى الخروج على التقليد ومحاولة التعبير عن الطاقة الديناميكية لحياة الإنسان المعاصر .

(١٥٠) Tout Ca C'est affreusement pompier حرفيا : كل هذا عمل رجعي أو محافظ فظيع وكلمة تعنى Pompier أيضا رجل أطفاء لكنها هنا تعنى موضة تقليدية قديمة .

(١٥١) Bullterriers نوع من الكلاب القوية البيضاء كثيفة الشعر .

(١٥٢) Bow كنيسة تقع في قلب لندن واسمها الكامل . St . Mary le - Bow church

(١٥٣) Waldorf salad سلاطة تعد من مكعبات صغيرة من التفاح والكرفس مع الميونيز .

(١٥٤) moving pictures الصور المتحركة أو السينما الصامته .

(١٥٥) Maya Indian Stories المايا هنود حمر كانوا ينتشرون فى امريكا الوسطي وجواتيمالا والمكسيك وكانت لهم حضارة زاهرة قبل أن يتعرضوا للإبادة من قبل الرجل الأبيض .

(١٥٦) العزف الموسيقى الذي كان يصاحب عرض الفيلم أيام السبت الصامته .

(١٥٧) إدوارد چيبون المؤرخ الانجليزى الذى اشتهر بكتابة «إنحلال وسقوط الامبراطورية الرومانية» (١٧٣٧ - ١٧٩٦) .

(١٥٨) Captain Marryat's novels فردريك ماريات (١٧٩٢ - ١٨٤٨) قبطان في البحرية الملكية البريطانية وله عدة روايات أغلبها عن البحر .

(١٥٩) Carcassonne مدينة فى جنوب فرنسا .

(١٦٠) Eggs Nousy ? No poker chips حرفيا لماذا ضجيج الناس ؛ لا توجد فيشات بوكر .

(١٦١) Banjoes آلات البانجو . . آلة موسيقية تشبه العود .

(١٦٢) Seawolf نوع من الأسماك ؛ يتميز بالضراوة الشديدة .

(١٦٣) Robert E . Lee اسم لأحد قواد الحرب الأهلية الامريكية .

(١٦٤) Isadora Duncan اشهر راقصة في النصف الأول من القرن العشرين . . حاولت أن تجعل من الرقص فنا تعبيريا راقيا . . أخرجت السينما قصتها في الفيلم الكبير «ايزادورا» كما سترد ترجمة لحياتها فى الرواية الثالثة من هذه الثلاثية .

(١٦٥) I. W. W منظمة عمال العالم الصناعيون وهى منظمة عمالية امريكية .

(١٦٦) Don enrique الدون تعنى السيد أو النبيل بالاسبانية وهنريك هى اللهجة الاسبانية للأسم «هنرى» .

(١٦٧) ڤالبا ريسو ميناء تجارى هام فى شيلى .

(١٦٨) Chincha islands مجموعة من الجزر الصغيرة فى المحيط الهادى مقابل ساحل بيرو .

(١٦٩) Guano الجوانو سماد طبيعى يتكون من فضلات الطيور البحرية .

(١٧٠) Caciques زعماء القبائل خاصة فى المكسيك .

(١٧١) Andean على امتداد جبال الأنديز فى امريكا الجنوبية .

(١٧٢) United Fruit Company ولا زالت حتى الآن من أقوى القوى المؤثرة في بلدان امريكا اللاتينية وتقف وراء الكثير من الانقلابات بالتعاون مع وكالة المخابرات الامريكية بالطبع

وأشهرها انقلاب جوانتيمالا ١٩٥٤ ومصرع الليندى فى شيلى .

(١٧٣) Homesteod Mills أحد مصانع الصلب فى الولايات المتحدة .

(١٧٤) Chamber of Commerce مجلس التجارة أو الغرفة التجارية ويقوم بمهمة الدعاية والتنسيق بين المنشئات الصناعية والتجارية .

(١٧٥) Solitaire لعبة بأوراق اللعب (الكوتشينة) يلعبها المرء بمفرده .

(١٧٦) Kiwanians أعضاء نوادى «الكوانس» وهي مجموعة دولية من نوادي رجال الأعمال وأهل الخبرة تأسست في «ديترويت» عام ١٩١٥ لترويج مبادىء الخدمة العامة والمعاملات العادلة وحقوق الزمالة . . إلخ .

(١٧٧) Sewickley Country club والنادى الريفى هو نادى يقع فى الضواحى ويمارس فيه الأعضاء اللعب فى الهواء الطلق .

(١٧٨) Bessemer من المعروف أن إسم «بسمر» يرجع إلي «هنرى بسمر» المهندس المخترع الانجليزى الذى اكتشف طريقة تحويل الحديد الزهر إلى صلب و «هنرى بسمر» (١٨١٣ - ١٨٩٨) هو الذى صمم «مُحول بسمر» لتحويل الحديد الزهر إلى صلب (فولاذ) .

(١٧٩) Arcs الأقواس الكهربائية . مرور التيار الكهربائى بين فجوة تفصل قطبين وتستعمل للحصول على شرارة ودرجة حرارة عالية تكفى للاشتغال فى أفران الصهر .

(١٨٠) Carlsbad مدينة فى «تشيكوسلوفاكيا» تشتهر بالينابيع الحارة ومصحات الاستشفاء .

(١٨١) poke bonnet البوك بونيت : قلنسوة نسائية ذات حافة امامية بارزة تنتشر فى الجنوب الامريكى .

(١٨٢) Receiver مستقبل التليفون . . من المعروف أن التليفون في بدايته كان يتكون من جزئين مرسل ومستقبل .

(١٨٣) Walter Raleigh captain John smith Pocahontas كابتن ون سميث الانجليزى أحد الغزاة الأوائل لأقليم «فرجينيا» حوالي عام ١٦١٠ م احبته وانقذته «بوكاهونتاس» ابنة ملك قبيلة من قبائل الهنود الحمر في المنطقة من الذبح ثم عفا عنه الملك واعتبره أحد ابنائه وقد سجل قصته بنفسه عند عودته إلى لندن ١٦٦٢ م .

(١٨٤) Danube الداناب أكبر أنهار أوروبا يمر بالمانيا والنمسا والمجر ثم «الصرب وكرواتيا وسلفانيا» التى تشكل الآن يوغسلافيا ثم يمر بالحدود البلغارية - الرومانية ليصب فى البحر الأسود . . وهو يشير هنا إلي حادث اغتيال الأرشيدوق «فرانز فرديناند» في سراجيڤو بالبوسنة في ٢٨ يونية ١٩١٤ وهو الحادث الذى أشعل شرارة الحرب العالمية الأولى وأعقبه اعلان النمسا الحرب على الصرب . . كانت المانيا حليفة النمسا ضد تحالف الصرب وفرنسا وبريطانيا وبلچيكا وروسيا وفى سبتمبر ١٩١٤ أعلنت تركيا انضمامها للنمسا والمانيا (قوى الوسط) ضد القوى الأخرى (قوى الحلفاء) . .

(١٨٥) يقصد نيقولا الثاني قيصر روسيا ففي أعقاب اعلان النمسا الحرب علي الصرب عبأت روسيا قواتها ضد النمسا فى ٣٠ يوليه ١٩١٤ .

(١٨٦) Décolleté فستان مقور مكشوف الصدر .

(١٨٧) Bessemer, Duquesne' Rankin, Pittsburgh, Bethlehem, Gary. مجموعة الشركات التى أنشأها كارينجى . وبعضها توردت إليه فى أحداث الرواية .

(١٨٨) Bay berry نبات من نباتات امريكا الشمالية .

(١٨٩) Cape Race تابعة لكندا . . بالقرب من الساحل الكندى .

(١٩٠) New found land نيوفوندلاند جزيرة فى المحيط الاطلنطى .

(١٩١) Aux Basques وعدم ترابط الجملة انطباع لتدفق الأنباء .

(١٩٢) Old individualistic methods لقد بدأ النظام الرأسمالي بالفعل نتيجة حتمية لتطوره ينبذ الوسائل الفردية أو الاقتصاد الحر بمفهومه البدائى ليتجه إلى مرحة «الاحتكار» أو التكتلات الاحتكارية .

(١٩٣) أحد فنادق شيكاغو .

(١٩٤) Tennessee إحدى الولايات الامريكية عاصمتها «ناشفيل» .

(١٩٥) Anaconda أفعى امريكية .

(١٩٦) Rotary club منظمة إنشئت فى شيكاغو عام ١٩٠٥ شعارها الخدمة . . العلاقات الأخوية . . إلخ . . ولها العديد من الفروع فى أنحاء العالم حتى هذه اللحظة .

(١٩٧) Magdalena River نهر فى كولومبيا يصب فى البحر الكاريبى .

(١٩٨) Hammock سرير أو ارجوحة بغطاء شبكى .

(١٩٩) Elephantiasis مرض يسببه نوع من الطفيليات وينتقل عن طريق لسعات البعوض ويسبب تضخم الأطراف .

(٢٠٠) Wessex مقاطعة في الريف الانجليزى تعود إلي فترة مبكرة من التاريخ السكسونى كمملكة مستقلة ما بين عامى ٤١٥ - ٨٧١ م .

(٢٠١) Chartreuse tulle التول : قماش حريرى رقيق - الشرتروز : لون أخضر يميل إلى الأصفر .

(٢٠٢) Tampico ميناء مكسيكى هام من الموانى التجارية .

(٢٠٣) Quebec مقاطعة كندية . . تكونت على يد الفرنسيين ١٦٠٨ م. قبل أن تقع تحت السيطرة الانجليزية ١٧٥٩ ولا زال أهلها ينطقون الفرنسية إلى الآن مع بعض الدعوات الإنفصالية عن كندا .

(٢٠٤) Chateau ميناء على ساحل الاطلنطى .

(٢٠٥) Wolfe جيمس وولف جنرال هلك خلال حملته علي كويبك (١٧٢٧ - ١٧٥٩) فى نفس يوم

مصرع خصمه فى المعركة مونتكام Montcalm .

(٢٠٦) Gray توماس جراي شاعر انجلزي يتميز شعره بالكآبة (١٧١٦ - ١٧٧١) .

(٢٠٧) Montcalm الماركيز مونتكام جنرال فرنسى تصدى للانجليزى في كويبك وقتل في نفس يوم مصرع خصمه «وولف» (١٧١٢ - ١٧٥٩) .

(٢٠٨) Frontenac يعود إلى اسم لويس ڤرونتناك حاكم كندا (١٦٢٠ - ١٦٩٨) .

(٢٠٩) Chaut auqua نسبة إلى هيئة «الشوتوك» وهى هيئة أدبية وتعليمية أنشئت عام ١٨٧٨ م .

(٢١٠) Kentucky ولاية امريكية من الولايات المتحدة .

(٢١١) Acropolis «الأكروبول» تل من تلال أثينا التاريخية .

(٢١٢) Parthenon هيكل الآلهة «أثينا» فى مدينة آثينا .

(٢١٣) St . Lawrence نهر سانت لورنس فى كندا ويمر بمقاطعة كويبك .

(٢١٤) Empress of Ireland والمقصود هنا اسم باخرة .

(٢١٥) Levis بنطلونات زرقاء ضيقة مرقعة .

(٢١٦) Sainte Anne de Beaupré قد تترجم حرفيا بالقديسة آن رافعة الصارية بإعتبارها شفيعة للصيادين .

(٢١٧) Smith sonian معهد سميثونيان تأسس في واشنطن عام ١٨٤٦ ويحمل إسم «جيمس سميثون» الكيميائي وعالم المعادن الانجليزى الذى أعطى للولايات المتحدة منحة مالية كبيرة من أجل إنشاء المعاهد التعليمية .

(٢١٨) Muff الموف غطاء اسطوانى من الفراء لحماية اليدين .

(٢١٩) magpie طائر كالغراب ويطلق اللفظ على الشخص الذى يثرثر بصوت عال متواصل .

(٢٢٠) Andrew Jackson (١٧٦٧ - ١٨٤٥) رئيس الولايات المتحدة ما بين عامى ١٨٢٩ - ١٨٣٧ .

(٢٢١) Gibbon المؤرخ الإنجليزي المعروف . . وردت الاشارة إليه . .

(٢٢٢) Hume داڤيد هيوم . . فيلسوف ومؤرخ انجلزيى(١٧١١ - ١٧٧٦) .

(٢٢٣) Newton اسحق نيوتن . . العالم الفيزيائى الشهير (١٦٤٢ - ١٧٢٧) .

(٢٢٤) Stock ticker الة لكتابة الرسائل التليغرافيه .

(٢٢٥) Wall Street سوق المال والأعمال فى نيويورك .

(٢٢٦) Carbon Rheostat الريوستات مقاومة متغيرة لتقويم التيار الكهربائى .

(٢٢٧) Microtasimeter آلة كهربائية لتسجيل أدنى تغير فى حركة أو تمدد الجوامد مع التغير فى درجة الحرارة المصاحب لهذا .

(٢٢٨) Euclidan God إشارة إلى النظرية الاقليدية عن الكون نسبة إلى اقليدس الرياضي اليوناني الشهير الذى وضع قواعد ونظريات علم الهندسة التقليدية والتصورات الفلسفية التى بنيت على هذه النظريات تصور الكون على أساس أنه مجموعات من الجوامد يفصل بينها الفراغ . . والكون بأكمله عبارة عن كرة يوجد خارجها الإله كقوة محركة أولية Prime motive .

(٢٢٩) البوب : موسيقى أو أغانى شعبية فى امريكا .

(٢٣٠) Swift جوناثان سويفت كاتب انجليزى ولد فى «دبلن» مؤلف «رحلات جليفر» (١٦٦٧ - ١٧٤٥) . . والفهم اللغوى للكلمة يعطى المعانى الآتية :

الحركة السريعة . . الرشيقة . المفاجئة أو طائر خفيف الحركة يشبه السنونو .

(٢٣١) Magdeburg spheres تم فيها افراغ نصفي الكرة من الهواء الجوى ولم يتمكن حصانات من الفصل بينهما حيث أن ضغط الهواء الجوى منع ذلك .

(٢٣٢) Rimbaud آرثر رامبو . . الشاعر الفرنسى العظيم (١٨٥٤ - ١٨٩١) .

(٢٣٣) أثناء الحرب العالمية الأولي كانت المناطيد وأشهرها منطاد زبلن الألمانى يستخدم في عمليات الاستطلاع وبعض الاستطلاع وكانت الحرب الجوية بشكل عام ليست على هذه الدرجة من الأهمية التى اكتسبتها أثناء الحرب العالمية الثانية .

(٢٣٤) لعب الغواصات التى بدأ استخدامها منذ أوائل القرن دورا بارزا فى الحرب العالمية الأولى .

(٢٣٥) Solomon's Islands جزر فى المحيط الهادىء من مجموعة ميلانيزيا جنوب خط الاستواء .

(٢٣٦) Zapata من أشهر ثوار المكسيك أثناء الحرب الأهلية . . كان يقود الثوار المؤيدين لمطالب الفلاحين بنزع الملكية وتوزيع الأراضي . . أصبح رئيسا للمكسيك لكنه أغتيل بعد ذلك . . أخرجت السينما قصته فى فيلم «يحيا زاباتا» لإيليا كازان .

(٢٣٧) Pulque شراب مُسكر يصنع فى المكسيك من عصير الصبار الأمريكى .

(٢٣٨) Tortilla كعك مستدير مصنوع من دقيق الذرة .

(٢٣٩) enchiladas وجبة مكسيكية متبلة بالفلفل .

(٢٤٠) tequilla شراب مكسيكى .

(٢٤١) Villa أحد القادة الشعبيين للثوار «البيون» خلال الحرب الأهلية فى المكسيك .

(٢٤٢) American Federation of Labor

(٢٤٣) Union Nacional de Trabajadores

(٢٤٤) Pan American Federation of labor

(٢٤٥) Cuatro milpas «أربعة حقول قمح» وقد وردت الاشارة إلى الأغنية .

(٢٤٦) Malaga ميناء أسبانى هام على البحر المتوسط .

(٢٤٧) Uncle Dudley الانجليز فى القرن السادس عشر . . اشترك في مؤامرة وأعدم . أحد اللوردات .

(٢٤٨) Syrian وفضلنا ترجمتها بالشامي نسبة إلي الشام لأنه سيأتي فيما بعد تحديد هويته اللبنانية .

(٢٤٩) Obregon ألفارو اوبريجون أصبح رئيسا للمكسيك من ١٩٢٠ حتي عام ١٩٢٤ ثم اغتيل بعد ذلك .

(٢٥٠) هنود الياكى Yaqui سموا بذلك نسبة إلي موطنهم الأصلي حول نهر ألياكى فى شمال غرب المكسيك وهم فرع من هنود قبيلة الآتو أزتيك ويقطنون الآن سونورا ومكسيكو بالمكسيك .

(٢٥١) Juarez بنيتو چواريز رئيس جمهورية المكسيك أثناء الغزو الفرنسي (١٨٠٦ - ١٨٧٢) وهناك مدينه باسمه ورد ذكرها فى الرواية .

(٢٥٢) Proteus أحد شخصيات شكسبير فى مسرحيته «نبيلان من ڤيرونا» وهو «إله البحر» في الميثولوچيا اليونانية وله القدرة على اتخاذ أشكال متعددة .

(٢٥٣) Breslau مدينة هامة من مدن «بروسيا» فى ذلك الوقت .

(٢٥٤) Bismarck (١٨١٥ - ١٨٩٨) رجل الدولة الروسية الشهير ومؤسس الامبراطورية الألمانية بالاشتراك مع غليوم الأول الذى صار امبراطوار المانيا ١٨٧١ م .

(٢٥٥) Hohenzollerns نسبة إلى مقاطعة هوهنزلرن بالمانيا واشهر أفراد تلك الأسرة غليوم الأول.

(٢٥٦) Third Harmonics التوافقية الثالثة . فى علم الفيزياء .

(٢٥٧) Hysteresis لازال علم الكهرباء يحتفظ بقانون شتاينمتز ويطلق علي معامل التخلف المغناطسي معامل شتاينمتز Steinmetz Co efficient أو Hystersis Co efficient .

(٢٥٨) Mount Vernon بيت ومقبرة چورج واشنطن على نهر «بوتوماك» بفرجينيا بالقرب من واشنطن .

(٢٥٩) Pierce Arrow ماركة العربة الخاصة لمورهاوس .

(٢٦٠) Kosher الطعام المباح طبقا للشريعة اليهودية .

(٢٦١) Yiddish لهجة من لهجات اللغة الألمانية تكثر بها الكلمات العبرية كما تكتب بحروف عبرية ويتكلم بها اليهود الألمان كما تنتشر بين اليهود والروس مطعمة بالكلمات السلافية .

(٢٦٢) Benny إسم التدليل «لبن كومبتون» الذى سيصبح من الشخصيات الرئيسية فى الجزء الثانى من الثلاثية .

(٢٦٣) Avocado نبات امريكى استوائى ذو ثمر شبيه بالكمثرى .

(٢٦٤) Pentland Firth شمال سكتلندا .

(٢٦٥) Rheims Cathedral كنيسة تقع فى مدينة «ريمز» الفرنسية . . فيها منحت چان دارك

تأييدها لشارل السابع وقد تعرضت للتخريب والدمار على يد المدفعية الالمانية في تلك الحرب .

(٢٦٦) Verdun كانت معركة «الفردان» من أكبر المعارك فى الحرب العالمية الأولى على الجبهة الفرنسية حدثت فى عام ١٩١٦ واستمرت ما يقرب من عشرة شهور وكان العدد الاجمالي للقوات على الجانبين مليون وربع تقريبا سقط منهم طبقا للتقديرات الفرنسية الرسمية ٤٢٠.٠٠٠ قتيل ، ٨٠٠.٠٠٠ جريح .

(٢٦٧) Chenin des Dames وهى أيضا من الأراضى الفرنسية التى جرت عليها المعارك بين القوات الالمانية وقوات الحلفاء .

(٢٦٨) Higgin botham تحولت إلى pigin b'ottom أو قعر الخنزير .

(٢٦٩) Washington چورج واشنطن بطل الاستقلال الأمريكي والرئيس الأول (١٧٣٢ - ١٧٩٩) .

(٢٧٠) Jefferson توماس چيفرسون الرئيس الثالث للولايات المتحدة (١٧٤٣ - ١٨٢٦) .

(٢٧١) Frank Furters نوع من السجق أو المقانق .

(٢٧٢) Sauer Krat حساء الكرنب المخمر .

(٢٧٣) فى يناير ١٩١٨ قدم ويلسون بالفعل مشروع سلام من ١٤ نقطة تتضمن احترام حق الدول فى تقرير المصير وإنشاء عصبة الأمم .. إلخ إلا أن فرنسا وبريطانيا لم توافقا عليه فى البداية وقد علق عليه «كليمنصو» رئيس وزراء فرنسا ساخراً .. إن الله قد بعث عشرة وصايا فقط جعلها ويلسون أربعة عشر » .

(٢٧٤) Joffre چنرال فرنسى من قادة الحرب العالمية الأولى وشغل منصب القائد الفرنسى العام قبل أن يعفى من منصبه .

(٢٧٥) كان غاز «المستردة» من أسوأ أنواع الغازات السامة التى استخدمت فى الحرب العالمية الأولى.

(٢٧٦) Maid of Orleans لقب يطلق على چان دارك شهيدة فرنسا المعروفة .

(٢٧٧) أعلنت الولايات المتحدة الحرب رسميا فى أبريل ١٩١٧م وكانت حجتها المباشرة فى ذلك هو إحتجاجها على حرب الغواصات الألمانية غير المقيدة التى كانت تشنها الغواصات الالمانية ضد السفن والأساطيل بصرف النظر عن العلم الذى ترفعه وقد تفاقمت الأمور بعد إغراق «اللويزتانيا» أما الأسباب الحقيقية لدخول امريكا الحرب بعد حوالى ثلاثة سنوات من نشوبها فهى رغبة أمريكا فى فرض وجودها على الساحة الدولية بعد إنهاك أوروبا الواضح خلال الحرب ورغبة أمريكا فى موازنة قوى الحلفاء بعد التدهور الواضح على الجبهة والأحداث الداخلية التى انتهت بإسقاط القيصرية .. إلخ.

(٢٧٨) Rodin أوجست دودان النحات الفرنسى الشهير .. من أشهر أعماله تمثال المفكر (١٨٤٠ - ١٩١٧) .

(٢٧٩) Age of Bronze فترة من فترات الحضارة الإنسانية تميزت باستخدام الأدوات البرونزية

بدأت فى أوروبا حوالى ٣٥٠٠ ق. م. وفى مواطن الحضارات القديمة قبل ذلك .

(٢٨٠) Star spangled النشيد القومى الأمريكى .

(٢٨١) Hail, hail, the Gang's all here

(٢٨٢) Jesuits الجيزوين أو اليسوعيين .. طائفة دينية للرجال أسسها القديس أغناطيوس ليولا عام ١٥٣٤ وتوجد خاصة فى فرنسا .

(٢٨٣) Gironde ذلك الجزء من نهر الجارون بعد اتحاده مع نهر «الدوردون» ليصيب فى المحيط .

(٢٨٤) فى ربيع ١٩١٧ كان الجيش الفرنسى قد بدأ يتصدع بعد الخسائر الفادحة التى منى بها فى معاركه مع الألمان .

(٢٨٥) Chapon fin طبق فرنسى يتكون من الديوك المحمرة فى السمن وشرائح الخبز مع بعض أنواع السلاطة .

(٢٨٦) Ortalan طبق فرنسى من طيور الأورتْلان التى تتميز بطعمها اللذيذ .

(٢٨٧) Truffles نوع من النباتات .

(٢٨٨) Mefiez Vous, Les Oreilles enemis Vous écoutent

(٢٨٩) Robert Ingersoll محامى أمريكى وخطيب مشهور إشتهر أيضا بالحاده (١٨٣٣-١٨٩٩)

(٢٩٠) Burke إدموندبيرك خطيب سياسى إنجليزى .. ولد فى «دبلن» (١٧٣٠ - ١٧٩٧) .

(٢٩١) ماركوس انطونيوس القائد الرومانى المعروف وأحد المستفيدين من مصرع قيصر .. والمقصود خطابه الذى ألقاه على جثمان (قيصر) فى مسرحية شكسبير «يوليوس قيصر» .

(٢٩٢) Polonius - لورد «تشامبرلين» ووالد «أڤيليا» فى مسرحية شكسبير «هاملت» .

(٢٩٣) Buggy عربة يجرها حصان واحد وتّسع شخصا واحدا .

(٢٩٤) Booth ادوين بوث ممثل امريكى وشقيق ويلكز .

(٢٩٥) Wilkes ممثل امريكى قاتل الرئيس الأمريكى ابراهام لنكولن .

(٢٩٦) Daniel Webnester دانيل ويستر رجل دولة أمريكى وخطيب سياسى (١٧٨٢ - ١٨٥٢) . وقد أصبح وزير خارجية الولايات المتحدة أعوام (١٨٤١ - ١٨٤٣) ثم أعوام (١٨٥٠ - ١٨٥٢).

(٢٩٧) Capitoline نسبة إلى «الكابيتول» معبد الأله چوبيتر فى روما ويطلق الاسم حديثا على مبنى البرلمان ومقر الكونجرس الامريكى .

(٢٩٨) Iago إياجو : أحد شخصيات مسرحية « عطيل » لشكسبير .

(٢٩٩) Madison عاصمة ولاية « ويسكونسن » .

(٣٠٠) Milwaukee مدينة تطل على بحيرة متشجان بولاية ويسكونسن .

(٣٠١) Filibuster الخطيب الذى يحاول تعطيل إتخاذ قرار فى الكونجرس بأن يعمد إلى إلقاء خطاب طويل .

(٣٠٢) Onan تزوج أرملة أخيه ولم يشأ أن يخصبها فكان يلقى بذوره على الأرض ومصطلح Onanism مرادف للاستمناء Masturbatio

(٣٠٣) Levite and His Concubine واللاوى فرد من قبيلة لاوى العبرانية .

(٣٠٤) Surrey مركبة ذات أربع عجلات ومقعدين وتجرها الخيول .

(٣٠٥) Sarsparilla شراب غازى مُنكه بالفشاغ أحد النباتات الأمريكية .

(٣٠٦) Argosy تعنى الأسطول التجارى أو سفينة تجارية كبيرة .

(٣٠٧) Labor day يحتفلون به فى كندا وامريكا فى الأثنين الأول من سبتمبر وهذا غير أول مايو المعروف .

(٣٠٨) Hearts ورق لعب مرقم على هيئة قلوب .

(٣٠٩) Hasen pfeffer وجبة ألمانية تتكون من لحم الأرانب المقوع بالخل .

(٣١٠) Ku Klux Klan جمعية سرية أمريكية نشأت فى أعقاب الحرب الأهلية لإبادة الزنوج .

(٣١١) Mardi Gras ثلاثاء الرفاع أو ثلاثاء الروافع وهو الثلاثاء الذى يسبق صوم عيد الفصح .. وترجمته الحرفية « الثلاثاء السمين » . جاءت تلك التسمية من عادة الفرنسيين التضحية بثور سمين أثناء احتفالهم بالمناسبة - يتم الاحتفال به فى عدد من المدن الأوربية والامريكية باحتفال شعبى «كرنفال» مثل احتفال « نيواورليانز» المشار إليه .

(٣١٢) Civil Engineer C. E. مهندى مدنى .

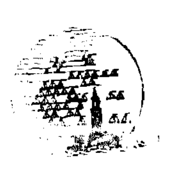
(٣١٣) Est من أستونيا أحد الجمهوريات السوفيتية الآن والتى تقع على بحر البلطيق .

(٣١٤) إعلان الجمهوريات فى روسيا وتولى حكومة « كبرنسكى » السلطة فى مارس ١٩١٧.

(٣١٥) Salvation Army منظمة شبه عسكرية لنشر الدين ومساعدة الفقراء على نمط المنظمة التى أنشأها وليم بوث فى انجلترا عام ١٨٦٥ .

(٣١٦) Lobster Mayonnaise الكركند أو جراد البحر : نوع من السرطانات البحرية مطهى مع صلصة كثيفة من صفار البيض والخل والتوابل .. إلخ .

(٣١٧) Cossacks نسبة إلى فرق القوازق التى كان يستخدمها القيصر لقمع الجماهير .



هذا الكتاب

لم ينل « چون دوس باسوس » من حركة الترجمة ما يستحق من الاهتمام رغم أنه من جيل الرواد الأوائل فى الأدب الأمريكى المعاصر .. فحركة الترجمة فى الثلاثينات والأربعينات من هذا القرن عندما كان «باسوس» رمزا حيا فى أوروبا وأمريكا كان كل ما يشغلها كلاسيكيات الأدب الأوربى ، وكان الأدب الروسى بعمالقته العظام نبعا فياض للمهتمين بالأدب على نحو عام .. والواقعية الاشتراكية على نحو خاص .

حتى إذا ما أتت فترة « الستينات » التى شهدت حركة ترجمة مزدهرة انفتحت على آفاق الأدب الأمريكى لم يشغلها غير الرموز الأدبية الحية التى كانت تستحوذ اهتماما واسعا فى عواصم الفكر والأدب مثل « هيمنجواى » و « شتاينبك » بينما كان « باسوس » قد انحدر إلى دائرة الظل وكتاباته خرجت من إطار الرواية إلى السرد التاريخى كما ضاعت منه قدرته على النقد الاجتماعى البناء وضاعت منه بالأهم قدرته النفاذة على تحليل حركة التاريخ .. إنتقل من حلم « الثورة » إلى حلم « النموذج الأمريكى » و « النمط الأمريكى » و « الديمقراطية الأمريكية » مبادئ الجمهوريات الوليدة التى عفى عنها الزمن .. فيما أطلق عليه « الفترة الجيفرسونية » فى حياته واعتبر النقاد هذا تنازلا نقل « باسوس » من اليسارية إلى المحافظة ومن الرواية إلى التأريخ ومن « ثائر على المجتمع » إلى « نمط فى المجتمع » ومن موهبة حية إلى موهبة ميتة . لكن أمريكا U. S. A. تظل بلاشك أعظم رواياته على الاطلاق بل من أعظم الرويات فى الأدب الأمريكى ..

